دانتي أليجييري

الكوميديا الإلهية

الجحيم

ترجمة

حسن عثمان





دار المعارف بمصر

دانتى أليجييرى

لكوميديا الإلهيّة

الجحيم

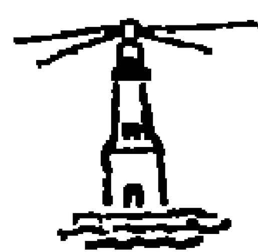
كوميديا
دانتى أليجْييرى

"الفلورنسى مَوْلدًا لا خُلُقًا"

النشيدُ الأول
الجحيم

ترجمة

حسَن عُثمان



دار المعارف بمصر

ملتزم الطبع والنشر : دار المعارف بمصر – ٥ شارع ماسبيرو – القاهرة

إلى ذكرى

دانتي أليجييري

الشاعر الأعظم

تصـــدير

فى تصديرى لكتاب « سافونارولا : الراهب الثائر » الذى نشرته دار الكاتب المصرى فى القاهرة سنة ١٩٤٧ ، عبرت عن اعتزامى وضعَ بعض الكتب عن التراث الإيطالى وحضارة عصر النهضة . والآن أقدّم للقارئ العربى بعد سنوات من البحث والشواغل، ترجمة « الجحيم »، وهى النشيد الأول من « كوميديا دانتى أليجييرى الشاعر الأعظم » رائد عصر النهضة الأوروبية .

وترجع بداية معرفتى بدانتى وآثاره إلى سنة ١٩٣٤ ، حينما كنت أدرس فى إيطاليا اللغة والأدب والفن والسياسة والتاريخ ، وكان دانتى من أهم الشخصيات التى أثارت إعجابى واهتمامى . وكنا نجتمع كرفاق فى قاعة الدرس وخارجها لدراسة بعض آثاره وتذوّقها ، كنا من جنسيات وأمم مختلفة : من إنجلترا وفرنسا وألمانيا وسويسرا ورومانيا وتركيا وأمريكا واليابان ومصر . . . ومنذ ذلك الوقت أخذت أقرأ له وعنه قليلا وكثيراً ، وأخذت أقترب منه وأبتعد عنه لكى أعود إليه حسب الشواغل والظروف . وفكّرت سنة ١٩٤١ فى أن أضع كتاباً عاما يصوّر حياته ومؤلفاته ، ولكنى وجدت الأمر غير هين فأرجأت ذلك للمستقبل ، وأنا غير حريص على أن أتعجل الكتابة حتى أستزيد من الدرس والتحصيل . ومضيتُ فى عملى ، وتوليت تدريس بعض نواح من دانتى ، فى نطـــاق مناهج أوسع ، فى كلية الآداب بجامعة (الإسكندرية) تارةً ، وفى كلية الآداب بجامعة (القاهرة) تارةً أخرى ، فيما بين ١٩٤٢ و ١٩٥٠ . وقمتُ بتدريس شىء عنه فى مدرسة الألسن بالقاهرة سنة ١٩٥٣ ، ونشرتُ بعض مقالات عن دانتى وعن بعض شخصيات « الجحيم » مع ترجمة بعض أبياتها ، فيما بين ١٩٤٨ و ١٩٥٠ . وكنت أنوى المضىّ فى كتابة مثل هذه المقالات والترجمات التى تتناول بعض شخصيات « الكوميديا » لأجمعها أخيراً فى كتاب ، ولكنى عدلت عن ذلك حينما قَوِىَ

منى العزم فاتجهت إلى ترجمة « الجحيم » كلّها ، لدوافع علمية وأدبية وشخصية ، شحذتنى جميعاً إلى ارتياد هذا الميدان الخصب ، وتزوّدت ببعض أدوات البحث وارتحلت ولا زلت أرتحل إلى المواطن التى عاش فيها دانتى ، أو التى أجد فيها له وعنه ، بعض المصادر والمراجع والصور والرسوم والألحان الموسيقية ، لكى أتعلم وأفهم وأتأمل . ووجدت فى ذلك كله معتصماً آمناً ومتعة عظيمةً وثروةً لا تُقدّر .

وأرجو أن أضيف بهذا العمل جهداً إلى الجهود التى بذلها السابقون من أبناء اللغة العربية — قدر استطاعتهم — كما سأوضح فى المقدّمة التالية . وكذلك أرجو أن يأتى فى المستقبل من يفعل فى هذا الصدد خيراً مما فعلناه جميعاً .

وإنى أتقدّم بالشكر والإعزاز للأساتذة والأصدقاء والزملاء الذين كان لهم علىّ فضل فى تعليمٍ وتوجيهٍ ، أو تشجيع أدبىّ ، أو شرح مسألة ، أو معارضة فكرة ، أو إعارتى بعض الكتب ، أو توفير مكان مناسب للعمل ، أو تيسير أسفارى للخارج ، أتقدّم بالشكر إلى الأساتذة والدكاترة محمد شفيق غربال ، وإرنست هاتش ويلكنس ، ومحمد عوض محمد ، وبونيفاتشو دى ماركو ، وحسن محمود ، ومراد كامل ، وإبراهيم رزقانة ، وأومبرتو ريتزيتانو ، وكامل محمد على ، ومحمود نبيه صلاح ، والشاطر بصيلى عبد الجليل ، ووليام مرقص .

وأشكر بكل إعزاز الأستاذ الدكتور عبد الحليم النجار لما تفضّل به من مراجعة هذه الترجمة معى بالرجوع إلى النصّ الإيطالى « للجحيم » مع مقابلته ببعض الترجمات الإنجليزية والفرنسية ، ولما أبداه من النصح والإرشاد والجهد حتّى أمكن الوصول إلى هذه الصياغة .

وكذلك أشكر من لا أذكر اسمه ، وقد كان له علىّ فضل فعال فى إقدامى على ترجمة « الجحيم » ، وربما دون أن يعرف فضله الحقيقى ، ولكنى

أنا أعرفه وأذكره بالإعزاز والتقدير . وربّ فضلٍ مجهولٍ — من صاحبه — أفعل من فضلٍ معلوم .

وأشكر دار المعارف لما بذلته من رحابة الصدر والجهد والعناية فى سبيل تقريب دانتى إلى قرّاء اللغة العربية ، بإخراج هذا الكتاب فى الثوب اللائق به .

ولعلّ هذا العمل يجد بعض القبول لدى قراء العربية والمشتغلين بالدراسات الدانتية . وعفواً ومعذرةً عما أكون قد وقعت فيه من أخطاء وأوجه نقص . وأرجو أن أعمل فى المستقبل خيراً مما عملت فى الماضى ، ولعلى أستطيع يوماً أن أنجز ترجمة « المطهر والفردوس » إن شاء الله .

معهد الدراسات الأفريقية
بجامعة القاهرة
٣ شارع شجرة الدر — الزمالك (سابقاً)

حسن عثمان

٤ مايو ١٩٥٥

مقدّمة

نظرة عامة إلى العصور الوسطى — حياة دانتى — شخصيته — بعض مؤلفاته الصغرى — أصول الكوميديا — الكوميديا — ترجمة الجحيم والدراسات الدانتية .

يتشابه ثلاثة من عظماء العالم فى قوّة الروح ، ولطف الحسّ ، وسعة الأفق ، والثورة على القديم ، وفى التطلع إلى بناء مجتمع إنسانىّ مثالىّ ، وإن اختلفت أداة التعبير عند كلٍّ منهم ، فالأول دانتى أليجييرى ، الذى أراد فى « الكوميديا » أن يقيم عالماً جديداً ، أساسه العدالة والحرية والنظام والوحدة ، والتطهّر والصفاء والحب والأمل . والثانى ميكلأنجلو بونارّوتى ، الذى عبر فى تماثيله الشاهقة وصوره الإلهية عن بناء عصرٍ جديد ، تسوده القوة والحرية والصدق والذوق الرفيع . والثالث لودفيج فان بيتهوفن ، الذى هدَفَ فى ألحانه الرائعة إلى إقامة عالمٍ مثالىّ ، قوامه الحقّ والفن والحرية والسلام ، وبلغ به الأمر أن تطلع إلى خلق إلــهٍ جديد . وفى كلٍّ من هؤلاء قوّة وضعف ، وسذاجة وحكمة ، وبراءة وإدراك عميق ، وأسىً ونيران ودموع ، وسخط ويأس ومرارة ، وفلسفة وصوفية ، وحبّ وصفاء وأمل وإيمان . خرج ثلاثتهم من الأسى والشجن بالصبر عليهما ، وظفروا بالإبداع ، وحلقوا فى أجواز الفن الرفيع ، بما لم يصل إليه غيرهم . صوّروا الطبيعة ، ورسموا الإنسان ، ووصفوا الأرض والسماء ، بالقلم والريشة والأزميل واللحن ، وأخرجوا للإنسانية روائعهم الخالدة .

« ١ »

عاش دانتى أليجييرى فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر ، والنصف الأول من القرن الرابع عشر ، فى عهد بدأت العصور الوسطى تخفض فيه أشرعتها ، وينبثق خلاله فجر عصر جديد ، عهد شهد ظهور اليوتوپيات ، وتمثلت فيه آثار الماضى وومضات المستقبل . وكان ذلك عهداً يشبه من بعض الوجوه القرن الثامن عشر فى فرنسا الذى مهد لعصر الثورة الفرنسية الكبرى . وإذا نحن ألقينا نظرةً عامة إلى العصور الوسطى وجدنا إيطاليا والعالم قد تناولتها أحداثٌ وظروفٌ شملت مختلف أوجه النشاط الإنسانىّ ، ومهدت جميعاً لظهور دانتى وعصر النهضة والعصر الحديث .

فى ميدان السياسة نجد الدولة الرومانية الغربية — بعد انقسام الأمبراطورية القديمة إلى شرقية وغربية — قد سقطت على أيدى البرابرة الجرمان سنة ٤٧٦ . وأدّى تدفق هؤلاء الغزاة إلى إحداث آثار عميقة فى أوروبا وإيطاليا .وتعرّضت إيطاليا لسيطرة القوط واللمبارد والفرنجة والألمان ، فسادت بها حالة من الفوضى والاضطراب زمناً ليس بالقصير . ولم يستمر الأمر على ذلك النحو ، إذْ قامت محاولات لإيجاد نوع من الاستقرار السياسى ، مثل ظهور الأمبراطورية الرومانية المقدسة ، على أكتاف البرابرة الجرمان ، التى شملت مناطق واسعة فى أوروبا ، وكانت إيطاليا جزءاً منها . ولكن سرعان ما أصابها التفكك والانقسام ، وأصبح سلطانها إسميا ، وعمل الملوك والأمراء على تحقيق مصالحهم الشخصية .

وفى السياسة الداخلية نجد أن نظم الحكم قد تفاوتت فى إيطاليا بين الديموقراطية وحكم الفرد . ونرى فى فلورنسا مثلاً نهوض الكومون لحماية الشعب سليل اللاتين من طغيان النبلاء سلالة الغزاة الجرمان ، ومن أطماع البابوية والأمبراطورية على السواء . ونجحت فلورنسا فى إقامة دستور ديموقراطى ، كما فُهمت الديموقراطية فى ذلك العصر ، وقرّرت حقوق المواطن ، وأعلنت تصميمها على الدفاع عن الحرية فى الداخل والخارج . وبذلك كانت فلورنسا سابقةً ، منذ القرن الثانى عشر للميلاد ، على الثورة الفرنسية الكبرى . وامتازت البندقية بدستورها الذى يجمع بين عناصر الجمهورية والأرستقراطية والملكية ، وذلك بمجلسها الكبير ، ومجلس الشيوخ ، ومجلس العشرة ، والدوج الذى ينتخب لمدى الحياة . ونجد فى دوقية ميلانو مثالاً لحكم الفرد الذى يستند إلى قوة السلاح ، على عهد آل ڤيسكونتى . وقد ظهر كلٌ من هذه النظم وتطوّر متأثراً بالظروف المحلية ، وأدّى واجبه حَسْبَ روح العصر .

وفضلا عن ذلك فقد تعرّضت الحكومات الإيطالية فى الداخل والخارج للنزاع بين الجبلّين أنصار الأمبراطور والجلف أنصار البابا ، وارتبطت به المصالح الشخصية والاقتصادية . وتدخل الأجانب فى شئون إيطاليا تبعاً

لمصالحهم . وقام كفاح مرير بين حكومات إيطاليا ، مثل الكفاح بين فلورنسا وپيزا ، وبين پيزا وجنوا ، وبين جنوا والبندقية .

وفى إيطاليا ارتبط الدين بالسياسة ، كما لم يحدث فى بلد آخر . وذلك أن البابوية حاولت أن تبذل جهد المستطاع ، لإيجاد حالة من الاستقرار فى إيطاليا المضطربة . وقامت البابوية فى ذلك بعملٍ خيرىّ ، ولكن أعوزتها وسائل الحاكم الزمنى ، أعوزتها فكرة الوراثة وما يرتبط بها من الاستقرار ، وأعوزها نظام الحكم والقوة العسكرية . وبذلك وجدت فى ظروف لا تُحسد عليها ، فاضطرت إلى استخدام الجند واصطناع السياسة ، وآزرت حزباً على حزب وحكومةً على أخرى ، ووقفت تعارض أطماع الأمبراطورية . وأدّت هذه الظروف إلى أن تخرج البابوية على واجبها الدينى ، كما انغمست فى الحياة الدنيا ، وخرج بعض رجال الدين على قواعد الدين ، فأثار ذلك السخط فى نفوس المخلصين للدين ، وزعزع مركز الكنيسة فى المجتمع الإيطالى .

عانت فلورنسا أهوالاً جساماً بسبب الكفاح الذى استعر بداخلها . واشتعلت بها نار الصراع الحزبى ، بسبب مسألة زواج بين آل بوونْدِلمونتى الجلفْ وآل أميدِئْ الجبلّين . وتداول الجانبان النصر والهزيمة . ففى ١٢٤٨ هُزم الجلفْ وطُردوا من فلورنسا ، وفى ١٢٥١ عاد الجلْف منتصرين إلى فلورنسا . ثم انتصر الجلف مرةً أخرى وطردوا الجبلّين من فلورنسا ومن بينهم فاريناتا دِلىّ أوبرتى . وفى ١٢٦٠ تجدّد القتال وانتصرت سيينا الجبلينية بتأييد مانفريد بن فردريك الثانى ، فى موقعة مونتأپرتى . وعُقد مجمع من المدن الجبلينية ، وتقرّر هدم فلورنسا ، ولكن فاريناتا دِلىّ أوبرتى عارض هذا القرار بعزمٍ شديد ، وأنقذ فلورنسا من الدمار ، وآثر بذلك مصلحة الوطن على مصلحة حزبه السياسى . ثم انتصر الجلْف على الجبلّين بمؤازرة الفرنسيين فى موقعة بنيڤنتو فى ١٢٦٨ التى هُزم فيها مانفريد وقُتل .

ونلاحظ من الناحية الاقتصادية أن إيطاليا بحكم موقعها الجغرافى كانت طريقاً للتجارة العالمية بين الشرق والغرب . وكان للإيطاليين فى الشرق مراكز

تجارية هامة . ولقد أدّت الحروب الصليبية إلى نموّ العلاقات التجارية بين الشرق والغرب . وظلّت الجمهوريات والمدن الإيطالية محتفظة ً بمكانتها التجارية حتى كشف البرتغاليون طريق الرجاء الصالح ، فى النصف الثانى من القرن الخامس عشر . ولقد أدّى تجمّع الثروة المكتسبة من التجارة فى أيدى النبلاء ، إلى انصرافهم عن واجبهم الحربى ، فاتخذوا لأنفسهم جنداً من المرتزقة . وعندما ضعفت قوّتهم الحربية تأخر نفوذهم السياسى ، وبذلك وجدت الفرصة أمام الشعب للتغلّب عليهم . وكذلك رفعت الثروة أفراد الشعب إلى مراكز ممتازة ، فتغلبوا على النبلاء ، أو عاشوا معهم جنباً إلى جنب ، فزال بالتدريج الحدّ الفاصل بين النبلاء والشعب . وعلى هذا نجد أن الثروة كانت من العوامل الفعالة فى تغيير الميزان السياسى والاجتماعى فى إيطاليا . وفضلا عن ذلك فقد أتاحت الثروة الفرصة لنشر العلم والأدب والفن . ومن الغريب فى ذلك العصر أن أغلب التجار الأثرياء كانوا أصحاب فن وذوق ، فعنُوا بالثقافة والآثار ، واقتنوا التحف والعاديات ، وشجعوا رجال العلم والفن ، عن إعجاب وإيمان صحيح .

ومن الناحية العلمية العقلية ، نجد أهل العصور الوسطى عامة قد آثروا الإيمان على الفهم ، والنقل على العقل ، ولم يعرفوا فى الغالب الابتكار والخلْق . على أن هذا لم يمنع بعض أنصار العقل من الدرس والبحث فى نطاق تعاليم الكنيسة . ظهر مثلاً القديس أوغسطين فى القرنين الرابع والخامس ، ودعا إلى التعقل لبلوغ الإيمان ، وإن كانت مدينة الله عنده هى السماء والكنيسة ومدينة الشيطان هى الأرض . ولكن ما بلغت العصور الوسطى فى أوروبا القرن الثانى عشر ، حتى أخذ الفكر المسيحى يتغيّر ويتشكّل ، نتيجةً للهدوء والاستقرار النسبى ، وللتطوّر الطبيعى ، وللتأثر بالفلسفة اليونانية ، التى كانت الكنيسة قد وقفت فى سبيلها ، والتى بدأت بأفلاطون وانتهت إلى أرسطو . وقد ساعد فلاسفة العرب واليهود على تقريب هذه الفلسفة اليونانية إلى العقل الأوروبى ، بفضل حركة الترجمة من العربية والعبرية إلى اللاتينية ،

فى أسپانيا وإيطاليا على الخصوص ، فضلاً عما قدّموه من نتاجهم الفكرى فى الشرق والغرب . وفى القرن الثالث عشر — عصر العلم ودوائر المعارف — ظهرت ثمرات الفكر الوسيط ، باتجاهاته المتنوّعة . نادى الغزّالى مثلاً بالتصوّف والإيمان ، بينما آثر ابن رشد العقل والمنطق ، فى سبيل الوصول إلى الله . وظهرت نزعة قوية — تساير ما وُجد من قبل — للتوفيق بين العقل والدين . وساهم فى ذلك ابن رشد وابن ميمون . وأفاد ألبرتو الكبير من شروح ابن سينا وابن رشد لأرسطو ، وحاول أن يُكمل فلسفته بمستكشفات العلم ، واستخدم الفسلفة فى فهم اللاهوت . وكذلك تأثر القدّيس توماس الأكوينى — زعيم الفلسفة المدرسية — بروح العصر ، وعمل على التوفيق بين العلم والدين ، وقام بتنصير فلسفة أرسطو وجعلها ملائمة لتعاليم الكنيسة ، وإن كان قد خالف ابن رشد وعارضه فى بعض نزعاته العقلية . ثم جاءت جهود طائفة من أحرار الفكر ، وأوّلهم روجر بيكون الإنجليزى ، الذى دعا إلى التجربة فى العلم ، ويعتبر أبا العلم الحديث . وظهر أبيلار الفرنسى ، الذى قال بأنه لا يجوز للإنسان أن يؤمن دون أن يفهم ، وبذلك جعل العقل قبل الإيمان بشكل صريح . ووجدت هذه الآراء بيئةً صالحة فى إيطاليا ، فى وقت نشأت بها أقدم جامعة فى العالم بالمعنى الحديث ، فى بولونيا ، ثم نشأت جامعات أخرى فى إيطاليا وأوروپا مثل پادوا ونابلى وفلورنسا وباريس وأكسفورد وكمبردج ، وأسهمت جميعاً فى بعث الحركة العلمية فى إيطاليا وأوروپا .

ومن الشخصيات البارزة فى هذا العصر ، الأمبراطور فردريك الثانى ، من أسرة هوهنشتاوفن ، الذى ترك أملاكه فى أوروپا وعاش فى نابلى وصقلية . كان فردريك رجلاً واسع الأفق متعدّد الجوانب ، وسمّاه دانتى بالرجل العالم . حاول فردريك توحيد إيطاليا والسيطرة على البابوية ، فلعنه البابا واعتبره أسوأ من الشيطان . والتقى فردريك برجال الملك الكامل فى الشام سنة ١٢٢٩ ، لا للحرب والقتال ، بل لعقد معاهدة تجاه أعدائهما من المسلمين والمسيحيين . ويعتبر ذلك نقطة تحوّل فى العقلية الأوروپية ، بعد عصر الحروب الصليبية .

وفى ناحية العلم ، كان فردريك يجمع حوله العلماء من كل جنس ودين ، ودرس بنفسه علوم العصر ، وتأثر بآراء ابن رشد ، وقام بتجارب فى النبات والحيوان والفلك والإنسان . وشهد عهده فترةً هامةً فى ظهور اللغة الإيطالية الوليدة . ويعتبره بعض المؤرخين أوّل رجل فى العصر الحديث .

ومن الناحية الروحية النفسية ، اعتبر أهل العصور الوسطى عامةً الحياة على الأرض حياةً مؤقتة عادمة الأهمية ، ومرحلةً للحياة الآخرة السعيدة ، وأعوزتهم الشجاعة والثقة القائمة على الإدراك الصحيح ، فخضعوا للخرافات ، ولم يتذوّقوا جمال الطبيعة ، واعتبروا الحياة من أسرار الله التى لا يجوز الكشف عنها ، وكانت الغابات والجبال عندهم مأوى للشياطين . ولم يعرفوا الفيض والزيادة عن الحاجة ، ولم يسخّروا العلم فى سبيل الحياة المادية ، فعاشوا على الكفاف ، وأحسوا بالتبرّم والسخط . ودفعهم ذلك إلى الخروج على الحياة التى عاشوها ، كردّ فعل طبيعىّ لما سيطر على نفوسهم زماناً طويلاً . وتفاوت ما دار بخلد الناس من الخواطر والاتجاهات فى سبيل الخروج على تقاليد العصور الوسطى ، وإيجاد مجتمع جديد . ظهر مثلاً فى شمالى إيطاليا جماعةٌ من الرجال الذين امتازوا بالابتكار والسخرية ، وهاجموا تعاليم الكنيسة ، ومجّدوا آلهة اليونان ، ودعوا إلى التمتع بملذّات الحياة على الأرض لا فى السماء . وظهر أنصار بيترو والدو فى فرنسا وإيطاليا ، الذين دعوا إلى الرجوع بالمسيحية إلى نصّ الكتاب المقدّس ، وقالوا بأنه لا يجوز أن تكون هناك صلة بين الإنسان والله عن طريق رجل الدين . وقام فى جنوبى إيطاليا الراهب يواكيمو دا فلورا ، الذى تأثرّ بثقافة اليونان وبيزنطة والعرب والنرمان ، وعامل الناس على اختلاف أديانهم بالعطف والرحمة والتواضع ، وقال إن حرية الإنسان من روح الله . وتكلم بروح يسودها التشاؤم ، وأعلن أن العالم تنتظره أيام حالكة السواد ، وأنه يسمع نذيرَ العاصفة من بعيد ، وأن ضمير الإنسان سيتغيّر ويتطوّر بالتسامى والتصوّف ، وسيكون الرهبان المخلصون على رأس العالم الجديد ، الذى سيُصبح أمل الإنسانية المرتقب . وظهر فى وسط إيطاليا القدّيس فرنتشسكو

الأسيسى ، الذى لم يعرف السخط والتشاؤم ولم يهدّد العالم بالويلات ، وتغنّى بجمال الطبيعة ، ومجّد الله فى كلّ مخلوقاته من إنسان وحيوان ونبات ، وامتاز بشعوره الإنسانى ، فأحبّ الناس جميعاً حتى أولئك الذين كرههم المجتمع ، وعامل الأخيار والأشرار والأغنياء والفقراء بالبرّ والرحمة ، ودعا إلى إصلاح المجتمع على أساس من التفاؤل والحبّ والصفاء والأمل . وكل هذه الاتجاهات المتفاوتة تدل بوضوح على ما ساور نفوس أهل العصر من الحيرة والقلق ، مع التطلع إلى بناء عالم جديد .

وأخيراً نلاحظ أن اللغة والأدب الإيطاليين قد تأخّر ظهورهما عن نظيرها عند سائر الأمم الأوروبية . ويرجع ذلك إلى أثر اللغة اللاتينية ، التى لم تستطع إيطاليا — بحكم كونها مهد الحضارة الرومانية — أن تتخلص منها بسهولة ، كما فعلت سائر أنحاء الأمبراطورية الرومانية . وكما يرجع هذا التأخّر إلى ظروف إيطاليا السياسية ، وما نالها من الاضطراب عقب غارات البرابرة الجرمان ، والذى استمرّ عدة قرون . منعت هذه العوامل الإيطاليين من ابتكار لغة جديدة فى وقت مبكّر ، ولكنها احتجزت تلك المعانى الإنسانية التى جاشت فى صدورهم ، حتى تهيأت لهم فرصة التعبير عما فى نفوسهم ، وكان ظهور اللغة والأدب الإيطاليين على صورة فجائية متدفّقة .

فى القرن الحادى عشر كتب الإيطاليون شعرهم باللغة الفرنسية ، ثم كتبوه بلغة البروفنس ، التى تأثّر أدبها بأدب شعراء التروبادور ، بما يحتويه من عناصر التراث العربىّ الشرقى ، والذى تناول الطبيعة وعواطف الإنسان ، ومما كان مخالفاً لتقاليد العصور الوسطى . وبذلك ساعد شعراء التروبادور فى إيطاليا على إيجاد منفذ ، يُعبر الإيطاليون خلاله عما يدور بين جوانحهم . وفى أواخر القرن الثانى عشر وأوائل القرن الثالث عشر ، بدأت تظهر اللهجات العامية المتعدّدة ، التى كانت مزيجاً من اللاتينية ولهجات الغزاة البرابرة والتطوّرات المحلية .

وُجدت بعض مراحل مرت خلالها اللغة والأدب الإيطالى الوليد . قال

المنشدون الدينيون أوّلاً شعراً دينيًّا باللهجات العامية فى بعض أنحاء إيطاليا . وظهر شعر يواكيمو دا فلورا الذى يهدد العالم بالويلات ، كما نادى من بعده القدّيس فرنتشسكو الأسيسى فى شعره بالحبّ والصفاء والأمل . ولقى ذلك كله سبيلاً سهلاً إلى قلوب الإيطاليين ، الذين وجدوا فيه تنفيساً عمّا جاش بين جوانحهم . ثم جاءت المدرسة الصقلية ، فى النصف الأول من القرن الثالث عشر ، وقد تأثر أدبها بالتراث اللاتينى واليونانى وبثقافة الشرق والنورمانيين . وبدا فى شعر هذه المدرسة عنصرٌ تقليدىّ ، يتناول قصص العصور الوسطى وأخبار الفرسان وأساطير الشرق والأخلاق والعلم ، كما اشتمل على عنصر إنسانى جديد يتناول بعض خفايا النفس البشرية . وانتقل شعر المدرسة الصقلية إلى مدرسة بولونيا ، فى النصف الثانى من ذلك القرن ، فاحتوى شعرها على كلا العنصرين ، التقليدىّ والعاطفىّ الإنسانىّ ، ومن شعرائها جويدو جوينتزلّى . واتخذت مدرسة بولونيا لهجة تسكانا أداةً لها ، وهى اللهجة التى ستصبح اللغة الإيطالية . ويرجع تفوّق لهجة تسكانا إلى أنها كانت بحكم موقعها المتوسط فى إيطاليا ، أبعد عن التأثر بلهجات الغزاة البرابرة ، وأخذت تنمو وتتطوّر فى بيئتها المحلية تطوراً تدريجيًّا أقرب إلى الاستقلال ، حتى وصلت إلى مستواها الرفيع . ويرجع هذا التفوّق أيضاً إلى مركز تسكانا السياسى والمالى فى المجتمع الإيطالى ، ولظهور شعراء ممتازين من التسكان قالوا الشعر بلهجتهم العامية . والمرحلة الأخيرة فى هذا التطوّر اللغوى الأدبى هى مدرسة الشعر الحديث فى تسكانا ، التى نجد فيها كذلك آثار الشعر التقليدىّ ، فضلاً عن شعر الطبيعة والعاطفة والإنسان . وكان من شعراء هذه المدرسة جويدو كافالكانتى ودانتى أليجييرى .

هذا هو مُجمل الأحوال السياسية والدينية والاقتصادية والعلمية والنفسية والأدبية التى سبقت ظهور دانتى ، وامتزجت كلها وتفاعلت ، وعبرت جميعاً عن الاتجاه إلى تغيير المجتمع الإنسانى وتطوّره . وقد أدّت العصور الوسطى واجبها وتطوّرت خلال هذه العوامل إلى عصر النهضة والعصر الحديث . ولقد كان لظروف الحياة الإيطالية العنيفة المتنوعة المتعارضة المتفاعلة المختلفة المؤتلفة ،

بحسناتها وسيئاتها ، أثرها الفعال فى خلق أجيال من العباقرة الإيطاليين ، كانوا ثمرة العصر وبناته على السواء ، وأخرجوا نتاجهم الرائع فى السياسة والحرب والفكر والعلم والأدب والتصوير والنحت والعمارة . . . ومن هؤلاء دانتى أليجييرى ، الشاعر ، الفنان ، الجندى ، السياسى ، المصلح ، المتصوف .

« ٢ »

معلوماتنا عن حياة دانتى قليلة ، وتواجهنا فيها فجوات ومتناقضات . وقد خلق بعض الكتاب حوله جواً من الخيال والقصص ، وتعسف بعضهم فى دراسته . ولكن هناك من حاول فهمه على حقيقته ، أو ما يقرب منها ، ووصل بقدر المستطاع إلى دانتى الحى الواقعى .

وُلد دانتى فى فلورنسا فى أواخر مايو ١٢٦٥ . وعُمد باسم دورانتى أليجييرى ، ومن معانى اسمه حامل الجناح الباقى على الزمن . وهو ينتمى إلى أسرة يقال إنها تنحدر من أصل رومانى نبيل ، وتدعى أسرة إليزِىْ التى ترجع إلى عهد يوليوس قيصر . ويقال إن جده كاتشاجويدا دِلى إليزِىْ قد اشترك فى بعض الحملات الصليبية فى القرن الثانى عشر . وفى وقت ميلاد دانتى كانت أسرته أسرةً متواضعة ، ملكت بعض الأرض فى ريف فلورنسا . وماتت أمه مونّا بيلاّ وهو فى سن مبكرة . وتزوج أبوه أليجييرو دى بلنتشونى امرأة أخرى ، وكان يعمل مسجل عقود واشتغل بالربا . ويظهر أنه لم يولِ ابنه العناية الكافية ، أو على الأقل كان هذا هو شعور الابن نحو أبيه . ومات الأب ولمّا يكتمل دانتى دور الشباب بعد .

أحبّ دانتى فى سن التاسعة بياتريتشى ابنة فولكو پورتينارى من أثرياء فلورنسا ، ويقال إنه رآها بعدئذٍ فى سن الثامنة عشرة ، وربما شاهدها فى بعض أماكن من فلورنسا ، فى حديقة أو كنيسة أو فى بعض الحفلات .

وتزوجت بياتريتشي سيمون دى باردى الثرىّ ، ثم ماتت فى شرخ الصبا ؛ فحزن دانتى لموتها حتى مرض .

انصرف دانتى إلى الدراسة ، وتلقى التعليم السائد فى عصره ، واختلف إلى دير الفرنتشسكان فى فلورنسا ، حيث درس تعاليم القدّيس فرنتشسكو ، كما تردّد على دير الدومنيكان ، حيث درس تعاليم القدّيس توماس الأكوينى . ودرس بعض الوقت فى جامعتى پادوا وبولونيا . وعكف دانتى على دراسة القانون والطب والموسيقى والتصوير والنحت والفلسفة والطبيعة والكيمياء والفلك والسياسة والتاريخ واللاهوت ، ودرس تراث اللاتين ، وألمّ بتراث اليونان والشرق بطريق غير مباشر ، وعرف ثقافة العصور الوسطى ، وتعلم الفرنسية ولغة البروڤنس ، ودرس أدب التروبادور ، وأدرك آثار الأدب الإيطالى الوليد .

ونشأت صلة ودّ وصداقة بين دانتى وبعض البارزين فى فلورنسا ومن هؤلاء برونيتو لاتينى . وكان لاتينى موظفاً فى الحكومة ، وقام بسفارة لدى ألفونسو الحكيم ملك قشتالة ، وطُرد من فلورنسا بعد موقعة مونتاپرتى ، وعاش فى پاريس بعض الوقت ، ثم عاد إلى فلورنسا حيث شغل بعض الوظائف . وكتب لاتينى فيما كتب قصيدة إيطالية تسمى « الكنز الصغير » وتعتبر دائرة معارف صغيرة ، وتحوى فكرة « الكوميديا » وفيها الغابة الموحشة ، وأحاديث عن الله وخلق الإنسان والكواكب وعن الفضائل ، ويقابل فيها المؤلف عدداً من النساء اللائى يوجهن إليه الحديث والنصح ، ويصحبه بعض الوقت أوڤيديوس الشاعر اللاتينى ، الذى يشرح له لذّة الحبّ وأخطاره . وكان لاتينى أستاذ دانتى الروحى ، وهو الذى شجعه على دراسة التراث اللاتينى وڤرجيليو خاصة ، وعلمه كيف يطلب المجد ويخلد اسمه . ومن أصدقاء دانتى فى فلورنسا جويدو كاڤالكانتى ، الذى وضع شعراً رقيقاً فى الحب ، يتفق مع أسلوب مدرسة الشعر التسكانى الحديث . وعلم كاڤالكانتى دانتى أسرار الشعر ، « وأن الحبّ والقلب الرقيق شىء واحد » .

هكذا كان دانتى رحلاً واسع الثقافة ، دؤوباً على القراءة والدرس ،



۱ — دانتی

وكان يجد لذةً كبرى فى هذه الدراسات المتنوّعة ، وفى قول الشعر ، واستعان بذلك على مواجهة كثير من المصاعب والمحن التى انصبت عليه فى حياته القاسية ، فوجد فيه ملجأً آمناً مما ناله من الويلا ت .

ولم يقتصر دانتى على حياة الدرس والشعر ، بل اشترك فى الحياة العسكرية ، وكان فارساً ومقاتلاً شجاعاً . وحدث سنة ١٢٨٥ أن تجدّد توتّر العلاقات بين الجلْف والجبلين فى إيطاليا ، وتدخل فى السياسة الإيطالية شارل الثانى الفرنسى الذى آزر الجلْف على الجبلين . وتجمع الجلْف بزعامة فلورنسا ، وتكتل الجبلين بزعامة أريتزو ، والتقى الجانبان فى موقعة كامپالدينو سنة ١٢٨٩ . وفى هذه المعركة قاتل دانتى بشجاعة فى طليعة فرسان فلورنسا ، وتحمل هجوم فرسان أريتزو العنيف ، ورأى تراجع فرسان فلورنسا خلْف مشاتهم لإعادة تنظيم صفوفهم ، وشهد تأرجح المعركة وتطوّرها ، وشارك فى إحراز النصر الفلورنسى . وكذلك اشترك دانتى فى القتال ضد پيزا ، وأسهم فى حصار قلعة كاپرونا ، الذى انتهى بسقوطها فى أيدى القوات الفلورنسية ، فكان دانتى فى ذلك جنديًّا لا يتأخر عن أداء واجبه وقت الحرب .

واشترك دانتى فى حياة المجتمع ، واختلط بالشباب الفلورنسى ، وتمتع بملذّات الحياة . ثم تزوّج جيما دوناتى . ولا نكاد نعرف شيئاً عن حياته فى أسرته ، إذْ لم يكد يشير فى آثاره إلى الحياة الزوْجية . ولا نعلم هل فعل ذلك على طريقة شعراء التروبادور ، الذين آثروا أن يُبقوا حياة الأسرة بعيدةً عن الشعر والأدب ، أو أن هناك من الأسباب الخاصّة ما حمله على ذلك . وعلى كل حال فإن جيمًّا كانت امرأةً صالحةً من أسرة طيبة ذات نفوذ فى المجتمع الفلورنسى . وأنجب دانتى فى نحو عشر سنوات من الحياة الزوجية ثلاثة أبناء على الأغلب : پيترو وجاكوپو وبياتريتشى . وعاش فى أسرته حياةً معقولة . ولكن يظهر أن دانتى لم ينعم بالسعادة فى أسرته ، ربما لأن جيما لم تقدرّ إحساسه الشاعرى ، ولم تدرك ما انطوى عليه من عبقرية ، وإن كانت سترعى مصالح الأسرة عندما يتعرّض دانتى للأذى وحياة المنفى والتشريد .

وسجل دانتى اسمه سنة ١٢٩٥ فى نقابة الأطباء والصيادلة ، التى كانت تشمل تجارة الجواهر والصور والكتب ، وإن لم يمارس هو إحدى هذه المهن . وبذلك أمكنه أن يدخل الوظائف العامة والحياة السياسية ، تبعاً لقوانين ذلك العهد . واشترك دانتى فى بعض اللجان والمجالس الحكومية ، فأصبح عضواً فى مجلس قبطان الشعب ، ثم عضواً فى مجلس المائة . وأرسلته حكومة فلورنسا فى سفارات إلى بعض المدن الإيطالية . ذهب مثلاً إلى سيينا لتسوية بعض مشاكل الحدود ، وسافر إلى پيرودجا لكى يُعيد بعض المواطنين الفلورنسيين إلى وطنهم ، وذهب إلى فيرّارا لكى يهنئ المركيز ديست بزواجه ، وقصد إلى سان جيمينيانو لتدعيم حلف الجلف ضد الجبلين . وظهر اسم دانتى فى سجلات الحكومة ، يبدى رأياً ، أو يدافع عن فكرة ، أو يستدين مبلغاً من المال لعدم كفاية إيراده . ولما عُرف أنه رجل مفكر ، وشخص عملى ، وعلى صلات طيبة بأفراد ممتازين ، وأنه شاعر مثقف ، اختير عضواً فى مجلس السنيوريا ، الذى يمثل سلطة الحكومة العليا فى فلورنسا ، من ١٥ يونيو إلى ١٥ أغسطس ١٣٠٠ ، تبعاً للدستور الفلورنسى ، الذى اقتضى هذا التغيير السريع منعاً من الطغيان السياسى . وأبدى دانتى فى الوظائف والمهام التى عهد بها إليه رجاحة العقل وشجاعة الرأى والوطنية ، وكان يؤثر المصلحة العامة على المصالح الخاصة ، واعتبر من أكفأ رجال السياسة فى زمنه .

كانت فلورنسا فى القرن الثالث عشر مدينةً ناجحة ذات قوّة حربية ، وثروة متزايدة ، وأخذ نجمها السياسى يعلو فى الأفق ، ومع ذلك فقد سادها الخلاف الحزبى بين آل تشيركى زعماء الجلف وآل دوناتى زعماء الجبلين . وكانت پستويا تعانى من شقاق داخلى ، شطر الجلف إلى حزبى البيض والسود . ودعت پستويا فلورنسا أن تتولى حكمها بعض الوقت ، على طريقة العصر ، لتوطيد السلام والأمن بها . ونقلت حكومة فلورنسا بعض زعماء الجانبين من پستويا إلى فلورنسا ، للعمل على استتباب وسائل الأمن . ولكن نتج عن ذلك إذكاء النزاع الحزبىّ العنيف فى فلورنسا ذاتها ، وانضم آل تشيركى إلى البيض ،

وآزر آل دوناتى السود ، الذين كانوا أقرب إلى مسايرة السياسة البابوية ، وبذلك أصبحوا أصحاب النفوذ فى روما . وحدث بين البيض والسود فى فلورنسا صدامٌ مسلح ، وحاول السود القيام بانقلاب لتولى الحكم ، ولكن حكومة فلورنسا سيطرت على الموقف ، وقرّر مجلس السنيوريا ، ودانتى عضو فيه ، نفىَ بعض زعماء الجانبين فترةً من الزمن ، تخفيفاً من حدّة النزاع الحزبى ، وكان من بين المنفيين جويدو كاڤالكانتى صديق دانتى ، الذى مرض بالملاريا فى منطقة سارتزانا ، ورجع بتدخل دانتى إلى فلورنسا ، حيث مات بعد قليل .

لم يسكت السود على هذه الحال ، بل عملوا على إعلاء شأنهم ، وزاد اتصالهم بالبابا فى روما . وحدث أن طلب بونيفاتشو الثامن ، على عادة البابوات فى ذلك العصر ، أن تقدّم حكومة فلورنسا مائة فارس للقيام بالخدمة العسكرية على الحدود التسكانية . واتجهت الحكومة كالعادة إلى إجابة طلب البابا . ولكن دانتى وقف يعارض أغلبية أعضاء مجلس السنيوريا ، وحاول الدفاع عن مصالح فلورنسا فى وجه المطامع البابوية ، التى كانت آخذة فى الازدياد . وعمل دانتى على أن يوجد الوحدة السياسية فى فلورنسا ، وبذل المستطاع لكى يحمل مواطنيه على تناسى الخلافات والأحقاد فى سبيل مصلحة الوطن ، ولكن دون جدوى ، وذهبت دعوته أدراج الرياح ، واتسعت شقة الخلاف بين فلورنسا وروما ، فأرسلت حكومة فلورنسا وفداً إلى روما ، للوصول مع البابا إلى اتفاق يصون المصالح ، وكان من أعضائه دانتى .

واجه دانتى البابا بشجاعة ، ولم يذعن لمطالبه ، وبذلك أخفق الوفد فى أداء مهمته . واستبقى البابا دانتى بعض الوقت ، لكى يبعده عن مسرح الحوادث فى فلورنسا . وخاطبت روما دانتى فى وحدته بكلمات العظمة المسطرة على آثارها ، والتى تحفظ ذكريات قيصر وأغسطس وشهداء المسيحية الأوائل . وكان البابا قد طلب وقتئذ إلى شارل دى ڤالوا الأمير الفرنسى أن يسير إلى فلورنسا ، لكى يعيد إليها السلام . وانضم السود إلى شارل ، وهزم البيض

المتحمسون لقضية فلورنسا ، وشوهد الجبن والخوف والخنوع ، والتحوّل السريع لإرضاء السيد الجديد . وسيطر السود على الموقف بمعونة شارل . وصدرت أحكام للتنكيل بالبيض ومن بينهم دانتى . اتهم دانتى فى يناير ١٣٠٢ بمعارضة قدوم شارل دى ڤالوا إلى فلورنسا ، وبارتكاب الغشّ والسرقة ، وباستخدام سلطان وظيفته فى ابتزاز الأموال عندما كان عضواً فى مجلس السنيوريا . وفرضت عليه غرامة قدرها خمسة آلاف من الفلورينات ، تدفع فى ثلاثة أيام ، وتقرّر عزله من الوظائف ونفيه مدة سنتين . وعندما وصل دانتى إلى سيينا عرف بما ناله ، فلم يدخل فلورنسا . وصدر فى مارس ١٣٠٢ حكم جديد يقضى بمصادرة أملاكه ، وبإحراقه حيًّا إذا وقع فى يد الحكومة . وكان ذنبه الحقيقى معارضة سياسة البابا والدفاع عن مصالح فلورنسا ، فلقى جزاء ذلك حكم النفى والقتل ، وحرِّم عليه إلى الأبد رؤية وطنه ، الذى هو نصف الحياة لمن له قلب . ومرّت بباصرة دانتى رؤى الصبا ، وذكريات الحبّ والأهل والأصدقاء ، وذكريات فلورنسا بقصورها وجسورها وطرقها ونواحيها المنعزلة ، وبدأ حياة المنفى والتشريد .

لم يتبادر إلى ذهن دانتى لأول وهلة أنه لن يرى فلورنسا إلى الأبد . وكان حكمها عليه بالغشّ والسرقة والرشوة أسوأ عنده من الموت . والتقى دانتى بالمنفيين من فلورنسا من آل تشيركى وآل أوبرتى وآل أباتى ، الذين اجتمعوا فى أريتزو الجبلينية ، التى عطفت على هؤلاء الحلف المنفيين ، ورحبت بمحاربة فلورنسا من جديد . وفى تلك الأثناء عرف دانتى عمدة أريتزو أوجوتشونى دلاّ فادجولا ، ونشأت بين الرجلين صلة وطيدة ، فأهدى إليه « الجحيم » . واختار المنفيون من بينهم اثنى عشر عضواً ، منهم دانتى ، ليعملوا كمجلس يدبر شئونهم . وقرّر المنفيون مهاجمة فلورنسا ، ووُضعت تفصيلات الخطة لتنفيذ ذلك الهجوم . وتجمعت قوات من الجبليين والبيض من پيزا وبولونيا وپستويا ، وكان عليها أن تجتمع فى مكان قريب من فلورنسا فى تاريخ محدّد . ولكن تقدّم بعضها وتأخر بعض آخر ، وهجم الفلورنسيون

البيض قبل وصول الأمداد الضرورية ، ودخلوا فلورنسا من باب سان جالو ، ووصلوا إلى سان جوڤانى . ولكن هذه القوات المتقدّمة من البيض لم تستطع الصمود أمام الفلورنسيين السود ، فانسحبت بعد أن تكبدت خسائر فادحة . ووجد دانتى أن الفلورنسيين المنفيين لا تسودهم خطة موحدة ، ويعوزهم الإدراك الصحيح ، ورأى المنافسة تدبّ بينهم وبين حلفائهم من الجبليين . وكرهه مواطنوه المنفيون لصدقه وصراحته ، وربما فكروا فى قتله ، وكان يتمنى أن يزول هذا الشقاق كله ، وأن يعود السلام إلى وطنه ، فابتعد عن هؤلاء المنفيين ، وجعل من نفسه حزباً هو العضو الوحيد فيه ! .

حياة دانتى غامضة بعد هزيمة الفلورنسيين المنفيين . يقول عن نفسه إنه انتقل من مكان لآخر ، كسفينة دون شراع أو ملاح وسط العاصفة الهوجاء . ومن المعروف أنه ذهب إلى ڤيرونا سنة ١٣٠٤ ، حيث أحسن بارتلوميو دِ لاّ سكالا استقباله . ولكنه غادرها بعد قليل ، ولا يُعرف خط سيره على وجه التحقيق . يقال إنه قضى بعض الوقت فى لوكّا ، ثم ذهب إلى وادى لونيدْجانا ، وزار فورلى ، وربما تولى التدريس العام أو الخاص فى بولونيا ، وزار پادوا ، حيث التقى بجوتّو ، وأوحى كلٌّ منهما للآخر ببعض آثاره . وربما انتقل بعض الوقت إلى منطقة ليڤورنو وجنوا . ويقول بعض الباحثين ، ومن بينهم بوكاتشو وڤيلانى ، إنه ذهب إلى پاريس ودرس فى السوربون فى الفترة من ١٣٠٨ إلى ١٣١٠ . ويذهب آخرون إلى أنه بلغ أكسفورد فى أسفاره ، وإن كانت الأدلة على هذه الرحلات خارج إيطاليا غير وافية .

تولى هنرى السابع عرش الأمبراطورية الرومانية المقدسة سنة ١٣٠٩ . وكانت تُراوده مطامع وأحلام سياسية ، وأراد أن يحقق السّلام فى أوروپا ، وقرّر أن يعبر الألب لزيارة إيطاليا ، بعد انقطاع الأباطرة عن زيارتها منذ زمن غير قصير ، وتُوج فى ميلانو بتاج ملوك اللمبارد الحديدى سنة ١٣١١ . عندئذ تجدّدت آمال دانتى فى إقرار السلام فى إيطاليا ، وفى العودة إلى وطنه فلورنسا . كان دانتى يؤيد فكرة الأمبراطورية العالمية لتوطيد السلام وتحقيق

السعادة على الأرض ، فكتب رسالةً إلى أمراء إيطاليا وشعوبها ، يحضّهم فيها على الأنضواء تحت لواء الأمبراطور ، ولكن لم يصغ إليه أحد ، بل أخذت المدن الإيطالية تقف فى وجه الأمبراطور ، وعملت فلورنسا على تكوين الحزب الجلفى لمقاومته ، وألغت أحكام النفى على الخصوم السياسيين لكى تتألف القلوب ، باستثناء أقلية كان منهم دانتى . واستولى الأمبراطور على بريشا ، وأخذ دانتى يحرضه على أن يضرب مباشرةً فلورنسا رأس الأفعى ، ولكنه لم يستطع . وسار الأمبراطور بإزاء الشاطئ حتى بلغ روما ، حيث توّج بتاج الأمبراطورية سنة ١٣١٢ . وأخيراً قرّر مهاجمة فلورنسا فى أغسطس من تلك السنة . وتجمعت لديه قوات من الجبلين والبيض . ولكن فلورنسا لم تستسلم ، ونهضت للدفاع عن كيانها ، وجمعت قوات من مدن الحلف الجلفى ، ووقفت فى وجه الأمبراطور . وظلّ هنرى متردداً أمام المدينة ، وتفشى المرض بين قواته ، فاضطر إلى الرحيل عنها دون قتال فى أوائل ١٣١٣ ، واتجه صوب پيزا ، ولكنه أصيب بالحمى على مقربة من سيينا ، ومات ، ودفن باحتفال مهيب فى كاتدرائية پيزا . وبذلك أخفقت فكرة الأمبراطورية العالمية ، وبكى دانتى بدموع الخيبة والغضب معاً .

وأخيراً سنحت الفرصة سنة ١٣١٥ لعودة دانتى إلى وطنه ، عند ما وافقت حكومة فلورنسا على إرجاع بعض المنفيين إليها . وكتب أحد أصدقاء دانتى إليه بذلك ، ولكن على شرط أن يعترف بأنه مخطئ ، ويدفع غرامةً مالية ، ويطلب الغفران فى حفل رسمىّ ، حيث يسير النادمون فى موكب علنى وهم حفاة الأقدام إلى كنيسة سان جيوڤانى . وصحيح أن العودة إلى الوطن ، ورؤية ضفاف الأرنو ، ولقاء الأصدقاء ، كان حلماً جميلاً لم ينقطع عن مراودة دانتى ، ولكن نفسه الأبية لم تقبل هذه الشروط المهينة . فكتب إلى صديقه يتساءل ، أهذا هو النداء المجيد الذى يرجع به دانتى إلى وطنه ، بعد أعوام من حياة المنفى ، وقال إنه من العار على من قضى وقته فى الدرس الطويل أن يستجدى مثل هذا العطف والرحمة ، وإنه إذا وُجدت طريقة أخرى فإنه

مستعد لسلوكها بكلّ سرور للعودة إلى وطنه ، وإلا فإنه لن يدخل فلورنسا أبداً . وقال بمرارة إنه سيرى الشمس والنجوم فى كلّ مكان ! عندئذ حكمت فلورنسا بقطع رأس دانتى إذا هو وقع فى يدها ، وذلك فى الوقت الذى كان يطلب فيه أن تضع فلورنسا على رأسه إكليل الغار !

مضى دانتى فى حياة المنفى والتشريد . وامتطى أحياناً دابةً ، وعبر الأنهار والتلال ، وسار أحياناً على قدميه ، وقد تفقد دراهمه ، وهو يحمل أوراقه وحوائجه القليلة . وسافر تارةً ليلاً وتارةً أخرى نهاراً ، وارتحل طوراً فى رفقة بعض الأمراء أو التجار أو عامة الناس ، وسافر أحياناً وحيداً ، دون أن يحسن معرفة الطريق ، وربما اعتدى عليه بعض الرعاع ، وكان من المحتمل أن يهلك فى بعض حله وترحاله . وانتقل دانتى فى شمالى إيطاليا . ولقى أحياناً الترحاب وحسن الوفادة عند الأمراء ، وعمل بعض الوقت سكرتيراً ونديماً ودبلوماسيا ومعلماً لكى يكسب القوت . وعاش أحياناً أخرى فقيراً مشرّداً ، وجاع ، وطلب المأوى ، وتمزّقت ثيابه ، وما كان أشقّ على نفسه أن يرتقى سلالم الغير طلباً للطعام ، وما كان أشد ما يجد من ملوحة فى خبز الآخرين !

عاد دانتى إلى ڤيرونا ، وقضى بعض الوقت فى ضيافة كانْ جراندى دِ لاّ سكالا ، وكان أميراً غنيًّا معجباً بالعبقريات ، واجتذب إليه الشعراء ورجال العلم والفن . وتوطدت الصلة بين الأمير ودانتى ، حتى أهدى إليه « الفردوس » ، وكان هو أوّل من يطلعه على أناشيد « الكوميديا » ، ثم يستنسخها وينشرها بين الناس . وكان الأمير الشاب صاحب مغامرات فى الحرب والحب ، وكان أحياناً يبدو متغطرساً لا يبالى بشعور الآخرين . ولم يرتح دائماً لقوّة دانتى واعتزازه بنفسه . وصدرت عنه أحياناً بعض أقوال وتصرفات جرحت شعور دانتى . وعهد إلى دانتى بتسوية بعض المشكلات البسيطة التى تنشب بين أهل ڤيرونا ، وكان عليه أن يفرض عليهم بعض الغرامات ، وكان ذلك عملاً قليل الأهمية بالنسبة لدانتى . واحتمل دانتى ما ضايقه إلى القدر الذى استطاعه . وأحسّ أخيراً أنه أصبح عبئاً على الأمير ، وشعر أن الوقت قد حان

لكي يضرب فى الأرض مرةً أخرى ، وأصبحت ڤيرونا سجناً له بكل ما فيها من فن وذوق وجمال ، فغادرها . ولكنه ظلَّ يحتفظ بذكرى القصر الذى آواه وأحسن إليه ، وبقى على تقديره لكانْ جراندى دلاّ سكالا .

انتقل دانتى بين بعض المدن مثل مانتوا وجوبيو وأودينى . وما إن اجتاز حدود رومانيا سنة ١٣١٧ حتى سارع أميرها جويدو نوڤلوّ إلى دعوته إليه فى راڤنا ، وجنبه مؤونة السؤال ، لأنه كان رجلا كريماً شاعراً يدرك ما يجول بنفوس العظماء من الأسى عند طلب المعونة . وكانت راڤنا وقتئذ تعيش على ماضيها العظيم ، وتضم ذكريات فرنتشسكا دا ريمينى ، التى كان الأمير من أسرتها . وقرّر الأمير لدانتى مكاناً مستقلا لإقامته ، وعهد إليه بالعمل أستاذاً وسفيراً ، حتى لا يعيش عالة على أحد . وأصبح لدانتى فى راڤنا أصدقاء وتلاميذ . ومن أصدقائه جوڤانى دلْ ڤرجيليو الأستاذ فى بولونيا ، وراينالدو كونكوريدجو أسقف راڤنا ، وپيترو جاردينو . وجاء إليه ابنه پيترو الذى كان محامياً ، وجاكوپو الذى تتلمذ عليه ، وجاءت أسرتا الابنين ، وقدمت عليه ابنته بياتريتشى ، التى أصبحت راهبة فى دير سان ستيفانو دل أوليڤيا فى راڤنا . واعتاد دانتى أن يسير طويلا فى غابة راڤنا ، وعلى شاطئ الأدرياتيك ، ويصغى إلى صوت الريح بين الأشجار العالية ، ويستمع إلى صفق الأمواج ، ويفكر ويتأمل . وهكذا أضْفَتْ راڤنا على دانتى السلام والهدوء فى أواخر أيامه .

وحدث عراك فى البحر بين تاجر راڤنى وسفينة بندقية ، انتهى بمقتل القبطان البندقى وبعض رجاله . فأدى ذلك إلى أن تقطع البندقية علاقتها السياسية براڤنا ، وهدّدت بإقامة حلف عسكرى لمحاربة راڤنا . عندئذ لم ير جويدو نوڤلو بدًّا من أن يرسل سفيره دانتى إلى البندقية للعمل على تسوية الموقف . ونجحت سفارة دانتى فى تخفيف حدّة التوتر فى العلاقة بين البندقية وراڤنا ، وأصبحت أساساً لمفاوضات مقبلة بين الجانبين . ورجع دانتى وزملاؤه إلى راڤنا بطريق البر ، وعبروا منطقةً ملأى بالمستنقعات ، فأصيب دانتى

بالملاريا ، ووصل راڤنا مريضاً ، ولم يحتمل جسده وطأة الحمى ، فأسلم الروح فى ليلة ١٣ — ١٤ سبتمبر ١٣٢١ . ومات دانتى ويداه فوق صدره ، وكانت عيناه مغلقتين ووجهه متصلباً . مات ولم يكن يبدو أكان حيًّا أم ميتاً ، لأنه كان ينام على هذه الصورة . وهكذا استراح أخيراً دانتى العظيم .

وفى تلك الليلة لم ينم ولداه وابنته ، ولم ينم أمير راڤنا ، ولم ينم مريدوه وأصدقاؤه . وأعلن جويدو نوڤلو الحداد العام ، وألقى رثاءً مؤثراً أطرى فيه مزايا الشاعر العظيم ، ووعد بإقامة قبر يليق بمقامه ، ولكن حال عصف السياسة بحكمه دون تنفيذ ما وعد . وحمل جثمان دانتى صفوةٌ من أهل راڤنا ، ودفن فى كنيسة براتشافورتى للفرنتشسكان .

ويقص بوكاتشو روايةً لا نعرف مداها من الصحة . يقول إن « الفردوس » ظلّ عدة شهور بعد موت دانتى ينقصه الأناشيد الثلاث عشرة الأخيرة . وبحث عنها أولاده ومريدوه دون جدوى . وظنّ بعضٌ أن دانتى لم يكمل « الكوميديا » وفكر ابناه فى تكملتها على أحسن وجه مستطاع . وبعد عدّة شهور ظهر الشاعر لابنه جاكوپو فى الحلم — كما يروى بوكاتشو — وأخبره بمكان القصائد الناقصة فى حائط بمنزل جارديبو ، حيث مات دانتى ، وهناك أمكن العثور عليها ، وبذلك كملت « الكوميديا » !

أدركت فلورنسا بعد أكثر من نصف قرن من وفاة دانتى ، ما ارتكبته فى حقّ ابنها العبقرى من الظلم والجحود . وأرادت أن تكفر عن خطيئتها ، فعهدت إلى بوكاتشو ثم إلى پيترو بن دانتى بدراسة « الكوميديا » للجمهور . وذاعت بالتدريج بين الناس ، وانتشر صيتها فى أنحاء من إيطاليا ، فدُرست فى أماكن كثيرة مثل بولونيا وپيزا والبندقية وپياتشنزا . . . وكشف الناس فى أبياتها عما خالج نفوسهم واضطرم بين جوانحهم ، فجرت على ألسنتهم وتغنوا بها . وزاد إحساس فلورنسا بجحودها ، فحاولت أن تنقل رفات الشاعر لكى تدفنه فى وطنه فى حفل مهيب . ولكن راڤنا عارضت أشدّ المعارضة . وبذلت فلورنسا جهوداً طويلةً فى هذه السبيل . وتدخل البابا ليو العاشر المديتشى

فى النصف الأول من القرن السادس عشر لنقل جدث الشاعر إلى فلورنسا ، وسعى ميكلأنجلو لتحقيق هذا الغرض . ولم تستطع راڤنا أن ترفض طلب البابا ، وأوشك المسعى على النجاح . ولكن عند فتح مقبرته فى راڤنا وجد التابوت فارغاً إلا من بعض عظام . ووقفت المساعى عند ذلك الحدّ .

وفى سنة ١٨٦٥ فى فترة الاحتفال بعيد ميلاد دانتى السمائة ، أقيمت بعض إصلاحات فى كنيسة براتشافورتى ، وظهر فى أثنائها تابوت خشبى داخل أحد الجدران ، كان مكتوباً عليه أن الأب أنطونيو سانتى كان قد أخفاه سنة١٦٧٧ ، ووجد به هيكل عظمى ، وافق قياس جمجمته قناع الموت لدانتى ، كما اتفقت بقايا العظام التى وجدت فى عهد ليو العاشر مع هذا الهيكل المستكشف . وهذا يعنى أن أحد القسس — وربما كان رئيس دير الفرنتشسكان — كان قد أخفاه فى مكان ما فى عهد ليو العاشر ، ثم وضعه الأب سانتى سنة ١٦٧٧ حيث كُشف عنه سنة ١٨٦٥ . ووضعت بقايا دانتى هذه فى تابوت من البلور ثلاثة أيام ، ثم نقلت فى حفل مهيب إلى قُبة براتشافورتى ، وحضره مندوبو فلورنسا ، ونقش على تابوته : « ليست فلورنسا بل أهواء الحزبية هى التى حكمت عليه بالنفى الدائم » . وأقامت راڤنا برجاً به ناقوس من البرونز والفضة ، أسهمت بلديات إيطاليا فى نفقاته ، لكى تعلن دقاته مساء كل يوم ساعة وفاة الشاعر العظيم . وكانت فلورنسا قد شيدت قبراً رمزياً لدانتى فى كنيسة الصليب المقدس ، أقامه ريتشى سنة ١٨٢٩ ، ويتكوّن القبر من تابوت فارغ ، يعلوه تمثالٌ جالسٌ للشاعر ، وقد توج بإكليل الغار ، وإلى يمين التابوت تمثال سيدة واقفة ، ترمز لإيطاليا وتشير بيدها إلى الكلمات المحفورة أسفل تمثال دانتى ، والتى تقول : « مجدوا الشاعر الأعظم » ، تلك الكلمات التى جعل دانتى هوميروس يقولها فى ڤرجيليو ، فاستعارتها إيطاليا لتقولها فى دانتى . وإلى يسار التابوت تمثال سيدة أخرى ، ترمز إلى فلورنسا ، وهى منحنية أسفل التابوت ، وبيدها إكليل الغار الذى كانت تودّ أن تضعه على رأسه حيًّا ، وهى والهة تبكى ، وستظلّ دائماً تبكى ، جزاء ما ارتكبت فى حقّ ابنها العبقرىّ من جحود ونكران للجميل .

« ٣ »

يقول بوكاتشو إن دانتى كان ذا وجه طويل وجبهة عريضة وأنف أقنى ، وعينين لامعتين واسعتين ، وذقن مدبب ، وكانت شفته السفلى أبرز قليلا من العليا ، وكان أسود الشعر ، أسمر اللون ، متوسط القامة . وعندما تقدمت به السن أخذ يسير فى انحناء قليل ، وكان فى مشيته وقارٌ واتزان ، وفى مظاهره رقةٌ وعذوبة ، وتبدو عليه علائم الحزن والتفكير والتأمل . وكانت ملابسه نظيفة مناسبة ، وإذا تمزّقت فى أوقات الشدّة أصلحها بنفسه . وكان يمتدح الطعام الطيب ، ولكنه يقنع بأبسط الغذاء ، ويأكل قليلاً وفى ميعاد محدّد . وكان قليل الكلام ، وكانت قوّته فى الكلام والصمت على السواء ، وكان يعرف قيمة الكلمة ، ولم يكن يتكلم فى الغالب إلاّ إذا سئل ، فكان يجيب فى أدب ورقة . وكان يتكلم أحياناً بطلاقة وفصاحة .

إذا درسنا شخصية دانتى وجدناه رجلاً متعدّد الجوانب ، تبدو فيها أمارات التعارض . كان يدرس ، ويغنى ، ويعزف الموسيقى ، ويرسم ، ويقول الشعر ، ويشتغل بالسياسة ، ويتمتع بالحياة ويزهد فيها ، ويبدو خجولا صامتاً ، ومع ذلك فهو جرىء شجاع لا يرهب شيئاً . يبدو أحياناً مسيحيًّا وأحياناً وثنيًّا، وتارة بابويًّا وطوراً أمبراطوريا . والمرأة عنده نصف إلهة تقوده إلى الفضيلة والله ، وهى أيضاً صخرةٌ أذلت كبرياءه وقادته إلى الشيطان . يبدو صارم المظهر جاد الملامح ، ويلوح شامخاً متكبراً مشغولا بأفكار عالية ، ومع ذلك فهو وديعٌ متواضع دمث الطباع . كان يقضى الساعات الطويلة عاكفاً على القراءة؛ فإذا تعب خرج إلى أحضان الطبيعة ، ومشى مسافات طويلة ، ونظر إلى السماء الصافية والسحاب المتغير والمرج الأخضر . وكان يجلس تحت الشجرة العالية ، وينظر إلى أسراب الطير ، ويلتهم الفاكهة الناضجة ، ويقطف الأزهار الجميلة ، ويرتشف النبيذ المعتق ، ويعطف على الأطفال والمرضى والمحتاجين، وكثيراً ما تطلع فى الصباح إلى نوافذ الحسناوات ، وترقب العذارى فى الكنائس .

وإن ما يبدو على دانتى من التعارض ما هو إلا مظهر خارجى ، والعباقرة فوق التقسيمات والمفارقات ، تتعاون آراؤهم وثقافتهم وأحاسيسهم على خلق ثمراتهم . كان فى دانتى عنصرٌ من كلّ شىء ، واستطاع أن يجعل من أحاسيسه المختلفة وما دار بين جوانحه مادةً لخلق « الكوميديا » .

كان الحب عند دانتى هو الحياة . وما حياة شاعر بغير حب ؟ وكان أهم حب عنده هو حب بياتريتشى ، وموضع الكلام عنها فى الفردوس الأرضى من « المطهر » وفى « الفردوس » . ولكن بياتريتشى لم تستطع أن تشارك دانتى فى شعوره ، بل سخرت من صدقه ، وتقولت عليه مع أترابها . وبدت له بياتريتشى فى حياة المنفى كنجمة الصبح فى صحراء الحياة . وقد بلغ حب دانتى لبياتريتشى حدّ الإعجاز ، وفجّر له ينابيع الشعر والفن . وهى عنده امرأة ناضجة مكتملة ، كما أنها مصدر الوحى والإلهام . وهى تطهر نفسه من الأدران ، وتجعله قادراً على رؤية الله ، وتحيله إلى عابد متصوف عاشق يقترب من الحبيب الأول . .

ومع هذا فقد أحب دانتى غيرها من النساء . بكى عندما ماتت بياتريتشى ، ولكنه كان فى حاجة ملحة إلى الحب . والتمس عن طريق دموعه بغيرها من النساء . ولا شىء يؤدى إلى الحب كما تؤدى الدموع مع الدموع والزفرات مع الزفرات . أحب دانتى جمتوكّا العذراء الصغيرة الجذابة . وأحبّ ڤيوليتا التى جعلته يتنهد عند مرأى الورود . وأحب ليزيتّا القوية الواثقة من نفسها . وأحب المرأة الصخرة وارتمى تحت قدميها ، وظلت باردةً أمامه كالصخر الذى يغرقه فى أعماق البحر بعد النوء الشديد . وبذلك نحسّ صدى الحب وشذى النساء فى آثاره الرائعة . هكذا كان دانتى يعشق الجمال أينما وُجد ، ويستجيب لنداء القلب ، وما قلبه إلا جزء من الطبيعة ، يطير مع الرياح ويهتزّ مع النسيم ، وينساب مع منحدرات المياه ، ويشارك الثلج فى نصاعته فوق قمم الجبال العالية ، ويستيقظ مع الربيع الضاحك المزدهر .

وكان دانتى صاحب إحساس مرهف ، جعله شديد التأثر قادراً على



٢ — دانتي وبياتريتشي عند جسر سانتا ترينيتا في فلورنسا

البكاء حتى يفقد الوعى . وكان له غرفة يسميها غرفة الدموع . ويقول إن البكاء يجعله هشًّا متهالكاً حتى لا يكاد يعرفه أحد . ومن فرط الحزن يتحرك رأسه كأنه شيءٌ ثقيل لا حياة فيه . وتتعب عيناه من البكاء حتى تعجزا عن البكاء . بكى دانتى عندما أحبّ بياتريتشى ، وبكى عندما فقدها سريعاً . وعندما تقدم فى السن لم ينقطع عن البكاء ، فكان يبكى فى كهولته أحياناً كما كان يبكى وهو طفل . بكى عندما أهين شرفه ، وعندما جاع وطلب المأوى ، وعندما عجز عن تحقيق أمانيه . وبكى عندما كتب « الكوميديا » . وبكى عندما شارك المعذّبين آلامهم فى « الجحيم » . وبكى عندما عاتبته بياتريتشى فى « المطهر » . وبكى عندما سمع غناء الملائكة فى« الفردوس » . استخدم دانتى حساسيته المرهفة ودموعه المنهمرة فى خلق « الكوميديا » . والبكاء ميزةٌ ونعمة . ولا يمكن أن يكون البكاء غير جدير بالعظماء . ولكن ما أقسى بكاء الرجل المتكابر ! .

امتاز دانتى بالكبرياء ومدح النفس . كان معتزًّا بنفسه إلى حدٍّ جعله لا يحقد على الآخرين ، وارتفع إلى المستوى الذى لم يجد عنده فى البشر ما يحسدهم عليه . وكل رجال الفن الذين أهينوا وجرحت نفوسهم ، عملوا لتأكيد ما منع عنهم ، وكسبوا ثقةً هائلةً بنفوسهم ، واعتزّوا بملكاتهم ، وأعلنوا عنها بالقول والعمل والإبداع ، وكأنّ الفنان يقول لمن أساؤوا إليه : إنكم لا تريدوننى ولا تقدرون قدرى ، وإنى أبدو أمامكم شخصاً نكرة ، ولا مال عندى ، ولست من أسرة بارزة ، ولا سلطان لى ، ومع ذلك فسيأتى اليوم الذى ترغمون فيه على إجلالى ، وتسعون إلىّ سعياً ، وسوف أقوم بخاق ما تعجزون عنه جميعاً ، وتدركون أية رسالة انطوت عليها نفسى . هكذا أحسّ دانتى عندما عاش فى المنفى ، وعندما أخذ يكتب « الكوميديا » . أحسّ دانتى بالتفاوت الهائل بين عبقريته وبين حياته الواقعة . وأخذ يمدح نفسه بنفسه ، وإن كان قد اعترف بأن هذا لا يرضيه كلّ الرضا . قال دانتى إنه نابغة ، وإن أسلوبه الجميل يضعه فى مستوى هوميروس وڤرجيليو ، وإن كلماته ستصبح غذاءً للناس ،

وإنه صُلْبٌ لا يعبأ بالمصاعب ، وإنه يتشرّف بحياة المنفى ، ونعت « الكوميديا » بالمقدّسة ، وسمى نفسه بالحمل وسط الثعالب ، وتكلم عن شجاعته فى معركة كامپالدينو . كان دانتى يطمع فى أن تتوجه فلورنسا بتاج الشعراء . وبدا كأنه نبيٌّ أعزل وملكٌ بغير عرش . كان يحسّ أنه أعلى من الملوك والبابوات الذين عجزوا عن أداء واجبهم ، وأصبحوا لا يصلحون للقيام بالمهام الخطيرة التى ألقيت على كواهلهم . تكلم دانتى كأمبراطور وبابا ، ولعن الملوك والبابوات . وتكلم باسم إيطاليا والعالم . فعل ذلك لإيمانه المطلق بأنه شاعر عبقرىّ ، واعتبر أن مجد الشعراء أعظم من مجد الملوك والبابوات . واعتنق رأى أرسطو القائل بسيادة من له التفوّق العقلىّ .

ونجد دانتى ساخطاً أشدّ السخط على المجتمع الذى عاش فيه . وكثيراً ما بدا له العالم مليئاً بالأخطاء وخلواً من كل فضيلة . واعتبر أعمال أكثر الناس تؤدّى إلى انهيار المجتمع . وأثارت أعمال الملوك ورجال الدين فى نفسه الاشمئزاز والسخط . واعتبر دانتى الرجال متغيرين متقلبين . وهم حيوانات بهيمية وأشبه بالموتى ، والمبشرون والوعاظ كانوا عنده كالحيوانات ، والقسس يملأون بطونهم التى لا تمتلئ ، والبابا مرتش وخارج على تعاليم الكنيسة . والإيطاليون لصوص سفلة وعبيد أذلاء ، والفرنسيون متغطرسون والأسبان بخلاء . . . وبذلك لم يكد يرضيه شيءٌ فى زمانه ، والحاضر عنده شرٌّ وفوضى ومدعاةٌ للخجل . وكان دانتى يتطلع إلى ملجأ آمن فى زوايا الماضى وثنايا المستقبل . لم يرض عظماء الرجال عن الواقع لأنهم أدركوا بإحساسهم المرهف ما لم يدركه غيرهم ، ورأوا بعيونهم الصافية ما عجز أهل العصر عن رؤيته . وليس من الإنصاف أن نعتبر دانتى متشائماً . وأولى بنا أن نعتبره فوق التشاؤم والتفاؤل ، إذْ لم يكنْ سخطه تشاؤماً ويأساً من الحياة ، ولكنه كان حافزاً على الإصلاح والتغيير . وسيحاول دانتى ، على طريقته ، إصلاح الناس والمجتمع بالشعر الرائع والفن الرفيع .

كان شعور العنف والقسوة جزءاً من شخصية دانتى المتعدّدة الجوانب ،

إلا أن ذلك كان شعوراً قوامه الرحمة ويهدف إلى الخير والمصلحة . وهو لم يكن يقسو على أحد فى الحياة الواقعة ، ولكنه اتخذ من شعور القسوة عنصراً فى خلقه الأدبى ، وقد عبر عن ذلك فى آثاره الرائعة . عندما قست عليه بيترا و لم تبادله حباً بحب ، قال إنها إذا وقعت فى يده فلن يكون رحيماً بها ، وسيعاملها كالدب عندما يمزح . وفى « الجحيم » عامل بوكا دلى أباتى بعنف وقسوة ، وانتزع شعر رأسه لأنه خان قضية الحلف . وعندما سأله ألبريجو دى ما نفريدى أن يزيل عن عينيه الثلج المتجمد ، حتى تجد دموعه لها مخرجاً ، سخر به ولم يجب سؤله ، واعتبر أن من الكياسة والذوق أن يكون قاسياً معه ، لأنه غدر بالأصدقاء . وفى « الفردوس » امتدح دانتى القديس دومنيكو لأنه كان قاسياً على أعدائه .

وكذلك كان حب الانتقام عنصراً هاماً فى شخصية دانتى ، وإن لم ينتقم من أحد فى الحياة الواقعة . وقد عبر فى آثاره عن لذته ورغبته فى الانتقام . قال إن الإنسان ينال شرفاً عظيماً إذا انتقم . وتكلم فى « الجحيم » عن الانتقام الإلهى . ولم يجعل فى « المطهر » امرأة تطلب العدالة من الأمبراطور تراجان ، بل جعلها تطلب الانتقام من قاتل ابنها ، لأن العدالة قد فات أوانها ، وان يعوضها شىء عن موت ابنها . وفى « الفردوس » يجعل دانتى الأمبراطور جستنيان ينطق بأن الانتقام مجد . وتتكلم بياتريتشى فى السماء عن عدالة الانتقام . وارتفع دانتى بالانتقام إلى الله ذاته ، الذى يغضب من خطايا البشر ، فيسلط عليهم عذابه وانتقامه . وتحوى « الكوميديا » كلها معنى الانتقام . فهى انتقام مثالى قدمه الفنان لنفسه وللناس . وإن كان دانتى قد امتدح فى « المطهر » من صفح وعف عن الانتقام ، وعذب المنتقمين وطهرهم من الرغبة فى الانتقام .

وكان شعور الأبوة والبنوة جزءاً واضحاً فى شخصية دانتى . وهو قد فقد عطف الأمومة والأبوة فى سن مبكرة . وجرب حياة الأسرة ، وعاش فى المنفى

بعيداً عن أبنائه . وشعر دائماً أنه فى حاجة إلى أن ينطق بلفظ الأم والأب ، وأن يسمع نداءهما له . وقد عوض ڤرجيليو دانتى قدراً كبيراً من الحنان الأبوى الذى افتقده فى أثناء حياته . فى « الجحيم » يناديه ڤرجيليو بيا ابنى ، ويا بنى الصغير ، ويا ابنى الحلو ، وينادى دانتى ڤرجيليو بيا أبتى ، ويا أبى الحبيب ، ويا أبى الحلو العزيز ، ويا من أنت أكثر من أب . وهو يحنو عليه ويرشده ويقبله ويحميه من الأخطار . بل واعتبر دانتى ڤرجيليو بمثابة الأم ، عندما تفزع على صوت النيران وتهرب بولدها بعيداً عن ألسنة اللهب . وكذلك يجعل برونيتو لا تينى يناديه بأى بنى . وهكذا ينطق كاتشاجويدا وآدم والقديس بطرس فى « الفردوس » .

كان دانتى شجاعاً جريئاً لا يرهب شيئاً فى حياته العملية . فقد عارض سياسة بونيفاتشو الثامن وحاول الدفاع عن مصالح فلورنسا . وبذلك وضع دانتى نفسه أمام قوة هائلة لم يكن يستطيع إنسان أن يقف فى سبيلها . ولم تكن هناك موازنة بين قوة الرجلين فى المجتمع . ومع ذلك فقد وقف الرجلان وجهاً لوجه ، ونظر كل منهما للآخر محاولاً تغايب فكرته . وقف البابا غاضباً متكبراً ، ووقف دانتى جريئاً شجاعاً . قال البابا « لماذا أنتم معاندون ؟ اخضعوا لى ، إذْ لا غرض لى سوى توطيد السلام فى فلورنسا » . ولكن دانتى كان يعرف أنه يريد توطيد السلام البابوى ، فلم يسلم ولم يذعن . تشابه الرجلان فى الصلابة والطموح والكبرياء ، ولكنهما اختلفا فى كثير من التفصيلات . كان بونيفاتشو رجلاً قوياً بمركزه وسلطانه غنياً بالذهب ، وحوله الأمراء والنبلاء ، على حين لم يكن لدانتى ثروة ولا سلطان . كانت قوة دانتى لا تزال خافية فى عقله وقلبه وفنه . أراد بونيفاتشو أن يسيطر على الملوك والأمراء ، على حين سيحكم دانتى من عليائه على الملوك والأباطرة والبابوات . وكان كل منهما خيالياً . أراد بونيفاتشو أن يحقق المثالية الدينية التى تنتهى إلى شخصه ، ويجعل فى يده السلطة الدينية والزمنية على السواء . بينما كانت ترمى مثالية دانتى إلى أن تجعل الأمبراطور

صاحب السلطة الزمنية والبابا صاحب السلطة الدينية . وشعر كل منهما أنه ملهمٌ من الله ، بونيفاتشو كبابا ، ودانتى كشاعر . احتقر بونيفاتشو رجل الدين والسياسة والمال صفةَ الشاعر فى دانتى . ولم يعترف دانتى للبابا المرتشى بصفته الدينية والسياسية . لم يعترف دانتى بغير قوة الروح والفن . واحتفظ كل منهما بصفات موطنه . امتاز بونيفاتشو بالجفاف والصرامة والغلظة والتعصب السائد فى رومانيا ، على حين امتاز دانتى بصفات الفلورنسى ، رجل الثقافة والأدب والذوق والفن . وكذلك اختلف الرجلان فى المظهر . كان بونيفاتشو طويل القامة ممتلىء الجسم ، بينما كان دانتى متوسط القامة نحيفاً . واتهم الاثنان بالرشوة ، وإن كان بونيفاتشو وحده هو المرتشى . ولم يتصور البابا أن دانتى سيضعه فى « الجحيم » وسيقول عنه متهكماً إنه القسيس الأعظم ، وبأنه مغتصب الكرسى البابوى ، وبأنه رجل جشع منافق . هكذا وقف دانتى أمام بونيفاتشو بعزم لا يلين وشجاعة لا توصف . ولقى دانتى جزاء ذلك الإهانة والنفى والتشريد ، ثم كسب الخلود .

والوطنية من صفات دانتى البارزة . تكلم دانتى عن إيطاليا كثيراً . تكلم عن مدنها وقراها وأنهارها وجبالها وكنائسها وأبراجها وأهلها ، وأعطى صورةً جغرافية لكثير من مناطقها ، وحدّد ارتباط الأشخاص بها . ولم يحب دانتى مكاناً فى الأرض كما أحب إيطاليا وفلورنسا خاصة . فإيطاليا عنده حديقة الأمبراطورية ومركز العالم . وفلورنسا هى الوطن النبيل والمدينة العظيمة على نهر الأرنو الجميل . وهى المكان الجميل الذى نام فيه كالحمل . ومع ذلك لم يتكلم دانتى بعنف وقسوة كما تكلم عن إيطاليا وفلورنسا . قال عن فلورنسا إنها غابة حزينة بائسة ، وإنها مليئة بالحسد والكبرياء والبخل ، وحكومتها سيئة مضطربة ، وأهلها لصوص ووحوش ، وقد أحبوا الذهب حتى أصبحت فلورنسا جديرة بأن تسمى مدينة الشيطان . ويقول إن نساء فلورنسا الفاجرات يخرجن ولا حياء لهنّ لإغراء الناس بإبراز ثُديهن ، التى ينبغى أن تحتفظ لإرضاع

أبنائهن الأبرياء . وعندما أخفق هنرى السابع أمام أسوارها ازداد غضب دانتى ، ونعتها بذئبة الأرنو ، والأفعى ، والعنزة المريضة . وكذلك لعن كثيراً من أنحاء إيطاليا . ولا يكاد يوجد مكان بها إلا ويثير غضبه ، ويفتح فى جسمه جرحاً قديماً . وأرض إيطاليا عنده ملأى بالأشواك والعواصف والجرائم والآثام . وهى الأرض الخائنة الخبيثة الحسود العاصية . ويقول إن اوكا ملأى بالمزيفين ، وپستويا موطن الوحوش ، وأهل پيزا ذئاب ، وبولونيا غاصة بالبخلاء والوصوليين ، وأهل جنوا خلو من كل كياسة ، ويستحقون الإذلال .

ربما لم يوجد من لعن شعبه وبلاده كما فعل دانتى . وإن من يُلقى هذه اللعنات لا بد أن يكون قد تألم كثيراً فأفرغ ما فى نفسه على ذلك النحو . والسباب واللعنات فن ولغة يفهمها الشعب الفلورنسى صاحب العواطف الحارة والتعبيرات العنيفة . على أن اللعنات لا تدل دائماً على البذاءة والسفه بقدر ما تدل على الحب والحرص على المصلحة . فى الحقيقة لم يكره دانتى فلورنسا وإيطاليا ، بل كره مساوئهما وأخطاءهما . وكان حبه لهما أعظم من أن يحمله على الوقوف أمام أخطائهما موقف المتفرج المحايد . أحب دانتى بلاده ، وساءه ما كانت عليه من الفوضى والانقسام ، ولم يستطع السكوت عما كانت تعانيه . واستمد دانتى من ويلات إيطاليا ونكباتها وحياً لشعوره الوطنى الصميم ، وصدرت عنه فى سبابه ولعناته روح وطنية عالية . خاطب دانتى إيطاليا بلفظ إيطاليا . وربما كان هو أول من أدرك قيمة وحدتها السياسية . نادى دانتى إيطاليا بالعبدة الذليلة ، ونعتها بسفينة بغير شراع ولا ملاح وسط العاصفة الهوجاء ، ودعاها إلى أن تنظر إلى سواحلها وأطرافها وأن تجمعها إلى صدرها ، وسألها هل يعرف أى جزء فيها معنى السلام والهدوء . واتجه إلى الله طالباً الصفح والمغفرة ، وسأله هل أدار نظره عن إيطاليا ، وماذا يخبئ لها فى طيات المستقبل من الأحداث ! وبهذا أصبح دانتى نبى إيطاليا ، وأعطى وطنه حلماً سياسياً مستمداً من الواقع ومن غير الواقع ، من الماضى

والحاضر والمستقبل ، من الدموع والأسى والزفرات الممتزجة بالرجاء والأمل . وظلت صيحاته تجرى فى دماء ايطاليين ، وأصبحت كلماته إنجيل الوطنية الإيطالية فى القرن التاسع عشر .

وعلى الرغم مما نال دانتى من الآلام والمحن والحياة الصعبة التى عاشها ، وبالرغم من روح الصرامة والجدّ الذى ساده ، فقد توفر فيه روح التهكم والسخرية . ويظهر أن الذين يتعرضون للويلات والعذاب يصبحون أكثر الناس تهكماً وسخرية . امتاز دانتى الصارم بالقدرة على المقارنات البهجة واستخراج المشاهد المضحكة من نفسه ومن الناس وحركاتهم . وعرف دانتى وسط آلامه كيف يبتسم ويضحك ، وكيف يبعث الآخرين على الضحك . كان يبتسم عندما يسمع القيل والقال عنه فى ڤيرونا . وكان يتخلص بسرعة بديهته من بعض المواقف الحرجة . وكان يقابل السخرية بالسخرية ، حتى ولو ممن أحسنوا إليه . واعترف دانتى بميزة الضحك للنفس . وتهكم على لهجات إيطاليا المتعددة ، وسخر من المبالغة فى صناعة الشعر وتزيينه . و « الكوميديا » مليئة بمواقف السخرية ، التى صاغها دانتى حتى فى مواضع الأسى والعذاب . سخر دانتى فى « الجحيم » من فلورنسا ومن بونيفاتشو الثامن ومن الشياطين ومن الهالكين المعذبين . وسخر من ڤرجيليو ، وسخر من نفسه ، وصوّر أخطاءه وخوفه وتردّده وشعوره بالخجل . وفى « المطهر » سخر دانتى من ستاتزيوس ، وحمل أرواح الآثمين على الضحك ، وسخر من الجشعين حينما جعل بعضهم يُسأل عن طعم الذهب فى فمه . وفى « الفردوس» سخر من الأرض ، وسخر بجريجورى الكبير وجعله يشعر بالندم . وتأثر دانتى فى سخريته بصفات مواطنيه ، ولكن تهكمه وسخريته كانت محدودة معتدلة رقيقة دون ضوضاء وضجيج .

ولم يحرص دانتى على جمع المال أبداً ، وربما وصل شعوره بإزائه إلى حدّ الكراهية فى بعض الأحيان . وهو إن لم يكن من أسرة معوزة إلا أنها كانت

أسرة محدودة الموارد . وكانت قلة المال من عوامل إخفاقه فى الزواج من بياتريتشى التى انتمتْ إلى أسرة تتمتع بالثراء والجاه ، وبذلك ارتبطت قلة المال بحياته العاطفية منذ سن مبكرة . وكان أبوه يشتغل بالربا — كما رأينا — ولذلك عير بعض الناس دانتى أحياناً بأنه كان يعيش على أموال غيره ، فزاد ذلك من عزوفه عن المال . وفى الوظائف والسفارات التى تولاّها لم يكن يكفى دانتى مال الحكومة الفلورنسية ، فكان ينفق من ماله القليل ، وبلغ به الأمر حدّ الاستدانة أحياناً لتغطية النفقات الضرورية . وكان اتّهاماً عجيباً ذلك الذى وجهه إليه خصومه السياسيون من حزب الحلف السود ، واعتبارهم إياه مرتشياً مستغلا وظيفته لابتزاز أموال الناس ، فآل مصيره إلى النفى والحكم عليه بالموت . وما أشق أن يتّهم بالرشوة والسرقة الرجل الأمين الذى يبذل من ماله ويكلف نفسه فوق طاقتها فى سبيل المصلحة العامة ! وصحيح أن دانتى أحس بالفاقة والجوع فى بعض فترات من حياة المنفى التى عاشها ، ولكن ذلك لم يجعله يحرص قطّ على جمع المال ، ولم يُستذل فى سبيله أبداً ، بل كان ينأى عن سبل جمعه ويكتفى بما يصله منه لقضاء حاجاته الضرورية . واعتبر دانتى أن ذهب الدنيا كله منذ أقدم الأزمنة حتى عصره ، لا يستطيع أن يريح نفساً واحدةً أضناها فى سبيله الكدّ والتعب . وما ارتبط بالمال من جاه وصيت وأبهة لم يساو عنده أكثر من نفثة ريح تغير اسمها إذْ تغير مكان هبوبها واتجاهه . وأىّ مال أو جاه أو صيت كان من شأنه أن يُغرى دانتى العظيم ؟

أحسّ دانتى ، ككثير من العباقرة ، بشعور العزلة والوحدة . ولم يطل عمر والديه حتى يتمتع بحياة الأسرة ، ولم تدرك بياتريتشى قدره ، ولم يكن له من بين رفقاء الشباب صديق حقيقىّ ، وكان يقضى الوقت معهم فى حياة اللهو والمرح دون أن يفهمه أحد على حقيقته . ونعرف أن أخاه فرنتشسكو غير الشقيق قد عاونه بعض الوقت ، ولكن لا يعلم أحد طبيعة العلاقة بينهما . ولم نطل حياته الزوجية، التى لم يذكر شيئاً عنها . وقد عاش ولداه پيترو وجاكوپو

على مقربة منه فى أواخر حياته ، وقالا بعض الشعر . ولعلّ دانتى تألم عندما وجد مستواهما أقلّ من المتوسط . وفى الحياة السياسية وجد دانتى أن أغلب الناس يعملون لمصالحهم الذاتية ، وتعوزهم حرارة القلب وصفاء النفس والإخلاص للوطن ، فنأى عنهم جميعاً . وعلى الرغم مما لقيه من الصعاب فى حياة المنفى ، فقد أحسن بعض الأمراء استقباله ، وقدّره بعض رجال السيف والقلم ، وأصبح له فى رافنا أصدقاء ومريدون ، كما رأينا . ولكن لم يوجد بينهم من فهمه حق الفهم . كان أصدقاؤه ومعارفه يجتمعون حوله هنا وهناك فى شبه حلقة ، وكان هو يدنو منهم وينأى عنهم ، دون أن يمتزج بهم تماماً ، حتى ولو كان فى محيطهم . وقلائل جدًّا أولئك الذين أصبحوا له أصدقاء حقيقيين . وربما لم يوجد له أصدقاء فى فلورنسا سوى برونيتو لاتينى وجويدو كافالكانتى وفوريزى دوناتى . وربما لم يفهمه فى حياة المنفى سوى جوتو وجويدو نوفلو . ولم يكن دانتى يكره الناس أو يترفع عنهم . وبالعكس أحب دانتى الناس على طريقته ، ولكنه كره مساوئهم . وبرغم ما لقيه على أيدى مواطنيه من العنت والإرهاق والجحود ، فإنه بذل من الخير لمواطنيه وللبشرية كلها ما لم يستطع أحد أن يبذله فى سبيله . وهل استطاع دانتى أن يرفع أبناءه وأهله ومريديه إلى المستوى الذى تطلع إليه ، فى الذوق والإحساس وسعة الأفق والكياسة والسلوك ؟ ومَنْ من الناس أمكنه أن يحسّ إحساسه ويرى ما رآه ؟ وكم شارك الناس آلامهم وآمالهم ، على حين لم يكد يشاركه أحد فى أشجانه وأمانيه ! وكم اتهمه الناس بما ليس فيه ، على حين لم يكد يتهم أحداً بما ليس فيه ! وكم حاول بعض أهل العصر إهانته وإذلاله مع أنه لم يهن ولم يذل أحداً ! وكم أحس بكذب الناس ونفاقهم وخداعهم ، على حين لم يكذب هو ولم ينافق ولم يخدع أحدا أبدا ! وكم اشمأزت نفسه عندما رأى الأعين الشرهة على مائدة الطعام ! وكم سخر دانتى ورثى عندما سمع أحكام الناس فى الناس وفى الوجود ، وكم تألم حينما سمع بعض معاصريه يدّعى العلم بكل شىء ويحاول أن يفرض رأيه

وميزانه على الآخرين ، وكأن كلا منهم وحده صاحب الرأى الصائب والفهم الصحيح !

حاول دانتى كثيراً ، فى حدود معرفته واستطاعته ، أن يفسح صدور الآخرين ، ويبعد بهم عن صغار الأمور ولغو الكلام ، وعمل على أن يسمو بذوقهم ، ويزرع فى نفوسهم المعرفة والحكمة والحب والصفاء والأمل ، ولكن دون جدوى . ومع ذلك فلم ييأس . إن كان قد يئس من قومه ومعاصريه ، فإنه لم ييأس من الإنسانية فى مجموعها . وحاول أن يسجل إحساسه وميزانه وأمله فى تراثه الخالد ، لعلّ بعض الناس يدركون يوماً بعض ما رآه وأحسه وتطلع إلى تحقيقه . وأليست « الكوميديا » كلها محاولة هائلة لجمع ألوف العناصر المختلفة ، المتعارضة ، المؤتلفة ، فى الواقع وغير الواقع ، وصياغتها فى بناء محكم منسجم متآلف ! ومَنْ من قومه استطاع أن يدرك هدفه العظيم ؟ هكذا كان على دانتى أن يعيش أغلب حياته وحيداً حتى بين جموع الناس ، ويشقى بوحدته ويسعد . ولم ينقطع دانتى عن الناس ، بل اختلط بهم ، وتغلغل فى نفوسهم ، وضرب صفحاً عن التفصيلات الصغيرة ، وأدرك من خفايا البشر والوجود ما لم يكد يدركه غيره ، دون أن يمتزج به الناس ، وربما على غير ما كان يرجو ويأمل . على أنه لا لوم على أحد ، ولا على دانتى ذاته ، فى هذه العزلة الروحية التى عاشها ، ولا ذنب لأحد أنه لم يعرف قدره الحقيقى ، ولم يمتزج بنفسه الصافية . وهذا هو بعض الثمن الذى تدفعه العبقرية ، لكى تبلغ أسمى ما فى الوجود . وأقرب الناس إلى عصره ، والذى فهمه وأشرب روحه العبقرى ولكن بعد فوات الأوان ، هو ميكلأنجلو ، الذى شابهه وأحبه ، وأراد أن يشيد له قبراً من الرخام ، عند محاولة نقل رفاته إلى فلورنسا ، ولكنه لم يوفق . ولجأ دانتى فى وحدته الروحية إلى محراب الفن ، فكان له خير معتصم .

كانت الشدائد التى انصبت على دانتى هى بوتقة العبقرية . فعندما تعرّض دانتى لصنوف العذاب ، وعندما عاش بين المطامع والأحقاد ، وعندما فقد

الأهل والوطن وسلام النفس ، وعندما تبخرت أمانيه ، أصبح دانتى هو دانتى . وفى أعماق بؤسه استطاع أن يكشف عن ثروته التى لا تقدر . وصحيحٌ أن دانتى لم يكن فى حياته صاحب سلطان ، ولم يملك سلاحاً يعوّض به فى ميدان الحياة العملية ، ما أصابه من جحود أهل العصر . ولكنه ملك سلاح الفن . وأىّ سلاح أقوى : الجهل المطبق ، والحسد البغيض ، والحقد القاتل ، والنفاق المهين ، والزهو الفارغ ، والطبل الأجوف ، والجاه الكاذب ، والسلطان الزائل ، والمال المزيّف ، أو الفن العبقرىّ الخالد ؟ وإنه لمن سخرية القدر أن جعل الجهلاء الأذلاء من أنفسهم قضاةً ليحكموا على دانتى الأبىّ العالم الفنان ! صحيحٌ أن بعض المعاصرين قد حاولوا أن يحكموا على دانتى ، ويقيسوه بمقاييسهم التافهة ، ولكن كانت أحكامهم فى الحقيقة حكماً عليهم لا عليه . وصحيح أن دانتى قد خسر فى أثناء حياته وأخفق . ولكنه خسر وأخفق لكى يكسب ما لم يكسبه أحد . خسر دانتى أشياء تافهة ، ولكن بقى له العلم والتجربة والفن والإيمان . وإذا كان دانتى قد أهدر دمه ، وخلعت عنه أرديته ، فقد ارتدى من جديد بأثواب لا تبلى من الفن الرفيع . أحسّ دانتى بحاجته إلى أن يجيب على ما ناله من المحن بالخلق والإبداع . وهكذا عمل دانتى ليل نهار ، وضرب وطرق ، وكتب ثم مزّق الورق ، وبكى ، ونفث روحه فيما كتب ، وبذلك انتقم لنفسه الأبية العزيزة المتكبرة ، المثخنة بالجراح . خسر دانتى أشياء زائلة ، ولكنه ظفر بما لم يكد يظفر به إنسان . ولم يكن لظفره حدّ ، عندما أكسبه فنه الخلود . وماذا فعل العجزة من معاصريه ؟ وأىّ شىء كانوا يستطيعون أن يفعلوه ؟ إن هؤلاء المعاصرين الذين حكموا عليه بالنار تارةً ، وبالحديد تارةً أخرى ، فى فترة سنوات قلائل ، قد ماتوا وهم أحياء ، وأصبحوا تراباً تذروه الرياح . أما هو فقد ظلّ وحده ، برغم كلّ شىء ، شامخاً خالداً منتصراً على على الإنسان الغادر وعلى الزمان الفانى !

هذه جوانب وصور من حياة دانتى وشخصيته ، لعلها تساعدنا على فهم

عبقريته الفذّة ، وتذوّق آثاره الرائعة ، وتقدير ثمراته الرفيعة ، والنهل من نبعه الفياض الصافى . وسوف نعرض لنواح أخرى من شخصيته عند ترجمة « المطهر » ثم « الفردوس » .

« ٤ »

كتب دانتى عدداً من المؤلفات الصغرى ، تعتبر مراحل فى نموّه الأدبىّ ، وتمهد لآيته الكبرى « الكوميديا » . أولها « الحياة الجديدة » التى كتبها بلهجة تسكانا (العامية) نحو سنة ١٢٩٣ ، وهى عبارة عن قصة شبابه . والمقصود بالعنوان أنها بعثٌ جديد بسبب الحب الذى أحسه نحو بياتريتشى . وتحوى شعراً ونثراً . فيسبق القصائد الظروف التى قيلت فيها ، ويليها شرح وتعليق عليها حتى تصبح أقرب إلى الفهم . وهى تحتوى على عنصرى القصّة واليوميات . ويتكلم دانتى فيها بنصف صوت ، فلا يفصح دائماً عن المقصود . وفيها تصوير لبعض مظاهر الحياة فى فلورنسا ، بقصورها وشوارعها وكنائسها ، والريف المحيط بها . وتشمل عنصراً من الصناعة والافتعال ، بما أورده فيها من المناقشات ، وتأثر فى ذلك بتقاليد العصور الوسطى . ولكنه بذل جهده لكى يبنى ويرسم ويعبر بفن رقيق . وتسرد « الحياة الجديدة » ثلاث مراحل فى تاريخ حب دانتى . الأولى مرحلة الشباب الباكر ، ويتغنى فيها بمزايا بياتريتشى . وفى الثانية يبدو أكثر جدّاً ، ويشيد بالفضائل التى تشعّ منها . وفى الثالثة يفقدها بالموت . يشرح دانتى فى المرحلة الأولى كيف سيطر الحب على قلبه عندما رأى بياتريتشى فى سن الثامنة ، وقد بدت وهى تلبس ثوباً بسيطاً أحمر اللون . وعندما يتصوّر موتها يأخذه الحزن ، ويدعو العشاق إلى البكاء ، ويبكى ويطلب الرحمة ، وينام كطفل أفحمه البكاء . ويذكر أثر التحية المرفوضة فى نفسه . ويروى ذهابه إلى حفلة ساهرة ، ربما كانت حفلة زواج بياتريتشى ، وكيف استند إلى جدار حتى لا يسقط . ويذكر لبعض من سألته عن حبه أنه لا يقصد به

إلا التمدّح ببياتريتشي وتمجيدها ! وعنده الحب والقلب الرقيق شيءٌ واحد . وتحمل محبوبته الحب فى عينيها ، فتجعل من ينظر إليها رقيق المشاعر ، وعندما تحيي الآخرين تبدو رقيقةً نبيلة ، وتعقل الألسنة ، وتظهر أنها جاءت من السماء إلى الأرض لكى تقوم بالعجائب . وعندما ماتت حزن عليها حزناً شديداً ، وأصبحت فلورنسا عنده كأرملة . ولما ماتت أصبحت ملكاً له لا يشاركه فيها أحد . ولا يذكر دانتى ما يجعلنا نتصوّر أنه كان محبوباً لديها ، وهو لا يكذب ، ولا يتظاهر بغير الحقيقة ، ويذكر المواضع التى تعرّض فيها للسخرية بسبب حبه العنيف . وأخيراً يروى أنه رأى بياتريتشى فى رؤيا ، ووعد — إذا مدّ الله فى أجله — أن يقول عنها ما لم يقله رجل فى امرأة من قبل . وفى « الحياة الجديدة » نواة « الكوميديا » بما فيها من ألم وبكاء ، وما تحويه من زهد وتصوّف ، وما تتضمنه من أرواح الملائكة ورؤى السماء .

وكتب دانتى « الوليمة » باللهجة التسكانية ، فى الفترة بين ١٣٠٦ و ١٣٠٨ على وجه التقريب . والكتاب وليمة علم ومعرفة ، وله طابع دوائر المعارف بالنسبة للعصر . وقصد دانتى أن يضع هذا الكتاب فى أربعة عشر فصلا ، ولكنه لم يتم منه سوى أربعة فصول . وهو يحتوى على ثلاث قصائد ، يتلوها شرحها اللغوى ثم الرمزى ، ثم ألوان المعرفة التى بسطها دانتى . و « الوليمة » نوع من « الحياة الجديدة » إلى حدّ ما ، ولكن باعثها ليس الحب ، بل الفلسفة والمعرفة . والفصل الأوّل عبارة من مقدّمة يذكر فيها أن كلّ إنسان بالطبيعة صديقٌ لكلّ إنسان ، وأن هذا الشعور الإنسانى يجعل من المحتم على من نال حظا من المعرفة أن يقدّم هذه المعرفة إلى سائر الناس . وهذا شعور إنسانىّ نبيل ، يوضّح ما انطوت عليه نفس دانتى من حب الخير ، والرغبة فى رفع مستوى المجتمع . ويتكلم دانتى عن اللغة الإيطالية ، ويدافع عنها كلغة جديدة ، وكتعبير عن إحساسه بوحدة الوطن الإيطالى . ويتناول الفصل الثانى خلودَ النفس ، وتقسيم السموات ، متبعاً علم الفلك عند اليونان والعرب . ويذكر

أنه قد تعزّى بقراءة بعض كتاب اللاتين ، وأنه أحب الفلسفة التى ظهرت له فى ثوب سيدة رقيقة . ويتناول الفصل الثالث الفلسفة ، والنفس ، وطبيعة الحب ، والعقل ، ومركز الإنسان فى العالم ، والصداقة ، والشمس كرمز لله ، ومشكلة الشر . ويبحث الفصل الرابع فى الأخلاق ، ومعنى النبالة التى تقوم على الخلق والمعرفة ، لا على أساس الثروة أو النسب . ويتكلم عن الأمبراطورية الرومانية وضرورة إقرار السلام على يد الأمبراطور ، ويذكر استقلال البابا والأمبراطور ، كلا فى النطاق المخصّص له . ويشير إلى الحياة الفعالة وحياة التأمل ، وأهمية كل منهما للإنسان . ويذكر دانتى فى مواضع متفرقة من « الوليمة » مسائل تتعلق بشخصه والظروف التى تعرّض لها ، وبأحوال فلورنسا ، والحوادث المعاصرة . ويلاحظ على أسلوب الكتابة أثر الألفاظ والتراكيب اللاتينية ، ومع ذلك فإن هذا الكتاب يعد أساساً للنثر الإيطالى الفنى والعلمى ، وقد عبر به دانتى عن مسائل العلم والفلسفة والنفس والأخلاق والسياسة ، بوضوح وصدق وبساطة ، وهو لا يخلو من الحرارة والتلوين .

ووضع دانتى كتابه « عن اللغة العامية » ، فى الفترة التى كتب فيها « الوليمة » . وضع هذا الكتاب باللغة اللاتينية لخاصّة المتعلمين . ولم يتم منه إلا الجزء الأوّل وقسماً من الجزء الثانى ، ولا نعرف مدى الكتاب الذى كان ينوى أن يكتبه . أظهر دانتى فى هذا الكتاب أنه رائد فى ميدان اللغة . وتكلم فى الجزء الأوّل عن الفارق بين اللاتينية والعامية ، واعترف بالعوامل الأساسية فى تغير اللغات المستمر ، تبعاً للزمان والمكان . وهو يتناول الأسرات اللغوية الرئيسية فى أوروپا فى الشرق والشمال والغرب ، ويقول بوجود ثلاثة فروع كبيرة للأسرة اللغوية الغربية ، وهى اللغات البروڤنسية والفرنسية والإيطالية . ويعترف دانتى بأن لغة البروڤنس هى أول لغة كتب بها الشعر الغنائى ، وأن اللغة الفرنسية امتازت بكتاباتها النثرية الجميلة ، وأن الإيطالية قريبة من اللاتينية ، وظهر بها شعر غنائى رقيق . ويميز دانتى فى إيطاليا بين أربع عشرة لهجة محلية . ويقول

إنه ليس من بينها لهجة واحدة تصلح لأن تكون لغة أدبية رفيعة . ويتكلم عن خصائص اللغة التي تحدد وحدة إيطاليا العقلية . وفي الجزء الثاني يبحث استخدام اللهجة العامية في الشعر ، ويذكر أمثلةً من الشعر البروفنسي والفرنسي والإيطالي . ثم يتكلم عن كتابة القصائد ، عن الموضوع والوزن والقافية والتركيب والأسلوب واللغة ، لكي يصبح الشعر جديراً بالاسم .

وآخر كتاب نعرض له من مؤلفاته الصغرى هو كتاب « الملكية » ، الذي كتبه في الفترة من ١٣٠٩ إلى ١٣١٣ على وجه التقريب . وانتهى من وضعه بعد أن تبدّد حلمه السياسي ، الذي كان يأمل في تحقيقه على يد الأمبراطور هنري السابع . وكتبه باللاتينية لأنه لم يقصد أن يكون كتاباً لعامة الناس . وتأثر في كتابته بدرجات متفاوتة ، بفلسفة أرسطو ، وبآراء الرومان ، وبالكتاب المقدّس ، وتعاليم توماس الأكويني ، وبشيء من فكر ابن رشد . يقول دانتي في الكتاب الأوّل إن الله قد زوّد الناس جميعاً بحب الحقيقة ، وإن عليهم أن يعملوا لخير الأجيال القادمة ، وأن يؤدّوا لها ما أدّاه لهم أسلافهم ، وإنه يقصد بكتابته خير المجتمع الإنساني ، ويقول إن الغرض من الحضارة استكناه العقل الإنساني ، واستنباط الملكات للعمل على أساس من العلم والمعرفة . ويتكلم عن السلطة الزمنية الملكية أو الأمبراطورية العالمية ، ويسوق الأدلة على ضرورتها لحياة البشر . ويقول إن الجنس البشري يصبح أقرب إلى الله إذا زاد اتحاده وترابطه . ويذكر الحرية التي يتكلم عنها كثير من الناس بألسنتهم ، ولكن لا يفهمها إلا القليل . ولا تقوم الحرية عنده على المصلحة الذاتية أو الشهوات وإلا أصبح الناس في مستوى الوحوش الضارية . والحرية عنده أساس لتحقيق السعادة في الدنيا والآخرة . وعنده أن الديموقراطية والأوليجاركية والدكتاتورية تحوّل الناس إلى عبيد لجماعة أو طبقة أو فرد . ويرى أن ليس الشعب للحاكم ، بل الحاكم للشعب ، وليس الشعب للقوانين ، بل القوانين للشعب . والملوك والحكام هم خدام الشعب ، وقد تأثر في ذلك برأي توماس الأكويني . وعنده

أنه يصلح للحكم من يستنبط من الآخرين أحسن ما فيهم ، ولكى يمكنه أن يفعل ذلك ينبغى أن تتوفر فيه صفات الخير التى يتطلبها من الغير . ويقول إنه لابد من العمل بدلا من الكلام . وتلزم لحياة المجتمع الوحدة والنظام والعدالة وحب الخير والحرية والسلام . وعنده أنه لا يحقق ذلك سوى ملك أو أمبراطور عالمىّ واحد ، يحقق الانسجام والتناسق العام ، ويمنع طغيان الأمراء المحليين ، الذين تتفاوت بيئاتهم وتقاليدهم . ثم يأسى دانتى لما يجتاح الإنسانية من العواصف والزوابع ، لتعدّد الحكام فى العالم ، وجشعهم ، وشهوة التملك عندهم .

وفى الكتاب الثانى من « الملكية » يتكلم دانتى عن الأمبراطورية الرومانية ، التى كانت عنده أمبراطورية إلهية ، قامت على الحق ، الذى هو إرادة الله . والرومان عنده أنبل شعوب الأرض ، وقد نشأت أمبراطوريتهم بمعجزة سماوية . وقضى الرومان بفتوحهم على التنافس والصراع بين الجماعات والشعوب ، وحققوا الحرية والسلام . ويقول إن الطبيعة تحقق أهدافها عن طريق أقوام عديدين ، ومنهم من يمتاز بملكة الحكم ، ومن يولد لكى يحكم ، وكلهم يؤدون دورهم الطبيعىّ فى المجتمع الإنسانى . ويذكر أن النصر يتمّ للمنتصر بحكم الله وقضائه ، وعنده أن المتبارزين ينبغى ألا يتبارزوا بدافع من الكراهية أو الحب ، بل للتعاون على تحقيق العدالة . وكذلك الحال عنده فى الحروب . ويندد دانتى بالبابوات الذين تدخلوا فى أعمال الأباطرة وأضعفوا الأمبراطورية .

وفى الكتاب الثالث من « الملكية » يعترف دانتى بأنه مقدمٌ على ما قد يغضب بعض الناس ، ولكنه لا يضحى بالحقيقة فى سبيل الأصدقاء ، ويستمد الشجاعة من أرسطو والكتاب المقدس ، لأن مَنْ يدافع عن الحقيقة تحرسه قوة الله . ويتكلم عن الشمس (رمز البابا) والقمر (رمز الأمبراطور) . ويقول إن للقمر دورته المستقلة عن الشمس ، وإذا استمد منها ضوءاً فهذا يجعله يؤدّى دورته بطريقة أفضل . وأوضح خطأ الفكرة القائلة بأن الأمبراطور يستمد سلطته من البابا ، لأن الأمبراطورية وجدت وازدهرت قبل ظهور البابوية ، وعلى ذلك

فالكنيسة ليست مصدر سلطة الأمبراطور . ويقول إن الإنسان هو الكائن الذى يتميز بجسم مادى قابل للفساد مع روح باقية ، وإن غرضه المزدوج هو السعادة فى الأرض ، والسعادة فى الحياة الآخرة . ولذلك يلزم الإنسان دليلان : البابا الذى يقوده إلى السعادة الآخرة بالدين والإيمان ، والأمبراطور الذى يقوده إلى سعادة الدنيا بالفلسفة والحكمة والقانون والحرية . وللبابا ميدان السلطة الروحية وللأمبراطور مجال السلطة الزمنية . وعنده أن كلا من البابا والأمبراطور يستمدّ سلطته من الله مباشرة . ولا يجوز عند دانتى أن يتدخل البابا فى الشئون الزمنية ، ولا أن يتدخل الأمبراطور فى الشئون الدينية . وليس معنى هذا أن تنقطع الصلة بينهما ، بل على الأمبراطور أن يخضع للبابا كأب روحىّ ، يستمدّ منه الضياء والرحمة ، التى تعينه على أداء واجبه الزمنى .

أراد دانتى بالفصل بين السلطتين المحافظة عليهما ، لأن خروج إحدى السلطتين عن مجالها يهدد مصلحة المجتمع . والوصل بينهما قائم فى استعانة الأمبراطور بسلطان البابا الروحى . وهدَفَ دانتى بذلك إلى حماية إحدى السلطتين من طغيان الأخرى ، مع إيجاد التفاهم والتوافق بينهما . وهنا نجد أصالة الفكر السياسى عند دانتى ، وخروجه على الفلسفة السياسية فى العصور الوسطى .

هذه صورة عن بعض مؤلفات دانتى الصغرى ، بألوانها المختلفة من عاطفة وفكر وعلم وفلسفة وسياسة . وتعتبر كلها كإعداد وتمهيد ومقدّمة لأثره الرائع « الكوميديا » .

« ٥ »

لم يكن دانتى بطبيعة الحال أوّل من تناول فى « الكوميديا » عالم ما بعد الحياة . ولقد تناولت ثقافة البشر هذه الناحية منذ أقدم العصور ، من سيبريا إلى الهند وبابل ومصر وسوريا وفارس واليونان وروما وإسكندناوة وأيرلندا

والأندلس . نجد مثلا المصريين القدماء قد عرفوا فى ديانتهم الجحيم المظلم بما يحتويه من ألوان العذاب ، وتصوّروا الفردوس بما فيه من أنواع النعيم والسعادة الأبديّة ، وعندهم أوزيريس يزن أعمال الناس ، ويدفع بهم إلى الجزاء العادل . وفى ديانة البابليين تهبط عشتروت إلى الجحيم ، حيث عذاب الزمهرير والجوع والعطش والبرص ، لتبعث تاموز إلى الحياة . وعند اليهود أرض الظلام ، التى تقع تحت الأرض ، وتتلقى الأخيار والأشرار على السواء . وفى ديانة الفرس جحيم ومطهر وفردوس ، والإنسان ميدان معركة بين أهورا مازدا إله الخير وأهريمان ملك الظلمات والعالم السفلى . وفى ديانة الهند يهبط يودهيشتيرا إلى الجحيم حيث رائحة الإثم والجثث والديدان والهوام والطيور والكواسر وأمواج اللهب ، ويصعد البطل أرْجنا إلى السماء مأوى المؤمنين ، حيث الأزهار الجميلة والغوانى تحت الأشجار الخضراء ، والأنغام السماوية ، ويصل البطل محاطاً بالملائكة وصفوة البراهمة إلى حضرة رب الأرباب . ويذكر هوميروس فى الإلياذة عالم الموتى والأبالسة وأنهار الجحيم ، وأبواب السماء ونعيم الفردوس . ويتكلم فى الأوديسية عن زيارة أوليسيس للعالم السفلى وحديثه مع أشباح الموتى . وتحتوى ثقافة الأوترسكيين على عالم ما بعد الحياة ، وما يشمله من الشياطين والرعب والفزع . وبعض رسوم مقابرهم تعتبر كمقدّمات لجحيم دانتى . ويذكر ڤرجيليو فى الإنيادة هبوط إينياس إلى العالم السفلى ، ويصف ما شهده فى مدينة ديس من وحوش خرافية وشياطين وأنهار ونيران وعواصف ، ويسرد أنواع الآثمين كمرتكبى خطايا الجسد والبخلاء والذين حاربوا أولياء نعمتهم والزانين ، ثم ينتقل إلى أرض خضراء سعيدة ، فيها رقص وغناء وذات أضواء ، وهى موئل من جرحوا فى سبيل أوطانهم ، ومكان الرهبان والصادقين ومن بذلوا خدماتهم للآخرين . ويشير لوكانوس فى « فارساليا » وستاتزيوس فى « أنشودة طيبة » وأوڤيديوس فى « التحوّلات » إلى عالم الموتى . وفى « الكتاب المقدّس » بعض إشارات إلى العالم الآخر .

وكذلك نجد تراث العصور الوسطى مليئاً برؤى القديسين وقصص المغامرين ، الذين تناولوا عالم ما بعد الحياة . ومن هؤلاء مثلا القدّيس يوحنا ، الذى اشتملت رؤياه على عذاب الآثمين الرهيب ، وسط حشد من الوحوش والحيوانات الخرافية . ورؤيا القديس بولس التى وصفت عذاب الآثمين فى الجحيم بين النيران والأفاعى والزمهرير ، وسجلت مسير السعداء الذاهبين مع الملائكة إلى نعيم الفردوس . وللأيرلنديين رحلات خيالية إلى العالم المجهول ، مثل رحلة القدّيس براندان الذى وصل فى سفينة مع بعض الرهبان إلى منطقة الملعونين ، حيث رأى يهوذا فوق صخرة وسط المحيط . ومن ذلك رحلة الفارس أوين ، التى تعرف باسم مطهر القدّيس پاتريك ، وزار فيها الجحيم وشهد الأفاعى والوحوش والنيران ونهر المعدن السائل بالغليان ، ورأى الشياطين على شاطئه تطعن الآثمين بخطاطيفهم ، ورأى بركة الكبريت ، والمعذّبين المصلوبين على الأرض ، وعذاب الزمهرير ، والقبور التى تندلع منها ألسنة اللهب . ومنها رحلة الجندى الراهب تونجدال ، الذى زار العالم الآخر ورأى عذاب النار والثلج ، والشياطين بخطاطيفهم ونهر الكبريت ، واوتشيفيرو — إبليس — مقيداً بالأغلال ، كما شاهد الأبرار فى الفردوس ينشدون الأغانى العلويّة والملائكة تحلق فى السماء . وقد ترجمت هذه الرحلات إلى أكثر من لغة أوروپية فى القرن الثانى عشر .

وفضلا عن ذلك فقد وجد فى إيطاليا فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر ، جماعة من كتاب الرؤيا (المشاهدة) وصفوا الحياة فى عالم ما بعد الحياة ، مثل الراهب يواكيمو دا فلورا الذى رأى نهر الكبريت المحترق يعاوه جسر يؤدى إلى حديقة الفردوس . وتكلم الراهب ألبريجو عن عذاب الجليد والأفاعى وبحيرة الدم الآنى والنيران . والشيطان المقيد بالأغلال فى مركز الجحيم ، الجسر الذى يؤدى إلى السماء . وكذلك تناول القدّيس توماس الأكوينى الجحيم والمطهر والسماء ، ووفق فى ذلك بين المسيحية وفلسفة أرسطو . ووضع

بونفوزين دا ريڤا من ميلانو « كتاب الكتب الثلاث » ، الأسود للجحيم والأحمر لعذاب المسيح والذهبي للفردوس . وكذلك شاعت فى فلورنسا أسطورة المركيز أوجو دى براندبرج ، الذى ضلّ السبيل فى غابة مظلمة ، وشهد الآثمين ينالون العذاب ، وعرفت أيضاً رؤيا ماتيلدا دى مجدبورج عن الجحيم والمطهر والفردوس . وتداول الفلورنسيون رؤيا ماتيلدا دى هاكنبورن عن الجحيم والفردوس .

وتراث الإسلام مليءٌ بصور متنوعة عن العالم الآخر . يذكر « القرآن الكريم » والحديث وكتب التفسير ، وفقهاء الإسلام وعلماؤه ، ومتصوّفوه وأدباؤه ، نماذج شتى عن عالم ما بعد الحياة . ويتناول ذلك فى مجموعه دركات الجحيم ، وعذاب الآثمين بالنار والصديد ، والأفاعي وشواظ اللهب ، والقطران الآنى وخطاطيف الشياطين ، والبرص والجرب والزمهرير ، والريح العاتية ، والصراط والأعراف والشوق إلى الله ، والتطهر والتوبة ، والمعارج ، وطبقات السماء ، ونعيم الفردوس ، ووردة السعداء ، والأغانى العلوية ، وصفاء النفس ، والنور الإلهى . ومن ذلك أيضاً القصص الإسلامى الذى تناول رحلات الأبطال المغامرين إلى العوالم المجهولة ، وما فيها من الأخطار والعجائب ، والتى انتشرت خاصة فى القرن العاشر الميلادى ، فى الخليج الفارسى والمحيط الهندى ، وبلغت العراق ومصر ، ومن ذلك النوع بعض قصص ألف ليلة وليلة .

ولقد انتقل هذا التراث الإسلامى عن عالم ما بعد الحياة ودنيا المغامرات والعجائب ، إلى أوربا من عدة طرق : عن طريق الحروب الصليبية ، التى أذكت الحركة التجارية والثقافية بين الشرق والغرب ، وعن طريق الحضارة العربية فى الأندلس ، الذى كان كعبة العلوم والفنون فى أوروبا . وكذلك من طريق أثر العرب فى صقلية وجنوبى إيطاليا . وظلت صقلية فى عهد النورمان وفى عهد الجرمان ، وعلى الأخص زمن الأمبراطور فردريك ، مركزاً للعلم والمعرفة . ودرس بعض الرهبان المسيحيين اللغة والثقافة العربية . وعرف العالم

الأوربي آراء المسلمين فى عالم ما بعد الحياة منذ القرن التاسع الميلادى . انتشرت هذه المعرفة فى أسپانيا وفرنسا وإيطاليا وانجلترا . ودُرست أقوال المسلمين فى هذا الصدد ، وعلى الأخص آراء ابن رشد وابن سينا . وترجم القرآن الكريم لأوّل مرة ترجمةً ملخصة إلى اللغة اللاتينية فى النصف الأول من القرن الثانى عشر . وعرفت صور من الإسراء والمعراج الإسلامي بلغات مختلفة فى أوروپا . منذ القرن الثالث عشر . وظلت هذه الصور تتواتر فى كتابات العلماء ورجال الدين والأدباء فى أوروپا حتى أواخر القرن الخامس عشر . ومثال ذلك كتابات رودريجو إكزيمنيز أسقف طليطلة ، فى النصف الأول من القرن الثالث عشر . والرحلة الخيالية التى كتبها رايموندو لوليو القطلونى فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر ، عن البعث والعقاب والثواب ونعيم الفردوس فى الإسلام . والتاريخ الأسپانى العام الذى أمر بكتابته ألفونسو الحكيم ملك قشتالة . وما كتبه ريكولدو دا پنينو الراهب الدومنيكانى الفلورنسى عن العرب ، فى مطلع القرن الرابع عشر . وقصيدة فاتزيو دلى أوبرتى بالإيطالية عن معراج النبى محمد عليه الصلاة والسلام ، بعد منتصف القرن الرابع عشر . وكذلك ما دوّنه الأب روبرتو كاراتشولو عن ذلك بالإيطالية فى أواخر القرن الخامس عشر .

وفى أثناء القرن الحالى درس بعض المستشرقين مسألة العلاقة بين « كوميديا » دانتى والتراث الإسلامى . ومن الأمثلة على ذلك ميجويل آسين بلاثيوس المستشرق الأسپانى ، الذى وضع سنة ١٩١٩ كتاباً بالأسپانية عن « العلم الإسلامى لما بعد الحياة فى الكوميديا الإلهية » ثم وضع له ملخصاً بالأسپانية ترجم إلى الإنجليزية ، وكان هناك اتجاه لنشر ترجمة الأصل الأسپانى الكامل إلى الفرنسية ، ولكن ذلك لم يتم بعد . درس هذا العلامة موضوعه نحو عشرين سنة ، ووازن بين « كوميديا » دانتى ومؤلفات بعض متصوفى الإسلام مثل محيي الدين ابن عربى ، ورسالة الغفران لأبى العلاء المعرى ، وكتابات المحدّثين والمفسرين ،

وبعض صور الإسراء والمعراج النبوى .وتكلم عن أوجه الشبه فى عوالم « الجحيم والمطهر والفردوس » وقال پلاثيوس إنه من المحتمل أن برونيتو لاتينى — أستاذ دانتى وصديقه — الذى انتقل بين قشتالة وفلورنسا ، قد حمل إلى دانتى بعض المعلومات الشفوية أو الخطية عن وصف الإسلام والمسلمين للحياة الآخرة . وقد أثارت نظريته مناقشات فى الجوّ العلمى ، وأيده بعض الباحثين وعارضه آخرون .

وفى ١٩٤٩ أصدر إنريكو تشيرولى ، المستشرق الإيطالى وسفير بلاده فى طهران ، مؤلفاً بعنوان «كتاب المعراج ومسألة المصادر العربية — الأسپانية للكوميديا الإلهية » . ونشر تشيرولى فى كتابه الترجمة اللاتينية والفرنسية القديمة ، لإحدى صور المعراج الإسلامى . وتتلخص قصة هذه الترجمة فى أن ألفونسو العاشر ملك قشتالة ، أمر بترجمة هذه الصورة من صور المعراج الإسلامى من العربية إلى القشتالية . وقام بالترجمة إبراهيم الحكيم الطبيب اليهودى سنة ١٢٦٤ . ثم طلب ألفونسو إلى بوناڤنتورا دا سيينا الإيطالى ترجمتها من القشتالية إلى اللاتينية والفرنسية القديمة ، فى نفس السنة ، لإذاعتها فيما وراء الحدود الأسپانية ، وكان ذلك متمشياً مع سياسة الملك ألفونسو فى تشجيع العلوم والفنون . وبذلك أيد تشيرولى فكرة پلاثيوس فى احتمال نقل برونيتو لاتينى لدانتى بعض المعلومات عن الإسراء والمعراج الإسلامى .

كانت الفرصة إذاً سانحة أمام دانتى لكى يلم بعلم ما بعد الحياة عند المسلمين بطريق غير مباشر ، مما كان معروفاً لدى علماء الغرب ، فى العصر الذى عاش فيه . ومن المحتمل أنه اطلع على الترجمة اللاتينية والفرنسية للمعراج الإسلامى المشار إليه ، ولا يبعد أنه استمع إلى بعض الرهبان الذين كانوا على علم برأى الإسلام وعلماء المسلمين عن عالم الآخرة . وأقرب الشبه بين دانتى والإسلام قائم فى بعض الصور القرآنية ، وبعض آراء المفسرين ، وبعض فكار المتصوفين كابن عربى ، عن بعض صور « الجحيم والمطهر والفردوس » .

والصلة ضعيفة بين دانتى وأبى العلاء المعرى فى « رسالة الغفران » لاختلاف الطريقة والمضمون العام فى كل منهما .

هذه فكرة عاجلة عن عالم ما بعد الحياة قبل دانتى فى الشرق والغرب . ولا ريب أن دانتى الرجل المثقف قد اطلع على كثير من هذه العناصر المتنوعة . ولكن هذا لا ينقص من أصالته شيئاً . وإذا كان فى « الكوميديا » أوجه شبه بما سبق دانتى من الأفكار عن عالم ما بعد الحياة ، فإنها تختلف وتتميز ببنائها وتفصيلاتها ومضمونها وهدفها . وصحيح أن دانتى قد استخدم المادّة التى وصل إليها ، فى عالم الآخرة ، كما فى سائر فروع العلم والمعرفة ، واقتبس من هنا وهناك ، وتأثر بهذه الناحية وتلك ، إلا أنه أضاف ، وحوّر ، وغير ، ولون ، ونظم ، وخلق ، وفاض بفنه الرائع فى بناء « الكوميديا » .

« ٦ »

يقال إن دانتى بدأ بكتابة بعض أناشيد «الجحيم» فى فلورنسا باللغة اللاتينية ، ثم أعاد كتابتها بلهجة فلورنسا ، وهو فى حياة المنفى . ويقال إنه انتهى من كتابة « الجحيم » سنة ١٣١٤ . ويظهر أنه أنهى « المطهر » فى حدود سنة ١٣١٦ . وكتب « الفردوس » فى راقنا . وأطلق دانتى لفظ « الكوميديا » على قصيدته الخالدة ، وهو لفظ مأخوذ عن اليونانية القديمة ، بمعنى أغنية تغنى بلغة العامة ، وتجرى على اللسان دون تكلف وتصنع . وكذلك قصد بهذا اللفظ أنها تبدأ فى غابة موحشة مظلمة وتنتهى إلى السعادة الإلهية . وسماها الدارسون والناشرون فيما بعد « الكوميديا الإلهية» ومن هؤلاء بوكاتشو فى كتابه عن « حياة دانتى » ، وناشر « الكوميديا الإلهية » فى البندقية سنة ١٥٥٥ . والمقصود بذلك ما تناوله دانتى فيها ، مما هو فوق متناول البشر . ويقول دانتى فى كتاب إهدائه « الفردوس » إلى كان جراندى دلا سكالا إن لقصيدته ثلاثة معان : المعنى اللفظى وموضوعه حالة الروح بعد الموت ، والمعنى الرمزى

وموضوعه الإنسان بما يناله من جزاء على ما فعل ، والمعنى الصوفى وموضوعه الخروج بالناس من البؤس فى الحياة الدنيا ، وقيادتهم إلى طريق الخلاص والسعادة فى الحياة الآخرة .

« الكوميديا » نوعٌ فريد من الشعر ، وليس لها نظير فيما سبق وفيما تلا من القصائد الطويلة ، من حيث بناؤها العام ، ومضمونها الشامل المنوّع ، وهدفها فى الدنيا والآخرة . ويمكن أن تسمى « الدانتيادة » على غرار تسمية « إلياذة » هوميروس و « إنيادة » ڤرجيليو . وينتظمها العدد ثلاثة ، رمز الثالوث المقدّس . وهى تنقسم ثلاثة أناشيد : « الجحيم والمطهر والفردوس » . و « الجحيم » مقسمة إلى مدخل وتسع حلقات ، و « المطهر » مقسّم إلى تسعة أفاريز والفردوس الأرضى ، و « الفردوس » مقسّم إلى تسع سماوات وسماء السموات . ويتكون كل نشيد من ثلاث وثلاثين أنشودة ، يضاف إليها مدخل « الجحيم » ، فتصبح كلها مائة أنشودة ، أى مربع رقم عشرة ، وهو العدد الكامل ، ورمز الوحدة واللانهاية فى العصور الوسطى . وأبياتها ثلاثيات ، وكان دانتى أول من ابتدع طريقتها . وأناشيدها متقاربة الطول ، وأقسامها الثلاثة متساوية الطول على وجه التقريب . وتبلغ « الجحيم » ٤٧١٠ بيتا ، و « المطهر » ٤٧٥٥ و « الفردوس » ٤٧٥٨ ، ومجموعها ١٤٢٣٣ بيتاً . و « الكوميديا » رحلة خيالية إلى العالم الآخر ، استغرقت فى نظر أغلب النقاد سبعة أيام ، وبدأت فى مساء الخميس ليلة الجمعة ٧ — ٨ أبريل ١٣٠٠ وانتهت يوم الخميس ١٤ أبريل . واستغرقت زيارة دانتى « للجحيم » أربعاً وعشرين ساعة ، وزيارة « المطهر » خمسة أيام ، واستغرقت زيارة « الفردوس » نهاراً واحداً ، وكان الزمن الباقى للعبور بين « الجحيم والمطهر والفردوس » .

وإذا نحن وقفنا قليلا أمام أقسام « الجحيم » ، موضوع هذه الترجمة ، وجدنا أولا الأنشودات الثلاثة الأولى تشمل المقدمة والمدخل . ثم تأتى حلقات « الجحيم » التسعة . والحلقة الأولى هو اللمبو ، الذى يعتبر كمقدمة للجحيم

الحقيقى ، ويشغل الأنشودة الرابعة . وتبدأ الجحيم الحقيقية من الحلقة الثانية ، وتنقسم قسمين : الجحيم العليا والجحيم الدنيا أو مدينة ديس . وتتكون الجحيم العليا من أربع حلقات ، من الثانية إلى الخامسة ، وتشمل الأنشودات من الخامسة إلى الثامنة ، وهى موضع عذاب من ارتكبوا الخطيئة ، لأنهم لم يتمالكوا أنفسهم أمام الظروف والمؤثرات ، وخطاياهم أخف من غيرهم وتتكون الجحيم الدنيا من أربع حلقات ، من السادسة إلى التاسعة ، وتشمل الأنشودات من التاسعة إلى الرابعة والثلاثين ، وهى مكان عذاب من ارتكبوا خطايا أكبر لانطباع نفوسهم على الشر والفساد .

تمثل « الجحيم » الشباب الحرّ الطليق المتكبر الثائر ، وتصوّر الفطرة والغرائز الإنسانية لإشباع ميولها ، وهى الخطيئة والعذاب والمأساة والحياة الدنيا . ويمثل « المطهر » التجربة والنضج والفكر ، والتوبة والتفكير والتطهر والأمل . ويصوّر « الفردوس » الكهولة والطهارة والصفاء والحرية والخلاص والنور الإلهى . و« الكوميديا » كلها مرآة الحياة وقصيدة الإنسانية الكبرى . وهى فن رفيع يهدف إلى تغيير الإنسان وإصلاح المجتمع . وقَصَدَ دانتى أن يجعل منها بداية لعصر جديد ، وكأنه أراد بذلك أن يضع كتاباً مقدساً جديداً يهدى البشر إلى سواء السبيل . وبدا فيها دانتى كأنه أورفيو جديد لعالم جديد .

ولكن كيف السبيل إلى تغيير النفس البشرية ؟ وما الوسيلة إلى إصلاح المجتمع ؟ وجد دانتى أن تغيير العقائد والقوانين والنظم والطبقات والحكومات والمظاهر لا تؤدى إلى إصلاح حقيقى ، وأدرك أن العظات الدينية وتعاليم الفلسفة لا تكفى أغلب الناس لسلوك الطريق القويم ، بل ينبغى تغيير روح الإنسان فى باطنه . ووجد أن الإنسان أذن وعين وذوق ، وخوف ورغبة ، وحب وكراهية ، ويأس ، وأمل . وينبغى إذاً تصوير الحياة ، وإيضاح خفايا النفس ، ونشر العلم والمعرفة . وأراد دانتى بهذا أن يكون مصلحاً ومعلماً للبشر . وقد حمل معه كرسى الأستاذية فى كل مكان : فى البيت والجامعة والقصر والكنيسة والحديقة

والطريق . وهو نفسه كان يطلب العلم والمعرفة على الدوام . ولكى يتم نشر المعرفة بين الناس وتتغير نفوسهم ، كان لابد من أن يلجأ إلى أداته السحرية : الفن . ويجمع الفن الحياة كلها ، ويضمّ المعارف والوقائع والأحلام والأمانى والمثل ، وينفذ عن طريق الإبداع إلى النفوس ، ويأسرها بالجمال والقوّة والإحساس ، ويربى ، ويهذب ، ويعلم ، ويصقل . وهكذا آمن دانتى برسالته العليا . وعلى ذلك فإن «الكوميديا» إحدى المحاولات الهائلة ، التى قام بها شاعر لإصلاح الإنسانية . وهى معجزة من الشعر أراد واضعها أن يقوم بمعجزة روحية لإصلاح البشر.

« الكوميديا » كاتدرائية ضخمة وعمارة شاهقة ، متناسقة البناء مترابطة الأجزاء ، يعتمد فيها السابق واللاحق بعضه على بعض . وجعل دانتى فيها الإنسان والدنيا والآخرة والعالم والله فى بؤرة واحدة . ووضع فى إطارها العام كلّ المعارف والجزئيات الدقيقة المادية والمعنوية . واستمدّ دانتى ذلك من ثقافته الواسعة ، من الميتولوجيا ، وحضارة القدماء ، وتراث المسيحية ، ومن أوروبا وأفريقيا وآسيا ، ومن الشرق والغرب ، ومن ظروف الحياة التى عاشها ، ومن إحساسه المرهف الذى لم يكد يحسه إنسان . ألغى دانتى فى « الكوميديا » فوارق الزمان والمكان ، ومزج بين الأسطورة والتاريخ ، وبين الواقع والخيال . وقدّم بريشة الفنان صوراً مأخوذةً من الحياة الواقعة : صُغريات الزهور التى تنحنى بصقيع الليل ثم تقف على سيقانها عندما تكللها أشعة الشمس ، وتساقط أوراق الشجر فى الخريف ، ونظرات الحكماء الهادئة وكلامهم النادر الرقيق ، والعاصفة الجهنمية التى لا تهدأ أبداً ، والحمام الذى يطير بأجنحة ثابتة إلى العشّ الحبيب ، والعاشقين اللذين يذوبان وجداً وهياماً ، والكلب الجائع الذى يلتهم الطعام ولا يجدُ إلا فى افتراسه ، والوحش الذى يهبط كما تسقط الأشرعة بقوّة الريح ، وسريعى الغضب الذين يتضاربون بالأيدى والصدور والأقدام وقد غمرهم طين المستنقع ، والقارب الذى ينطلق فوق سطح الماء

بسرعة فائقة ، والضفادع التى تختنى من الأفعى وتغطس إلى قاع المستنقع ، وشُهب النار التى تسقط على الرمل سقوط الثلج فى جو دون رياح ، والحائك العجوز الذى يحملق فى سمّ الخياط ، وبناة السفن الذين يعكفون على عملهم فى مصنع سفن البندقية ، والطهاة وهم يطهون اللحم فى القدور ، والزارع الذى يستريح على سفح التلّ ويرقب الحباحب فى أسفل الوادى ، والراعى الذى يتولاه اليأس لسقوط البرَد ، والفتى الذى يهرول فى تسريح الجياد وسيده فى انتظاره ، والأم التى تهرب أمام النيران وتأخذ وليدها بين ذراعيها وهى شبه عارية ، والعظاية التى تنتقل من عوسج لآخر زمن الصيف ، والسائر فوق الصخور الوعرة ، ومرضى الاستسقاء والملاريا والبرص والجرب ، والراقصين والمصارعين والمبارزين. ورسم دانتى السهل والجبل ، والصحراء والغابة ، والجدول والنهر والبحر ، ومطلع الشمس وغروبها ، والنجوم ، والحيوان ، والنبات . ولم يفلت جزء من الجسم البشرى من الخارج والداخل ، إلاّ رسمه أو أشار إليه . وصوّر البكاء والعويل وضربات الأكفّ والتنهد ، والبسمات والضحكات والترنم بالأغانى . ورسم طبائع البشر : شهوة الجسد ، والجشع والشره ، والأمومة والأبوّة ، والكذب ، والسرقة ، والبخل ، والإسراف ، والحقد ، والأنانية ، والغضب ، والنفاق ، والغدر ، والحب ، والصفح ، والتوبة ، والتطهر ، والصفاء ، والأمل ، وخلاص النفس ، والسلام . وفى « الكوميديا » موتى وأحياء ، وفقراء وأغنياء ، وأشرار وأطهار ، وبابوات وملوك وأباطرة ، وأطفال ونساء ، وداعرون وقديسون ، وشعراء وعلماء وفلاسفة وموسيقيون ، وأبالسة وملائكة . وبها شخصيات حية ، تحس ، وتعبر ، وتأسى ، وتبكى ، وتتطهر ، وتبتهج وتسعد . وفيها الصبر والجلد ، والخوف والتردّد ، واليأس ، وقوّة النفس التى تظفر فى كل معركة . وفيها الحكمة البالغة ، والمثل السائر ، والعظة والعبرة ، والثورة ، والرقة والدُّعابة ، والعنف ، والسخرية والتهكم ، والإيمان والأمل .

ويتكون كل بيت فى « الكوميديا » من أحد عشر مقطعاً ، وقوافيها فى

الغالب هي أ ب أ ، ب ج ب ، ج د ج . . . وتسير أبياتها الثلاثية كوحدات وموجات مترابطة متتابعة الواحدة فى إثر الأخرى . ولا زخرف ولا صناعة فى شعره ، ولغته دقيقة محددة ، وكلماته مختارة ، وأسلوبه موجز مركّز ، وتصبح لغته أحياناً لغة إشارات . وكثيراً ما تبعث كلماته القليلة أمواجاً طويلة من الفكر والتأمل . ويصنع أحياناً تمثالا ضخماً فى ألفاظ موجزة . وليس مثل دانتى من يحس بالحقيقة ، ويعبر عنها بأمانة وسهولة ، حتى ليبدو أحياناً حينما يكتب كأنه يتكلم . ويمتاز أسلوبه بملاءمة كل المواقف . وعنده الأسلوب العالى الرفيع ، والكلام العامى البسيط الذى يجرى على ألسنة الناس . وهو يكتب أقوى الشعر وأفخمه ، كما يكتب أجمل الشعر وأرقه . وتصبح لغته أحياناً كنقاب من البلور ، أو كنيران متأججة ، أو موسيقى عذبة ترفع الإنسان إلى أسمى الوجود . ونجد عنده ألحاناً رقيقة كحركة الطير ، وأخرى عنيفة كغضب الوحش الثائر ، وغيرها حزينة كالدمع المنهمر ، وأخرى سعيدة كأنغام القيثارة . ونجد أبياتاً بطيئة ، وأخرى سريعة ، وغيرها قوية قاسية ، وأخرى راقصة كالأهازيج . وتبدو كلها متسقة متآلفة كألحان السيمفونيا ، وتنساب روح دانتى بين الأفكار والمعانى والصور ، وتتسلل فى ثنايا الكلمات والمقاطع والحروف الساكنة والمتحركة ، التى تشبه تارةً موسيقى موتزارت ، وتارةً أخرى موسيقى ڤاجنر ، وطوراً موسيقى بيتهوڤن .

ويجعل دانتى شعره فياضاً بالحياة : بالمفاجأة ، والاقتراب التدريجى من الهدف ، وبالضوء ، واللون ، والصوت ، والحركة ، والحوار . واستخدم الاستعارة والتشبيه والرمز بفن عظيم . ولم يتخذ رموزه من المعانى المجرّدة ، بل من الأحياء الذين يشعرون ويتكلمون ويتحركون ، ومن الحيوان والنبات ومظاهر الطبيعة ، التى تخلق الجوّ المناسب وتحدد الهدف المقصود . ودانتى نحات ، وحداد ، ومصوّر ، ورسام ، ومهندس ، وموسيقى ، فى وقت واحد . واستخدم لهجة فلورنسا العامية ، وأحياناً اللاتينية القديمة والوسيطة ، ولهجات إيطالية

أخرى ، ولهجات فرنسية ، وخلق لنفسه لغةً عظيمة . ومع أنه من أعظم شعراء الأرض ، فإنه كثيراً ما يعترف بالعجز ، ويصمت ، ويستنجد بآلهة الشعر . وقد قام دانتي بعمل يساوي خلق لغة جديدة ، عندما جعل لهجة فلورنسا العامية لغةً غنية ، نبيلة ، ناضجة ، قوية ، رقيقة ، سخية ، قادرة على التعبير عن كل شيء . وبذلك أصبحت لغة الحديد، والنار ، والعاصفة ، والذهب ، والصخر ، والشمس ، والزهر ، والطير ، والموسيقى .

صحيح أن «الكوميديا» ثمرة العصور الوسطى وعنوانها ، من حيث هيكلها العام ، وتقسيمها ، وقواعدها الخلقية ، ومعنى العقاب والثواب ، ومن حيث تأثرها بفلسفة المدرسيين ، وتمشيها مع جغرافية بطليموس ، وتصويرها لكثير من أحوال المجتمع المعاصر . ومع هذا فهي بداية للعصر الحديث . وذلك لأن دانتي خرج فيها على كثير من تقاليد العصور الوسطى ، وضرب معاول في قيودها وأوضاعها ، وحطم خلالها أبا الهول ، وتغلغل في صميم الحياة الواقعة . ومن أمثلة ذلك أنه وضع البابا في « الجحيم » مع أنه مقدس عند المسيحيين ومكانه في « الفردوس» ، لأنه هدد مصالح فلورنسا ولم يرع روح المسيحية . ووضع مانفريد في « المطهر » لأنه أبدى الشهامة والنخوة ، وكان جديراً بسلوكه وإباحيته أن يوضع في «الجحيم » . وجعل سيجر دي برابنت ، المتهم بالهرطقة ، في « الفردوس » لأنه مات في سبيل الدفاع عن الرأي . وأراد دانتي أن يقيم أمبراطورية عالمية يحكمها أمبراطور واحد . وقصد أن يحقق السعادة في الحياة الدنيا بالحكمة والعدالة والحرية والسلام ، وفي الآخرة بالتطهر والصفاء والإيمان . ورسم الطبيعة والإنسان . وخلق نماذج بشرية حية تصور شتى العواطف الإنسانية . وخلق في « الجحيم » مواقف العطف والرحمة وفي « الفردوس » مواضع التهكم والسخرية . حطم دانتي خلال « الكوميديا » الأرض قطعاً صغيرة ، وشيد منها عالمه الضخم ، ولكنه عالم قديم جديد ، كشف فيه أسرار النفس ، واختلطت السماء بالأرض ، وامتزج الأحياء بالأموات ، واقترب الإنسان من

الله ، وانسابت أصوات الدنيا الصاخبة ، فى أعطاف « الفردوس » الهادئ الصافى .

أراد دانتى بهذا كله أن يخلق عالماً جديداً تسوده الوحدة والصفاء والسلام . وكان ذلك حلماً رائعاً وأملاً عريضاً ، سعى دانتى إلى تحقيقه فى السياسة والفن والحياة . وقد راود ذلك غيره من رجال العلم والفلسفة والسياسة والفن ، السابقين واللاحقين ، ولا يزال يراود الإنسانية حتى اليوم . ولكن هل سيفطن البشر إلى مواطن العجز والقصور ، ويعترفون بالخطأ ، وهل يمكنهم أن يبلغوا مثل هذا العالم المثالىّ ، أو ما يقرب منه ، بوسائل دانتى أو بغيرها ؟ أو أن هذا سيظل ، وربما لصالح البشر ، أملاً لا يرتجى !

« ٧ »

ليست ترجمة « الكوميديا» هى الكوميديا ذاتها . ولا يمكن أن تؤدى الترجمات ما أراد دانتى التعبير عنه تماماً . وقد أعرب دانتى نفسه عن عدم اعتداده بترجمة الشعر ، التى تضيع موسيقاه ونغمه . ومع ذلك فقد عكف كثير من الدارسين على نقل «الكوميديا » إلى لغاتهم ، ليشترك أكبر عدد ممكن فى تذوق المعنى والهدف الذى قصد إليه دانتى . فقد كان هو نفسه حريصاً على نشر المعرفة والفن والذوق بين الناس ، حينما كتب « الكوميديا » بلهجة فلورنسا ، حتى يقرأها من لا يعرفون اللاتينية ، وهم الأكثرية . ومن أهداف ترجمة « الكوميديا» على العموم ، توجيه بعض الناس إلى تعلم اللغة الإيطالية ، لقراءة « الكوميديا » فى نصها ، وبذلك تتاح الفرصة لتذوقها وفهمها على حقيقتها ، والتمتع بما فيها من جمال رائع وفن عظيم .

ولقد اعتمدتُ فى ترجمة « الجحيم» على عدّة طبعات إيطالية ، لأن دانتى لم يترك من « الكوميديا» نسخة واحدة بخط يده ، وترجع أقدم نسخة خطية إلى نحو أربع عشرة أو خمس عشرة سنة بعد وفاته (١٣٣٥ أو ١٣٣٦) .

ولذلك فقد اعتمدت على ثلاث طبعات إيطالية رئيسية : طبعة الجمعية الدانتية الإيطالية — وجعلت لها المقام الأول ، وطبعة أكسفورد ، وطبعة ماريو كازيلا . كما رجعت إلى طبعات إيطالية أخرى ، نشرها بعض المختصين فى الدراسات الدانتية . وكذلك رجعت إلى بعض الترجمات الإنجليزية (والأمريكية) والفرنسية شعراً ونثراً ، للاستئناس بطريقتها فى التغلب على صعوبات الترجمة . كما اطلعت على الترجمتين العربيتين السابقتين « للكوميديا » و« الجحيم » . وقد مرّ عملى فى هذه الترجمة بأكثر من دور . حاولت أولاً أن أكون قريباً من النص الإيطالى ، ثم حاولت القيام ببعض التصرّف ، ثم رجعت إلى الاقتراب من النص الإيطالى ، ولم أتصرّف إلا فى أضيق الحدود ، وأشرت إلى ذلك غالباً فى الحواشى .

ويظلم دانتى من يحاول ترجمة « الكوميديا » إلى لغة أخرى بأسلوب فصيح موحد . وهناك ترجمات عظيمة فى حد ذاتها تمتاز بالفصاحة والفخامة ، وتعدّ صياغتها فى اللغة الأجنبية فوزاً كبيراً ، وقد تؤدى خدمة جليلة لنجاحها فى تقريب دانتى إلى أهل تلك اللغة . ونرى ذلك فى ترجمة فرانسيس كارى الإنجليزية الشعرية مثلا التى اتبع فيها أسلوب ميلتون ، فوجدت آذاناً صاغية عند الإنجليز فى القرن الماضى . وكذلك نلاحظ على الترجمة الإنجليزية الشعرية التى صنعتها دوروثى سايرز للجحيم والمطهر قوة الصياغة وفخامة الأسلوب فى كل بيت ، ولا شك أنها ترجمة عظيمة ، ولكنها تخالف أسلوب دانتى وطريقته . وأفضل ترجمات « الكوميديا » هى الترجمات السهلة التى يحاول مترجموها التجاوب والتموّج مع دانتى والانتقال معه من الشعر الفخم والقول الجزل إلى الكلام البسيط العامى الذى يجرى على ألسنة الناس فى الشارع والبيت ، وذلك مثل ترجمة أيرس الإنجليزية النثرية وترجمة تشاردى الإنجليزية الشعرية . ويحسن بمترجمى دانتى إلى إحدى اللغات الأجنبية أن يراعوا أن ما دخل على اللاتينية القديمة الصافية من الألفاظ الغريبة وما حدث من الخروج

على أصالتها هو الذى أوجد لاتينية العصور الوسطى ؛ وما أصاب اللاتينية القديمة ولاتينية العصور الوسطى من الخروج على القواعد والتأثر بالألفاظ الغريبة وبالألفاظ والتعبيرات العامية هو الذى ساعد على خلق اللغة الإيطالية ، حينما اكتملت لها عوامل التطور التى حولتها إلى لغة جديدة .

ولذلك حرصت قدر المستطاع على متابعة أسلوب دانتى بوصفه معبراً عما تناوله بأساليب متنوعة ، وباعتباره خارجاً على سلطان اللاتينية حتى أصبح بمثابة خالق للغة جديدة ، حينما جعل لهجة فلورنسا (العامية) جديرة بالقول العظيم .وجعلت وضع الأبيات قريباً من الأصل الإيطالى بقدر المستطاع ، وإن كنت قد كتبت أبيات كل ثلاثية دفعة واحدة عند الطبع . واحتفظت بكتابة أسماء الأعلام كما وردت فى لغاتها الأصلية فى الغالب ، إلا ما أصبح مشهوراً فى إيطاليا ، أو كان أخفّ نطقاً فى الترجمة ، فقد كتبته بالنطق الإيطالى . ولعلى أكون قد جعلت النص الإيطالى واضحاً مفهوماً للقارئ العربى . ولقد بذلتُ جهد المستطاع لكى أبلغ هذا المستوى وعلينا أن نراعى اختلاف النصوص ، وتطوّر اللغة ، واختلاف الشراح وغزارة ما كتبوه ، ولا أزعم أن هذا هو أفضل ما يمكن فى هذا الصدد ولكنى لم آل جهداً فيما فعلت . وتستلزم قراءة دانتى الأناة والتريّث ، والرغبة فى المعرفة ، والقدرة على الاستيعاب والتذوق .

وما من أمة متحضرة إلا وبها مختصون فى دراسة دانتى . ولقد بدأتْ دراسة حياة دانتى وآثاره بعد موته فى القرن الرابع عشر ، فى فلورنسا وأنحاء من إيطاليا . وانتقلت هذه الدراسة إلى خارج إيطاليا منذ أواخر القرن الرابع عشر . وظلت هذه الدراسة مستمرة ، تنشط تارةً وتفتر تارةً أخرى . ومنذ النصف الثانى من القرن الثامن عشر ، زاد اهتمام الباحثين بالدراسات الدانتية ، ولا تزال هذه العناية قائمة حتى اليوم . وفى النصف الثانى من القرن التاسع عشر أنشئت الجمعيات الدانتية فى كثير من دول الغرب ، مثل جمعية دانتى فى درسدن سنة ١٨٦٥ ، وجمعية دانتى فى أكسفورد سنة ١٨٧٦ ، وجمعية

دانتى فى كمبردج فى الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٨٨٣ ، والجمعية الدانتية الإيطالية فى فلورنسا سنة ١٨٨٨ . وعنيت الجامعات الغربية — إيطالية وغير إيطالية — بالدراسات الدانتية . وعكف الباحثون — وبعضهم من رجال الدين — على دراسة حياة دانتى ، وعلى تحقيق نصوص مؤلفاته الإيطالية واللاتينية ، وترجمت مؤلفاته إلى اللغات الأجنبية ، وكتبت الشروح والتعليقات ، والمؤلفات العامة والتفصيلية ، ووُضعت المعاجم والفهارس ، ونشرت الدوريات الدانتية ، وكتبت المقالات فى الدوريات المختلفة ، وطبعت القراءات الخاصّة ، ووُضعت كتب المراجع ، وعنيت دور الكتب والجامعات الأوروبية والأمريكية بجمع المؤلفات الدانتية .

ومن تتسع له الفرصة لقراءة دانتى ، يجتذب إليه ، ويُصبح تلميذاً له ، بل تلميذاً فى ميدان العلم والمعرفة على وجه العموم . ولدانتى مئات الألوف من الدارسين والتلاميذ والمعجبين فى أنحاء العالم المتحضر كافة ، لأنه شاعر فنان حكيم صوفىّ ، عبر أصدق التعبير عن كل ما يقع تحت أعين البشر وإحساسهم . ومن العلماء والأدباء الأعلام فى الدراسات الدانتية : پاسكولى ، وكاردوتشى ، ودى سانكتس ، ودوڤيديو ، وزنجاريلى ، ودل لونجو ، وپيترو بونو ، وپاپينى ، من الإيطاليين ؛ وشلوسر ، وباور ، وبومر ، وڤيجلى ، وڤوسلر ، من الألمان ؛ وبارلو ، ومور ، وتوينبى ، وجاردنر ، وتوْتزر ، وسايرز ، من الإنجليز ؛ ولونجفلو ، ونورتون ، ولوول ، وهوايت ، وويلكنس ، وتشاردى ، من الأمريكيين ؛ وأوزانام ، وهوڤيت ، ولونيون ، وجيّيه ، وماسيرون ، من الفرنسيين ؛ وپلاثيوس الأسپانى ، وسكارتاتزينى السويسرى .

ورجح إدوارد مور فى أواخر القرن الماضى ، أن طبعات كتابات دانتى وترجماتها والمؤلفات والبحوث الدانتية ، تأتى فى المرحلة الثانية بعد الكتاب المقدس فى طبعاته المختلفة والبحوث المتعلقة به . وسواء أصحّ هذا الترجيح فى زمنه أم لم يصح ، وسواء أصحّ بالنسبة للوقت الحالى أم لم يصح ، فإن التراث

والمؤلفات الدانتية من أعمق وأضخم ما أنتجته العقول . ومن الأمثلة على ضخامة التراث الدانتى أن نسخ « الكوميديا » المخطوطة فى العالم يتراوح عددها بين ٥٠٠ و ٦٠٠ نسخة . وعندما أراد ويلارد فيسكى أن يضم بعض المؤلفات والمراجع الدانتية إلى مكتبة جامعة كورنيل بالولايات المتحدة الأمريكية — بمناسبة جمعه مكتبة خاصة ببترار كا — توقع أنه سيجمع عن دانتى نحو ٣٠٠ أو ٤٠٠ كتاب . ولكنه عندما قضى بعض فترات باحثاً منقباً فى إيطاليا وخارجها عن هذاه الكتب هاله ما تجمع لديه ، إذْ بلغ ٧٠٠٠ مجلد ، ووضع لها تيودور كوخ فهرساً طبع فى نيويورك ١٨٩٨ — ١٩٠٠ ، ويقع فى مجلدين يبلغ عدد صفحاتهما أكثر من ٦٠٠ صفحة بالحجم الكبير ! وأصدرت مارى فاوْلر ملحقاً بالإضافات الدانتية حتى ١٩٢٠ ، وبذلك بلغت هذه المجموعة وقتئذ ٩٧٧٥ كتاباً ! ويحتوى مثلا كتاب پاسيرينى وماتزى عن المراجع والبحوث الدانتية فى الفترة من ١٨٩١ إلى ١٩٠٠ على ٥٩٤ صفحة ويشمل ٤٣٩٢ بنداً أى ٤٣٩ بنداً فى السنة مع إغفال المستخرجات ! وبلغ التراث الدانتى الذى صدر فى النصف الأول من القرن الحالى أكثر من ٢٢٠٠٠ رقم ! وأورد إيڤولا فى كتابه عن المراجع الدانتية من ١٩٢٠ إلى ١٩٣٠ أورد ٣٧٥٣ بنداً ! وترجمت مؤلفات دانتى وعلى الأخص « الكوميديا » إلى كثير من لغات العالم ، مرات عديدة فى كل لغة . ترجمت « الكوميديا » مثلا إلى الإنجليزية أكثر من ٧٥ ترجمة جزئية وكاملة ، منها أكثر من ٣٥ ترجمة كاملة ! وترجمت « الجحيم » وحدها إلى الإنجليزية أكثر من ٢١ ترجمة ، وترجم « المطهر » وحده أكثر من ٨ مرات ، وترجم « الفردوس » وحده أكثر من ٥ مرات . ومن أحدث الترجمات الإنجليزية « للكوميديا » ترجمة دوروثى سايرز ، التى ترجمت « الجحيم» شعراً ،وصدرت فى طبعة پنجوين ست مرات من ١٩٤٩ إلى ١٩٥٥ . وأصدرت ترجمة « المطهر » شعراً فى الطبعة ذاتها سنة ١٩٥٥ . وهى تعمل الآن فى ترجمة « الفردوس » . ومنذ ١٩٤٨ إلى ١٩٥٥ نشرت ترجمات « الكوميديا »

أو جزء منها إلى الإنجليزية شعراً أو نثراً ، لستة من الأساتذة والشعراء القدامى والمحدثين فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وهم هوايت وأيرس وبرجن وتشاردى وهوس ونورتون ، وقد عمل كل منهم مستقلا فى ترجمته الخاصة ، ولا يزال عمل من لم يكملها منهم جارياً ! وترجمت « الكوميديا » ترجمة كاملة إلى الفرنسية أكثر من ٢٢ ترجمة ، عدا الترجمات الجزئية . وأحدث ترجمة فرنسية هى ترجمة إسكندر ماسيرون النثرية ، التى طبعت فى باريس ١٩٤٧ — ١٩٥٠. وترجمت « الكوميديا » كاملة إلى اللغة الألمانية أكثر من ٢٢ مرة . وترجمت إلى الأسپانية أكثر من ٨ مرات ، ومرتين — على الأقل — إلى اليونانية الحديثة . وهناك ترجمات « للكوميديا » إلى لغات أخرى كالروسية والپولندية والسويدية والرومانية والمجرية والبرتغالية والعبرية واليابانية والفارسية . وترجمت « الكوميديا » ٤ مرات إلى اللغة اللاتينية ، وترجمت إلى أكثر من ١١ لهجة من لهجات إيطاليا المحلية . وكان متوسط طبع « الكوميديا » فى نصها الإيطالى فى أثناء القرن التاسع عشر مثلا أكثر من ٤ طبعات فى العام ، فى أوساط الدراسات الدانتية فى العالم . وفى القرن نفسه بلغ متوسط طبعات مؤلفات دانتى كاملة وجزئية والمقالات والبحوث فى الدوريات المختلفة أكثر من ٢٠٠ فى العام ، فى إيطاليا والأراضى التى تتكلم الإيطالية . هذه بعض أمثلة عن مدى عناية العالم المثقف بدانتى والدراسات الدانتية .

وكذلك وجد دانتى عناية كبيرة من جانب رجال الفن . فقد تناول دانتى وبعض نواح من مؤلفاته الرسامون والمصوّرون والنحاتون والموسيقيون ، الذين وضعوا رسوماً كروكية ، أو صوراً ملوّنة وغير ملوّنة ، وصنعوا التماثيل ، وألفوا الألحان التى تعبر عن بعض ما جال فى ذهن دانتى أو جرى به قلمه . ومن هؤلاء جوتّو وسنيوريلى ، وبوتتشلى ، وميكلأنجلو ، وتزاندوناى ، من الإيطاليين ؛ ورودان ، ودوريه ، من الفرنسيين ؛ وبليك وسماكوت ، وروستّى ، من الإنجليز ؛ وليست المجرى ؛ وڤاجنر الألمانى ؛ وتشايكوفسكى الروسى .

ومع أن حظ دانتى مع أبناء اللغة العربية قليلٌ جداً ، إلا أن الأمر لم يخل من بعض الدارسين الراغبين فى المعرفة ، الذين تناولوا بعض نواح منه ، أو ترجموا شيئاً عنه . ومن هؤلاء قُسطاكى الحمصى الذى كتب تسع مقالات فى مجلّه المجمع العلمى العربى بدمشق سنتى ١٩٢٧ و ١٩٢٨ ، عن الموازنة بين (الألعوبة) الإلهية ورسالة الغفران ، وجعل فيها دانتى سارقاً لأفكار المعرّى وصوره ، وقال إنه كان جديراً بدانتى أن يتخذ المعرّى — وليس ڤرجيليو — دليلا له ومرشداً فى رحلته الخيالية ، وأظهر بذلك أنه لم يستطع أن يتذوّق ما عند دانتى من فن عظيم ! . وعندما نشر كامل كيلانى رسالة الغفران للمعرى فى القاهرة سنة ١٩٣٠ ، لخص فى آخر كتابه جحيم دانتى تلخيصاً وافياً ، وأشار إلى أثر المعرّى فى دانتى ، دون أن يناقش الموضوع . وكتب محمود أحمد النشوى عشر مقالات فى مجلة الرسالة فى القاهرة سنة ١٩٣٤ ، بعنوان بين المعرّى ودانتى ، لخص فيها « الجحيم والمطهر » ، وتكلم عن بعض أوجه الشبه والخلاف بين الكوميديا والغفران . وكتب درينى خشبة ست مقالات فى مجلة الرسالة فى القاهرة سنة ١٩٣٦ ، عن دانتى والكوميديا الإلهية والمعرّى ورسالة الغفران . لخص فيها حياة دانتى ، وأشار بإيجاز إلى مؤلفاته الصغرى ، وأورد ملخصاً « للجحيم والمطهر والفردوس » وكذلك لخص الفصل السادس من إنيادة ڤرجيليو ، ونفى تأثر دانتى بالمعرى ، وأشار إلى أثر بعض الصور القرآنية والإسراء والمعراج الإسلامى فى كوميديا دانتى . ونشر عمر فرّوخ فى بيروت سنة ١٩٤٤ كتاباً عن حكيم المعرة ، أورد فى آخره فصلاً موجزاً عن دانتى والكوميديا الإلهية ، وتأثرها بالمعرّى والتراث الإسلامى . وكتب محمد مندور فى كتاب نماذج بشرية ، فى القاهرة سنة ١٩٥١ ، مقالين عن بياتريتشى ، وعالج بقلم الأديب الفنان دورها فى « الحياة الجديدة » وكيف كانت مصدر الإلهام لدانتى ، وشرح مكانتها فى « الكوميديا » وعلى الأخص فى « المطهر » وكيف أنها كانت وسيلة لبلوغ دانتى مراتب السعادة الأبدية . وكتابة محمد مندور

تدل على عُمق الفكر ورفعة الذوق ودقة الحسّ . ونشرت مجلة كتابى فى القاهرة سنة ١٩٥٣ ، ثلاث مقالات قدّمت فيها موجزاً عن حياة دانتى ولخصت « الجحيم والمطهر والفردوس » . وكتب محمود محمد الخضيرى فى مجلة رسالة الإسلام فى القاهرة سنة ١٩٥٣ ، مقالا عن أثر الإسراء والمعراج الإسلامى فى كوميديا دانتى ، بناء على نظرية آسين پلاثيوس يؤيدها إنريكو تشيرولى بكشفه الحديث عن إحدى قصص الإسراء والمعراج الإسلامى المترجمة إلى اللاتينية والفرنسية القديمة . ووضعت عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) كتاباً عن الغفران للمعرّى فى القاهرة سنة ١٩٥٤ ، أنكرت فى آخره تأثر دانتى بالإسلام عامة وبالمعرّى خاصة ، وقصرت تأثره على تراث العصر القديم والعصور الوسطى ، وإن كانت قد قستْ فى وزنها لآراء آسين پلاثيوس دون مبرّر . وهناك صفحات طيبة عن دانتى وآثاره باعتباره أحد قادة الفكر المصلحين فى كتاب هربرت فيشر عن تاريخ أوروپا ، فى القسم الثانى من تاريخ العصور الوسطى ، الذى اشترك فى ترجمته ومراجعته محمد مصطفى زيادة والسيد الباز العرينى وإبراهيم أحمد العدوى ، وطبع فى القاهرة سنة ١٩٥٤ . ونشر محمد العزب موسى فى مجلة الرسالة الجديدة فى القاهرة سنة ١٩٥٥ ، مقالا عن دانتى أليجييرى شاعر إيطاليا ، تناول فيه حياته ومؤلفاته الصغرى ولخص « الجحيم » . وفى كتاب آنخل جنثالث پالنثيا عن تاريخ الفكر الأندلسى ، الذى نقله حسين مؤنس عن الأسپانية مع الإضافة والشرح والتعليق ، فى القاهرة سنة ١٩٥٥ ، فصل عن دانتى والإسلام ، تناول شرح نظرية آسين پلاثيوس فى تأثر دانتى فى « الكوميديا » بالتراث الإسلامى الدينى والصوفى والقصصى . ولم يعتمد أغلب هؤلاء الكتاب فى دراستهم على اللغة الإيطالية مباشرة ، أو لم يعتمدوا عليها اعتماداً كافياً ، ومع ذلك فلهم فضل كبير فى محاولتهم إعطاء صورة عامة عن دانتى وآثاره . وكذلك كتب طه فوزى — وهو من خيرة العارفين باللغة والتراث الإيطالى — الكتاب العربى الوحيد — فيما أعرف حتى مايو سنة ١٩٥٥ — عن

دانتى أليجييرى فى القاهرة ١٩٣٠ . وهو كتاب موجز جيد ، أعطى فيه الكاتب صورةً واضحة عن حياة الشاعر ، وقدّم ملخصاً حسناً « للجحيم والمطهر والفردوس » ، كما أشار إلى مؤلفات دانتى الصغرى .

وهناك بعض جهود فى ترجمة بعض آثار دانتى إلى اللغة العربية . ومن ذلك ترجمة عبوّد أبى راشد « للكوميديا » نثراً بعنوان « الرحلة الدانتية فى الممالك الإلهية » فى ثلاثة أجزاء « الجحيم والمطهر والنعيم » ، ونشرها فى طرابلس الغرب ١٩٣٠ — ١٩٣٣ . ومع أن المترجم كان من العارفين باللغة والثقافة الإيطالية ، وبرغم المجهود الكبير الذى بذله فى هذه الترجمة ، فإنه لم يعبر عن لغة دانتى بأسلوب عربىّ ملائم . وكذلك ترجم أمين أبو شعر « الجحيم » نثراً ، ونشره فى القدس سنة ١٩٣٨ . ولغته مقبولة ، ولكنه تصرّف فى الترجمة دون ضرورة ، واعتمد إلى حد كبير على ترجمة كارى الإنجليزية .

وقد حاولت أن أسهم فى هذا الميدان ، فنشرت مقالا عن حياة دانتى وشخصيته ، فى مجلة الكاتب المصرى فى القاهرة سنة ١٩٤٨ . وترجمت فصولا تتناول بعض شخصيات جحيم دانتى مع التحليل والتعليق ، نشرت فى مجلة كلية الآداب بجامعة (القاهرة) ١٩٤٩ — ١٩٥٠ . وأخيراً قمت بهذه الترجمة « للجحيم » .

هذه جهود قليلة جدًّا فى هذا المجال ، ومع ذلك فهى أفضل من لا شىء . ولعله يأتى يوم قريب أو بعيد ، يدرك فيه الناطقون بالضاد أهمية دراسة دانتى وآثاره ، لا سيما إذ كان أسلافنا فى الجنس واللغة والدين والعلم قد أثّروا ، ولو بطريق غير مباشر ، فى بعض إنتاجه العظيم . وجدير بنا أن يظهر فينا من يتتبع هذه العلاقة المثمرة ، كما فعل بعض علماء الغرب . وفضلا عن ذلك فإن دانتى ثروة إنسانية هائلة ، إذْ مهد للخروج من العصور الوسطى إلى عصر النهضة والعصر الحديث ، وأفاد منه أهل الغرب — بل والشرق أيضاً كاليابان — على اختلاف لغاتهم . ودانتى — كما رأينا وكما سنرى بقراءته — ينشر العلم ،

ويصقل النفس ، ويربى الذوق ، ويعلم السياسة ، ويؤيد العدالة والحرية ، ويقوّى الروح المعنوية ، ويدعو إلى التضحية والوطنية ، ويزرع الإيمان والصفاء والأمل ، ويحلق فى أجواز من السعادة الروحية ، ويخلق فنًّا رائعاً لا يدانيه فيه إنسان . وجديرٌ بنا أن نشارك فى الإفادة بهذا التّراث الإنسانى العظيم ، ونسهم فى دراسته وتعميمه بين قراء اللغة العربية .

وبعد ، فهذه نواح من دانتى : عن عصره ، وحياته وشخصيته ، ومؤلفاته الصغرى ، « والكوميديا » ، وبعض الدراسات الدانتية . ولم أقصد فى هذه المقدمة أن أفصل وأوفى كل ناحية حقها من البحث والاستقصاء ، بل قصدت أن أقدّم من المعلومات ما قد يساعد القارئ العربىّ — ويساعدنى أيضاً — على فهم ترجمة « الجحيم » واستيعابها ، ولعلى أكون قد بلغتُ بذلك بعضَ ما راودنى من أمل .

النشيد الأول

الجحيم

الأنشودة الأولى (١)

أفاق دانتى فى منتصف طريق حياته فوجد نفسه فى غابة مظلمة ضالا سواء السبيل ، حيث قضى ليلة فى عذاب شديد . ومع ذلك اعتزم أن يقص علينا ما لقيه فيها من خير وشر . تقدم دانتى فرأى جبلا أضاءت الشمس قمته ، فاتجه نحوه محاولا أن يرتقيه . ولكن اعترض طريقه ثلاثة وحوش ، رمز الخطايا التى تحيد بالبشر عن الطريق القويم ، فتولاه رعب شديد ، وأوشك أن يرجع القهقرى . وفى لحظة يأسه ظهر أمامه شبح بدا من طول صمته أبحّ الصوت ، وكان ذلك شبح ڤرجيليو شاعر اللاتين . علا وجه دانتى الحياء ، عندما أدرك أنه أمام ذلك الروح العظيم . عطف ڤرجيليو على دانتى وأزال مخاوفه ، وأوضح له أن من المتعذر عليه سلوك الطريق الذى أراده لارتقاء ذلك الجبل ، ما دامت هذه الوحوش واقفة له بالمرصاد ، ولم تظهر بعدُ القوّة التى سوف تقضى عليها ، وتنقذ إيطاليا المهيضة . وأشار إلى أنه لابد من اتباع طريق آخر ، حتى يرى فى الجحيم نفوس الآثمين يلقون صنوف العذاب ، ويدرك أصل الشقاء فى الدنيا ، ويشهد فى المطهر عذاب النفوس التائبة التى تأمل بلوغ الفردوس بعد تطهرها ، وقال إنه بعد اجتياز الجحيم والجانب الأكبر من المطهر سيتركه فى رعاية من هو أجدر منه بالصعود إلى مدارج الفردوس . وتقدّم ڤرجيليو إلى الأمام وسار دانتى من ورائه .

١ فى منتصف طريق حياتنا[٢] ، وجدتُ نفسى فى غابة مظلمة ٍ ، إذْ ضللتُ سواءَ السبيل[٣] .

٤ آه ، ما أصعب وصف هذه الغابة الموحشة الكثيفة القاسية ، التى تُجدّد ذِكراها لىَ الخوف[٤] !

٧ إنها شديدة المرارة حتّى لا يكاد الموت يزيد عنها ، ولكن لكى أتناول ما وجدتُ هناك من خير[٥] ، سأتكلم عن أشياء أخرى رأيتها فيها[٦] .

١٠ لا أحسن أن أقول كيف دخلتها ، فقد كنت مُثقلاً بالنوم فى اللحظة التى حِدْتُ فيها عن طريق الصواب[٧] .

١٣ ولكن بعد أن بلغتُ أسفل تلٍّ[٨] ينتهى عنده ذلك الوادى ، الذى مزق مرآه قلبى من الخوف ،

١٦ نظرتُ إلى أعلى ، ورأيتُ سندَيه وقد كستهما أشعة الكوكب الذى يهدى الناسَ فى كلّ طريق[٩] ،

١٩ عندئذ هدأ قليلاً الخوف الذى بقى فى بحيرة قلبى[١٠] طوال الليلة التى قضيتها فى أسىً شديد .

٢٢ وكَمنْ خرج لاهثً الأنفاس من البحر إلى الشاطئ ، فيلتفتُ إلى المياه الرّهيبة ، ويتأمل[١١] ،

٢٥ هكذا التفتتْ روحى إلى الوراء وكانت لا تزال لائذةً بالفرار[١٢] ، لكى تُحملق فى الطريق الذى لم يدَعْ أبداً إنساناً حيّاً[١٣] .

٢٨ وبعد أن أرَحتُ قليلاً جسدىَ المكدود ، عدْتُ إلى المسير فى المرتقى القفر[١٤] ، وكانت قدمى الثابتة هى السفلى دواماً[١٥] .

٣١ وانظرْ ، عند وَشك بداية المرتقى فهدةً[١٦] خفيفةً سريعةَ الحركة ، كانت مغطاةً بجلد أرقط .

٣٤ لم تبتعد من أمام وجهى بل عاقت طريقى طويلاً ، حتّى اتجهتُ مرات عديدةً لكى أرجع القهقرى .

٣٧ كان الوقت أوّل الصباح ، وقد صعدتْ الشمس إلى أعلى مع تلك النجوم[١٧] ، التى صاحبتها حينما حرّك الحبّ الإلهىّ[١٨] ،

٤٠ لأوّل مرّة [١٩]، تلك الأشياء الجميلة[٢٠]؛ وهكذا كانت ساعة النهار والفصل الحبيب سبباً فى أن أؤمل خيراً ،

٤٣ فى ذلك الوحش ذى اللون الزاهى[٢١] ؛ ولكن ليس إلى حدٍّ يُغلب عنده ما نالنى من الخوف ، حينما رأيت أسداً بدا لى[٢٢] .

٤٦ وظهر هذا أنه قادمٌ نحوى ، برأسٍ مرفوعٍ وجوعٍ غاضبٍ ، حتّى بدا الهواء يرتعد منه .

٤٩ وذئبةٌ بدَتْ فى ضمورها مليئةً بكل الشهوات ، وقد جعلتْ كثيرين يعيشون فى شقاء [٢٣]،

٥٢ ألقتْ على عبئاً كثيراً ، بالرعب الذى شعّ من عينيها ، ففقدتُ الأملَ فى بلوغ القمة .

٥٥ وكمن يحرص على الكسب[٢٤] ، ويحين الوقت الذى يجعله يخسر، فتصبح كل أفكاره بكاءً وحزناً[٢٥] ،

٥٨ هكذا جعلنى الوحش عدوّ السلام[٢٦]، الذى دفعنى – وهو يتقدمّ نحوى – إلى الوراء قليلاً قليلاً ، حيث تصمت الشمس[٢٧] .

٦١ وبينما كنت أهبط مُندفعاً إلى الموضع الخفيض، ظهر أمام عينىّ ، مَن[٢٨] بدا لطول صمته أبحّ الصوت[٢٩] .

٦٤ ولما رأيته فى الفراغ الكبير صِحتُ به[٣٠] : « كن رحيماً بى ، كائناً مَنْ كنت ، شبحاً أو إنساناً حيًّا ! » .

٦٧ فأجابنى : « لست إنساناً ، وكنتُ من قبل إنساناً ، وكان أبواى من لمبارديا[٣١] ، وكانت مانتوا وطنهما معاً .

٧٠ وُلدتُ فى عهد يوليوس[٣٢]ولو أن هذا كان متأخراً[٣٣]، وعشتُ فى روما أيام الطيب أغسطس[٣٤] ، فى عهد الآلهة المزيّفين الكاذبين[٣٥] .

٧٣ كنتُ شاعراً[٣٦]، وتغنيتُ باسم ذلك العادل ابن أنكيسيس[٣٧]، الذى جاء من طروادة ، بعد أن التهمت النيران إليوم الشامخة[٣٨] .

٧٦ ولكن لِمَ تعود إلى مثل هذا الضيق[٣٩] ؟ ولماذا لا ترتقى الجبلَ السعيد، الذى هو لكلّ سعادةٍ مبدأٌ ومنبع ؟ » .

٧٩ أجبته بجبين علاه الحياء[٤٠] : « إذاً أفأنت حقا ڤرجيليو ، ذلك النبع الذى يفيض بالكلام نهراً كبيراً ؟

٨٢ يا مَنْ أنت لسائر الشعراء فخرٌ ونبراسٌ ، عسى أن ينفعنى الآن الدرسُ الطويل والحبّ الشديد الذى جعلنى أبحث فى كتابك[٤١].

٨٥ أنت أستاذى ومرْجعى[٤٢] ، وأنت وحدك مَنْ قبستُ عنه الأسلوبَ الجميل ، الذى أضفى علىّ المجد[٤٣].

٨٨ انظر إلى الوحش[٤٤] ، الذى أرجعنى القهقرى . أعنّى عليه أيها الحكيم الذائع الصيت[٤٥] ، لأنه يبعث الرعدةَ فى عروقى وفى نبضات القلب[٤٦] » .

٩١ أجابنى إذْ رآنى أجهش باكياً[٤٧] : « إذا أردتَ النجاة من هذا المكان الموحش ، فأجْدَى عليك أن تسلك طريقاً غيره[٤٨] ؛

٩٤ لأن هذا الوحش الذى يُبكيك ، لا يدع إنساناً يمرّ فى طريقه ، بل يُعوّقه كثيراً ، إلى أن يقتله ؛

٩٧ وله طبيعةٌ شريرةٌ ملتويةٌ هكذا ، حتى إن شهوته الجامحة لا تشبع أبداً ، ويُصبح بعد الطعام أجوع منْ ذى قبل[٤٩] .

١٠٠ والحيوانات التى يلقّحها كثيرةٌ[٥٠] ، وسيزيد عددها بعدُ ، حتى يأتى السلوقىّ[٥١] الذى سيقتله وهو فى غمرة الألم .

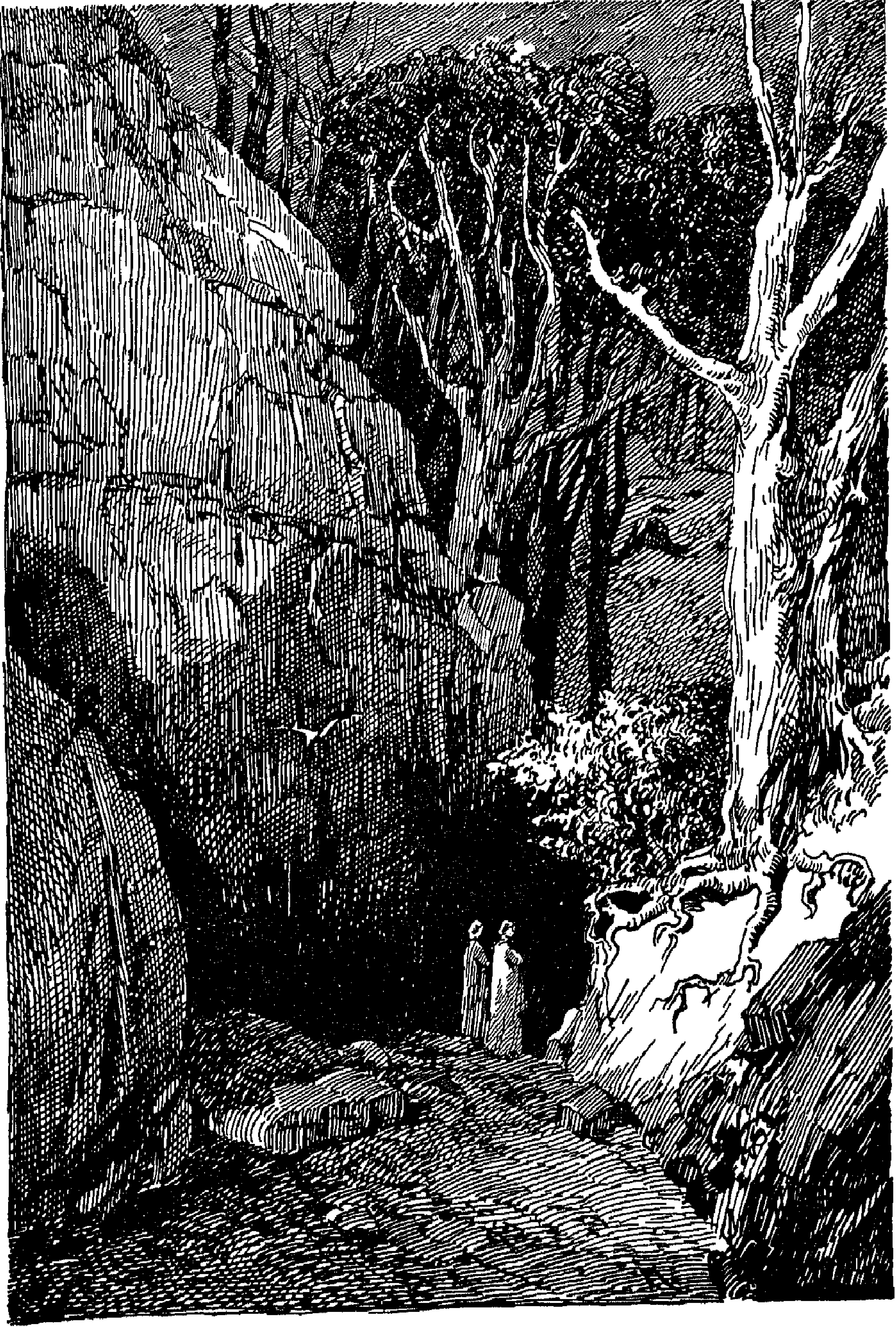
١٠٣ إنه لن يتغذّى بالأرض ولا الذهب ، ولكن بالحكمة والحبّ والفضيلة ، وسيكون شعبه بين الفِلترو والفلترو[٥٢] ؛

١٠٦ وسيكون منقذ إيطاليا المهيضة ، التى مات فى سبيلها بجراحهم كميلاّ العذراء[٥٣] ، وأويريالوس[٥٤] وتورنوس[٥٥] ونيزوس[٥٦] .

١٠٩ وسيطارده فى كلّ المدائن ، حتى يضعه من جديدٍ فى الجحيم ، الذى أطلقه الحقدُ منه قديماً[٥٧] .

١١٢ لذا أعتقد وأرى الخير لك فى أن تتبعنى ، وسأكون دليلك ، وسأخرجك من هنا خلال عالمٍ أبدىّ[٥٨] ،

١١٥ حيث ستسمع الصرخات اليائسة ، وترى النفوسَ القديمة المعذّبة[٥٩] ، تصرخ كلٌ منها طالبةً الموتة الثانية[٦٠] ؛



٣ – دانتى فى الغابة المظلمة

أنشودة ١ : ٣٦

١١٨ ثم ترى أولئك الذين يرْضَوْن بين اللهب ، لأنهم يأملون أن يأتوا يوماً إلى زُمرة السعداء[٦١] .

١٢١ فإذا أردتَ بعدئذ الصعود[٦٢] ، فستجد نفساً أخرى أجدر منى بذلك : وسأدعك فى رعايتها عند رحيلى[٦٣] ،

١٢٤ لأن الحاكم المطلق[٦٤] الذى يحكم هناك أعلى ، لا يريد أن يأتى أحدٌ عن طريقى إلى مدينته[٦٥] ، إذْ كنتُ خارجاً على شريعته[٦٦] .

١٢٧ إنه يحكم فى كلّ مكان[٦٧] ، ويسيطر هناك[٦٨] ؛ هناك عالمه وعرشه الرّفيع ، ما أسعد من اختاره إليه ! » .

١٣٠ قلتُ له : « أيها الشاعر ، إنى أستحلفك باسم ذلك الإله الذى لم تعرفه[٦٩] — ولكى تجنّبنى هذا الشرّ[٧٠] وما هو أسوأ[٧١] —

١٣٣ أستحلفك أن تقودنى إلى المكان الذى حدثتنى عنه الآن ، حتى أرى باب بطرس القدّيس[٧٢] ، وأولئك الذين تجعلهم يذوقون سوءَ العذاب[٧٣] » .

١٣٦ عندئذ تحرّك هو ، وبقيتُ من ورائه[٧٤] .

حواشى الأنشودة الأولى

(١) الأنشودة الأولى مقدمة الكوميديا ، وتوضح خطتها العامة وهدفها الأساسى ، وتشبه المقدمات الموسيقية التى تمهد للحن الموسيقى كله .

(٢) يقصد سن الخامسة والثلاثين . وعبر دانتى عن ذلك فى كتابه « الوليمة » :

Conv. IV. 23.

ولما كان دانتى مولوداً فى ١٢٦٥ فيكون قد بلغ هذا العمر فى ١٣٠٠ . يرى أغلب النقاد أن دانتى بدأ رحلته الخيالية مساء الخميس ليلة الجمعة ٧–٨ أبريل ١٣٠٠ واستغرقت الرحلة سبعة أيام .

(٣) أى أن دانتى ضل طريق الإيمان والفضيلة فى الغابة المظلمة ، رمز الحياة الآثمة .

(٤) يحاول دانتى بهذه الأوصاف أن يعطى صورة حقيقية للغابة ، وترمز إلى صعوبات الحياة وخطايا البشر .

(٥) يقصد ڤرجيليو الذى سيلاقيه عما قليل .

(٦) أى الوحوش الثلاثة التى ستعترض سبيله .

(٧) أى أن ارتكاب الخطيئة أثقل أجفانه فضل السبيل القويم . وفى الكتاب المقدس النوم رمز الخطيئة :

Isaia, XXIX. 10; Gerem. LI. 39; Rom. XIII. 11.

(٨) التل أو الجبل رمز الحياة الفاضلة ، فى مقابل الغابة رمز الحياة الآثمة . ويذكر الكتاب المقدس جبل الرب :

Gen. XXII. 14; Sal. XVI; Gerem. XXXI. 23.

وورد هذا المعنى فى التراث الإسلامى :

القرآن : البلد : ١١ – ١٦ .

ابن الليث السمرقندى : قرة العيون ومفرح القلب المحزون (مطبوع على حاشية مختصر تذكرة القرطبى للشعرانى) القاهرة ١٣٠٨ هـ . ص ٧٥ .

(٩) أى الشمس ، كما يقول بطليموس . والمقصود أمل الآثم فى أن ينال غفران الله .

(١٠) يقول النص بحيرة القلب ، والمقصود صميم القلب أو الفؤاد .

(١١) أى يتأمل الخطر الذى نجا منه وقد أوشك أن يقضى عليه .

(١٢) كان دانتى من فرط الرعب لا يزال يشعر أن نفسه تحاول الهرب .

(١٣) أى الغابة .

(١٤) هناك طريق يميل إلى الارتفاع بين الغابة والتل ، وهو رمز للطريق بين حياة الخطيئة (الغابة) وحياة الفضيلة (التل) . وهذا طريق مقفر ، لأن أفراداً قلائل يحاولون الخروج من الخطيئة إلى الفضيلة . ويشير الكتاب المقدس إلى هذا الطريق :

Matt. VII. 14 ; Rom. III. 12.

(١٥) بدأ دانتى السير فى هذا الطريق القفر المرتفع قليلا بقدمه اليسرى أى العليا ، وبذلك تكون القدم الثابتة هى القدم اليمنى أى السفلى ، وهى التى يعتمد عليها فى تحريك القدم اليسرى .

(١٦) الفهدة رمز ملذات الجسد .

(١٧) يقال إن الشمس كانت فى برج الحمل عند بدء الخليقة . والمقصود ليلة ٧ – ٨ أبريل ١٣٠٠ .

(١٨) أى الله ذاته .

(١٩) أى عند ما بعث الحب الإلهى أولى نبضات الحياة فى الكواكب والنجوم ، عن طريق الملائكة .

(٢٠) تسمى الكواكب والنجوم بالأشياء أو الكائنات الجميلة لأنها من أعجب ما فى الوجود .

(٢١) يؤثر منظر الطبيعة زمن الربيع فى نفس دانتى ، فيبدد مخاوفه ويبعث فى نفسه الرجاء .

(٢٢) الأسد رمز الكبرياء .

(٢٣) الذئبة رمز الجشع . وترمز الوحوش الثلاثة إلى الخطايا التى تبعد الإنسان عن الحياة الفاضلة ، وكانت الحيوانات المفترسة تربى فى العصور الوسطى فى قصور النبلاء وأمام دور الحكومة وتوجد صورة مشابهة للمعنى الذى قصد إليه دانتى فى الكتاب المقدس :

Gerem V 6.

ووردت صور الوحوش ، مع اختلاف الوضع ، فى التراث العربى الإسلامى مثل : أبو العلاء المعرى : رسالة الغفران : تحقيق وشرح عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) القاهرة ١٩٥٠ ص : ٢١٤ ، ٢١٦ .

وجاء فى بعض صور المعراج الإسلامى ، عقبات فى صور أصوات تعترض رحلة النبى محمد إلى السماء ، وكانت مترجمة إلى اللاتينية والفرنسية القديمة فى عهد دانتى ، كما ورد فى كتاب تشيرولى :

Cerulli, E. : Il Libro della Scala e la Questione delle Fonti Arabo-Spognole della Divina Commedia. Roma, 1949. pp. 44-47.

(٢٤) يوازن دانتى بين من يحرص على الكسب فيخسر كل شىء ويناله الأسى والحزن ، وبين نفسه عندما كان يأمل الوصول إلى قمة التل ، ففقد هذا الأمل بظهور الوحوش الثلاثة .

(٢٥) أى أنه يبكى دون دمع ، وهذا منتهى الألم .

(٢٦) يفسر ما سيرون تعبير (sanza pace) بعدو السلام ويرى غيره أنه يعنى من لا يعرف السلام أو العديم السكون .

(٢٧) أى فى الغابة التى يسودها الظلام .

(٢٨) هذا هو مارو پوبليوس ڤرجيليوس (٧٠ – ١٩ ق. م . Maro Publius Virgilius) ولد على مقربة من مانتوا ، وعاش فى كريمونا وميلانو وروما . ودرس الخطابة والفلسفة والأدب . وأصبح من المقربين إلى أغسطس قيصر . ودفن على مقربة من ناپلى . وهو من أعظم شعراء اللاتين ، ويمثل العصر الذهبى . ومن مؤلفاته الإنيادة (Æneid) وأناشيد الرعاة (Georgics) . درس دانتى آثار ڤرجيليو واستمد من صوره وخياله وفنه ، ومن فكرته عن زيارة الجحيم . اتخذ دانتى من ڤرجيلو دليلا له فى الجحيم وأكثر المطهر ، وكان له بمثابة القائد والدليل والمعلم والحكيم

والأب العطوف ، فساعده على اختراق الصعاب وأنقذه من الخطر ، وشجعه وعمله ، وجعل دانتى من ڤرجيليو صورة من نفسه تتجاوب أفكارهما فى هذه الرحلة الخيالية .

وفكرة دانتى عن ڤرجيليو كدليل له تشبه عند ڤرجيليو الكاهنة العجوز التى أرشدت إينياس عند هبوطه إلى الجحيم :

Viriglius : Æneid, VI.

ويشبه هذا بعض ما ورد فى تراث المسيحية فى العصور الوسطى مثل رؤيا القديس بولس :

Miguel Asin Palacios : Islam and the Divine Comedy. Eng. Trans. by H. Sunderland. London, 1926. p. 183.

وهناك شبه أيضاً بهذه الناحية فى التراث الإسلامى مثل ما جاء فى المعراج المشار إليه ، حيث كان جبريل يقود النبى محمد ، وتقترب طريقة الشرح والحديث المتبادل فى المعراج النبوى من رفقة دانتى وڤرجيليو :

Cerulli (op. cit.) p. 158, 166, 174, 181, 192.

(٢٩) أصبح ڤرجيليو منسياً فى العصور الوسطى ، ولذلك بدا أنه لا يكاد يسمع له صوت .

(٣٠) ما إن رأى دانتى شبحاً أمامه حتى صاح به مستغيثاً .

(٣١) لم يذكر ڤرجيليو اسمه ، بل ترك هذا لدانتى واكتفى بذكر وطنه . وهذه طريقة لإثارة رغبة القارىء فى المعرفة ، وإشراكه فى التفكير والإحساس بالقصيدة . ويلاحظ أن هناك خطأ تاريخيا ، لأن اسم لمبارديا لم يكن معروفاً فى زمن ڤرجيليو ، وعرفت لمبارديا باسمها بعد ذلك بخمسة قرون : عند غزو اللنجوبارد لشمالى إيطاليا .

(٣٢) يوليوس قيصر (١٠٠ — ٤٤ ق . م . Julius Caesar) من أعظم قواد الرومان وأصبح قنصلا ، وجعله فتح بلاد الغال معبود الشعب الرومانى ، وخرج عليه پومپى وانتهت الحرب بينهما بانتصار يوليوس قيصر فى موقعة فارساليا ووصل قيصر إلى مصر ، وأصبح دكتاتوراً فى روما فتآمر عليه أنصار الجمهورية وقتلوه .

(٣٣) ولد ڤرجيليو فى ٧٠ ق . م . وتوطد سلطان قيصر متأخراً .

(٣٤) أغسطس قيصر (٦٣ ق . م . — ١٤ م .Augustus Caesar) أصبح أحد أعضاء حكومة روما الثلاثية بعد مقتل يوليوس قيصر . وهزم ماركوس أنطونيوس وكليوپاترا ملكة مصر فى موقعة أكتيوم . ويعتبر عصر الأمبراطور أغسطس العصر الذهبى لروما . وهو معاصر لڤرجيليو ، ونقل قبره من برنديزى إلى قرب ناپلى .

(٣٥) أى فى عهد الوثنية الرومانية القديمة .

(٣٦) أهم صفة فى ڤرجيليو هى شاعريته .

(٣٧) هو إينياس (Aeneas) بن أنكيزيس (Anchises) ملك الدردانيين وأحد أبطال حرب طروادة . وقدم إلى إيطاليا بعد خراب طروادة . ويعتبره دانتى — والأساطير القديمة — مؤسس الأمبراطورية الرومانية . وكتب ڤرجيليو الإنيادة عنه .

(٣٨) إليوم (Ilium) قلعة طروادة فى آسيا الصغرى ، التى هدمها الإغريق بعد حصار دام ١٠ سنوات فى القرن ١٢ ق . م .

(٣٩) أى الغابة المظلمة .

(٤٠) تولى دانتى الخجل عند مواجهة هذا الشاعر العظيم فجأة .

(٤١) يقصد الإنيادة (Æneid) وهى أهم آثار ڤرجيليو . وتتكون من أكثر من ١٠,٠٠٠ بيت من الشعر ، وتروى أسطورة إينياس ، وتقص مخاطراته ووصوله إلى قرطاجنة وقصته مع ديدو الملكة ، وهبوطه إلى عالم الجحيم ، وإقامته مستعمرة فى لاتيوم بإيطاليا ، التى تعتبر أصل الدولة الرومانية . ويمتاز أسلوب ڤرجيليو بالنقاء والسلاسة ودقة التعبير ، وصورة حية غنية تمثل الأساطير والقصص والحياة والطبيعة وما بعد الحياة ، واستمد منه دانتى مادة دسمة .

(٤٢) أى المؤلف الذى كان له عليه أعظم الأثر .

(٤٣) هذا اعتراف دانتى بالجميل .

(٤٤) أى الذئبة .

(٤٥) الحكيم من ألقاب الشعراء لما كسبوه من التجربة والعلم .

(٤٦) هكذا بلغ الخوف والفزع بدانتى .

(٤٧) لم يستطع دانتى المرهف الحس سوى البكاء من فرط الخوف .

(٤٨) أى يتبع طريق الجحيم والمطهر لكى يبلغ السعادة العلوية .

(٤٩) لا يشبع الوحش المفترس أبداً ، ولا يزيد على الطعام إلا جوعاً . وفى الكتاب المقدس ما يشبه هذا المعنى : Eccles. V. 10.

(٥٠) أى أن الوحوش المفترسة سيزيد عددها وتنتشر صفة الجشع بين الناس .

(٥١) يذكر دانتى لفظ (Veltro) ومعناه كلب الصيد السلوقى . ويختلف النقاد فى تحديد المقصود بهذا اللفظ. يرى بعضهم أن دانتى قصد به كان جراندى دلا سكالا (Can Grande della Scala) أمير ڤيرونا ، الذى لجأ إليه دانتى بعض الوقت . ويرى بعض أنه الأمبراطور هنرى السابع الذى قدم إلى إيطاليا فى ١٣١٢ ليحقق السلام ، ويقول آخرون إن المقصود به أحد البابوات المصلحين أو الروح القدس . وهذا يعنى أية قوة يمكنها أن تعيد السلام إلى إيطاليا المهيضة .

(٥٢) يختلف النقاد فى تفسير لفظ (Feltro) . يرى بعض أن المقصود به جبل فلترو فى منطقة البندقية ، أو مونتفلترو فى إقليم رومانيا بإيطاليا . ويعتقد بعض أنه يعنى القماش الخشن رداء الزاهدين الصالحين .

(٥٤) العذراء كميلا (Cammilla) ابنة ملك الڤولشى بإيطاليا ، التى ماتت وهى تقاتل الطرواديين كما ذكر ڤرجيليو فى الإنيادة :

Virg. Æn. XI. 759 ...

(٥٣) أويريالوس (Euryalus) طروادى مات وهو يقاتل الفولشى :

Virg. Æn. IX. 179 ...

(٥٥) تورنوس (Turnus) ملك الروتيلى فى إيطاليا ، قتله إينياس :

Virg. Æn. XII. 919 ...

(٥٦) نيزوس (Nisus) بطل طروادى مات وهو يقاتل الڤولشى وكان مع أويريالوس فى رحلة إينياس إلى إيطاليا :

Virg. Æn. IX. 179 ...

(٥٧) أى أن الشيطان بعث الحسد من الجحيم إلى الدنيا لإغراء الناس وإفسادهم .

(٥٨) أى سيقوده خلال الجحيم الذى سيلقى فيه الآثمون العذاب الأبدى .

(٥٩) أى نفوس الآثمين قبل دانتى الذين يلقون العذاب فى الجحيم منذ بداية الخلق .

(٦٠) الموت الأول عنده هو موت الجسد فى الأرض . والموت الثانى هو موت الروح الذى تطلبه النفوس المعذبة ، لكى تتخلص آلامها الهائلة فى الجحيم .

(٦١) أى نفوس المعذبين فى المطهر ، الذين يعذبون مؤقتاً وسينتقلون بعد تطهرهم إلى الفردوس .

(٦٢) أى الصعود إلى الفردوس .

(٦٣) يقصد بياتريتشى .

(٦٤) فى الأصل لفظ أمبراطور ، أى الله .

(٦٥) المدينة هنا يعنى الفردوس . يشبه هذا ما جاء فى الكتاب المقدس :

Ebrei, XI. 10, 16; Apocal. XXII. 14.

(٦٦) مات ڤرجيليو وثنياً ولذلك فهو خارج على المسيحية .

(٦٧) أى فى العالم كله .

(٦٨) أى فى الفردوس . وجاء هذا المعنى فى الكتاب المقدس :

Isaia, LXVI. 1; Reg. VIII. 27.

(٦٩) لا يقبل دانتى اقتراح ڤرجيليو فحسب ، بل يستحلفه بالله أن ينفذه فوراً .

(٧٠) أى الخطيئة فى الدنيا .

(٧١) أى عذاب الجحيم .

(٧٢) أى باب المطهر : Purg. IX. 76 ...

(٧٣) يقصد المعذبين فى الجحيم .

(٧٤) هذا تعبير عن مكانة ڤرجيليو عند دانتى واحترامه إياه .

الأنشودة الثانية (١)

أخذ الليل يرخي سدوله ، وسكنت كائنات الأرض واستراحت من عنائها ، بينما ظل دانتي يستعد وحده لملاقاة أعباء رحلته التي تكتنفها الصعاب ، وساوره الشك في مقدرته على احتمال مشقات الطريق ، وطلب إلى ڤرجيليو أن يتأكد من قدرته على احتمال أهوال الرحلة ، وذكر رحلة إينياس والقدّيس بولس إلى العالم الآخر من قبل ، وقارنهما بشخصه فخانته قواه ، وآثر العدول عن هذه الرحلة الشاقة . ولكن ڤرجيليو أخذ يزيل مخاوفه ، وعمل على إعادة الثقة إلى نفسه ، وقصّ عليه كيف أن بياتريتشي عندما علمت بما أحاط به من الصعاب هبطت إليه من السماء وسألته أن يسارع إلى نجدة دانتي . وكان ڤرجيليو مستعداً لتلبية أمرها ولكنه سألها كيف تركت السماء إلى هذه الهاوية ، فأخبرته بما كان من وقوف العذراء ماريا على ما أصاب دانتي من المخاطر ، فنادت لونشيا ، وخرجت بذلك على قوانين السماء وأعلمتها بالأمر ، فانتقلت لونشيا إلى مكان بياتريتشي ، وسألتها أن تعمل على إنقاذ دانتي الذي أخلص لها الحب . وبينما كانت بياتريتشي تقصّ على ڤرجيليو هذا الخبر ، اغرورقت عيناها بالدمع ، فما كان من ڤرجيليو إلا أن سارع إلى نجدة دانتي . وما زال ڤرجيليو بدانتي حتى بدّد مخاوفه ، وعادت إليه شجاعته وثقته بنفسه ، فتجدّدت رغبته في القيام بهذه الرحلة الخطرة ، ومضى دانتي في رفقة دليله وأستاذه تحدوهما رغبة واحدة .

١ كان النهار آخذاً فى الزّوال ، وأراح الهواء القاتم[٢] كائنات الأرض
من متاعبها[٣] ، وكنتُ وحدى

٤ استعدّ لاحتمال حرب تُثيرها الرحلة[٤] ويبعثها الأسى ، وهذا ما
سيرويه عقلى الذى لا يُخطئ[٥] .

٧ يا ربات الشعر ، يا أيتها العبقرية العليا ، الآن ساعدْنى !
وأنت أيتها الذاكرة التى سجلتْ ما رأيتُ ، هنا سيظهر نبلك !

١٠ بدأتُ : « أيها الشاعر الذى تقودنى : اختبرْ طاقتى ، أهى قويّةٌ ،
قبل أن تعهد بى إلى الخطوة العالية[٦] !

١٣ تقول إن أبا سيلفيوس[٧] ، ذهب بجسمه إلى العالم الخالد ، وهو
ما يزال إنساناً فانياً .

١٦ ولكن إذا كان عدوّ كلّ شرٍّ[٨] رقيقاً معه ، وهو يفكّر فى طبيعة العمل
العظيم الذى كان ينبغى أن يصدر عنه ، ونوعه ،

١٩ فلا يبدُوَنّ هذا غريباً على إنسان يفهم ؛ لأنه اختير فى السماء
العليا ، لكى يكون أباً لروما المجيدة وأمبراطوريتها :

٢٢ وهذا[٩] وتلك[١٠] ، ليقال الحق ، قد خُصِّصا للمكان المقدّس[١١] ،
حيث يجلس خليفة بطرس الأعظم .

٢٥ وخلال هذه الرحلة ، التى من أجلها أكسبتَهُ المجد ، أدركَ أموراً
كانت سبباً فى إحرازه النصر[١٢] وفى الرّداء البابوىّ .

٢٨ ثم ذهب هناك[١٣] الإناء المختار[١٤] ، ليحمل إلينا الثقة فى ذلك
الإيمان ، الذى هو بدايةٌ نحو طريق الخلاص .

٣١ ولكن لمَ أذهبُ هناك ؟ ومَنْ ذا الذى يمنحنى هذا ؟ إنى لست
إينياس ولا بولس . لا أنا ولا غيرى يعتقد أنى بهذا جدير[١٥] .

٣٤ ولذا إذا استسلمتُ لك فى المسير ، أخشى أن يكون ذهابى جنوناً :
إنك حكيم ، وتفهمنى خيراً مما أتكلم[١٦] » .

٣٧ وكالذى يرغب عما كان يرغب فيه ، وبأفكار جديدةٍ يغيّر
قصدَه ، حتى يصْدف تماماً عما كان فيه بادئاً[١٧] ،

٤٠ كذلك أصبحتُ على الشاطئ المظلم ، لأنى عدلتُ — وأنا أفكر — عن المخاطرة التى كانت سريعةً فى بدايتها .

٤٣ أجابنى شبح ذلك العظيم : « إذا كنتُ قد أحسنتُ فهمَ كلامك ، فإن نفسكَ يشينها الخوَرُ ،

٤٦ الذى يُسيطر على الإنسان كثيراً ، حتى يصرفه عن جلائل الأعمال ، كما يُخطئ الحيوان النظرَ حينما يجفل[١٨] .

٤٩ ولكى تحرّر نفسك من هذا الفزع ، سأقول لك لِمَ أتيتُ ، وماذا سمعته ، فى أوّل لحظةٍ تألمتُ فيها من أجلك[١٩] .

٥٢ كنتُ بين أولئك المعلّقة نفوسهم[٢٠] ، وناد تنى سيدةٌ جميلةٌ مباركة[٢١] ، فسألتها أن تأمرنى[٢٢] .

٥٥ تألقتْ عيناها أكثر من النجم[٢٣] ، وبدأتْ تخاطبنى فى رقةٍ ولطفٍ ، وفى لغتها صوت الملائكة[٢٤] :

٥٨ " أيها الروح الكريم من مانتوا ، الذى ما تزال شهرته باقيةً فى الدنيا ، والتى ستبقى كدورة الزّمن[٢٥] ،

٦١ إن صديقى — وما هو للحظّ بصديق — قد اعترضتْه صعابٌ فى الطريق على الشاطئ القفر ، فارتدّ من الرُعب إلى الوراء ؛

٦٤ وأخشى ألا يكون ضلاله قد بلغ حدّاً ، يجعل نهوضى لنجدته متأخّراً ، حسبما سمعتُ عنه فى السماء[٢٦] .

٦٧ تحرّكْ الآن ، وعاونه بكلامك الفصيح ، وبما هو ضرورىٌ لنجاته ، حتى أصبحَ بذلك راضية النفس[٢٧] .

٧٠ أنا بياتريتشى ، التى أبعثك إليه ، إنى آتيةٌ من مكان أرغب فى العودة إليه ؛ لقد حرّكنى الحبّ الذى يجعلنى أتكلم[٢٨] .

٧٣ وحينما أصبح فى حضرة المولى ، سأطنب لديه فى مديحك[٢٩] " . وعندئذٍ سكتتْ عن الكلام ، فبدأتُ :

٧٦ " ياسيدة الفضائل[٣٠] ، التى بفضلها وحده[٣١] يسمو الجنس الإنسانى على كلّ ما تحويه السماء ذات الحلقات الصغريات[٣٢] ،

٧٩ إن أوامرك تُسعدنى كثيراً ، وحتّى لو كنتُ قد أطعتك فعلاً لبدوتُ متأخراً ؛ وليس لكِ سوى الإفصاح عن رغبتك[٣٣].

٨٢ ولكن أخبرينى عن السبب فى أنك لا تحذرين الهبوط إلى هذا المركز هنا أسفل[٣٤] ، من المكان الفسيح الذى تتحرّقين شوقاً للعودة إليه[٣٥] " .

٨٥ فأجابتنى : " مادمتَ تحرص على المعرفة إلى هذا الحدّ ، فسأخبرك بكلماتٍ وجيزةٍ ، لِمَ لا أخشى الدخول هنا .

٨٨ يجب أن نخشى — حسبُ — تلك الأشياء التى لها القدرة على الإضرار بالناس ؛ أما غيرها فلا ؛ لأنها لا تبعث الخوف[٣٦].

٩١ لقد خلقنى الله برحمته بحيث لا يمسنى من بؤسكم أثر[٣٧] ، ولا ينالنى من هذه النيران لهيبٌ[٣٨].

٩٤ فى السماء سيدةٌ رقيقةٌ تتألّم لهذه العقبة[٣٩] التى أبعثك من أجلها ، وبذلك خرجتْ على الحكم الدقيق فوق .

٩٧ نادتْ لوتشيا[٤٠] ، لكى تُلبى أمرها وقالت : " — إن المخلص لك محتاجٌ إليك الآن[٤١] ، وإنى أوصيك به خيراً " — .

١٠٠ فنهضت لوتشيا ، عدوّة كلّ غليظ القلب[٤٢] ، وجاءت إلى الموضع الذى كنتُ فيه جالسةً مع راحيل القديمة[٤٣] .

١٠٣ وقالت : " بياتريتشى ، يا مجدَ الله الحقّ ، لِمَ لا تُسعفين ذلك الذى أحبك كثيراً ، حتى خرج فى سبيلك من غمار الناس[٤٤] ؟

١٠٦ ألا تسمعين الأسى فى بكائه ؟ ألا ترين الموتَ الذى يصارعه فوق نهرٍ ، لا يبزّه البحر فى أهواله[٤٥] ؟ " .

١٠٩ لم يسارع أبداً فى الدنيا قومٌ إلى خيرهم ، ولم يتجنبوا أذًى يصيبهم ، كما فعلتُ بعد النطق بهذه الكلمات[٤٦].

١١٢ فجئتُ هنا — أسفل — من مقرّى السعيد ، وقد وضعتُ ثقتى فى كلامك الأمين ، الذى يشرّفك ويشرّف مَنْ سمعوه».

١١٥ بعد أن قالت لى هذه الكلمات ، لفتتْ نحوى عينيها المتألقتين بالدمع (٤٧)، فجعلتنى بذلك أسرعَ إلى المجىء .

١١٨ وهكذا أتيتُ إليك كما رَغبتْ ، وأخذتكَ من أمام ذلك الوحش، الذى منعك من سلوك الطريق القصير إلى الجبل الجميل (٤٨) .

١٢١ ما الأمر إذاً ، ولماذا ، لماذا تتوقّف ؟ لِمَ يسكن قلبكَ كل هذا الخوَر (٤٩) ؟ ولِمَ تُعوزك الشجاعة والعزم ،

١٢٤ ما دام مثل هؤلاء السيدات المباركات الثلاث ، يرعين أمرك فى ساحة السماء (٥٠)، وتعدُكَ كلماتى بخيرٍ عميم ؟ » .

١٢٧ وكما تنحنى صُغريات الزهور بصقيع الليل وتضمّ أكمامها، ثم تقف على سيقانها وقد تفتحت كلها، حينما تكسوها الشمس اللونَ الأبيض (٥١)،

١٣٠ هكذا صنعتُ بشجاعتى الواهنة ، وسرَتْ فى قلبى شجاعةُ الشجعان، حتى بدأتُ — كانسانٍ تحرّر من الخوف (٥٢) :

١٣٣ « إيه أيتها الرحيمة التى عاونتنى ، وأنت أيها الكريم الذى أطعتَ سريعاً كلمات الصدق التى أفضَتْ بها إليك (٥٣) !

١٣٦ لقد وجهتَ قلبى بكلماتك إلى الرغبة فى المسير ، وبهذا رجعتُ إلى قصدىَ الأوّل (٥٤) .

١٣٩ الآن سرْ ، فإن لكلينا رغبةً واحدة (٥٥) : يا دليلى (٥٦)، وسيدى (٥٧)، وأستاذى (٥٨)» . هكذا خاطبتُه ، ولما تحرّك للمسير

١٤٢ دخلتُ الطريقَ الوعر القاسى (٥٩) .

حواشي الأنشودة الثانية

(١) الأنشودة الثانية بمثابة مقدمة للجحيم .

(٢) كان مساء ٨ أبريل قد أوشك على الحلول .

(٣) يضع الليل حداً لمتاعب النهار ومشاغله .

(٤) أعطى الليل الفرصة لدانتي للتفكير فيما هو مقبل عليه ، وكيف يتغلب على مشقات الرحلة

(٥) هكذا كان دانتي واثقاً بعقله الذي لا يخطىء .

(٦) يساور دانتي الشك في قدرته على مواجهة الصعاب المقبلة ، ويحاول أن يستمد الثقة من أستاذه .

(٧) يقول ڤرجيليو في الإنيادة إن إينياس والد سيلڤيوس هبط إلى الجحيم وكان لا يزال إنساناً حياً :

Virg. Æn. VI. 763-766.

(٨) أي الله .

(٩) أي الأمبراطورية .

(١٠) يعني روما .

(١١) يقصد الڤاتيكان ، مقر البابوية .

(١٢) عرف إينياس بن أنكيسوس عظمة السلالة التي سيؤسسها ، كما جاء في الإنيادة :

Virg. Æn. VI. 756-892.

(١٣) أي ذهب إلى السماء .

(١٤) الإناء المختار هو القديس بولس كما ورد في الكتاب المقدس :

Apos. IX. 15.

ولد بولس في طرسوس حوالي ٣ م . ويقال إنه قتل في روما حوالي ٨٦ م . وله رحلة إلى العالم الآخر وضعت في القرن ٤ م . ودخلت عليها تعديلات وإضافات حتى القرن ١٣ م . ويشير إليه دانتي في الفردوس :

Par. XXI. 127; XXVIII. 138.

(١٥) يقول دانتي إنه غير جدير بمثل هذه الرحلة ، ويراوده الشك في مقدرته على القيام بها .

(١٦) هكذا يحلل دانتي نفسه ويشرح ما خالجه بشأن الرحلة في صدق وبساطة .

(١٧) يعبر دانتي عما أصابه من التردد .

(١٨) يوازن دانتي بين صفات الإنسان والحيوان . وهو بذلك يمهد — بالشعر — الطريق أمام رجال الأدب والفن في عصر النهضة ، الذين سيمزجون في كتاباتهم وصورهم بين المعاني والصفات التي يستخلصونها من الإنسان والحيوان . ويحاول فرجيليو بهذا الكلام أن يزيل مخاوف دانتي .

(١٩) أى عند ما جاءت إليه بياتريتشى . وهذا إحساس رقيق أبداه ڤرجيليو نحو دانتى .
(٢٠) المعلقون مكانهم فى اللمبو ، وليس لهم أمل فى الصعود إلى السماء :
Inf. IV. 25-45.

(٢١) أى بياتريتشى .
(٢٢) أى أن جمالها وما عليها من أمارات السعادة أثر فى ڤرجيليو فجعله مستعداً للمسارعة إلى تلبية أوامرها .

(٢٣) يصف دانتى إشعاع العينين ويشبهه بالنجم . وهذه بداية لوصف الشاعر فى ذلك العصر لجمال المرأة .

(٢٤) يتكلم دانتى – على لسان ڤرجيليو – عن بعض صفات بياتريتشى : الوداعة والرقة والصوت الملائكى .

(٢٥) هكذا يمجد دانتى ڤرجيليو .

(٢٦) تبدى بياتريتشى جزعها بشأن دانتى ، وهذا عطف من جانبها . والعطف ليس مكانه الجحيم ، تبعاً للتقاليد المسيحية ، ولكن دانتى يخالف من وقت لآخر هذه التقاليد . ويمزج بين العطف والرحمة والجحيم ، وهو بذلك يحاول التوفيق بين السماء والأرض وبين الجحيم والفردوس . وهذا خروج على تقاليد العصور الوسطى وأوضاعها .

(٢٧) يجعل دانتى بياتريتشى – التى لم تحفل به فى الدنيا – تهتم به فى الآخرة . وهذه سنة رجال الأدب والفن .

(٢٨) بياتريتشى (Beatrice) ابنة فولكو پورتينارى (Folco Portinari) سيدة فلورنسية أحبها دانتى فى طفولته ، ولكنها لم تحفل به ، وتزوجت من سيمون دى باردى (Simone de Bardi) وماتت فى شرخ الشباب فى ١٢٩٠ وبقيت بياتريتشى عند دانتى رمزاً للفضيلة وطريقاً للوصول إلى الله ومع هذا فإنها تظل إنساناً حياً . ويتضح ذلك فى مواقف عديدة من الكوميديا . استمد دانتى صورتها من الواقع ومن الخيال ، من الأرض والسماء . وستأتى دراستها فى الفردوس الأرضى فى المطهر وفى الفردوس ، إن شاء الله .

(٢٩) ستذكر بياتريتشى فضائل ڤرجيليو فى حضرة الله لكى يمنحه الرحمة .
(٣٠) يسمى دانتى بياتريتشى ملكة الفضائل فى « الحياة الجديدة » و « المطهر » :
V.N. X. 2; Purg. XXXI. 107-109.

(٣١) أى عن طريق الحب والحكمة التى تثيرها بياتريتشى فى قلب الإنسان فترفعه فوق سائر الكائنات .

(٣٢) سماء القمر أقرب السموات إلى الأرض ولذلك فهى عند دانتى السماء ذات المحيط الأصغر . والمقصود بهذا الأرض وما حولها .
(٣٣) أى أن رغبتها بمثابة أمر عنده .
(٣٤) أى الجحيم .
(٣٥) أى الفردوس .

(٣٦) هذه فكرة أرسطو فى كتابه عن الأخلاق :

Aristotle, Etica, III.

(٣٧) أى بؤس المعلقين فى اللمبو .

(٣٨) أى نيران الجحيم .

(٣٩) يعنى العذراء ماريا .

(٤٠) هى القديسة لوتشيا (Lucia) التى عاشت فى سيراكوزا فى عهد الأمبراطور دقلديانوس فى القرن الثالث الميلادى .

(٤١) اشتهر لوتشيا بأنها شفيعة مرضى البصر ، وهى بذلك رمز رحمة الله التى تضىء الطريق أمام الآثمين . وكان دانتى يشكو من مرض عينيه لكثرة القراءة . ومكانها فى الفردوس :

Par XXXII 136-138.

(٤٢) هى عدوة غلاظ القلوب لأنها لقيت موتاً قاسياً .

(٤٣) راحيل (Rachele) ابنة لابانو والزوجة الثانية ليعقوب ، وأنجبت منه يوسف وبنيامين . وهى رمز لحياة التأمل . ووردت فى الكتاب المقدس :

Gen. XXIX. 15-30.

وجعل دانتى مكانها فى الفردوس :

Par. XXXII. 7-9.

(٤٤) بفضل الحب المخلص كسب دانتى من الفضائل ما جعله مختلفاً عن غمار الناس .

(٤٥) النهر ذو العواصف كالبحر ، رمز للحياة الخاطئة مثل الغابة المظلمة .

(٤٦) أى الكلمات التى قالتها لوتشيا لبياتريتشى .

(٤٧) تأثرت بياتريتشى حتى بكت من أجل دانتى فى الآخرة ، وهو الذى بكى من أجلها فى الدنيا .

(٤٨) هذه أوصاف دقيقة للإنسان فى حالات مختلفة . ويرسم دانتى بريشته صورة الإنسان الحى . وڤرجيليو يشجع دانتى ويشد من عزمه بهذه الكلمات .

(٤٩) هذه الأسئلة المتلاحقة ، مع تقريع ڤرجيليو لدانتى بسبب الخوف الذى استولى عليه ، تعطى الحرارة للموقف . وهذه هى فصاحة الشاعر .

(٥٠) أى العذراء ماريا ولوتشيا وبياتريتشى ، وهن فى مقابل الوحوش الثلاثة التى اعترضت طريق دانتى من قبل . تمثل ماريا الرحمة الإلهية وتمثل لوتشيا الرحمة المضيئة وتمثل بياتريتشى الحقيقة العليا ، وهذه كلها ضرورية لكى يخرج الإنسان من حياة الخطيئة ، ولأن الإنسان لا يستطيع أن يفعل ذلك بدونها . تأثر دانتى فى هذه الفكرة برأى القديس توماس الأكوينى فيلسوف العصور الوسطى فى المجموعة اللاهوتية :

Tommaso d'Aquino : Summa Theologica, Ia. IIae, CIX. 7.

(٥١) هذا وصف دقيق لبعض صور الطبيعة ، وهذه بداية للخروج على تقاليد العصور الوسطى التى لم تكن تحفل بصور الزهور والطبيعة والحياة على الأرض .

(٥٢) يعمل دانتى على إيجاد الصلة والتجارب بين الإنسان والطبيعة . وهو فى ذلك سباق على رجال الأدب والفن فى عصر النهضة .

(٥٣) يتكلم دانتى باسم الرحمة والكرم والكلمات الصادقة ، وليس هذا موضعه الجحيم ، ولكن دانتى يوفق بين الخير والشر والسماء والأرض .

(٥٤) أى بدء الرحلة مع ڤرجيليو .

(٥٥) تغلب دانتى على مخاوفه وانتهت مقاومته لڤرجيليو وبذلك أصبحت رغبتهما واحدة .

(٥٦) ڤرجيليو دليل دانتى وقائده فى الرحلة .

(٥٧) وهو سيده ، لأنه سيصدر إليه بعض الأوامر.

(٥٨) وهو أستاذه لأنه سيعلمه ويرشده ويشرح له ما غمض عليه. وهذا اعتراف دانتى بفضل ڤرجيليو عليه .

(٥٩) أى الطريق الوعر المؤدى إلى باب الجحيم .

الأنشودة الثالثة (١)

وصل الشاعران إلى باب الجحيم ، وقرأ دانتى فى أعلاه وصف ما بداخله من العذاب ، وعمل ڤرجيليو على تهدئة روع دانتى ، ودخلا معاً إلى عالم الخفايا والأسرار . سمع دانتى صرخات المعذبين وعويلهم ، وقد أحدث دوياً أشبه بعاصفة هوجاء ، فبكى من هول ما سمع . عرف دانتى أن هؤلاء هم الذين لم تكن لهم فى الدنيا الشجاعة لسلوك طريق الخير أو الشر ، فلم يعصوا الله ولم يطيعوه ، ولم يعملوا فى الدنيا إلا لمصلحتهم الذاتية ، ولذلك طردتهم السماء حتى لاينقصوا من جمالها ، ولفظتهم أعماق الجحيم حتى لا يكون لمرتكبى الآثام إلى جانبهم سبيل إلى التفاخر عليهم ، ولهذا فإنهم يبقون فى مدخل الجحيم ، وهم يحسدون الناس على الخير وعلى الشر ، ويحسدون من هم أسوأ منهم حالاً ، ولذلك فهم لا يستحقون الذكر فى الدنيا وتحتقرهم العدالة الإلهية . يطلب ڤرجيليو إلى دانتى أن يكف عن الكلام عنهم ، ويسأله أن يتابع المسير . ورأى دانتى حشداً من هؤلاء الطغام يجرون عراة الأجسام فى أوسع دوائر الجحيم ، وقد أطبقت عليهم الحشرات فتلسعهم وتُدمى وجوههم ، ويختلط دمهم بدمعهم ، ويسيل على الأرض ، فتلتهمه ديدان كريهة مزعجة عند أقدامهم ، وهذا هو جزاؤهم . ثم رأى دانتى حشداً من الهالكين عند ضفة نهر أكيرونتى ، ورأى كارون أول حراس الجحيم ، يعبر بهم النهر . واعترض كارون على وجود دانتى الإنسان الحى ، فأوضح له ڤرجيليو أن هذه هى إرادة السماء . وشعر دانتى بزلزال عنيف وهبت ريح عاتية تخللها برق ملتهب ففقد مشاعره وسقط على الأرض كمن أخذه النوم .

١ « هنا الطريق إلى مدينة العذاب ، هنا الطريق إلى الألم الأبدىّ ، هنا الطريق إلى القوم الهالكين[٢] .

٤ حرّكتْ العدالة صانعىَ الأعلى ، وخلقتنى القدرة الإلهية والحكمة العليا والحبّ الأوّل[٣] .

٧ لم يُخلق قبلى شيءٌ سوى ما هو أبدىّ[٤] ، وإنى باقٍ إلى الأبد . أيها الداخلون ، اطرحوا عنكم كلّ أمل[٥] » .

١٠ هذه الكلمات رأيتها مكتوبةً بلونٍ داكن[٦] ، فى ذروة بابٍ ، فقلتُ : « أستاذى ، إن معناها قاسٍ على نفسى[٧] » .

١٣ وأجابنى جوابَ خبيرٍ[٨] : « هنا ينبغى أن تطرح عنك كلّ شك ؛ وينبغى أن يموت هنا كلّ خورٍ[٩] .

١٦ لقد وصلنا إلى المكان الذى أخبرتُك أنك سترى فيه القومَ المعذّبين ، الذين فقدوا صوابَ العقل[١٠] » .

١٩ وبعد أن وضع يده فى يدى بوجهٍ سعيدٍ ، فهدّأ بذلك من خاطرى ، دخل بى إلى عالم الأسرار[١١] .

٢٢ دوّى هناك تنهدٌ وبكاءٌ وصراخٌ عالٍ ، فى جوٍ بغير نجوم ، فأسال ذاك لأوّل وهلةٍ مدامعى[١٢] .

٢٥ لغاتٌ غريبةٌ ، وصرخاتٌ رهيبةٌ وكلماتُ أسىً ، وصيحاتُ غضبٍ ، وأصواتٌ صمّاء عالية ، ولطمات أيدٍ تصاحبها ،

٢٨ أحدثتْ ضجيجاً يدور على الدّوام ، فى هذا الجوّ الأبدىّ الظلام ، كذرّات الرّمل حين تعصف بها زوبعة[١٣] .

٣١ قلتُ وقد حفّ برأسى الرعب[١٤] : « أستاذى ، ما هذا الذى أسمع ؟ ومَنْ هؤلاء القوم الذين يبدون وقد غلبهم الألم هكذا[١٥] ؟ » .

٣٤ أجابنى : « هذه الصورة البائسة ، تتخذها النفوس التعسة ، لأولئك الذين عاشوا دون خزْىٍ أو ثناء[١٦] .

٣٧ إنهم مختلطون بتلك الزُمرة الطالحة من الملائكة ، الذين لم يكونوا ثائرين ولا مُخلصين لله ، بل كانوا لأنفسهم (١٧) .

٤٠ طردتهم السماء كى لا ينقص جمالها ؛ ولا تقبلهم الجحيم العميقة ، حتى لا يُحرز الآثمون عليهم بعضَ الفخر (١٨) » .

٤٣ قلتُ : « أستاذى ! أىّ ألمٍ مرير يحملهم على هذا البكاء العنيف ؟ » . فأجابنى : « سأقول لك هذا بكلّ إيجاز .

٤٦ ليس لهؤلاء فى الموت أملٌ (١٩) ، وحياتهم العمياء شديدة الضعة (٢٠) ، فهم يحسدون كل المصائر الأخرى (٢١) .

٤٩ لا يدَع العالمُ لهم ذِكراً (٢٢) ، وتحتقرهم الرحمة (٢٣) والعدالة (٢٤) ، دَعنا من ذكرهم ولكن انظر واذهب » .

٥٢ وأنا الذى كنتُ أنظر، رأيتُ علماً يجرى بسرعةٍ فائقةٍ وهو يدور (٢٥) ، حتى بدا لى أنه يعاف كل سكون ؛

٥٥ وفى إثره جاء من القوم صفٌ طويلٌ ، لم أكن أعتقد أبداً أن الموت قد أهلك منهم هذا العدد (٢٦) .

٥٨ وبعد أن تعرّفتُ على بعضهم (٢٧) ، رأيتُ وعرفتُ شبحَ ذلك الذى اقترف الرفضَ الأكبر جبناً وخوراً (٢٨) .

٦١ وسرعان ما أدركتُ فى ثقةٍ ، أن هذه كانت جماعة الأشرار ، المكروهين من الله ومن أعدائه (٢٩) .

٦٤ هؤلاء التعساء الذين لم يكونوا أحياء أبداً (٣٠) ، كانوا عراةً وأمعنتْ فى لسعهم الزنابير وذباب الدوّاب الذى كان هناك .

٦٧ وأسال على وجوههم الدمَ الذى اختلط بدموعهم ، وجمعته ديدانٌ مُزعجةٌ عند أقدامهم (٣١) .

٧٠ وعندما مددتُ نظرى إلى الأمام ، رأيتُ قوماً على ضفة نهرٍ كبير (٣٢) ؛ فقلتُ : « أستاذى ، الآن دَعنى أعرف مَنْ هؤلاء وأىّ

٧٣ قانونٍ يجعلهم يبدون متهافتين على العبور هكذا ، كما أتبين في خافت الضوء » .

٧٦ أجابني : « ستصبح الأمور معروفةً لك ، حينما نوقفُ خطواتنا على ضفة أكيرونتي الحزينة[٣٣] » .

٧٩ وبطرفٍ غضيضٍ ساده الحياء ، وخشيةَ أن يَثْقُلَ كلامي عليه ، منعتُ نفسي عندئذٍ من الكلام ، حتى بلغنا ذلك النهر .

٨٢ وهناك رأيتُ شيخاً أبيض ذا شعرٍ قديم[٣٤] يأتي في سفينةٍ نحونا ، وهو يصيح[٣٥] : « ويلٌ لكما ، أيهاتان النفسان الخبيثتان !

٨٥ لا تأملا في رؤية السماء أبداً ، إني آتٍ لكي أقودكما إلى الضفة الأخرى ، في الظلمات الأبدية ، في النيران والجليد[٣٦] .

٨٨ وأنت أيها الإنسان الحيّ هنا[٣٧] ، باعدْ نفسك عن هؤلاء الموتى[٣٨] » . ولكن حينما رآني لم أحرّك ساكناً ،

٩١ قال : « بطريقٍ غيره وبموانئ أخرى ستبلغ الشاطئ ، ولن يكون هنا عبورك[٣٩] : إن زورقاً أخفّ ينبغي أن يحملك[٤٠] » .

٩٤ قال له دليلي : « لا تغضبنّ يا كارون ، هكذا أريدَ هنالك حيث يمكن أن يُفعلَ ما يراد[٤١] ، ولا تسلني على ذلك مزيداً » .

٩٧ عندئذ سكنتْ الوجنتان اللتان حفّهما الشعر[٤٢] ، من الملاح فوق المستنقع المكفهر[٤٣] ، الذي كانت حول عينيه حلقات من لهب .

١٠٠ ولكن تلك النفوس التي كانت مضناةً وعاريةً ، غيّرت لونها واصطكت أسنانها ، حينما سمعتْ الكلمات القاسية .

١٠٣ ولعنتْ الله وأهلها ، والنوعَ البشريّ ، والمكانَ والزمانَ ، وأصلَ وجودها وميلادها[٤٤] .

١٠٦ ثم تلاصقتْ كلها معاً ، وهي تبكي بمرارةٍ عند الضفة الملعونة ، التي ترتقب كل إنسانٍ لا يخاف الله[٤٥] .

١٠٩ وكارون الشيطان ، بعينين من الجمر ، يجمعهم كلهم بإشارةٍ واحدة ، ويضرب بمجدافه من يبطىء منهم[٤٦] .

١١٢ وكما تتساقط أوراق الخريف واحدةً بعد أخرى ، حتى يرى الغصنُ على الأرض كلَّ أوراقه[٤٧] ،

١١٥ كذلك تقذف سلالة آدم الخبيثة بأنفسها ، من هذه الضفة واحدةً فواحدة ، بإشارات كارون[٤٨] ، كطيرٍ سمع النداء[٤٩] .

١١٨ هكذا يسيرون على الموج الداكن ، وقبل أن ينزلوا هناك ، يتجمع هنا ثانياً حشدٌ جديد .

١٢١ قال أستاذي الرفيق : « يا بني ، أولئك الذين يموتون ، والله غاضبٌ عليهم ، يجتمعون كلهم هنا من كلِّ حدبٍ وصوب[٥٠] ،

١٢٤ وهم متحفِّزون لعبور النهر ؛ لأن العدالة الإلهية تهمزهم ، فيتحول الخوف عندهم إلى رغبة[٥١] .

١٢٧ لا تمرُّ من هنا نفسٌ طيبة أبداً ؛ ولهذا إذا كان كارون يشكو منك ، تستطيع الآن أن تعرف جيداً مغزى كلماته[٥٢] » .

١٣٠ وعندما انتهى قوله ، اهتزَّ السهل المظلم بعنفٍ هكذا ، حتى إن ذكرى ما نالني من فزعٍ ، تجعلني بعدُ أتصبب عرقاً[٥٣] .

١٣٣ لقد بعثتْ أرضُ الدموع ريحاً عاتيةً ، أبرقتْ ضوءاً قرمزيّ اللون[٥٤] ، غلب عندي كل المشاعر ،

١٣٦ فسقطتُ كرجلٍ يأخذه النوم[٥٥] .



٤ – قارب كارون

أنشودة ٣ : ٨٢ . . .

حواشى الأنشودة الثالثة

(١) الأنشودة الثالثة هى مدخل الجحيم ، وتسمى قصيدة كارونى .

(٢) يبدو تكرار أوائل الأبيات الثلاثة الأولى كأنها ضربات ناقوس رهيب . وهى ترسم بالتدريج ما وراء هذا الباب ، وتنتقل من ألم إلى ألم أشد . ويقول النص : عن طريقى أو خلالى يذهب إلى . . . .

(٣) يشبه هذا قول القديس توماس الأكوينى بأن القوة والحكمة والحب هى عناصر الثالوث المقدس :

D'Aq. Sum. Theol. I. XXXIX. 8.

(٤) يريد دانتى أن يقول إن السماء والملائكة خلقوا قبل الجحيم .

(٥) هذا من أشهر أبيات الكوميديا . وليس هناك من عذاب أشد من أن يفقد الإنسان كل أمل. وجعل دانتى باب الجحيم ينطق عما بداخله. وأخذ فكرة الكتابة فى أعلاه من شيوع الكتابات على الأبواب فى العصور الوسطى .

صنع رودان (١٨٤٠ — ١٩١٧) باب الجحيم وفى أعلاه تمثال المفكر ، وعليه أشكال من الحفر البارز تمثل بعض مشاهد جحيم دانتى ، واستغرق فى صنعه أكثر من ٣٠ سنة ، وهو موجود فى متحف رودان فى باريس .

(٦) اللون الأسود يناسب الجحيم .

(٧) أحس دانتى بقوة ما كتب على باب الجحيم .

(٨) عرف ڤرجيليو أفكار دانتى بالتجربة ، كما رأينا فى القصيدة السابقة .

(٩) يشبه هذا قول ڤرجيليو عن شجاعة إينياس :

Virg. Æn. VI. 261.

(١٠) أى الذين فقدوا معرفة الحق والله . يشبه هذا قول أرسطو بأن الحق هو غاية العقل فى كتاب الأخلاق :

Arist. Etica, VI.

(١١) وضع اليد فى اليد وإشراق الوجه من مظاهر عطف ڤرجيليو على دانتى .

(١٢) لم يستطع دانتى المرهف الحس سوى البكاء عند سماعه هذه الأصوات الأليمة ويشبه هذا ما ذكره ڤرجيليو :

Virg. Æn. VI. 665 ...

كما يشبه بعض ما جاء فى التراث الإسلامى عن عواء أهل النار :

علاء الدين المتقى بن حسام الدين الهندى : كتاب كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال . حيدر آباد ، ١٣١٢ هـ . : ص ٢٨٠ رقم ٣٠٨٩ .

(١٣) يعمل دانتى بهذا التشبيه على إيجاد الصلة والتجاوب بين الإنسان والطبيعة . وتشبه أصوات المعذبين بعض ما ذكره ڤرجيليو :

Virg. Æn. VI. 557.

(١٤) يشبه هذا قول ڤرجيليو :

Virg. Æn. II. 559.

(١٥) يشير هذا إلى ما قاله ڤرجيليو :

Virg. Æn. VI. 560.

(١٦) أى الذين عاشوا ولم تكن لهم الشجاعة ليعملوا الخير أو الشر ، وبذلك لا يستحقون سوء السمعة ولا حسن الأحدوثة .

(١٧) تأثر دانتى فى هذا ببعض القصص الشعبى ، كما ورد فى رحلة القديس براندان فى العصور الوسطى . وربما كتب دانتى هذا وفى ذهنه ذكريات الفلورنسيين المحايدين الذين ظلوا منعزلين ولم ينضموا إلى أى حزب سياسى فى أثناء الكفاح الداخلى فى فلورنسا فى عصره .

(١٨) الآثمون أفضل منهم لأنه كانت لهم إرادة الشر على الأقل .

(١٩) أى فقدوا الأمل فى موت نفوسهم .

(٢٠) حياتهم دنيئة لأنهم سيبقون أبداً فى الجحيم ولن تكون لهم فى الدنيا أية ذكرى .

(٢١) يحسدون مصائر الناس جميعاً ، حتى أولئك الذين يلاقون عذاباً أشد .

(٢٢) هذا لأنهم لم يتركوا أثراً من خير أو شر .

(٢٣) أى رحمة الله فى السماء .

(٢٤) أى عدالة الله فى الجحيم .

(٢٥) العلم المتحرك على الدوام رمز لنفوس المعذبين الذين ترددوا فى حياتهم دائماً . توجد صورة إسلامية ذات شبه بهذه الصورة ربما عرفها دانتى وقت انتشار الثقافة الإسلامية فى أوروپا فى عصره :

أبو زيد عبد الرحمن بن مخلوف : كتاب العلوم الفاخرة فى النظر فى أمور الآخرة . القاهرة ١٣١٧ هـ . ج ١ : ٥٤ — ج ٢ : ص : ٨ و ١٤ .

(٢٦) عذاب هؤلاء أن يدوروا على الدوام ، ولا تجوز لهم راحة لأنهم لم يحفلوا فى الدنيا بغير الأكل والنوم ، كالحيوانات . والدائرة التى يدورون فيها هى أكبر دوائر الجحيم عند دانتى لأن الجحيم مخروطى الشكل .

(٢٧) لا يذكر دانتى أسماءهم لأنهم لا يستحقون ذلك .

(٢٨) ربما يشير دانتى بهذا إلى تشيليستينو الخامس . (Celestino V.) الذى اختير لكرسى البابوية فى ١٢٩٤ وترك مركزه بعد بضعة شهور للبابا بونيفاتشو الثامن عدو دانتى اللدود .

(٢٩) هم مكروهون من الله ومن أعدائه ، ولا يرضى عنهم أحد فى الوجود .

(٣٠) لم يكونوا كذلك لأنهم لم يفعلوا فى حياتهم خيراً ولا شراً ، والعمل هو الحياة عند دانتى .

(٣١) أراد دانتى بهذا العذاب أن يصور ما تستحقه النفس التى تشعر بدناءتها والتى تحسد الناس جميعاً .

(٣٢) استوحى دانتى هذا المعنى من قول ڤرجيليو :

Virg. Æn. VI. 295-330, 384-410.

(٣٣) أكيرونتى (Acheronte) هو أول أنهار الجحيم وأكبرها ، وتتألف مياهه من دموع المعذبين ، وسنعود إليه فى موضع مقبل :
Inf. XIV. 94-120.

ويوجد هذا النهر فى الإنيادة :
Virg. Æn. VI. 295.

(٣٤) كارون (Caron) شيطان خرافى وأحد حراس الجحيم . وورد هذا الشيطان فى الإنيادة :
Virg. Æn. VI. 298-301.

ويشبه هذا بعض ما جاء فى التراث الإسلامى عن خزنة الجحيم أو الزبانية أو الملائكة أصحاب النار : القرآن : المدثر : ٣١ .
Cerulli (op. cit.) pp. 56-57.

(٣٥) يوجه كارون كلامه إلى جماعة النفوس الهالكة على ضفة النهر الأخرى .

(٣٦) أى إلى أشد أنواع العذاب .

(٣٧) يوجه كارون كلامه إلى دانتى .

(٣٨) يطلب كارون إليه أن يبتعد عن الموتى لأنه ليس منهم .

(٣٩) يقصد كارون أن هذا ليس طريق عبور الأحياء من الدنيا إلى الآخرة . والنفوس الطيبة تذهب بعد الموت إلى الشاطىء بالقرب من مصب التيبر ، ويحملها الملاك إلى جزيرة المطهر :
Purg. II. 101...; XXV. 86.

(٤٠) نلاقى هذا الزورق الخفيف فى المطهر :
Purg. II. 41.

(٤١) أى إرادة الله .

(٤٢) يقترب هذا من قول ڤرجيليو :
Virg. Æn. VI. 102.

(٤٣) يتحول النهر فى بعض المواضع إلى مستنقعات مغبرة . يشبه هذا قول ڤرجيليو :
Virg. Æn. VI. 320.

(٤٤) هذه اللعنات تعبير عن منتهى الألم .

(٤٥) أى من لم يخشوا الله فى حياتهم .

(٤٦) لم يكن من المستطاع أن يتحركوا جميعاً فى وقت واحد لكثرتهم ، فضرب كارون المتباطئين حتى يسرعوا الخطى .

(٤٧) يشبه هذا قول ڤرجيليو :
Virg. Æn. VI. 305-312.

(٤٨) أضفت لفظ (كارون) لإيضاح المعنى .

(٤٩) يشبه هذا قول ڤرجيليو :
Virg. Æn. VI. 310-312.

(٥٠) هذه إجابة ڤرجيليو عن سؤال دانتي فيالبيت رقم ٧٢ . واقتضى الموقف أن يتأخر ڤرجيليو في إجابته .

(٥١) عند ما يفقد مرتكب الخطيئة الأمل في الخلاص ، يحس في نفسه بضرورة تنفيذ الحكم الذي يقضي به الله ، فيتحول خوفه من العذاب إلى رغبة في لقاء قصاصه .

(٥٢) أي أن الجحيم ليس مكان دانتي صاحب النفس الطيبة ، وسيذهب إلى طريق الخلاص فيما بعد .

(٥٣) دانتي صاحب الحس المرهف يتأثر بعوامل الرعب والفزع ، وإن مجرد ذكرى مشهد مفزع يجعله يتصبب عرقاً .

(٥٤) الضوء القرمزي اللون مصدره نيران الجحيم .

(٥٥) يتكرر سقوط دانتي فاقداً وعيه أمام مواقف الأسى . لعل دانتي يصف بهذا ما شهده أو ما جربه بنفسه في أثناء الحياة .

الأنشودة الرابعة(١)

أفاق دانتى من نومه على صوت رعد قاصف ، فأخذ يدور ببصره فيما حوله لكى يعرف أين هو . وجد دانتى نفسه على حافة وادى العذاب السحيق ، وحال الظلام دون أن يرى أعماقه . دخل الشاعران الحلقة الأولى من حلقات الجحيم ، وسمع دانتى تنهدات المعذبين التى ارتعد لها الهواء فرَقاً ورعباً ، وكان ذلك هو اللمبو ، مقر عظماء العالم القديم الذين ماتوا قبل ظهور المسيحية ، ومقر من ماتوا ولم ينالوا التعميد المسيحى ، وعذابهم أن يعيشوا تحدوهم الرغبة فى الخلاص دون أمل فى الحصول عليه . تساءل دانتى عن احتمال خروج بعض هذه النفوس من هذا اللمبو ، فأخبره ڤرجيليو أن المسيح كان قد هبط هنا لإنقاذ بعض المعذّبين مثل آدم وموسى وداود وراحيل ، وأدخلهم فى زُمرة السعداء . وفى أثناء المسير رأى دانتى ناراً تضئ الظلام ، وهذا استثناء فى عالم الجحيم ، وذلك لأن الشاعرين كانا مقبلين على جماعة من عظماء العالم القديم . رأى دانتى هوميروس وهوراس وأوڤيديوس الذين قابلوه بالترحاب واعتبروه واحداً منهم ، فاعتزّ بذلك . وتقدّمت هذه الجماعة حتى وصلوا إلى قلعة شمّاء ذات سبعة أسوار ، وهناك رأى دانتى بعض شخصيات الأساطير القديمة مثل إليكترا وهيكتور وإينياس ، وشهد بعض أبطال العالم القديم مثل قيصر ولوتشيوس بروتس . وكذلك رأى بعض فلاسفة العالم القديم وعلمائه مثل سقراط وأفلاطون وديوسقوريدس وبطليموس وجالينوس ، ورأى ابن سينا وابن رشد . وأخيراً خرج الشاعران إلى مكان أعوزه ما يبدد الظلمات .

١ حطّم النومَ العميقَ فى رأسى رعدٌ ثقيلٌ(٢)، حتى هاجنى الفزع ، كشخصٍ صحا بعنفٍ واستيقظ .

٣ وحينما استويتُ قائماً ، حرّكتُ عينىَ المرتاحةَ فيما حولى (٣) ، ونظرتُ بإمعانٍ لكى أعرف المكان الذى كنتُ فيه .

٧ حقاً لقد وجدتُ نفسى على الحافة من وادى الهاوية الأليم ، الذى يتلقى دوىّ صرخاتٍ لا تنتهى .

١٠ كان مظلماً عميقاً ملبداً بالسحب ، حتى إنى حينما حدّقتُ ببصرى فى أعماقه ، لم أتبين فيه شيئاً(٤) .

١٣ وبوجهٍ شاحبٍ(٥) بدأ شاعرى : « الآن فلنهبط هنا — أسفل — فى العالم الأعمى ، وسأكون أنا الأوّل ، وأنت الثانى(٦) » .

١٦ قلت وقد لاحظتُ لونَ وجهه : « كيف أمضى وأنت خائفٌ ، وقد اعتدتَ أن تطمئننى عند الشك(٧) ؟ » .

١٩ أجابنى : « إن عذاب القوم الذين هم هنا أسفل(٨) ، يرسم على وجهى ذلك الأسى(٩) الذى تحسبه خوفاً .

٢٢ دعنا نذهب، لأن الطريق الطويل يدفعنا إلى ذلك(١٠)» . هكذا دخل وجعلنى أدخل إلى الحلقة الأولى ، التى تحيط بالهاوية(١١) .

٢٥ لم يكن هنا بكاءٌ حسبما يُسمع ، ولكن كانت تنهداتٌ(١٢) ، جعلتْ الهواء الأبدىّ يرتعد .

٢٨ وصدر هذا عن ألمٍ بغير تعذيب(١٣)، نالته حشودٌ كانت كثيرةً وكبيرة ، من الأطفال والنساء والرجال .

٣١ قال أستاذى الطيب: « إنك لا تسأل: أيةُ أرواحٍ هذه التى تراها(١٤)؟ الآن أريد أن تعرف ، وقبل أن توغل فى المسير ،

٣٤ أنهم لم يأثموا ، وإذا كانت لهم فضائل، فهى لا تكفى ، لأنهم لم ينالوا التعميد(١٥) ، الذى هو بابٌ للعقيدة التى تؤمن بها .

٣٧ وإذا كانوا قد عاشوا قبل المسيحية، فإنهم لم يعبدوا الله كما ينبغى : وأنا نفسى واحدٌ من بين هؤلاء[١٦].

٤٠ بمثل هذه العيوب أصبحنا من الهالكين ، لا بخطيئةٍ أخرى ، وعذابنا الوحيد أن نعيش فى شوقٍ لا يحدوه أمل[١٧] » .

٤٣ أخذ بقلبى أسىً مريرٌ حينما سمعته ، لأنى عرفتُ أن قوماً ذوى قدْرٍ عظيمٍ ، كانوا معلقين فى ذلك اللمبو[١٨].

٤٦ بدأتُ ، وأنا راغبٌ فى الوثوق من ذلك الإيمان الذى يغلب كلّ خطأ : « قلْ لى يا سيدى ، أخبرنى ، أستاذى ،

٤٩ ألم يخرج أحدٌ من هنا أبداً ، بجدارته أو بفضل غيره ، فأصبح بعدُ سعيداً ؟ ». وذاك الذى فهم كلامى الخفىّ[١٩]،

٥٢ أجاب : « كنتُ جديداً على هذه الحال ، حينما رأيتُ قادراً[٢٠] يأتى هنا ، متوجاً بعلامة النصر[٢١].

٥٥ وانتزع منا شبح أبينا الأوّل[٢٢]،وشبح ابنه قابيل[٢٣]،وشبح نوح[٢٤]، وموسى المشرّع المطيع[٢٥]،

٥٨ والبطريق إبراهيم[٢٦] ، والملك داود[٢٧]، وإسرائيل[٢٨]، ومعه أبوه وأبناؤه ، وراحيل[٢٩]، التى فعل إسرائيل من أجلها الكثير[٣٠]؛

٦١ وكثيرين غيرهم ، وجعلهم سعداء ؛ وأريد أن تعلم أنه لم تنقذ من قبلهم أرواحٌ بشرية » .

٦٤ لم نتوقف عن المسير بينما كان يتكلم ، ولكنا مضينا فى اختراق الغابة[٣١]، أعنى غابة الأرواح المزدحمة .

٦٧ لم يكن طريقنا قد استطال بعدُ ، منذ أن أخذنى النوم ، حينما رأيتُ ناراً ، تغلب عالماً من الظلمات[٣٢].

٧٠ وكنا لا نزال نبعد عنها قليلاً[٣٣] ، لكن إلى حدّ لا يمنع أن أتبين نوعاً أن قوماً أمجاداً شغلوا ذلك الموضع[٣٤].

٧٣ قلت : « أنت يا مَنْ تُمجِّدُ كلَّ علمٍ وفن[٣٥]، مَنْ هؤلاء أصحاب مثل هذا المجد ، الذى يميِّزهم عن حال الآخرين ؟ » .

٧٦ أجابنى : « إن ذكراهم المجيدة التى يتردد صداها فى حياتك أعلى[٣٦]، تكسبهم فى السماء الفضلَ الذى يميزهم هكذا[٣٧] ».

٧٩ سمعتُ وقتئذ صوتاً يقول[٣٨] : « مجِّدوا الشاعر الأعظم[٣٩] : إن شبحه يعود وكان قد ارتحل[٤٠] ».

٨٢ وبعد أن توقّف الصوت وسكت ، رأيت أشباح عظماء أربعة قادمين نحونا ، ولم يكن لهم مظهر الحزن ولا السعادة .

٨٥ بدأ أستاذى الطيب يقول : « انظر إلى مَنْ حمل بيده ذلك السيف ، ويأتى أمام ثلاثةٍ كأنه السيد[٤١] .

٨٨ ذاك هوميروس أمير الشعر ؛ والآخر الذى يأتى بعده هو هوراتيوس الساخر[٤٢] ؛ والثالث أوڤيديوس[٤٣] والأخير لوكانوس[٤٤] .

٩١ ولأن كلا منهم يشترك معى فى الاسم[٤٥] ، الذى نطق به الصوت الوحيد[٤٦] ، فهمْ يشرفوننى ، وبذا يحسنون صُنعاً[٤٧] » .

٩٤ هكذا رأيتُ المدرسةَ الجميلة مجتمعةً[٤٨] : مدرسة ذلك السيد صاحب القصيدة العظمى[٤٩] ، الذى يحلّق فوق الآخرين كالنسر .

٩٧ وبعد أن تحادثوا معاً قليلاً[٥٠] التفتوا إلىَّ بإيماءة تحية . فابتسم أستاذى لذلك[٥١] .

١٠٠ وأضفوْا علىَّ فوق ذلك مجداً أعظم ، لأنهم جعلونى واحداً من زمرتهم هكذا ، فأصبحت السادس بين هؤلاء الحكماء[٥٢] .

١٠٣ وهكذا ذهبنا حتى ذلك النور ، ونحن نتحدّث عن أمورٍ يحسن السكوت عنها[٥٣] ، كما حسنَ الكلام هناك حيث كنا[٥٤] .

١٠٦ جئنا إلى أسفل قلعةٍ نبيلة ، محاطةٍ سبع مرّاتٍ بأسوار عالية ، ومحميةٍ من حولها بجدولٍ جميل[٥٥] .

١٠٩ هذا عبرناه كأرض صُلبة(٥٦) ؛ ودخلتُ سبعة أبوابٍ مع هؤلاء الحكماء :
ووصلنا إلى مرعىً ذى خضرةٍ نضرة .

١١٢ كان هناك قومٌ ذوو عيونٍ هادئة وقورة ، وفى وجوههم أمارات سلطان
عظيم : تكلموا نادراً ، وبأصواتٍ رقيقة(٥٧) .

١١٥ وهكذا انتحينا إلى أحد الجوانب ، فى مكانٍ مكشوفٍ مستشرفٍ
مضيء ، يمكن أن يُرَوْا منه جميعهم(٥٨) .

١١٨ وهناك قبالتنا فوق خضرةٍ منقوشة ، تبدّت لى النفوس العظيمة(٥٩) ،
التى شعرتُ فى نفسى بالفخر لرؤياها(٦٠) .

١٢١ رأيتُ(٦١) إليكترا(٦٢) : مع رفاق كثيرين ، وعرفتُ من بينهم هيكتور(٦٣) ،
وإينياس(٦٤) ، وقيصر المسلح(٦٥) بعينى الصقر(٦٦) .

١٢٤ ورأيت كامّيلا(٦٧) وپانتسيليا(٦٨) فى الجانب الآخر ، ورأيت لاتينوس
الملك(٦٩) ، الذى جلس مع ابنته لاڤينيا(٧٠) .

١٢٧ ورأيت بروتس(٧١) ، هذا الذى طرد تاركوينوس(٧٢) ، ولوكريتزيا(٧٣) ،
وجوليا(٧٤) ، ومارتزيا(٧٥) ، وكورنيليا(٧٦) ، وفى جانبٍ(٧٧) رأيت رجلاً
وحيداً(٧٨) .

١٣٠ وحينما رفعتُ عينى إلى أعلى قليلاً ، رأيت أستاذ الذين يعلمون(٧٩) ،
يجلس بين أسرة فلسفية(٨٠) .

١٣٣ وكلهم ينظر إليه ، ويمجده الجميع : وهنا رأيت سقراط(٨١)
وأفلاطون(٨٢) ، اللذين وقفا أقرب إليه من الآخرين ؛

١٣٦ وديموقريطس(٨٣) ، الذى يجعل العالمَ وليدَ الصدفة ، وديوجنيس(٨٤) ،
وأناجزاجوراس(٨٥) ، وطاليس(٨٦) ، وإمپيدوقليس(٨٧) ، وهيراقليطس(٨٨) ،
وزينون(٨٩) .

١٣٩ ورأيتُ ذلك الطيب جامعَ الخصائص ، أعنى ديوسقوريدس(٩٠) ،
ورأيت أورفيوس(٩١) ، وتوليوس(٩٢) ، ولينوس(٩٣) ، وسينيكا الأخلاقى(٩٤) ؛

١٤٢ وإقليدس الهندسىّ[٩٥] ، وبطليموس[٩٦] ، وهيپقراطيس[٩٧] ، وابن سينا[٩٨]
وجالينوس[٩٩] ، وابن رشد ، الذى صنع التفسير الكبير[١٠٠] .
١٤٥ ولا أستطيع أن أصَوِّرهم كلهم تماماً ، لأن الموضوع الطويل يدفعنى
هكذا ، حتى إنه كثيراً ما يقصرُ الكلام عن الواقع[١٠١] .
١٤٨ جماعة الستة تنخفض إلى اثنين[١٠٢] . وفى طريقٍ آخر يقودنى الدليل
الحكيم ، خارج منطقة السكون ، إلى الهواء المرتعد[١٠٣] ؛
١٥١ وأبلغ[١٠٤] مكاناً ليس به ما يضىء[١٠٥] .

حواشي الأنشودة الرابعة

(١) هذه أنشودة من ماتوا دون أن ينالوا التعميد أو أنشودة اللمبو .

(٢) يقول بعض النقاد إن هذا الرعد جاء عقب البرق الذى ذكره دانتى فى آخر القصيدة السابقة . ويرى آخرون أنه كناية عن صوت المعذبين الذى ستلقاه بعد قليل .

(٣) استراح دانتى فى أثناء النوم الذى أثقل أجفانه .

(٤) لم يتبين دانتى شيئاً لعمق الجحيم .

(٥) شحب لون ڤرجيليو لتأثره وعطفه على المعذبين .

(٦) يسير ڤرجيليو ويتبعه دانتى ، وفى هذه الألفاظ تعاطف وولاء بين الشاعرين .

(٧) يحمل الشك هنا معنى الخوف ، لأن دانتى ظن أن ڤرجيليو قد ساده الخوف والفزع ، وهو بهذا يحكم عليه حكمه على نفسه .

(٨) يقصد المعذبين فى اللمبو(Limbo – من لمبوس – Limbus – اللاتينية) أى الحافة أو الطرف أو المنطقة الواقعة عند الحدود وهذه هى الحلقة الأولى فى الجحيم .

(٩) شرح ڤرجيليو أن تغير لونه كان بسبب عذاب رفقائه فى اللمبو . ولكن سؤال دانتى رده إلى القيام بواجبه كدليل فى هذه الرحلة الطويلة .

(١٠ يستحث ڤرجيليو دانتى للسير بسبب طول الرحلة .

(١١) هذا هو اللمبو مكان من لم ينالوا التعميد المسيحى . خالف دانتى الفكرة المسيحية عن اللمبو عند القديس توماس الأكوينى الذى يجعله على مقربة من الجحيم وليس جزءاً منه ومقدمة له : D'Aq. Sum. Theol. III. Sup. 9. LXIX. 5.

(١٢) لم تكن هناك وسيلة سوى السمع لمعرفة ما بداخل الجحيم ، وذلك لتعذر الرؤية .

(١٣) أحس هؤلاء جميعاً بألم النفس دون أن ينالهم تعذيب جسدى .

(١٤) هذا يعنى أن دانتى كان يسير فى صمت . وربما سكت للرهبة التى استولت عليه . وأدرك ڤرجيليو ما مر بخاطره ، وأخذ يشرح له الأمر .

(١٥) لم ينالوا التعميد لأنهم ماتوا قبل ظهور المسيحية ، أو ماتوا ولم يعمدوا فى العهد المسيحى .

(١٦) هذا تعبير عن أسف ڤرجيليو لأنه حرم من الفردوس عند دانتى .

(١٧) عاش هؤلاء دون أمل فى الخلاص . وهناك بعض الشبه بين أهل اللمبو وأهل الأعراف فى التراث الإسلامى ، الذين يطمعون ويتشوقون إلى الجنة ، مثل أطفال المشركين والعلماء الذين ضيعوا ثمرة علمهم والملائكة الذكور :

القرآن : الأعراف :٤٦ .

علاء الدين بن محمد البغدادى المعروف بالخازن : تفسير القرآن الجليل المسمى لباب التأويل فى معانى التنزيل : القاهرة ، ١٣١٢ هـ . ج : ٢ ص : ٩٢ .

محمد بن محمد الحسينى الزبيدى الشهير بمرتضى : كتاب اتحاف السادة المشتغلين بشرح أسرار إحياء علوم الدين ، لأبى حامد الغزالى . القاهرة ، ١٣١١ هـ . ج : ٨ : ص ٥٦٥ .

(١٨) تألم دانتى لمصير هؤلاء المعذبين المعلقين فى اللمبو .

(١٩) أى الكلام المستتر . لم يشأ دانتى أن يظهر شكه فى هبوط المسيح إلى اللمبو لإنقاذ بعض النفوس فألقى بهذا السؤال .

(٢٠) يقصد يسوع المسيح . وورد هذا فى الكتاب المقدس :

S. Pietro, III. 19.

(٢١) يقصد هالة تمثل الصليب ، وهى صورة المسيح فى فن العصور الوسطى .

(٢٢) يعنى آدم ، الأب الأول للبشر ، وجعل دانتى مكانه فى الفردوس وكذلك الكتاب المقدس :

Par. XXXII. 120.
Gen. III. 22-24.

(٢٣) قابيل (Abel) الابن الثانى لآدم .

(٢٤) نوح (Noé) هو صاحب الطوفان . كما ورد فى الكتاب المقدس وجعل دانتى مكانه فى الفردوس :

Gen. IX. 13-17.
Par. XII. 17.

(٢٥) موسى (Moisé) هو نبى إسرائيل ومكانه الفردوس :

Par. XXXII. 130-132.
Matt. XVII. 3-4; Gerem. XV. 1.

(٢٦) إبراهيم (Abraam) الذى ضحى بابنه إسحق :

Jos. I. 1, 2, 7, ecc.

(٢٧) داود (David) ملك إسرائيل ومكانه الفردوس :

Par. XXV. 72; XXXII. 11.
Sal. I. 16; XXII. 1 ; CXII. 6-7.

(٢٨) يعقوب (Jacob) بن إسحق مكانه الفردوس :

Par. XXXII. 68.
Gen. XXXII. 28.

(٢٩) راحيل زوجة يعقوب . انظر أنشودة ٢ هامش ٤٣ .

(٣٠) لكى يتزوج يعقوب (الذى تسمى بإسرائيل) من راحيل خدم أباها عدة سنوات :

Gen. XXIX. 20, 30.

(٣١) كان ازدحام النفوس مثل غابة كثيفة وبهذا يقرب دانتى بين الإنسان والنبات .

(٣٢) هذا العالم — أى الجحيم — له شكل دائرى ، لأنه فى صورة مخروط .

(٣٣) أى على مسافة قليلة من النار .

(٣٤) يعنى اللمبو .

(٣٥) يريد أن يقول إن ڤرجيليو مجد العلم والفن بمؤلفاته .

(٣٦) يقصد ذكرى الأمجاد التي يتردد صداها في الدنيا .

(٣٧) الذكرى الطيبة في الأرض تنفعهم في السماء .

(٣٨) لم يذكر دانتي اسم صاحب الصوت . يرى بعض النقاد أنه صوت هوميروس أمير الشعراء .

(٣٩) أي ڤرجيليو . وستطلق الأجيال التالية هذه الكلمات على دانتي نفسه .

(٤٠) أي أنه كان قد ذهب إلى الغابة المظلمة لإنقاذ دانتي :

Inf. I. 61 ...

(٤١) هوميروس (Homerus) أمير الشعراء صاحب الإلياذة والأوديسة ، أكبر آثار الإغريق في الشعر . ويمتاز شعره بالقوة والصفاء ودقة التعبير ، وقد صور الميتولوجيا القديمة ، ورسم حياة الآلهة والإنسان . ولم يعرف دانتي هوميروس مباشرة ، ولكن عرف أشياء عنه من بعض ملخصات لاتينية وعن مؤلفات أرسطو وهوراتيوس . ويسير الشعراء الأربعة وعليهم أمارات العبقرية ويملأون المكان بفنهم الرفيع .

(٤٢) هذا هو كوينتوس هوراتيوس (٦٥ – ٨ ق . م . Quintus Horatius) شاعر لاتيني امتاز بالشعر التهكمي والغنائي وله كتاب عن فن الشعر .

(٤٣) يوليوس أوڤيديوس نازو (٤٣ ق . م – ١٧ م . Publius Ovidius Naso) شاعر لاتيني امتاز بكتابته عن الميتولوجيا القديمة التي أفاد منها دانتي وعلى الأخص كتاب التحولات (Metamorphoseos) .

(٤٤) ماركوس أنايس لوكانوس (٢٩ – ٦٥ م (Marcus Annaeus Lucanus) شاعر لاتيني كتب فارساليا (Pharsalia) التي تتناول الكفاح بين قيصر وپومپي ، واستمد منه دانتي بعض معلوماته .

(٤٥) يقصد لقب الشاعر الأعظم .

(٤٦) يعني صوت هوميروس الذي نطق بذلك اللقب بالنسبة لڤرجيليو .

(٤٧) يفخر دانتي بأنه في مستوى هؤلاء الشعراء العظام .

(٤٨) هي مدرسة هوميروس وتسمى المدرسة الجميلة لأن الفن هو الجمال . وتقابل الأسرة الفلسفية التي اجتمعت حول أرسطو كما سيأتي بعد .

(٤٩) أي الإلياذة .

(٥٠) أي تحدثوا عن دانتي .

(٥١) ابتسم ڤرجيليو علامة الرضا لما نال تلميذه من رفعة القدر .

(٥٢) يلاحظ الناقد فرنتشسكو دوڤيديو أن دانتي قد ذكر في المطهر أسماء بعض شعراء اللاتين على أنهم من أهل اللمبو مثل تيرينتيوس وپلاوتوس وڤارو ، ولكن هذا لا يمنع أن دانتي اعتبر نفسه السادس بعد العظماء الذين ذكرهم آنفاً :

Purg. XXII. 97-100.

(٥٣) تكلموا عن الشعر والفن .

(٥٤) كان يؤثر دانتي أن يكون الحديث عن الشعر والفن حيث لقي جماعة الشعراء وليس في الطريق .

(٥٥) يرى بعض النقاد أن القلعة رمز للعلم يحوطها سياج العلوم مثل النثر والخطابة والهندسة والموسيقى ، والنهير رمز لاستعداد العقل لتلقي العلم . ويرى غيرهم أن القلعة رمز للفلسفة يحوطها سياج الطبيعة وما وراء الطبيعة والأخلاق والسياسة . . . ووصف القلعة وأسوارها مأخوذ من صور القلاع في العصور الوسطى . وجعلها دانتي موطن النفوس العظيمة من أبطال العالم القديم وشعرائه وفلاسفته ، وهي نوع من المطهر الدائم لهذه النفوس وإن كان موضعها في مقدمة الجحيم .

وفي التراث الإسلامي بعض الشبه بقلعة في الفردوس محاطة بثمانية أسوار :

محي الدين بن عربي : كتاب الفتوحات المكية . القاهرة ، ١٢٩٣ هـ . ج : ٢ ص : ٥٦٧ ، ٥٧٧ .

Palacios (op. cit.) p. 84.

(٥٦) يعني أنهم مروا بأرض صلبة مما يجعل السير عليها سهلا .

(٥٧) هكذا رسم دانتي صفات عظماء الفلاسفة بهذه الكلمات القليلة . واستمد دانتي ذلك من ملاحظته لحركات الناس وأصواتهم . وكان هو نفسه قليل الكلام .

(٥٨) يقصد المجتمعين في القلعة وسيأتي ذكرهم بعد .

(٥٩) أي أبطال العالم القديم وعظماء الفلاسفة والعلم الأقدمين . وموضعهم على التوالي : ١٢١ — ١٢٩ ، ١٣٠ — ١٤٤ .

(٦٠) أحس دانتي بالفخر عندما رأى هؤلاء العظماء .

(٦١) طريقة تعداد أسماء من يراهم الشاعر مقتبسة عن الشعر القصصي القديم .

(٦٢) إليكترا (Electra) من شخصيات الأساطير اليونانية وهي ابنة أتلاس وزوجة جوبيتر زعيم الآلهة عند الرومان ، وولدت داردانوس أب أهل طروادة :

Virg. Æn. VIII. 134 ...

(٦٣) هيكتور (Hector) أكبر أبناء پرياموس ملك طروادة وزوج أندروماخ وزعيم الطرواديين عند ما حاصرها الإغريق في حرب طروادة ، وقتله أخيل بطل الإغريق ، ومجده هوميروس وڤرجيليو . ووضعه دانتي في اللمبو وذكره في الفردوس :

Virg. Æn. II. 281.
Homérus, Ill. II. 816; VI. 394...; XII. 727; XXII. 35-404; XXIV. 14 ...
Par. VI. 68.

(٦٤) إينياس أحد أبطال طروادة ومؤسس روما كما تقول الأساطير وسبق الإشارة إليه في الأنشودة ١ سطر ٧٤ حاشية ٣٧ .

(٦٥) قيصر من أعظم قواد الرومان ويعتبر أول أباطرتهم . سبق الإشارة إليه في الأنشودة ١ سطر ٧٠ حاشية ٣٢ .

(٦٦) يعني أنه كان يمتاز بعينين واسعتين مليئتين بالحيوية .

(٦٧) سبق الكلام عن كاميلا في الأنشودة ١ سطر ١٠٧ حاشية ٥٣ .

(٦٨) پانتسيليا (Pentesilca) ابنة مارس وأورتيرا ، واشتهرت بالشجاعة والجمال ، وكانت ملكة الأمازون ، وساعدت الطروادبين بعد مقتل هكتور وقتلها أخيل :
Virg. Æn. I. 490-493.

(٦٩) لاتينوس (Latinus) ملك لاتزيوم وأبو لاڤينيا :
Virg. Æn. VII. 72.

(٧٠) لاڤينيا (Lavinia) زوجة إينياس الثالثة ، وكان أبوها لاتينوس قد وعد بزواجها من تورنوس ملك الروتوليين ، وبسببها وقعت بينه وبين إينياس .

(٧١) لوتشيوس بروتس (Lucius Brutus) الذى طرد تاركوينيوس المتغطرس وأقام الجمهورية فى روما فى أواخر القرن السادس قبل الميلاد : Virg. VI. 821-822.

(٧٢) لوتشيوس تاركوينيوس المتغطرس(٥٣٤–٥١٠ ق.م. Lucius Tarquinius Superbus) ، حكم روما حكماً مستبداً واشترك لوتشيوس بروتس فى التآمر عليه وطرده من روما .

(٧٣) لوكريتزيا (Lucrezia) هى زوجة تاركوينيوس كولاتينوس الذى اعتدى عليها ابن تاركوينيوس العظيم السالف الذكر .

(٧٤) جوليا (Julia) هى ابنة يوليوس قيصر وزوجة پومپى الكبير :
Lucanus, Pharsalia I. 113-118.

(٧٥) مارتزيا (Marzia) هى ابنة ماركيوس فيليپوس وزوجة كاتونى الثانية :
Luc. Phars. II. 328 ...

(٧٦) كورنيليا (Corniglia) هى ابنة شپيونى الأفريقى وزوجة تيبريوس جراكوس . وهى رمز للأم الرومانية فى المجتمع القديم . وسيذكرها كاتشاجويدا فى الفردوس : Par. XV.129.

(٧٧) هذا هو صلاح الدين الأيوبى (١١٣٧–١١٩٣ م .Saladino) مؤسس الدولة الأيوبية فى مصر والشام وبطل الحروب الصليبية . أثار إعجاب العالم المسيحى بشجاعته وفروسيته وتسامحه وسعة أفقه . ووضع صلاح الدين فى هذا الموضع لا يعنى عدم تقدير دانتى له ، وبالعكس لقد أبدى دانتى إعجابه به ومجده على طريقته ، بوضعه فى هذا المكان المختار فى اللمبو مع حكماء العالم القديم وعظمائه وأبطاله ، الذين تمنى أن يكون هو نفسه فى زمرتهم فى الحياة الآخرة . وقد حذفت اسم صلاح الدين من متن الترجمة مراعاة للذوق العام .

(٧٨) وقف صلاح الدين بمفرده لأنه ينتمى إلى عقيدة تخالف المسيحية ، وهو رمز للمثل الأعلى الإسلامى عند دانتى .

(٧٩) أرسطو المعلم الأول (٣٨٤ – ٣٢٢ ق . م . Aristotle) تلميذ أفلاطون ومعلم الإسكندر وزعيم فلاسفة اليونان ، وأثر فى مجرى التفكير الفلسفى والعلمى فى العالم . وكتب فى الأخلاق والسياسة والطبيعة . وأصبحت له شهرة فى العصور الوسطى ، وترجم الأمبراطور فردريك الثانى مؤلفاته إلى اللاتينية عن العربية ، وتأثر به توماس الأكوينى فى وضع الفلسفة المدرسية . وسماه دانتى فى « الوليمة » معلم الفلاسفة وأستاذ العقل البشرى والفيلسوف الممجد ، وأشار إليه وإلى مؤلفاته فى أكثر من موضع من الكوميديا وسائر كتاباته . واطلع دانتى على آثاره المترجمة إلى اللاتينية وعلى ترجمة غير جيدة لعلم الأخلاق باللهجة الفلورنسية .

(٨٠) استوحى الفنان رافايلو (١٤٨٢ — ١٥٢٠) من وصف دانتى صورة مدرسة أثينا الموجودة فى الڤاتيكان فى روما ، وهى تمثل الفلاسفة والعلماء الأقدمين وقد وقفوا فى أوضاع مختلفة ، وتعبر عن عقولهم وعلومهم .

(٨١) سقراط (٤٦٩ — ٣٩٩ ق . م . Socrates) بدأ حياته نحاتاً ثم اشتغل بالجندية والتدريس . كان أحكم أهل عصره وامتاز بعقله المبدع وبحبه للمعرفة . هاجم السفسطائية التى تجعل الفرد محور الوجود ، واتهم بإفساد الشباب اليونانى وإنكار الآلهة . وحكم عليه بالإعدام وقبل الحكم ولم يهرب . لم يؤلف كتباً ولكن بعض آرائه قد وردت فى مؤلفات تلميذه أفلاطون .

(٨٢) أفلاطون (٤٢٧ — ٣٤٧ ق . م . Platone) تلميذ سقراط وأستاذ أرسطو . تسوده روح إلهية وتطلع إلى المثل الأعلى ، وأسس الأكاديمية. وكتب الجمهورية والمحاورات والتيماوس وعرف دانتى كتابه الأخير على الأخص ، عن طريق تشيشيرون وتوماس الأكوينى .

(٨٣) ديموقريطس (٤٦٠ — ٣٦١ ق . م . Dimocritus) فيلسوف يونانى وأول من تكلم عن نظرية الذرة . عرفه دانتى عن طريق تشيشيرون:

Cicerone, De Natura Deorum. I. 24.

(٨٤) ديوجينس (٤٠٤ — ٣٢٥ ق . م . Diogenes) فيلسوف يونانى ، كان يحتقر متع الحياة . عرفه دانتى عن طريق القديس أوغسطين .

(٨٥) أناجزاجوراس (٥٠٠ — ٤٢٨ ق . م . Anaxagoras) فيلسوف يونانى آمن بعقل واحد يحكم العالم . عرفه دانتى عن طريق تشيشيرون :

Cic. Academica, I. 13; II. 31; Tusculan Disputations, I. 43.

(٨٦) طاليس (٦٣٩ — ٥٤٦ ق . م . Thales) فيلسوف يونانى أسس المدرسة الأيونية فى الفلسفة والرياضة ، واعتقد أن الماء أصل الوجود .

(٨٧) إمبيدوقليس (٤٩٠ — ٤٣٠ ق . م . Empedocles) فيلسوف صقلى ، يرى أن الوجود يرجع إلى العناصر الأربعة . عرفه دانتى عن طريق تشيشيرون .

(٨٨) هيراقليطس (مات حوالى ٥٠٠ ق . م . Heraclitus) فيلسوف يونانى يرى أن النار أصل الوجود . عرفه دانتى عن طريق تشيشيرون :

Cic. Acad. IV. 37; Tusc. V. 36.

(٨٩) زينون (ولد فى أواخر القرن ٥ ق . م . Zenon) فيلسوف يونانى له بحوث فى حقيقة الحركة . وربما قصد دانتى زينون الفيلسوف اليونانى الذى ولد فى أواخر القرن ٤ ق . م . وهو مؤسس المدرسة الرواقية .

(٩٠) ديوسقوريدس (عاش فى القرن الأول ق . م . Dioscorides) طبيب يونانى وضع كتاباً فى خصائص الأعشاب الطبية .

(٩١) أورفيوس (Orpheus) شاعر وموسيقى من شخصيات الأساطير اليونانية ، ويقال إن موسيقاه كانت تجذب الأحجار والحيوانات من ورائه . تزوج إيريديس التى ماتت بلدغ أفعى ، فهبط إلى العالم الأسفل باحثاً عنها ، وأثرت موسيقاه فى پرسيفون إلهة ذلك العالم ، فبعث إيريديس إلى الحياة واشترطت عليه ألا ينظر إليها وهى تسير وراءه فى العالم الأسفل ، ولكنه نسى ونظر إليها

فذهبت إلى الأبد . وقتل المانياديات من أهل تراقيا أورفيوس وطافت رأسه على الماء حتى وصلت إلى جزيرة لسبوس حيث دفنت . وعرف دانتي أورفيوس عن طريق أوفيديوس :

Ov. Met. XI. 1 ...

وضع جلوك (١٧١٤ — ١٧٨٧) ألحان أوپرا أورفيو وإيريديس ، وتعبر موسيقاه عن أسى أورفيوس لموت زوجته ، وتصور زئير الأرواح الشريرة فى الجحيم وترسم حقول الجنة حيث يلقى إيريديس ويعود بها إلى الأرض بمعونة إله الحب .

(٩٢) هو ماركوس توليوس تشيشيرون (١٠٦— ٤٣ ق.م . Marcus Tullius Cicerone) كاتب وفيلسوف وسياسى رومانى ، وهو من أتباع الأكاديمية الجديدة ، آمن بالله وبحرية الإرادة ، وأخذ عن فلاسفة اليونان ما وافق عقله ، وحاول التوفيق بين المذاهب المتعارضة . وكتب فى الخطابة والتكهن بالغيب والأكاديمية والواجب والصداقة .

(٩٣) لينوس (Linus) شاعر وموسيقى من شخصيات الأساطير اليونانية وهو أستاذ أورفيوس . وعرفه دانتى عن طريق ڤرجيليو :

Virg. Eclogue, IV. 55-57; VI. 67.

(٩٤) لوسيوس أنايس سينيكا (٤ ق . م . — ٦٥ م . Lucins Annaeus Seneca) شاعر وفيلسوف رومانى ، كان معلم نيرون . كتب فى الأخلاق والفلسفة ووضع تراجيديات .

(٩٥) إقليدس (عاش فى القرن ٤ ق . م . Euclid) الرياضى الإسكندرى ، كتب فى الرياضة والعدسات والهندسة والموسيقى .

(٩٦) كلاوديوس بطليموس (عاش فى القرن ٢م .Claudius Ptolemaeus) الجغرافى الفلكى الرياضى المصرى . ترجمت مؤلفاته عن الفلك والجغرافيا من العربية إلى اللاتينية . وتقوم نظريته فى الفلك على أساس الحركة الظاهرة لا الحقيقية . وعنده أن الأرض ثابتة ومركز الكون . وتدور الكواكب حولها ، واتخذ اليابس أدنى المواقع بحكم ثقله ، ويعلوه الماء والنار والهواء والأثير . ويقوم فى الأثير أو بعده ثمانى سموات ، وهى سماء القمر وسماء عطارد وسماء الزهرة وسماء الشمس وسماء المريخ وسماء المشترى وسماء زحل وسماء النجوم الثابتة ، ثم أضيفت سماء الاعتدال وسماء المحرك الأول أو سماء السموات . وأخذ دانتى بنظرية بطليموس التى ظلت سائدة فى العصور الوسطى ، حتى ظهر كوپرنيكوس وجاليليو وأثبتا أن الشمس مركز تدور حوله أجرام ونجوم وكواكب منها الأرض .

(٩٧) هيپوقراطيس (٤٦٠ — ٣٥٦ ق . م . Hippocrates) الطبيب اليونانى ويعتبر أبا الطب ، واشتهر بتشخيص الأمراض .

(٩٨) حسين عبد الله بن سينا (٩٨٠ — ١٠٣٦ م Avicenna) الفيلسوف والطبيب الإسلامى ، ولد فى بخارى وعاش فى فارس ، ومن مؤلفاته النفس والقانون فى الطب والشفاء ، واشتهر بالتعليق على أرسطو وجالينوس . وترجمت مؤلفاته إلى اللاتينية . وتأثر دانتى ببعض آرائه عن أثر الكواكب فى حياة الناس وعن الطريق اللبنى فى السماء والفرق بين النور والبهاء ، كما جاء فى كتاب « الوليمة » :

Conv. II. 14 (27-32); II. 15 (69-77); III. 14 (38-41); IV. 21 (15-17).

(٩٩) كلاوديوس جالينوس (١٣١ — ٢٠١ م . Claudius Galinus) الطبيب اليونانى

عاش فى الأناضول والإسكندرية وروما . وكتب فى الطب والفلسفة وترجمت بعض كتبه من العربية إلى اللاتينية .

(١٠٠) محمد بن أحمد بن رشد (١١٢٦ – ١١٩٨ م . Averrois) الفيلسوف والطبيب الأندلسى . ويعتبر أكبر شراح أرسطو وأحيا دراسته فى العصور الوسطى . وكتب التعليق على كتاب النفس لأرسطو وترجم إلى اللاتينية .تأثر به دانتى فى السياسة وفى العذاب والنعيم الروحى عن طريق ألبرتو الكبير وتوماس الأكوينى .

ويوجد رسم لابن رشد فى كنيسة سانتا ماريا نوفلا بفلورنسا فى قبة الأسبان فى صورة علوم الأرض وقد ظهر مع أريوس وتوماس الأكوينى ، وربما كانت الصورة من عمل أندريا دا فيرنتزه فى القرن ١٤ .

(١٠١) يعنى أن الكلمات لا تسعفه كثيراً فيقصر وصفه عن تناول كل مشاهداته وخواطره .

(١٠٢) أى عند ما يتجه ڤرجيليو ودانتى إلى متابعة رحلتهما تقل الجماعة المكونة من الشعراء الستة إلى رجلين اثنين .

(١٠٣) أى أنهما خرجا من الهواء الساكن فى القلعة النبيلة إلى الهواء العاصف فى اللمبو .

(١٠٤) يستخدم دانتى الفعل المضارع لكى يزيد الموقف حياة .

(١٠٥) أى موضع لا يصله ضوء الشمس .

الأنشودة الخامسة(١)

هبط الشاعران إلى الحلقة الثانية ، وهى بداية الجحيم الحقيقى عند دانتى . ووجدا عند مدخله مينوس قاضى الجحيم الذى يعترف له الآثمون بما ارتكبوا ، فيحكم بإرسالهم إلى الموضع الذى يناسبهم ، بلفات ذنبه حول نفسه . اعترض مينوس على قدوم دانتى ، ولكن ڤرجيليو أوضح له أن هذه هى إرادة السماء . وسمع دانتى عويل الآثمين الذين غلّبوا العاطفة على العقل فى أثناء الحياة ، وعقابهم أن تدور بهم عاصفة هوجاء ، دون أمل فى راحة أو فى أن تخفّ عندهم حدّة الألم . وأشار ڤرجيليو إلى بعض المعذّبين مثل سميراميس وهيلانة وكيلوپاترا وتريستانو . ثم رأى دانتى اثنين يذهبان معاً ، وقد ترفقت بهما العاصفة ،وهما فرنتشسكا دا ريمينى وپاولو مالاتستا . دعاهما دانتى باسم الحب أن يقدما عليه ، فلبيا النداء فى شوق ولهفة ، كفرخى حمام ناداهما الهيام إلى العشّ الحبيب . أبدى دانتى عطفه على هذين الآثمين ، فبادلته فرنتشسكا ذلك العطف ، وتمنت أن تكون صلاتها عند الله مقبولة من أجل سلامه . قالت فرنتشسكا إن پاولو أحبها فلم تستطع إلا أن تبادله حبًّا بحب ، وإن الحب قادهما معاً إلى موت واحد . سألها دانتى كيف أتاح لهما الحب أن يتعرفا على رغباتهما الخبيئة ، فأجابته فرنتشسكا بأنهما كانا يقرآن يوماً وبلذّة قصّة جينڤرا ولانتشلوتّو ، فتأثرا بهما ، وقبل پاولو فرنتشسكا ، وفاجأهما الزوج ، وقتلهما معاً ، ولم يقرآ منذ ذلك اليوم شيئاً . وبينما كانت فرنتشسكا تتكلم عن حبها بأسىً ولذة بكى پاولو بمرارة ولم ينطق بكلمة واحدة . فأحسّ دانتى أنه يفقد الوعى من فرط الأسى وهوى كجسم ميت يهوى إلى الأرض .

١ هكذا هبطتُ – أسفل – من الحلقة الأولى إلى الثانية[٢] ، التى
تحيط بمكانٍ أصغر وآلام أعظم ، وتلهبُ حتى العويل[٣] .

٤ هناك يجلس مينوس الرهيب[٤] ، ويصرّ بأسنانه : يزن الآثام عند
المدخل[٥] ، وبلفات ذَنَبه يحكم ويقذف[٦].

٧ أعنى أنه عندما تردُ النفس الملعونة أمامه ، تعترف بكلّ شىء ؛
ويرى قاضى الخطايا ذاك[٧] ،

١٠ أىّ مكانٍ فى الجحيم يناسبها ؛ ويلفّ ذَنَبه من حوله ، بعدد الحلقات
التى يرغب أن يهبطوا إليها[٨] .

١٣ دَوْماً يقف أمامه سيلٌ من الهالكين ويذهب كلٌ بدوره ليلقى
حكمه ؛ يقولون ويسمعون[٩] ، ثم يُقذفون إلى أسفل[١٠] .

١٦ قال لى مينوس حينما رآنى ، وقد توقف عن مزاولة عمله الخطير : « أنت
يا من تأتى إلى موئل الآلام ،

١٩ احترس إذْ تدخل هنا ، واحذر مَنْ تثق به[١١] ، ولا يخدعنك اتساع
المدخل[١٢]! » . فقال له دليلى : « لماذا تصيح كذلك ؟

٢٢ لا تعطّل رحلةً خطها له القدر : هكذا أُريدَ هناك ، حيث يمكن
أن يُفعلَ ما يراد ، ولا تسألنى على ذلك مزيداً[١٣] » .

٢٥ الآن تبدأ أصوات الأسى تطرق أسماعى ، والآن وصلتُ إلى
موضعٍ ، يجتاحنى فيه عويلٌ جارف .

٢٨ جئتُ إلى مكانٍ يخرس فيه كلّ ضياء[١٤] ، ويهدر كما يفعل بحرٌ فى
أثناء زوبعةٍ ، حينما تلطمه رياحٌ متعارضة[١٥] .

٣١ العاصفة الجهنمية التى لا تهدأ أبداً[١٦] ، تقود الأرواح بعنفها :
وترهقهم وهى تدور بهم وتضربهم[١٧] .

٣٤ وحينما يصلون أمام الأنقاض[١٨] ، نسمع هناك الصراخَ والنواحَ
والعويل ، وهناك يلعنون القدرة الإلهية[١٩].

٣٧ فهمتُ أنه قضى بمثل هذا العذابِ على مرتكبي خطايا الجسد ، الذين يخضعون العقل للشهوات .

٤٠ وكما تحمل الزرازيرَ أجنحتها ، فى سربٍ كبير متزاحم ، وقت البرودة[٢٠] ، كذلك تفعل تلك العاصفة بالأرواح الخبيثة .

٤٣ تقودهم هنا وهناك ، وإلى أسفل وإلى أعلى[٢١] ؛ لا يحدوهم الأمل أبداً فى طمأنينةٍ ولا راحةٍ ، ولا فى أن تخفّ عنهم حدّة الألم .

٤٦ وكما تمضى الكراكىّ شاديةً بصوتها الباكى ، وقد جعلتْ من نفسها فى الهواء صفًّا طويلاً[٢٢] ، هكذا رأيتُ أشباحاً تأتى وهى تُطلق

٤٩ صرخاتها ، وتحملها تلك العاصفة : ولذا قلت : « أستاذى ، مَنْ هؤلاء القوم الذين يُضنيهم الهواء الأسود هكذا ؟ » .

٥٢ عندئذٍ قال لى : « الأولى بين مَنْ تريد أن تعرف أخبارهم ، كانت أمبراطورةً على لغاتٍ عديدة[٢٣] .

٥٥ إنها استسلمتْ لشهوة الجسد ، حتى جعلت لذة الغرائز مشروعةً فى قوانينها ، لكى تمحو ما انغمست فيه من العار[٢٤] .

٥٨ هي سميراميس[٢٥] ، التى يقرأ عنها أنها خلفتْ نينو ، وكانت له زوجةً ودان لها ملكٌ يحكمه السلطان[٢٦] .

٦١ والأخرى هى التى قتلت نفسها وقد تيمها الحبّ ، وحنثتْ بيمينها لرماد سيكيو[٢٧] ؛ وبعدها كليوپاترا أسيرة الشهوات[٢٨] .

٦٤ وانظر إلى هيلانة[٢٩] ، التى دار بسببها . عهدٌ مشئوم ، وانظر إلى أخيل العظيم[٣٠] ، الذى قاتل فى النهاية وقد ساده الحبّ .

٦٧ وانظر پاريس[٣١] ، وتريستانو[٣٢] » . ثم أرانى أكثر من ألف شبحٍ ، وذكر لى وهو يشير بأصبعه ، أسماء الذين نزعهم الحبّ من حياتنا .

٧٠ وبعد أن سمعتُ أستاذى يسمىّ لى النساء القدامى والفرسان ، ملكنى الأسى ، وأوشكت أن أفقد الوعى[٣٣] .

٧٣ بدأتُ(٣٤) : « أيها الشاعر (٣٥) ، كم أودّ أن أتحدّث (٣٦) إلى هذين الاثنين (٣٧) اللذين يذهبان معاً ، ويبدوان هكذا خفيفين أمام الريح (٣٨) ».

٧٦ أجابني : « سترى حينما يصبحان أقرب إلينا (٣٩) ؛ ادعهما عندئذٍ باسم الحبّ الذي يقودهما (٤٠) ، وسيأتيان (٤١) » .

٧٩ وبينما تميل بهما الريح نحونا (٤٢) ، رفعتُ صوتي (٤٣) : « أيهاتان النفسان المعذبتان (٤٤) ، تعاليا حدّثانا ، إنْ لم يمنعكما عن ذلك أحد (٤٥) ».

٨٢ وكحمامتين دعاهما الهيام (٤٦) ، تأتيان عبرَ الهواء بأجنحةٍ مرفوعةٍ ثابتة (٤٧) إلى العشّ الحبيب ، وقد حملهما الشوق (٤٨) ؛

٨٥ هكذا خرج هذان (٤٩) من جماعة فيها ديدوني (٥٠) ، آتيين نحونا وسط الهواء الخبيث (٥١) ؛ إذْ كان قويّاً ندائي الجياش بالعاطفة .

٨٨ أيها المخلوق (٥٢) الرّقيق اللطيف (٥٣) ، الذي تسير خلال الجوّ المعتم زائراً (٥٤) إيانا (٥٥) ، نحن اللذين خضبنا الأرض بالدم —

٩١ لو كان ملك العالم صديقاً لنا (٥٦) ، لضرّعنا (٥٧) إليه من أجل سلامك (٥٨) ، لأنك تشفق على حظنا العاثر .

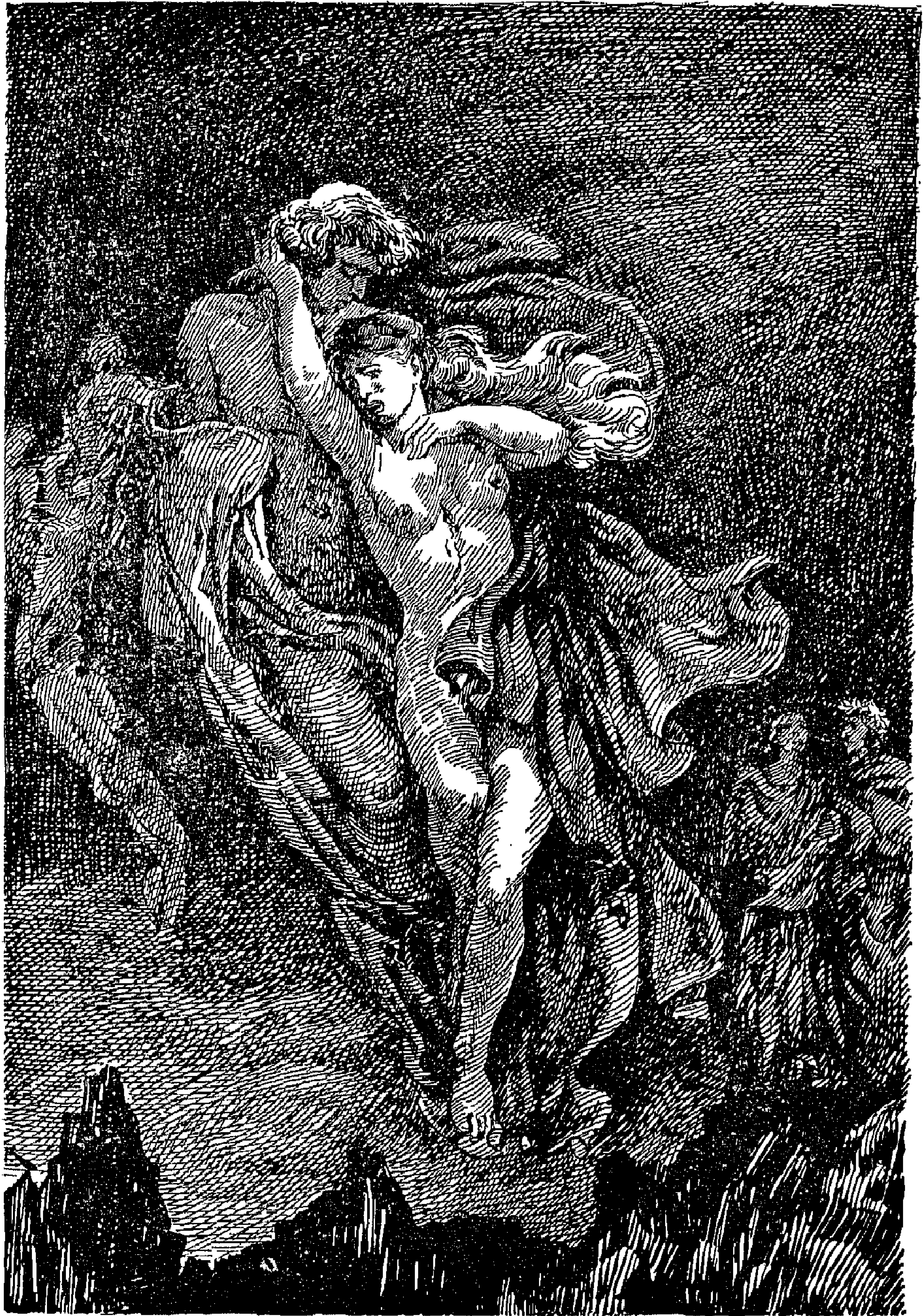
٩٤ إننا سنسمع وسنتحدّث إليك عما يلذّ لك أن تسمعه وتقوله (٥٩) ، بينما تسكت الريح لنا ، كما هي الآن (٦٠) .

٩٧ المدينة التي وُلدتُ فيها تستوي على شاطئ البحر (٦١) ، حيث يصبّ البو ، لكي ينال السلام مع نهيراته (٦٢) .

١٠٠ والحبّ (٦٣) الذي يشعل القلبَ الرقيق سريعاً (٦٤) ، تيّمه بالجسم الجميل (٦٥) ، الذي انتزع مني ، بطريقةٍ لا تزال تحزنني (٦٦) .

١٠٣ الحبّ (٦٧) الذي لا يعفي محبوباً من مبادلة الحب (٦٨) ، سيطر على كياني بلذّةٍ ، وهو كما ترى لا يفارقني بعدُ (٦٩) .

١٠٦ الحبّ (٧٠) قادنا إلى موتٍ واحد (٧١) : وقابيل ينتظر من أطفأ سراجَ حياتنا (٧٢) » . حُملتْ منهما هذه الكلمات إلينا (٧٣) .



٥ – فرنتشسكا و پاولو

أنشودة ٥ : ٧٣ . . .

١٠٩ وعند سماعي حديث هاتين النفسين المهيضتين ، حنيتُ رأسي ، ومكثتُ مطرقاً طويلا(٧٤) ، حتّى قال لى الشاعر(٧٥) : « ماذا تفكر ؟ » .

١١٢ وعندما أجبتُ ، بدأتُ(٧٦) : « واحسرتاه أية خواطر عذبة ، وأية رغبةٍ عميقة ، أدت بهذين إلى الطريق الأليم(٧٧) ! » .

١١٥ ثم اتجهتُ إليهما ، وتكلمتُ ، وبدأتُ(٧٨) : « يافرنتشسكا إن عذابك يستقْطر منى الدّمعَ حزناً وخشوعاً(٧٩) .

١١٨ ولكن أخبريني : فى وقت التنهدات العذبة(٨٠) ، كيف وبأىّ دليلٍ أتاح لكما الحبّ(٨١) ، أن تتعرفا على رغباتكما التى يحوطها الشك(٨٢) ؟ » .

١٢١ أجابتنى : « ليس من ألمٍ أشدّ من تذكر العهد السعيد وقت البؤس(٨٣) ، وهذا ما يعرفه أستاذك(٨٤) .

١٢٤ لكن إذا كانت تحدوك رغبةٌ عميقةٌ ، فى أن تعرف أصل حبنا(٨٥) ، فسأفعل كمَنْ يبكى ويتكلم(٨٦) .

١٢٧ كنا ذات يوم نقرأ للمتعة(٨٧) ، عن لانتشلوتّو(٨٨) ، وكيف تيمه الحبّ : وكنا وحيدين(٨٩) ، لا يخامرنا شك(٩٠) .

١٣٠ جعلتْ تلك القراءة عيوننا تتلاقى مرّات عديدة ، وأشحبتْ لونَ وجهينا(٩١) ؛ ولكن كان أمراً واحداً(٩٢) ذلك الذى غلبنا .

١٣٣ حينما قرأنا أن البسمةَ المرتقبة(٩٣) ، قد قبلها مثلُ ذلك العاشق ، هذا(٩٤) — الذى لن ينفصل عنى أبداً(٩٥) —

١٣٦ قبلَ فمى ، وهو يرتجف كله(٩٦) . كان الكتاب وكاتبهما جاليوتّو(٩٧) : ولم نقرأ فيه ذلك اليوم مزيداً(٩٨) » .

١٣٩ وبينما(٩٩) كانت إحدى الروحين(١٠٠) تنطق بهذه الكلمات ، بكتْ الأخرى بمرارة(١٠١) ، حتى تهالكتُ من الأسى كأنى أموت(١٠٢) ؛

١٤٢ وهويتُ(١٠٣) كما يهوِى جسمٌ ميت(١٠٤) .

حواشى الأنشودة الخامسة

(١) الأنشودة الخامسة هى قصيدة من ارتكبوا خطايا الجسد ، وتعرف بقصيدة فرنتشسكا دا ريمنى .

(٢) هنا يبدأ الجحيم الحقيقى عند دانتى ، وما سبق يعتبر مقدمة له .

(٣) كلما زاد الهبوط زاد عذاب الهالكين .

(٤) مينوس (Minos) ملك جزيرة كريت فى الميتولوجيا القديمة ، واشتهر بالقسوة والعدالة وصوره هوميروس وڤرجيليو كقاض للجحيم :

Virg. Æn. VI. 432 ...
Homerus, Odyssey, XI. 696 ...

ولقى النبى محمد وجبريل فى المعراج المشار إليه حارس الجحيم :

Cerulli (op. cit.) pp. 156-159.

ووضع ميكلانجلو (١٤٧٥ - ١٥٦٤) صورة لمينوس فى صورة الحكم الأخير فى قبة سيستو بالڤاتيكان فى روما ، وهو ذو شكل يبعث على الرعب ، وله نابان بارزان ، ولف ذنبه حول جسمه .

(٥) يشبه هذا قول ڤرجيليو :

Virg. Æn. VI. 567.

(٦) أى يرسلهم إلى مواضع عذابهم وأضفت (ذنبه) للإيضاح .

(٧) ذكر دانتى لفظ (conoscitor) ومعناه المألوف هو العارف ، ولكن فى لغة القانون يعنى القاضى ، وهو يناسب وظيفة مينوس فى الجحيم .

(٨) أى أنه إذا أحاط نفسه بذنبه ثمانى مرات ، فمعنى ذلك أن الآثم يجب أن يهبط إلى الحلقة الثامنة .

(٩) يقولون ما ارتكبوه ويسمعون الحكم عليهم . ويدل هذا التعبير الموجز على أن مينوس كان يؤدى واجبه بسرعة لكثرة الآثمين أمامه .

(١٠) أى إلى المكان الذى يناسبهم .

(١١) يحذر مينوس دانتى من الهبوط إلى الجحيم ويشككه فى دليله .

(١٢) يشبه هذا قول ڤرجيليو :

Virg. Æn. VI. 126

(١٣) يعنى إرادة السماء . وسبق هذا المعنى :

Inf III. 95-96.

(١٤) لا يرى دانتى شيئاً بسبب الظلام ، ولكنه يسمع صوت العاصفة .

(١٥) يشبه دانتى ما سمعه بنوء البحر الشديد ، وهو بذلك يرسم إحدى صور الطبيعة .

(١٦) العاصفة الجهنمية رمز للحواس والشهوات التى سيطرت على هؤلاء الآثمين ، وهى تعذبهم على الدوام . ويشبه هذا ما أورده ڤرجيليو :

Virg. Æn. VI. 440 ...

وهناك شبه بين هذه العاصفة وما جاء فى التراث الإسلامى :

Cerulli (op. cit.) pp. 156-159.

القرآن : الذاريات : ٤١ .

أبو إسحاق محمد بن إبراهيم الثعلبى : كتاب قصص الأنبياء المسمى بالعرائس . القاهرة ، ١٣٤٥ هـ . ص : ٤٣ .

الخازن : تفسير القرآن (السابق الذكر) ج ٢ ص : ١٠٥ .

(١٧) رسم المصور أوركانيا فى القرآن فى القرن ١٤ م . أرواح من ارتكبوا الخطيئة بسبب الحب فى صورة الجحيم فى كاتدرائية فلورنسا .

(١٨) هذه أنقاض الصخور المتخلفة من العاصفة الجهنمية .

(١٩) وذلك لفرط ما نالهم من العذاب .

(٢٠) طيران الزرازير غير منتظم . وكان دانتى شديد الولع بمراقبة الطيور .

(٢١) هذه الحركات كناية عما يساور نفس الآثم بسبب شهوة الجسد .

(٢٢) هكذا تفعل الكراكى عند ما تهاجر وقت الخريف من شمالى أوروپا إلى مناطق الدفء .

(٢٣) يقصد شعب بابل .

(٢٤) وضعت سميراميس القوانين التى تجعل خطايا الجسد شرعية .

(٢٥) هناك طائفتان من الآثمين الذين غلبوا العاطفة والشهوة على العقل : الطائفة الأولى وعلى رأسها سميراميس طائفة أمعنت فى حياة الفسوق ، ولم يكن يعنيها سوى التمتع بالملذات . وستأتى الطائفة الثانية بعد . وسميراميس (Semiramis) ملكة الآشوريين شخصية تحوطها الأساطير ، ويقال إنها عاشت فى القرن ١٤ ق . م . وخلفت على العرش زوجها نينو (Nino) — ويقال إنه كان ابنها أيضاً — بعد أن تآمرت عليه . وكان نينو أول ملك يتطلع إلى إقامة أمبراطورية عالمية .

وذكرها برونيتو لا تينى صديق دانتى وأستاذه الروحى ، وأوڤيديوس :

B. Latini, Trésor, I. 26.
Ov. Met. IV. 58, 88.

وضع روسينى (١٧٦٢ — ١٨٦٨) ألحان أوپرا سميراميس التى تصور حياة العشق والمتعة التى عاشتها ملكة الآشوريين .

(٢٦) يخلط دانتى بين بابلونيا بابل — على الفرات وبابلونيا — الفسطاط — على النيل . والمقصود أن سميراميس حكمت دولة واسعة فى حوض الدجلة والفرات . وكان سلاطين مصر المعاصرين لدانتى من دولة المماليك البحرية ، وسيأتى ذلك فى الأنشودة ٢٧ .

(٢٧) الطائفة الثانية ممن ارتكبوا الخطيئة بسبب العاطفة هم جماعة الذين أخلصوا فى حبهم لشخص واحد ، وعلى رأسهم ديدونى هذه . وهى مؤسسة دولة قرطاجنة وزوجة سيكيو وأقسمت بعد موته ألا تتزوج ، ولكنها وقعت فى حب إينياس ، وأسلمت نفسها له ، ثم هجرها إلى إيطاليا ،

فتولاها اليأس وانتحرت ، كما تروى الأساطير القديمة . وتكلم عنها فرجيليو :

Virg. Æn. VI. 450 ...

وضع پرسل (١٦٥٩ — ١٦٦٥) ألحان أوپرا ديدو وإينياس التى تصور قصة العاشقين وتوضح مأساة ديدونى .

(٢٨) كيلوپاترا (Cleopatra) ملكة مصر فى عهد البطالسة (٦٩ — ٣٠ ق .م .) يقال إنها انتقلت من حب يوليوس قيصر إلى ماركوس أنطونيوس من باب السياسة ثم انتحرت حتى لا تقع فى قبضة أوكتاڤيوس . يشير دانتى فى الفردوس إلى هربها من أكتيوم وموتها :

Par. VI. 76-78.

(٢٩) هيلانة (Helena) زوجة مينلاوس ملك إسپرطة . اختطفها پاريس بن پرياموس ملك طروادة ، وكان ذلك سبباً فى قيام حرب طروادة :

Virg. Æn. I. 650.
Hom. Ill. II. 160 ...; III. 164, ecc.

(٣٠) أخيل (Achilles) بطل الإغريق فى حرب طروادة ، وهو رمز للقوة والجمال والنبل والوفاء . ويقول هوميروس فى الإلياذة إن أخيلا قد قتل بعد مقتل هيكتور أمام طروادة ، ولكن دانتى اتبع الرأى الذى كان سائداً فى العصور الوسطى القائل بأن أخيل أحب پوليكسانا ابنة پرياموس ، ووعد بألا يحارب طروادة لكى يتزوجها ، ولكنه حنث بوعده ، فتآمر عليه پاريس أخ پوليكسانا ، وقتله غدراً فى معبد أپولو :

Ov. Met. XIII. 448 ...
Virg. Æn. I. 30, 458, 468; II. 29, 197, 275; III. 87, 326; VI. 98, 168, 839; X. 581; XI. 404; XII. 352, 545, etc.
Hom. Ill. II. 684; XXII. 35-404, ecc.

(٣١) پاريس (Paris) هو ابن ملك طروادة ، حكم لڤينوس الإلهة بتفوقها على يونون ومينرڤا فى الجمال ، فكافأته بمعاونته فى اختطاف هيلانة وبذلك قامت حرب طروادة :

Virg. Æn. I. 27; II. 602; IV. 215; V. 730; VI. 57.
Hom. Ill. III. 38-75, 443 ..., ecc.

وضع جلوك (١٧١٤ — ١٧٨٧) ألحان أوپرا پاريس وهيلانة التى تصور الأساطير القديمة والبطولة والعشق فى عهد طروادة .

(٣٢) تريستانو (Tristano) أحد فرسان المائدة المستديرة من قصص العصور الوسطى فى فرنسا . وهو ابن الملك ميليادوس وابن أخ مارك ملك كورنواى ، ذهب تريستانو الفارس الشجاع إلى إيرلندا ليحمل إيزوتا (Iseult) الشقراء الجميلة ، لكى تتزوج من عمه وسيده الملك مارك . وحاول تريستانو أن يكون وفياً لعمه ومولاه . ولكن الحب كان أقوى من كل شيء . وكشف الملك العلاقة بين العاشقين ، وجرح تريستانو جرحاً مميتاً ، ونقل إلى قصره ، ووصلت إيزوتا لترى حبيبها يجود بأنفاسه الأخيرة ، فلا تبك ، ولا تنطق سوى كلمات متقطعة وتموت وجداً وأسى فوق جثمان تريستانو .

أخذ ڤاجنر (١٨١٣ — ١٨٨٣) هذه المأساة وكتبها شعراً ، ووضع ألحانها الرائعة التى هى شعلة تتلظى بنيران الحب . يخرج ڤاجنر فى أوپرا تريستانو وإيزوتا من عالم اللقاء والفراق ، ومن دنيا الجسد والمادة ، ومن قواعد المجتمع ، إلى العاطفة المجردة الخالدة . عند ما تموت إيزوتا فوق جثمان حبيبها تهوى إلى الأعماق وهى تذوب هناء ووجداً . وبذلك تصور هذه الموسيقى قلوب العاشقين ، وإحساسنا بهذه الألحان يساعدنا على فهم مآسى الحب عند ديدونى وفرنتشيسكا دا ريمينى وعند دانتى .

(٣٣) يشارك دانتى المعذبين فى آلامهم ، حتى يكاد يفقد الوعى .

(٣٤) قال إنه بدأ ، يعنى أنه لم يتكلم مباشرة ، واحتاج إلى بعض الجهد والوقت حتى تمالك نفسه ، بعد أن شارك المعذبين آلامهم ، قبل رؤية « هذين الاثنين » .

(٣٥) ينادى دانتى ڤرجيليو بالشاعر ، وهى الصفة الخالدة عندهما معاً ، ولأنهما مقبلان موقف عاطفى مؤثر .

(٣٦) أى كم تحدوه الرغبة الملحة للتحدث إلى هذين الإثنين ، وهما فرنتشسكا دا ريمينى (Francesca da Rimini) وپاولو مالاتستا (Paolo Malatesta) . أخذ دانتى مأساة هذين العاشقين عن حادث تاريخى وقع فى ريمينى على ساحل الأدرياتيك فى حوالى ١٢٨٥ . وخلاصته أن أسرة دا پولنتا (Da Polenta) أمير راڤنا وأسرة حنحتا إلى السلام بعد فترة منافسة بينهما عن طريق المصاهرة . اعتقدت فرنتشسكا الجميلة ابنة دا پولنتا أنها ستتزوج پاولو مالاتستا الشاب القوى الجميل ، الذى كان متزوجاً وأنجب طفلين ولكنها خدعت ، وربما عن غير قصد وزفت إلى أخيه جانتشوتو (Gianciotto) القبيح المشوه ، والذى عرف بالعزم والصلابة . وأنجب الزوجان طفلة . ومع ذلك فقد نشأت واستمرت عاطفة حب عنيف بين فرنتشسكا وپاولو . اجتمع العاشقان فى غياب الزوج الذى شغل وظيفة العمدة فى عدة أماكن . وذات يوم أخذا قصة فرنسية من قصص المائدة المستديرة فى العصور الوسطى ، تناولت حب الملكة جينڤرا (Ginevra) زوجة الملك أرتو (Artù) ، وفارسها لانتشلوتو (Lancialotto) وعند ما وصلا فى قراءتهما إلى القبلة بين العاشقين القديمين ، أخذهما الموقف ، وقبل پاولو فرنتشسكا . وتكرر ذلك الموقف بينهما . فكتب أحد أقرباء جانتشوتو ينبئه بالخبر . ورجع جانتشوتو إلى ريمينى ، وراقب العاشقين ، وفاجأهما فى عزلتهما ، فأسرع پاولو إلى الفرار ، ولكن ثوبه علق بالباب ، فاندفع جانتشوتو يضربه بالسيف ، واعترضته فرنتشسكا لحماية پاولو ، فاخترق السيف صدرها ، ونفذ إلى ظهر پاولو ، فماتا معاً . عرف دانتى هذه المأساة فى شبابه فأثرت فى نفسه ، واعتزم أن يكتب عنها يوماً ما . وعند ما لجأ دانتى فى أواخر أيامه إلى جويدو نوڤلو دا پولنتا أمير راڤنا ، أكمل كتابة الكوميديا ، ونال ما كتبه دانتى عن فرنتشسكا إعجاب الأمير وتقديره ، فكتب شعراً متأثراً بدانتى .

كتب دانتى هذا الجزء عن فرنتشسكا فيما لا يزيد عن ٧٠ بيتاً ، وبذلك أوجز ولم يفصل . جعل هذا الإيجاز — وهو صفة عامة عند دانتى — لكل كلمة وإشارة معناها الدقيق . ولابد لفهمه من الوقوف بإمعان أمام ألفاظه . ويتساءل بعض النقاد عن سبب تخليد دانتى لهذين العاشقين ، ويشك بعضهم فى أن دانتى ربما مر بتجربة مشابهة ، وأنه أراد أن يضع لنفسه وللناس عظة وعبرة . ولكن ليس هناك أدلة تؤيد هذا الرأى ، ويستبعده أكثر النقاد .

تناول بعض أدباء إيطاليا هذا الموضوع ذاته . كتب پليكو (Pellico) مأساة فرنتشسكا دا ريميني في أوائل القرن التاسع عشر ، صور فيها الأبطال الثلاثة كنماذج للخلق والفضيلة . وعنده أن فرنتشسكا أحبت پاولو دون خطيئة ، وارتكب جانتشوتو القتل لأنه ظن خطأ أن هناك خطيئة قد وقعت . ووضع دانونتزيو (Dannunzio) مأساة فرنتشسكا دا ريميني التي يسودها العنف والقسوة والتمتع بملذات الحياة ، تلك الصفات التي تغلب على أدبه . وكتب تشيزاريو (Cesareo) مأساة فرنتشسكا دا ريميني ، وصور فيها الود المتبادل بين الأخوين ، وجعل فرنتشسكا امرأة عنيفة جامحة ، ظلت تغرى پاولو بالتهكم والسخرية والرفق واللين ، حتى وقعت الخطيئة والمأساة .

(٣٧) اختلف عقابهما عن بقية الآثمين ، فلم تفرقهما الريح ، ولم تضربهما ببعض ، بل حملتهما معاً على الدوام . أثار هذا الاختلاف انتباه دانتي .

(٣٨) يعني يبدوان كريشة في مهب الرياح .

(٣٩) حاول ڤرجيليو بهذه الكلمات أن يحمل دانتي على الصبر والانتظار .

(٤٠) أي أن الحب يقودهما مع الريح ، والحب محور هذه القصيدة .

(٤١) أي أنهما لن يتوانيا عن القدوم إذا استحلفهما دانتي باسم الحب العزيز عليهما .

(٤٢) يعني أن الريح استجابت لنداء دانتي وحملتهما إليه .

(٤٣) أي أنه من فرط تأثره لم يستطع النطق بسهولة فبذل جهداً ورفع صوته كي يتكلم .

(٤٤) ناداهما دانتي بالحالة الأليمة التي هما عليها ، وفي هذا عطف ومشاركة لهاتين النفسين في عالم لا رحمة فيه . وما إن أحسا هذا العطف حتى أسرعا إلى دانتي في شوق ولهفة .

(٤٥) طلب إليهما أن يقتربا أكثر وأن يتكلما عن حالهما ، ولم يكد يتم قوله حتى أبدى هذا الاعتراض الذي ولده الشك ، إذ ربما وجد عائق يمنعهما من القدوم ، والمقصود بالعائق الله .

(٤٦) شبههما دانتي بالحمام لأنه طير يعشق بإخلاص .

(٤٧) طارا بأجنحة قوية ممتدة مفتوحة حتى يصلا سريعاً إلى العش الحبيب .

ويشبه هذا قول ڤرجيليو :

Virg. Æn. V. 213-214.

(٤٨) يمكن أن يكون ترتيب الأبيات الثلاثة السابقة كالآتي : « حملتهما الرغبة الملحة عبر الهواء كفرخي حمام ناداهما الهيام ، بأجنحة مرفوعة ثابتة إلى العش الحبيب» .

(٤٩) أي أنهما لم يستطيعا التأخر أمام نداء دانتي الحار .

(٥٠) ديدوني (Didone) ملكة قرطاجنة التي عشقت إينياس بعد موت زوجها كما تروى الأسطورة . ليست ديدوني وجماعتها من الممعنين في حياة الإثم . وهي ارتكبت الخطيئة في ظروف مؤثرة ، ولا تزال تسودها الأخلاق النبيلة .

(٥١) الهواء الخبيث الأسود المظلم الملعون .

(٥٢) يعني أن دانتي روح وجسد حي لم يمت بعد .

(٥٣) لا تعرف فرنتشسكا كيف تكافىء دانتي على عطفه عليها وعلى صاحبها ، فنعتته بالصفات الطيبة اعترافاً بالجميل .

(٥٤) أي الذي تجشم الصعاب لزيارتهما .

(٥٥) تأتى لزيارة من ؟ نحن الاثنين اللذين جمعهما الحب والإثم والدم والموت !

(٥٦) أى الله .

(٥٧) كانت فرنتشسكا تود أن تكون صلاتها مقبولة عند الله، ولكنها تعرف ألا مكان لها عنده .

(٥٨) كانت تود أن تصلى من أجل غفران ذنوب دانتى ، وبذلك حاولت أن تقابل العطف بالعطف . يمزج دانتى هنا عالم الخطيئة بعالم الرحمة ، ويحاول أن يقرب بين الأرض والسماء .

(٥٩) أبدلت البيتين (٩٤ و ٩٥) الواحد بالآخر لمطابقة الأسلوب العربى .

(٦٠) لا يسكن الريح فى هذه المنطقة أبداً ، ولكنه يسكن قليلا من أجل هذين العاشقين على سبيل الاستثناء ، حتى يقدرا على الكلام ، لأن خطيئتهما عند دانتى تدعو إلى العطف والرحمة .

(٦١) يعنى مدينة رافنا التى تقع على مقربة من ساحل الأدرياتيك ، ولم تذكر اسم المدينة ربما لأنه آلمها ذكرى الأمل والوطن .

(٦٢) يلاقى نهر البو ونهيراته صعوبات الأرض فى مجراه الأعلى ويبحث عن السلام فى المجرى الأدنى السهل وفى البحر . وهنا يمزج دانتى بين معنى السلام عند الإنسان وفى حياة النهر .

(٦٣) لا تنطق فرنتشسكا فى هذه الآونة بغير الحب . وقد ساد مذهب الحب فى مدرسة الشعر الحديث فى فلورنسا فى القرن ١٣ م . وقال دانتى فى « الحياة الجديدة » ما يعبر عن هذا المعنى ، وكذلك فعل معاصروه :

V.N. XX. 3.
Guinizelli, Canz. V. 1.

(٦٤) يسيطر الحب على القلب سريعاً ، حتى إن المحب لا يدرك كيف يحدث هذا .

(٦٥) هناك خلاف بين النقاد على نص هذا المعنى وتفسيره . يرى بعض أن دانتى أراد أن يقول « تيم شخصه هذا الجميل » .

(٦٦) هناك جدال وخلاف بين الدانتيين على معنى (offendere) وتفسر بمعنى الحزن أو الإهانة أو القهر .

(٦٧) تنسى الألم لحظة ثم تعود إلى ذكرى الحب .

(٦٨) أى أن الحب لا يطلب سوى الحب ولا يعفى المحبوب من أن يحب من أحبه . ومن ذا الذى يستطيع أن يقاومه ؟ يعنى أن پاولو أحبها فأحبته . وهى تتكلم بصدق وحرارة . وإن حرارة القلوب تذيب كل الذنوب ، وبذلك تتحول الخطيئة إلى طهارة وفضيلة بنيران القلب المخلص .

(٦٩) أى أن الحب لا يزال مستولياً عليها ولا تستطيع منه خلاصاً .

(٧٠) عادت فرنتشسكا مرة ثالثة إلى الحب ، ولكنها لا تطيل الكلام عنه ، لأنه أدى إلى حدوث مأساتهما .

(٧١) قادهما الحب إلى موت واحد ، إلى موت الجسد ، وإلى اللعنة والعذاب . بين فرنتشسكا وپاولو أخوة فى الحب والخطيئة والموت والعذاب . وفى الموت خلود الحب . ويشبه هذا ما حدث لتريستانو وإيزوتا ، الذى عبر ڤاجنر فى موسيقاه عن خلود حبهما بالموت ، كما سبق الإشارة إليه .

(٧٢) الدائرة القائينية — نسبة إلى قابيل (Caina) — هى الطبقة الأولى من الحلقة التاسعة

من الجحيم ، التى تعذب فيها نفوس الخونة ومن قتلوا أقاربهم . هذا مع أن جانتشوتو ، الزوج ، لم يرتكب القتل إلا دفاعاً عن العرض . وهل كان من المنتظر أن يقف بارداً أمام شرفة المنتهك ، ألم يكن جانتشوتو جديراً بأن يلقى العطف والرحمة جزاء ما فقد ؟ فعل دانتى ذلك ، وخرج على تقاليد العصر وقواعد الأخلاق والدين . لأنه آمن بالحب ، واعتقد بأنه فوق التقاليد وقواعد المجتمع وأقوى من الشرف والخطيئة واللعنة والموت . وسيكون موضع جانتشوتو مع قتله الأقارب :

Inf. XXXII. 16-69.

(٧٣) كانت فرنتشسكا تتكلم وحدها ، ولكن باسمها واسم پاولو .

(٧٤) هنا سادت فترة صمت وسكون . غلب دانتى الأسى فسكت وأطرق رأسه طويلا ، وظل يفكر فى كلام فرنتشسكا العذب الأليم . وسكت ڤرجيليو أيضاً إلى جانبه . ورب صمت أبلغ من كلام .

(٧٥) قطع ڤرجيليو هذا السكون وبدأ يتكلم .

(٧٦) لم يعد دانتى المستغرق فى الفكر والأسى إلى نفسه ، إلا بعد جهد ووقت . ولما أجاب عن سؤال ڤرجيليو بدا كأنه يحادث نفسه .

(٧٧) تساءل دانتى عن الخواطر العذبة والرغبة العميقة التى أدت بهما إلى الجحيم .

(٧٨) بذل دانتى جهداً حتى تمالك نفسه ، وعاد إلى سؤال فرنتشسكا .

(٧٩) فى كلام دانتى عطف وإعزاز ومشاركة للمعذبين فى آلامهما ، التى تبعثه على البكاء وتجعله حزيناً خاشعاً متعبداً أمام هذا الموقف المليء بالأسى .

(٨٠) أى فى الوقت السعيد الذى كان كل منهما يفكر فيه فى حبه وصاحبه .

(٨١) أى ليس هما اللذان عرفا ما يخالجهما من تلقاء نفسيهما ، ولكن الحب ذاته هو الذى كشف لكل منهما عما فى قلب الآخر من عاطفة .

(٨٢) يصحب الحب الشك والغموض ، ويتشكك العاشق فى مدى حب صاحبه له ، وفى الشك إذكاء للحب .

(٨٣) قالت إن ذكرى العهد السعيد وقت البؤس ، يزيد عذاب النفس . ومع هذا فإن الذكرى ذاتها تعزى القلب المكلوم ، فتشعره بالسعادة وتعذبه فى وقت واحد . ويشبه هذا ما قاله بويتزيوس :

Boethius, Philosophiae Consolationis, II. IV. 4.

(٨٤) أشهدت فرنتشسكا ڤرجيليو على صحة هذا القول .

(٨٥) يشبه هذا قول ڤرجيليو :

Virg. Æn. II. 10-13

(٨٦) عند ما يمتزج البكاء بالكلام يكون منتهى الألم . والكونت أوجولينو فيما بعد يتكلم ويبكى . وورد هذا المعنى عند ڤرجيليو :

Inf. XXXIII. 9.
Virg. Æn. VI. 1.

لم تسرع فرنتشسكا إلى الإجابة عن سؤال دانتى ، وتأخرت بكلامها السابق فى الاعتراف له ، كن

يريد أن يحتفظ بسر عزيز لديه ، ثم فاض لسانها بما ضمته جوانحها ، وكن يمنع عبراته لحظة ، ثم لا تلبث أن تفيض على الرغم منه .

(٨٧) تمهلت فرنتشسكا ووقفت عند كل كلمة ، لأنها استعادت ذكرياتها العذبة الأليمة : كانت تقرأ مع پاولو للتسلية والمتعة قصة حب قديمة ، تجاوبت مع ما فى نفسيهما من العواطف .

(٨٨) عين الملك أرثر ، فى قصص المائدة المستديرة ، لانتشلوتو فارساً لزوجته الملكة جينڤرا . نشأ الحب بين الملكة وفارسها ، وسألته مرة كيف ومتى أحبها . قال إنه أحبها منذ أن أصبح فارساً لها ، وإنه استمد منها الحب عندما ودعته فى رفق وعذوبة ، وبذلك غمرته بالسعادة وجعلته غنياً وسط الفقر . ولكن جينڤرا على الرغم من حبها إياه كان يلذ لها أن تعذبه وتؤلمه ، حتى ظن لانتشلوتو أنها لم تعد تحبه . وعندئذ تدخل جاليوتو صديقهما ، ودافع عن لانتشلوتو ، وشرح كيف أنه يحبها أكثر من نفسه ، وأنه كنز لا يمكن العثور على مثيله ، وسألها أن تكون رحيمة به ، وأن تظهر له الحب الذى تخفيه وأن تحتفظ به أبداً . وعدت جينڤرا أن تفعل ذلك ، وأفصحت عن رغبتها فى أن يكون أحدهما خالصاً للآخر :

Malory, Th.: The Death of King Arthur. Oxford, 1955.

(٨٩) كانا بعيدين عن أعين الرقباء ، وهذا دليل على شعورهما بالخطيئة .

(٩٠) لم يخامرهما أى شك فى أن يكشف أمرهما .

(٩١) جعلتهما تلك القراءة يتبادلان النظرات ، فزاد نبضهما ، وكشف أحدهما الحب فى وجه الآخر ؛ وإن تلاقى عيونهما عدة مرات معناه أنهما قاوما هذا الشعور بعض الوقت . ورأت فرنتشسكا فى نفسها صورة جينڤرا ، ورأى پاولو فى نفسه صورة لانتشلوتو .

(٩٢) انتهت مقاومتهما وغلبهما الحب . حاولت فرنتشسكا أن تشرح أصل ذلك الحب ، ولكنها لم تكد تبدأ الكلام حتى أشرفت على النهاية .

(٩٣) البسمة كناية عن الفم . لا يذكر دانتى الفم أو الشفتين ، ولكنه يذكر الابتسامة . ويعبر عن مادة الشفتين بالبسمة غير المادية ، وهذا شعور رقيق . قصدت فرنتشسكا أن مقاومتهما قد هزمت عند ما قرآ أن جينڤرا ولانتشلوتو قد تعانقا فى قبلة طويلة فى ضوء القمر الساطع .

(٩٤) اكتفت بالإشارة إلى پاولو بلفظ هذا دون أن تذكر اسمه ، لأن من يعرفها لابد أن يعرفه ، وهما شىء واحد ، هو هى وهى هو ، وهذا منتهى الحب .

(٩٥) هما متلازمان فى الحياة والموت واللذة والعذاب .

(٩٦) عندما قرآ عن قبلة جينڤرا ولانتشلوتو غمرتهما نشوة الحب ، وسقط الكتاب من أيديهما ، واقترب وجهاهما ، واختلطت أنفاسهما ، والتقت شفتاهما المرتعشتان فى قبلة حارة عميقة خالدة .

(٩٧) أى أن القصة ومؤلفها لعبا دور جاليوتو (Galeotto) وسيط الحب بين جينڤرا ولانتشلوتو .

(٩٨) لم يقرآ ذلك اليوم شيئاً لا لأنهما لم يرتكبا من الإثم سوى هذه القبلة ، ولكن فرنتشسكا لم تقو على الكلام أكثر مما فعلت . اعترفت بخطيئتها ولكن مع احترام شخصها . أخبرت فرنتشسكا دانتى بكل شىء ، بكلماتها القصيرة ، وتركت ظلا من الإيجاز والإبهام على ما اختلج بين جوانحها .

وكثيراً ما تعجز اللغة عن التعبير عما يدور فى حنايا القلوب . عبرت فرنتشسكا عن الفاجعة بسطر واحد . ولم تذكر كيف قتلا . اختلط فى ذلك الحب باللذة والإثم والنار والخلود . ويشبه مقتلهما ما صوره شكسبير فى مأساة عطيل . يسأل عطيل ديدمونة قبل أن يقتلها هل قامت بالصلاة ، ويطلب إليها ألا يفوتها إثم دون أن تستغفر السماء من أجله ، ولها أن تعتبر نفسها فى فراش الموت ! استولت الدهشة والرعب على ديدمونة البريئة ، وحاولت أن تعرف ماذا قصد عطيل بذلك الكلام الرهيب . لم ترتكب ديدمونة إثماً ، ولكن عطيلا صدق وشاية ياجو بها ، فأخذته الغيرة وقتلها ، ثم عرف الحقيقة الأليمة بعد موتها . وهنالك خلاف بين المأساتين لأن فرنتشسكا ارتكبت الإثم واعتزت بحبها ولم تتنصل منه ، بعكس ديدمونة التى لم ترتكب إثماً :

Shakespeare, Othello, V. 2.

(٩٩) أى طول ذلك الوقت .

(١٠٠) أى فرنتشسكا .

(١٠١) أى پاولو . . بينما كانت فرنتشسكا تتكلم كان پاولو يبكى . كلامها بكاء وبكاؤه كلام ، وهما يعبران عن شىء واحد . أحس الرجل القوى الشجاع بالمسؤولية ، وقدر التضحية التى بذلتها من أجله المرأة ، فلم يقو على الكلام . أما المرأة الخجول الوديعة فقد أصبحت جريئة شجاعة وتكلمت باسمها واسم عاشقها وافتخرت بما فعلت . وظهر پاولو أمامنا وهو لا يفعل شيئاً سوى أن يصعد الزفرات . وكان پاولو بذلك روحاً مليئاً بالحياة الزاخرة . ولا ندرى أيهما كان أشد تأثيراً فى النفس ، كلام فرنتشسكا العذب الأليم ، أو بكاء پاولو الصامت بغير كلام ؟ عندما نطقت فرنتشسكا بكلماتها الأولى أحس دانتى بالأسى ، وعندما تابعت كلامها امتلأت عيناه بالدمع ، وعند ما بكى پاولو ، لم يحتمل دانتى هذا الأسى العنيف ، ففقد الوعى .

(١٠٢) أى أن دانتى أحس أنه يموت .

(١٠٣) فقد دانتى الوعى وهوى إلى الأرض كجثة لا حراك بها . وهذا منتهى المشاركة فى آلام هذين العاشقين . ويقال إن دانتى كان معرضاً لنوبات يفقد فيها الوعى ويسقط على الأرض . ويشبه هذا قول أوڤيديوس :

Ov. Met. XI, 457-460.

(١٠٤) هكذا رسم دانتى شخصية فرانتشسكا دا ريمينى . وهذا الفصل هو أشهر أجزاء الكوميديا . ظهرت شخصية فرنتشسكا بعد تدرج طويل فى أشعار التروبادور حيث كانت المرأة انعكاساً لصورة الرجل ، ثم أصبحت فى الشعر الغنائى فى أواخر العصور الوسطى رمزاً للفضائل . وظهرت شخصية فرنتشسكا وليدة لتجارب الحب العديدة التى مر بها دانتى . وصحيح أن دانتى وضع فرنتشسكا فى الجحيم ، ولكنه جحيم مخفف ، بالنسبة للإثم فى حق الزوج ، لأنه أدرك أنه يصعب على الإنسان مقاومة العاطفة ، وأبدى نحوها العطف والرعاية والأسى ، حتى فقد الوعى . وفرنتشسكا على الرغم من الخطيئة شخصية نبيلة رقيقة وديعة صادقة معترفة بالجميل ، تكاد تكون تقية صالحة ، لا تحسد أحداً ولا تحقد على إنسان ، ولا تسخط على العذاب الذى تلاقيه ، ولا تتلمس المعاذير للخطيئة التى ارتكبتها . وهى امرأة حية حقيقية . وهى سابقة على تلك الشخصيات الإنسانية الحديثة التى خلقها شكسبير وجوته . وهى مثل أعلى للإنسان الحى الحديث الواقعى بخيره وشره . وخلالها صور

دانتى الإنسان الرقيق الضعيف ، الذى يخضع للقدر ، ويستسلم للخطيئة . عاشت فرنتشسكا فى عالم لم يفهمها . إنها كالزهرة الرقيقة تؤثر فيها نسمات الهواء الرقيقة . هى ضحية أكثر منها آثمة . إنها شهيدة حب . هكذا حطم دانتى أبا الهول ، وكسر القيود السابقة ، وخرج على تقاليد العصور الوسطى ، وتغلغل فى صميم الحياة الواقعة ، وصور الإنسان الحديث .

وعلى باب الجحيم الذى صنعه رودان صور من الحفر البارز تمثل عذاب الآثمين ، ومن بينهم پاولو وفرنتشسكا وهما فى حالة من الوجد والهيام .

ووضع بعض الموسيقين ألحاناً موسيقية استوحوها من قصة فرنتشسكا والكوميديا . فألف ليست (١٨١١ – ١٨٨٦) سيمفونية دانتى التى تصور عالم الجحيم ودنيا المطهر والتطلع إلى الفردوس . ووضع سوناتا دانتى التى تصور حب هذين العاشقين وعذابهما . وألف تشايكوفسكى (١٨٤٠ – ١٨٩٣) افتتاحية سمفونية عن فرنتشسكا دا ريمينى تجاوب فى أنغامها عصف الرياح وأنين العاشقين اللذين يذوبان وجداً وهياماً . وكذلك وضع تزاندوناى (١٨٨٣ – ١٩٤٤) ألحان أوپرا فرنتشسكا دا ريمينى على أساس كتاب دانتزيو عنها .

الأنشودة السادسة (١)

أفاق دانتي من غشيته أمام عذاب فرنتشسكا وپاولو ، فوجد نفسه في الحلقة الثالثة ، حيث المطر والبرَد يهطل فوق المعذَّبين الذين ارتكبوا خطيئة الشره والنهم . رأى دانتي تشير بيروس الوحش ذا الرؤوس الثلاث — رمز الشره والنهم — وهو يعوى فوق رؤوس المعذَّبين ويمزقهم ويلتهمهم . وعندما رأى الوحش دانتي كشر عن أنيابه ، ولكن ڤرجيليو ملأ أفواهه الفاغرة بحفنة من أديم الأرض . وفي أثناء مرور الشاعرين فوق الأشباح المغمورة في مياه المطر ، نهض شبح تشاكو المواطن الفلورنسي الذي اشتهر بالشره والنهم . أبدى دانتي عطفه عليه وسأله عن مصير أهل فلورنسا . فأجابه بأن الدماء ستسيل في فلورنسا وأن حزب (البيض) سيطرد منها ، ويحلّ مكانه حزب (السود) وأخبره أن العادلين قلائل في فلورنسا ، وأن الغطرسة والحسد والجشع هي أسباب ما أصاب فلورنسا من الويلات . استفسر دانتي عن بعض أبطال فلورنسا مثل فاريناتا وتيجيايو وموسكا ، وسأله أن يعمل على رؤيتهم ، وهل هم في السماء أو في الجحيم . أجابه تشاكو بأنه قد هوَتْ بهم إلى أعماق الجحيم خطايا أخرى ارتكبوها ، وسأله أن يحمل إلى الأحياء ذكراه عند عودته إلى العالم الحبيب ، ثم سقط مغموراً في الوحل . عرف دانتي من ڤرجيليو أن عذاب هؤلاء الآثمين سوف يزيد بعد الحكم الأخير ، لأنهم سيقتربون نوعاً من الكمال ، باتحاد نفوسهم بأجسامهم ، لأنه كلما زاد الكمال زاد الإحساس باللذة والألم ، كما يقول أرسطو . ثم هبط الشاعران إلى الحلقة الرابعة ، التي يحرسها پلوتوس الشيطان ، عدو الإنسان اللدود .

١ بينما عاد إلىَّ الوعى الذى كنتُ قد فقدته بإشفاقى على الصنوين [٢] ، والذى بلْبلَ بالحزن خاطرى [٣] ،

٤ إذا بى أرى حولى عذاباً جديداً ومعذبين جدداً ، أنّى أتحرّك وأتجه ، وأينما أنظـــر [٤] .

٧ أنا فى الحلقة الثالثة ، حلقة المطر الأبدى ، اللعين ، البارد الثقيل [٥] ؛ لا يتجدّد عنفه أبداً ولا يتغيّر نوعه [٦] .

١٠ بردٌ كبيرٌ ، ومياهٌ مسودّةٌ ، وثلجٌ يهطل خلال الهواء المظلم ؛ فتبعثُ كريهَ الروائح الأرضُ التى تتلقى هذا كله [٧] .

١٣ وتشير بيروس [٨] الوحش الكاسر العجيب ، يعوى ككلبٍ ذى أفواه ثلاثة [٩] ، على رؤوس القوم الذين غُمروا هنا [١٠] .

١٦ إنه ذو عينين حمراوين [١١] ، ولحية كثّة سوداء [١٢] ، وبطن كبير [١٣] ، ويدين تسلّحتا بالمخالب [١٤] ؛ يمزق الأرواح ، ويسلخها ويشطرها أرباعاً [١٥] .

١٩ يطلق المطـــر عواءَهم كالـــكلاب : يتدرّعون بجنْبٍ عن جنب ؛ ويتقلب الآثمون التعساء كثيراً [١٦] !

٢٢ وحينما رآنا تشير بيروس الوحش الضخم [١٧] ، فغَر أفواهه وكشر لنا عن أنيابه ؛ ولم يدَعْ عضواً منه فى ســكون [١٨] .

٢٥ فمدَّ دليـــلى راحتيه ، وأخذ تراباً من أديم الأرض وقذف به ، مُمتلىء القبضتين ، فى الحلوق الجشعة [١٩] .

٢٨ ومثل ذلك الكلب الذى يتشهّى وهو ينبح ، ويهدأ عندما ينهش الطعام ، لأنه لا يَجِدّ ولا يقاتل إلا لافتراسه [٢٠] ؛

٣١ كذلك فعلتْ تلك الوجوه البشعة ، وجوه الشيطان تشير بيروس ، الذى أرْعدَ فوق الأرواح ، حتى رغبتْ أن يُصيبها الصمم [٢١] .

٣٤ ومررنا فوق أشباح ترزح تحت مطر ثقيل ، وخطَونا فوق رسومها الخاوية ، التى تبدو أجسادَ بشر [٢٢] .

٣٧ استلقتْ كلها على الأرض سوى شبحٍ واحدٍ (٢٣)، نهض سريعاً ليجلس (٢٤)، حينما رآنا نمـــرّ من أمامه .

٤٠ وقال لى : « أنت يا أيها المقود خلال هذا الجحيم، تعرّفْ علىّ إن استطعت : إنك وُلدت قبل أن أموت (٢٥) » .

٤٣ قلت له : « إن العذاب الذى تعانيه، ربما يمحو صورتك من ذاكرتى، حتى لـــكأنى لم أرك من قبل قطّ (٢٦) .

٤٦ ولكن أخبرنى من أنت الذى وُضعتَ فى مثل هذا المكان الأليم ، وفى مثل هذا العذاب الذى إن وُجد ما يفوقه ، فليس أشدّ منه تنفيراً » .

٤٩ قال لى : « مدينتك التى هى مليئةٌ بالحسد (٢٧) ، حتى فاض به الإناء ، احتوتنى فى الحيـــاة الوادعة (٢٨) .

٥٢ وأنتم يا مُواطنىّ سمّيتمونى تشاكّو : إنى أنوء بخطيئة النهم اللعين ، كما ترى ، تحت وابل المطـــر (٢٩) .

٥٥ ولستُ وحدى بالنفس البائسة (٣٠) ، فهؤلاء كلهم ينالون ذات الجزاء لنفس الإثم » . ولم ينطق بعد ذلك حرفاً (٣١) .

٥٨ فأجبته : « تشاكو ، إن عذابك يثقل على نفسى هكذا ، حتى ليدعونى إلى البكاء (٣٢) ؛ ولكن أخبرنى ، إذا كنت تعرف ، إلى أين

٦١ يصير (٣٣) سكان هذه المدينة (٣٤) المنقسمة (٣٥) ؛ وهل بها إنسانٌ عادل (٣٦) ؟ وخبرنى عن السبب الذى أصبحتْ من أجله ، لكل هذا الخلاف ، ضحية (٣٧) » .

٦٤ قال لى (٣٨) : « بعد صراع طويل سيسفكون الدماء (٣٩) ، وسيطرد حزبُ الريّف غريمه ، بخسارةٍ كبيرة (٤٠) .

٦٧ ولابدّ بعد ذلك أن يسقط هذا الحزب (٤١) خلال دوْراتٍ للشمس ثلاث (٤٢) ، ويعلو الآخر (٤٣) بقوّة من يداورهما (٤٤) .

٧٠ وسيحمل جباهَهُ عاليةً زماناً طويلاً (٤٥) ، موقعاً الآخر تحت فادح الأعباء ، مهما أبدى لذلك من بكاءٍ أو أحسّ من عار (٤٦) .

٧٣ العادلان اثنان[٤٧] ، ولكن لا يُسمع لهما هناك[٤٨] : الغطرسة والحسد والجشع ، هي الشرارات الثلاث التي أشعلت القلوب[٤٩] » .

٧٦ وهنا اختتم كلامه الباكي[٥٠] . قلت له : «لا زلت أرغب أن تعلّمني ، وتمنحني من الكلام مزيداً[٥١] .

٧٩ فاريناتا[٥٢] ، وتيجيايو[٥٣] ، وقد كانا ذَوَيْ فضلٍ عظيم ، وجاكوبو روستيكوتشي[٥٤] ، وهنري[٥٥] ، وموسكا[٥٦] ، والآخرون الذين وضعوا عقولهم لفعل الخير[٥٧] ؛

٨٢ خبرني أين هم ، واعمل على أن أراهم ؛ فإن رغبــةً شديدةً تدفعني أن أعلم ، أتسعدهم السماء أو تُهلكهم الجحيم[٥٨] ؟ » .

٨٥ أجابني : « إنهم بين أشدّ النفوس سواداً[٥٩] : خطايا أخرى في أسفل تهوى بهم إلى القاع[٦٠] : فإذا أمعنتَ في الهبوط استطعتَ أن تراهم .

٨٨ ولكن حينما تُصبح في العالم الحبيب ، أرجو أن تحمل اسمي إلى ذاكرة الأحياء[٦١] : ولن أزيدك حديثاً ولن أضيف جواباً » .

٩١ واعترى الحوَلُ عينيه بعد استقامة النظر[٦٢] : وحدّجني قليلاً[٦٣] ، ثم خفض رأسه : وسقط به بين سائر العميان[٦٤] .

٩٤ قال لي دليلي: « إنه لن ينهض حتى يُنفخ في الصور الملائكيّ[٦٥] ، حينما تأتي القوّة المعادية[٦٦] :

٩٧ سيسعى كل منهم إلى قبره الحزين ، وسيستردّ جسدَه وصورته ، ويسمع ما يدوّي إلى الأبد[٦٧] » .

١٠٠ هكذا عبَرنا خلال الخليط الكريه من الأشباح والمطر ، بخطىً[٦٨] بطيئة ، ونحن نتحدّث قليلاً عن الحياة المقبلة .

١٠٣ لهذا قلت : « أستاذي ، هل سيزيد هذا العذاب بعد الحكم الأخير ، أو ينقص ، أو سيظلّ قاسياً هكذا[٦٩] ؟ » .

١٠٦ قال لي : « ارجع إلى علمك[٧٠] الذي يرى أنه كلما أصبح الكائن أكثر كمالاً ، زاد إحساسه باللذة وكذلك بالألم[٧١] .

١٠٩ ومع أن هؤلاء القـــوم الملعونين ، لا يبلغون الـــكمال الحقيقى أبداً ،
فإنهم يتوقعون أن يكونوا بعدُ أقرب إليه منهم الآن[٧٢] » .
١١٢ ودُرْنا حول ذلك الطريق[٧٣] ، ونحن نتكلم كثيراً ، مما لا أعيد قوله ؛
ووصلنا إلى موضعٍ يبدأ الهبوط عنده[٧٤] :
١١٥ وهناك وجدنا پلوتوس[٧٥] ، العدوّ الكبير[٧٦] .

حواشى الأنشودة السادسة

(١) تسمى هذه الأنشودة باسم أنشودة الشرهين أو أنشودة تشاكو الفلورنسى . وهى تقابل الأنشودة ٦ من المطهر التى يلعن فيها دانتى إيطاليا ، كما تقابل الأنشودة ٦ من الفردوس حيث يستعرض جستنيان تاريخ الأمبراطورية الرومانية . ويسرد دانتى هنا بعض تاريخ فلورنسا . هناك صلة بين هذه الأنشودات الثلاثة التى تعبر عن حلم دانتى الوطنى العالمى .

(٢) يقصد فرنتشسكا وپاولو .

(٣) كان دانتى لا يزال تحت تأثير الأسى الذى أحسه من أجلهما حتى فقد الوعى .

(٤) وصل الشاعران إلى الحلقة الثالثة حيث يلقى الشرهون النهمون عذابهم . يعبر دانتى بالحركة والنظر عن كثرة المعذبين .

(٥) يعنى أن الثلج يتساقط كالمطر .

(٦) لا يتغير عنف العذاب فى الجحيم لأنه أبدى .

(٧) أى الرائحة الكريهة .

(٨) تشيربيروس (Cerberus) كلب خرافى فى الميتولوجيا القديمة، جعله ڤرجيليو حارس الجحيم كله ، وهو هنا حارس هذه الحلقة ، وذكره ڤرجيليو وأوڤيديوس :

Virg. Æn. VI. 417-423.
Ov. Met. VI. 448.

(٩) أفواه أو حلوق ثلاثة كناية عن الشره الشديد .

(١٠) أى أنهم غمروا فى المطر والوحل .

(١١) العين الحمراء علامة الوحشية والغضب .

(١٢) اللحية السوداء الكثيفة رمز الشره والنهم . ويتخذ دانتى لفظ اللحية للتقريب بين الإنسان والحيوان .

(١٣) البطن الكبير رمز لمن لا يشبع أبداً .

(١٤) المخالب رمز الافتراس .

(١٥) أى يقسمهم أربعة أقسام حتى يسهل ابتلاعهم .

(١٦) يعنى أن المطر يؤلم جوانبهم وقد غمروا فى الوحل ، فيديرون الجانب المغمور لكى يخففوا الألم عن الجانب الآخر الذى تعرض للمطر الثقيل، وهم بذلك يتقلبون سريعاً من شدة الألم .

(١٧) فى الأصل (الدودة) الكبيرة بمعنى حيوان أو وحش ضخم مخيف . وكذلك يسمى دانتى لوتشيفيرو — الشيطان — فى آخر الجحيم :

Inf. XXXIV. 108.

(١٨) هذا تصوير لغضب الوحش الرهيب . وهو نموذج للصور الرهيبة التى رسمها دانتى فى الجحيم . وسيرسم بعض أعلام الفن فى عصر النهضة مثل ليوناردو دا ڤنتشى (١٤٥٢ —١٥١٩) بعض صور لحيوانات خيالية رهيبة ، بعضها مستمد من جحيم دانتى ، مثل الصورة المرسومة بالطباشير والرصاص والحبر فى المكتبة الملكية فى وندسور بانجلترا .

(١٩) لا يملأ فم الوحش سوى التراب . وكذلك حال الشرهين النهمين . وردت صورة مشابهة في الإنيادة :

Virg. Æn. VI. 420.

(٢٠) هذه صورة حية للكلب . ويشبه هذا قول ڤرجيليو :

Virg. Æn. VI. 421.

(٢١) كان عواء تشيربيروس كصوت الرعد ، حتى آثر المعذبون أن يصيبهم الصمم .

(٢٢) كان للأشباح صورة الإنسان .

(٢٣) هذا شبح تشاكو (Ciacco) المواطن الفلورنسي في القرن ١٣ م . وهو يمثل الرجل الشره النهم .

(٢٤) نهض جالساً ، لأنه لا يستطيع الوقوف لشدة هطول الثلج والمطر .

(٢٥) مات تشاكو حوالى ١٢٨٦ ، بعد أن تجاوز دانتي سن العشرين .

(٢٦) العذاب المرتسم على وجه تشاكو غير ملامحه فلم يستطع دانتي أن يعرفه . وهذا دليل على الأسى العظيم الذي كان يعانيه . يدل هذا على قوة ملاحظة دانتي للوجوه . وهو بذلك يعطي صورة صحيحة لبعض مواقف الإنسان . عندما يفصح دانتي عن خفايا النفس البشرية ، يخرج على تقاليد العصور الوسطى ، ويمهد لعصر النهضة والعصر الحديث .

(٢٧) يقصد فلورنسا المليئة بالحسد والتنافس على الوظائف والمصالح ، بين الأفراد بعضهم وبعض ، وبين الطبقة الوسطى والنبلاء ، وبين أصحاب المهن الصغرى والمهن الكبرى .

(٢٨) الحياة الوادعة يعني الحياة على الأرض ، وذلك بالقياس إلى الحياة في الجحيم .

(٢٩) يتكلم والعذاب يضنيه .

(٣٠) يذكر تشاكو أنه ليس وحده الذي يلاقي هذا العذاب ، وفي ذلك بعض العزاء .

(٣١) أضناه العذاب فسكت .

(٣٢) هنا يتأثر دانتي ويشارك تشاكو ألمه ويشعر أنه على وشك البكاء . ليس الجحيم مكان العطف والرحمة ، ولكن هكذا جعله دانتي ، ومزج فيه بين الرحمة والعذاب .

(٣٣) يسأل دانتي عن المستقبل لأن أرواح الموتى تعرف ذلك . سيكرر دانتي مثل هذا السؤال فيما بعد :

Inf. X. 95-99.

(٣٤) يقصد فلورنسا .

(٣٥) أي التي قسمتها الأحزاب السياسية ، يقصد دانتي بالسؤال الأول معرفة مصير شعب فلورنسا .

(٣٦) في السؤال الثاني يحاول أن يعرف هل خلت فلورنسا من العادلين .

(٣٧) في السؤال الثالث يريد أن يعرف سبب هذا الصراع الحزبي العنيف . يقول الأصل « لماذا هاجمها كل هذا الخلاف » وأظن أن هذا التصرف لا يغير المعنى .

(٣٨) تسجل هذه الأبيات تاريخ فلورنسا السياسي بين ١٣٠٠ و ١٣٠٢ م .

(٣٩) حدث الكفاح بين فرعين من حزب الحلف البابوى فى فلورنسا . الفرع الأول ويعرف بالبيض والثانى بالسود ، وحزب الريف هم البيض لأنهم يرجعون إلى وادى سييڤ فى ريف فلورنسا . سالت الدماء بين الجانبين فى أعياد الربيع ١٣٠٠ وأصاب فلورنسا دمار شديد ، فاضطرت الحكومة الفلورنسية ومن أعضائها دانتى إلى نفى زعماء الجانبين توطيداً للأمن والسلام .

(٤٠) فى يونيو ١٣٠١ دبر السود مؤامرة لطرد البيض من الحكم ، ولكن كشف أمرهم ونفى بعض زعمائهم وعلى رأسهم كورسو دوناتى ، وبذلك لحق السود أضرار كبيرة .

(٤١) أى حزب البيض من آل تشيركى .

(٤٢) يعنى قبل انقضاء ثلاث سنوات .

(٤٣) يعنى حزب السود من آل دوناتى .

(٤٤) أى البابا بونيفاتشو الثامن ، الذى اتصل بالحزبين ، وداورهما بعض الوقت ، ثم رأى أن من مصلحته إعلاء شأن السود ، فأرسل شارل دى ڤالوا الأمير الفرنسى لكى يوطد السلام فى فلورنسا . ونجح شارل دى ڤالوا فى توطيد السلام البابوى ، وطرد حزب البيض من الحكم ووضع مكانه حزب السود ، ونفى كثيرون من أنصار حزب البيض ، ومن بينهم دانتى فى يناير ١٣٠٢ .

(٤٥) بقى حزب السود فى الحكم زمناً طويلا ، وصادر أملاك حزب البيض ، وحال السود دون تجمعهم خارج فلورنسا لاقتحامها . ولم يشر دانتى إلى تفصيلات هذه الحوادث .

(٤٦) أى أن بكاء حزب البيض وإحساس رجاله بالعار لم يمنع حزب السود من ارتكاب أعمال العنف والاضطهاد والتنكيل بهم . وهذه إجابة دانتى عن سؤاله الأول .

(٤٧) لا يتفق النقاد على تحديد العادلين الإثنين . ربما قصد دانتى نفسه وصديقه جويدو كاڤالكانتى . وربما كان المقصود أن العادلين قلائل جداً فى فلورنسا .

(٤٨) وعلى الرغم من قلة العادلين فى فلورنسا فلم يستمع إليهم أحد ، وبذلك سارت الأمور سيراً سيئاً .

(٤٩) أثارت هذه الرذائل الأحقاد فى قلوب أهل فلورنسا .

(٥٠) يعنى أنه يتكلم بصوت حزين كالبكاء .

(٥١) دانتى شديد الرغبة فى المعرفة دائماً ، ويعتبر المزيد من الكلام لزيادة المعرفة ، بمثابة منحة أو هدية .

(٥٢) فاريناتا دلى أوبرتى (Farinata degli Uberti) أحد زعماء الجبلين فى فلورنسا فى القرن ١٣ . ويمثل الشجاعة والقوة الوطنية . وسيأتى موضعه بعد :

Inf. X. 22-121.

(٥٣) تيجيايو ألدوبراندى دلى أديمارى (Tegghiaio Alldobrandi degli Adimari) فارس فلورنسى شجاع ، يلقاه دانتى بعد :

Inf. XVI. 40-41.

(٥٤) جاكوپو روستيكوتشى (Jacopo Rusticucci) فارس فلورنسى شجاع يأتى بعد :

Inf. XVI. 43-45.

(٥٥) لا يتفق النقاد على تحديد شخصية هنرى هذا . ربما كان أريجو (هنرى) دى

فيفانتى (Arrigo dei Fifanti) الذى اشترك فى قتل بونديلمونتى فى ١٢١٥ ولا يذكره دانتى بعد .

(٥٦) موسكا دى لامبرتى (Mosca dei Lamberti) مواطن فلورنسى يأتى بعد :

Inf. XXVIII. 106.

(٥٧) امتاز هؤلاء الرجال جميعاً بالشجاعة والوطنية واستخدموا عقولهم فى خدمة فلورنسا .

(٥٨) كان دانتى متلهفاً على رؤية هؤلاء الأبطال الذين أثروا فى نفسه ببطولتهم ووطنيتهم .

(٥٩) خالف هذا أمل دانتى ، فكان يحب أن يكون هؤلاء الأبطال فى غير الجحيم .

(٦٠) أى أن خطيئتهم لن تكون النهم أو الشره ، كما هى الحال هنا .

(٦١) يذكر تشاكو العالم العذب الحبيب ، ولا تزال الدنيا عزيزة لديه ، ويرجو أن تبقى ذكراه فيها .

(٦٢) هذا هو عقاب المعذبين . يصيبهم الحول لأنهم لا يرون الأشياء على حقيقتها . ويحدث هذا عند ما تنخفض رؤوسهم ، وهم لا يزالون راغبين فى التحدث إلى أحد الأحياء مثل دانتى .

(٦٣) هذه نظرة أسى وداع قبل أن يهبط تشاكو بين رفاقه .

(٦٤) هم لا يرون شيئاً لأن رؤوسهم مغمورة فى الوحل . وكان نهوض تشاكو وهو جالس استثناء مؤقتاً حتى يستطيع التحدث إلى دانتى .

(٦٥) لن ينهضوا إلا يوم القيامة على أصوات الأبواق الملائكية . صور ميكلانجلو الملائكة تنفخ فى الأبواق فى صورة الحكم الأخير فى قبة سستو بالفاتيكان فى روما . وتعبر عيونهم المتألقة وأوداجهم المنتفخة وحركاتهم الطبيعية عن المعنى المطلوب .

(٦٦) القوة أو السلطة المعادية يعنى المسيح . ورد هذا المعنى فى الكتاب المقدس :

Matt. XXV. 31 ...

(٦٧) أى سيسمع المعذبون الحكم بعذابهم الأبدى ، يوم القيامة .

(٦٨) يعنى الخليط الكريه من الأشباح والمطر والوحل .

(٦٩) يستفسر دانتى عن عذاب الآخرة . وبذلك يرغب دائماً فى المزيد من المعرفة .

رسم سنيوريلى (١٤٤١ — ١٥٢٣) فى كاتدرائية أورفييتو صورة تمثل الملعونين يوم القيامة ، بما فيه من شياطين وآثمين سادهم الهول والفزع لما هم مقبلون عليه من العذاب الإلهى . واستطاع سنيوريلى أن يعبر فى حركة الأجسام عن روح دانتى ، وكان ممهداً لصور ميكلانجو .

(٧٠) هذه إشارة إلى آراء القديس توماس الأكوينى المأخوذة عن فلسفة أرسطو القائلة بأن النفس تكمل باتحادها بالجسد فتصبح أقوى على الإحساس باللذة والألم :

D'Aq. Sum. C. Gent. IV. 79.

(٧١) أى سيزيد ألمهم تبعاً لاقترابهم من الكمال .

(٧٢) لن يكون كمالهم حقيقياً فى الواقع .

(٧٣) أى حول الحلقة الثالثة .

(٧٤) أى موضع الهبوط من الحلقة الثالثة إلى الحلقة الرابعة .

(٧٥) بلوتوس (Plutus) إله الثروة فى الميتولوجيا اليونانية :

Vig. Æn. VII. 327.

(٧٦) بلوتوس عدو الإنسان الكبير لأنه يثير فى النفس حب المال .

الأنشودة السابعة(١)

أخذ پلوتوس يصرخ بألفاظ غير مفهومة لكى يبعد الشاعرين عن الجحيم ، ولكن ڤرجيليو أسكته وأفهمه أن هذه هى إرادة السماء ، وبذلك تقدّم الشاعران إلى الحلقة الرابعة . رأى دانتى جماعة البخلاء إلى اليسار وجماعة المسرفين إلى اليمين ، وهم يسيرون فى نصف دائرة وفى اتجاهين متعارضين ، ويدفعون بصدورهم أثقالاً من الصخر ، ويتصايحون عند التقائهم ، ويعيرّ كلا الفريقين صاحبه بمثالبه ، ثم يتراجعون بأثقالهم حتى موضع التقائهم التالى ، وهكذا على الدوام . وتحدّث الشاعران عن القساوسة البخلاء ، وكان من المتعذّر على دانتى أن يتبين واحداً منهم ، لأن البخل قد سوّد وجوههم وغير سحنهم ، ويقول ڤرجيليو : إن ذهب الدنيا كله لا يستطيع أن يريح نفساً واحدةً من العناء الذى تلاقيه فى سبيله . ويشرح فكرته عن الحظّ الذى جعل الله له قوةً يغير بها أحوال الأمم والأفراد ، مما هو فوق متناول البشر ، وبهذا يتحوّل متاع الدنيا من قوم إلى قوم ومن أسرة لأسرة ، وتسيطر أمة وتخضع أخرى . ثم هبط الشاعران إلى الحلقة الخامسة حيث مستنقع استيكس ، ورأى دانتى فيه مَنْ سادهم فى الدنيا سرعة الغضب ، وهم يتضاربون بالرءوس والصدور والأقدام ، وبأسنانهم مزّقوا بعضهم بعضاً . وعرف دانتى أن تحتهم الكسالى الذين يتنهدون ويرسلون فقاقيع الهواء إلى سطح الماء ، وتتحشرج فى حناجرهم الكلمات . ودار الشاعران حول المستنقع الكريه ، وشهدا المعذّبين يبتلعون الوحلَ والدنس ، ووصلا فى النهاية أسفل برج شاهق .

١ بدأ پلوتوس بصوته الأجشّ : « پاپى ساتان ، پاپى ساتان أليپى [٢] ! » .
وذلك الحكيم الرقيق [٣] ، الذى عرف كل شىء ،

٤ قال لكى يهدّئ من روعى : « لا يؤذينك خوفك ؛ فمهما يكن
له من قوّة ، فلن يمنعك من هبوط هذه الصخرة [٤] » .

٧ ثم اتجه إلى ذلك الوجه المنتفخ وقال [٥] : « صَهْ أيها الذئب
اللعين [٦] : لك الويل بما يكنه صدرك من غضب [٧] .

١٠ إن ذهابنا إلى الأعماق ليس دون سبب : هكذا أريدَ فى أعلى [٨] ،
حيث انتقم ميكائيل من جماعة المتغطرسين [٩] » .

١٣ وكما تسقط الأشرعة التى ينفخها الريح وهى متشابكةٌ ، حينما تتحطم
ساريتها ، كذلك سقط على الأرض الوحش المفترس [١٠] .

١٦ وهكذا هبطنا إلى الهوة الرابعة [١١] ، ونحن نتقدّم على الشاطئ الأليم ،
الذى يطوى آثام العالم كله [١٢] .

١٩ إيه يا عدالة الله ! مَنْ ذا الذى يحيط بكلّ هذا العذاب والألم الجديد
الذى شهدته [١٣] ؟ ولماذا تمزقنا خطيئتنا هكذا [١٤] ؟

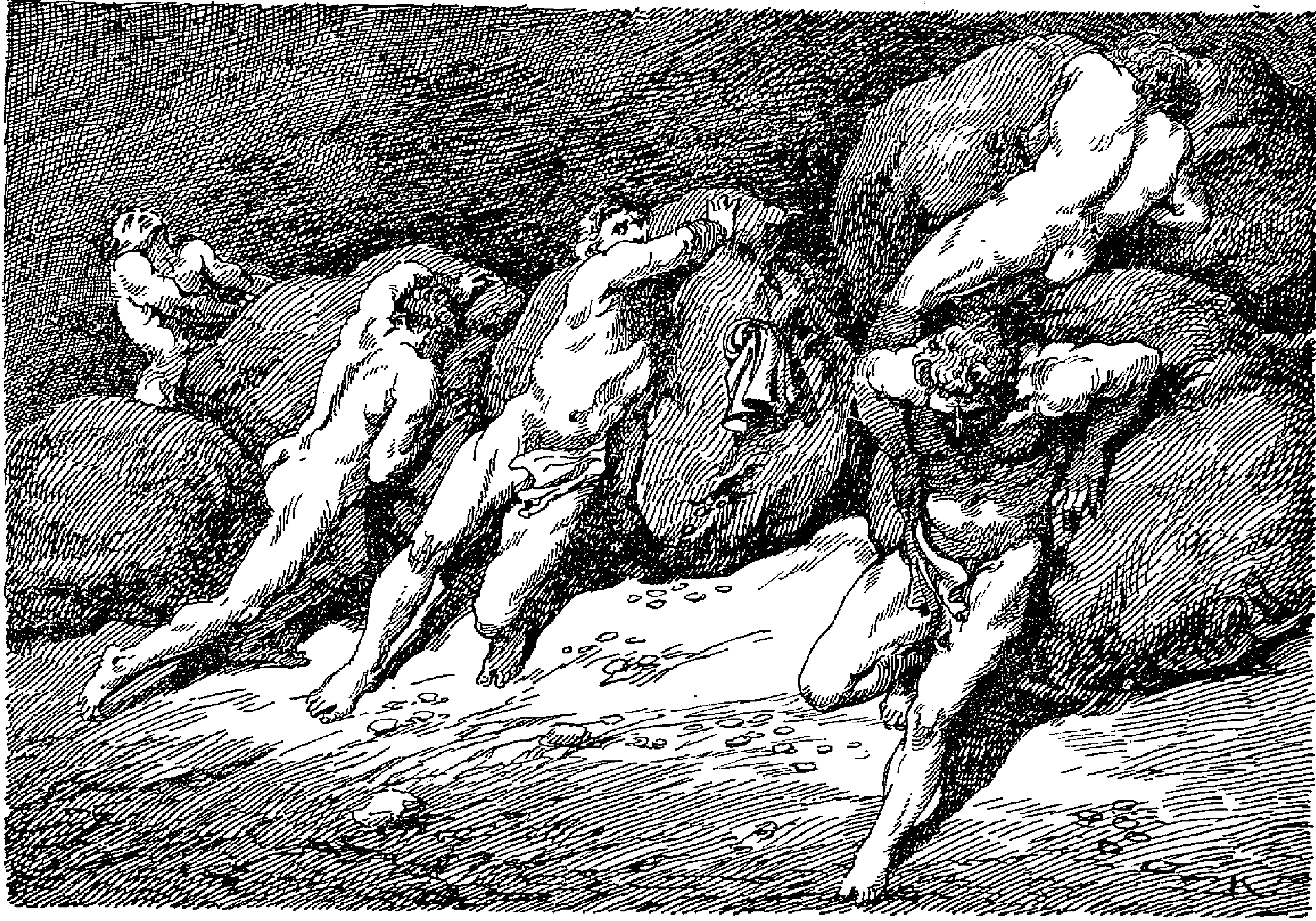
٢٢ وكما يفعل الموج هناك عند كاريدى ، وهو يتكسر مع الموج الذى
يرتطم به [١٥] ، هكذا ينبغى أن يرقص القوم هنا رقصة التقابل [١٦] .

٢٥ رأيتُ هنا قوماً أكثر من كلّ موضع آخر ؛ ومن هذا الجانب وذاك [١٧] ،
وبصرخات مدوية ، أخذوا يدفعون أثقالاً بقوّة صدورهم [١٨] .

٢٨ وتصادموا فى تقابلهم ، وهناك دار كل منهم ، متجهاً إلى الوراء ، وهم
يتصارخون : « لماذا تَحرْص ؟ » و « لماذا تبدد [١٩] ؟ » .

٣١ وهكذا رجعوا داخل الدائرة المظلمة ، من كلا الجانبين إلى النقطة
المقابلة [٢٠] ، وهم يصرخون دواماً بهذا الكلام المشين [٢١] ،

٣٤ وحينما بلغها كل منهم [٢٢] ، استدار فى نصف دائرته ، إلى اللقاء
التالى [٢٣] . قلت وقد أحسستُ قلبى كأنما أصيب .



٦ — البخلاء والمسرفون

أنشودة ٧ : ٢٥ . . .

٣٧ بطعنةٍ : « أرِنى الآن أستاذى أىَّ قومٍ هؤلاء ! وحليقو الرأس على يسارنا هل كانوا جميعاً قساوسة ! » .

٤٠ قال لى : « هؤلاء جميعاً انحرفت عقولهم فى الحياة الأولى هكذا ، حتّى لم ينفقوا شيئاً عن تقدير سليم[٢٤].

٤٣ بهذا تنبح أصواتهم فى وضوحٍ[٢٥]، حينما يأتون إلى نقطتين فى الدائرة ، حيث تفصلهم آثامهم المتعارضــة .

٤٦ أولئك كانوا قساوسةً ، وهم مَنْ ليس على رؤوسهم غطاءٌ من شعر ، باباوات كانوا وكرادلة ، وقد تجلى البخل فيهم إلى غايته القصوى[٢٦]» .

٤٩ قلتُ : « أستاذى ، بين مثل هؤلاء ، لابدّ أنى سأعرف جيداً بعضَ مَنْ تلوثوا بهذه الشرور[٢٧] » .

٥٢ قال لى : « إنك تجمع أفكاراً باطلة : فالحياة الخالية من المعرفة التى جعلتهم أدنياء[٢٨] ، تنكر الآن وجوهَهم على كلّ معرفة[٢٩] .

٥٥ وسيأتون أبداً إلى نقطتى الصدام ، وسيخرج أولئك من القبر مقفلةٌ قبضاتهم[٣٠] ، وهؤلاء وهم حليقو الرؤوس[٣١].

٥٨ أفقدهم سوء البذل وسوء الحفظ العالم الجميل[٣٢] ، وألقى بهم فى هذا الصراع : ولستُ أنمق كلاماً لــكى أصوره[٣٣].

٦١ تستطيع الآن يا بنىّ أن ترى الوهمَ القصير الأمد[٣٤]، فى الخير الذى يُعزى إلى الحظّ[٣٥] ، ويقتتل النوعُ البشرىّ فى سبيله ؛

٦٤ فإن كل ما تحت القمر من ذهب[٣٦] ، وما كان من قبل موجوداً ، لا يستطيع أن يريحَ واحدةً من هذه النفوس المتعَبة[٣٧] » .

٦٧ قلتُ له : « أستاذى ، خبرنى الآن أيضاً : هذا الحظّ الذى تحدثنى عنه ، ما هو ، ذاك الذى يجمع خيرات الأرض هكذا بين براثنه[٣٨]؟ » .

٧٠ قال لى : « أيتها المخلــوقات الحمقاوات ، ما أعظم الجهل الذى يَشينكم[٣٩]! الآن أريد أن تهضم حكمى عليه[٤٠].

٧٣ إن من تسمو على كلّ شىء حكمته[٤١] ، خلق السموات وأمدّها بما يهديها[٤٢] ، حتى يشعّ كل جزء نورَه على كلّ جزء ،

٧٦ موزّعاً الضياءَ بالتساوى : كذلك فى المباهج الدنيوية[٤٣] ، فرَض[٤٤] سلطاناً عاماً ودليلاً[٤٥] ،

٧٩ شأنه أن يحوّل فى وقته المتاعَ الباطل ، من قوم إلى قومٍ ومن أسرة إلى أخرى[٤٦] ، على رغم ما تبذله فى الدفاع حكمة البشر[٤٧] .

٨٢ لذا يسيطر شعبٌ ويخضع آخر ، تبعاً لما يحكم به ذاك الذى يختفى اختفاء الأفعى فى العشب[٤٨] .

٨٥ ليس لعلمكم قوّةٌ على مناهضته : إنه يدبر ، ويقضى ، ويسهر على ملْكه ، كما يفعل فى ملكهم سائر الأرباب[٤٩] .

٨٨ وليس لتقلباته هدنة[٥٠] : وتجعله الضرورة سريعَ التصرّف[٥١] ، وهكذا يأتى كثيراً منْ يغير الأحوال[٥٢] .

٩١ هو ذاك الذى يُلعن كثيراً[٥٣] ، حتى ممنْ وجب أن يكيلوا له الثناء ، وهم يلعنونه بكلمات بذيئة دون صواب[٥٤] .

٩٤ ولكنه فى النعيم ، ولا يسمع شيئاً : يحرّك فلَكه[٥٥] مبتهجاً مع سائر الكائنات الأولى[٥٦] ، وينعم بالسعادة .

٩٧ فلْننزل الآن إلى أسىً أشدّ[٥٧] ؛ لقد هبط كلّ نجم كان من قبل طالعاً ، حينما تحركتُ للمسير[٥٨] ، وليس لنا أن نبقى طويلاً » .

١٠٠ لقد اجتزنا الحلقة إلى الشاطئ الآخر ، فوق النبع الذى يغلى ، ويصبّ خلال جرُفٍ كان هو صانعه[٥٩] .

١٠٣ كانت المياه سوداء أكثر منها حمراء داكنة ، وفى صُحبة الأمواج المغْبرة ، دخلنا إلى أسفل فى طريق عجيب .

١٠٦ يذهب هذا الجدول الحزين[٦٠] إلى مستنقع يُدعى استيكس[٦١] ، حينما يهبط إلى سفح الشاطئين اللعينين الأغبرين[٦٢] .

١٠٩ وأنا الذى وقفتُ لــكى أمعن النظر ، رأيت قوماً غمرهم الطين فى ذلك المستنقع ، كلهم عرايا [٦٣] ذوو وجوه غاضبة[٦٤] .

١١٢ تضارب هؤلاء لا باليــد وحدها ، ولكن بالرأس والصدر والقدمين ، وبأسنانهم مزّقوا أنفسهم إرباً إرباً[٦٥] .

١١٥ قال أستاذى الطيب : « يا بنى ، أنت ترى الآن نفوسَ مَنْ غلَبهم الغضب ، وأريد كذلك أن تعرف فى ثقة

١١٨ بأن قوماً تحت الماء يتنهدون[٦٦] ، ويملأون بالفقاقيع هذا الماء عند السطح ، كما تنبؤك عينك ، أينما اتجهتْ .

١٢١ يقولون وهم لاصقون بالوحل : "كنا بؤساء فى الهواء الحبيب[٦٧] ، الذى تسعده الشمس ، وقد حملنا فى باطننا دخانَ الــكسل[٦٨] .

١٢٤ ونحن نحزن الآن فى هذا المستنقع الأسود" . يتحشرج هذا اللحن فى حناجرهم ، إذْ لا يستطيعون قولَه بألفاظ كاملة[٦٩] » .

١٢٧ وهكذا سِرْنا فى قوسٍ كبيرٍ حــول المستنقع الكريه ، بين الشاطئ الجافّ ونفاية الماء ، بعيونٍ متجهة إلى مَنْ يبلعون الدَّنس :

١٣٠ وجئنا أخيراً إلى أسفل برج .

حواشي الأنشودة السابعة

(١) هذه أنشودة البخلاء والمبذرين وسريعى الغضب والكسالى . وتقع بين قصيدة تشاكو وقصيدة فيليبو أرجنتى . وتتناول الثروة والحظ .

(٢) هذه ألفاظ غير مفهومة . حاول بعض النقاد تفسيرها على أسس لغات مختلفة ويرى عبود أبو راشد أنها مأخوذة من العربية ومعناها (باب الشيطان ، تابعا النزول) .
وربما نطق پلوتوس بهذه الألفاظ عند ما رأى أحد الأحياء فى الجحيم ، مبدياً غضبه ودهشته ، وربما أراد تخويف دانتى أو قصد الاستغاثة بملك الجحيم لوتشيفيرو .

(٣) يقصد ڤرجيليو .

(٤) الصخرة هى الحاجز بين الحلقة الثالثة والحلقة الرابعة .

ويشبه هذا نوعاًما ورد فى التراث الإسلامى من حيث تقسيم الجحيم أو جهنم إلى طبقات أو دركات واحدة تحت أخرى ، وهناك اختلاف فى أسمائها ، ومن ذلك مثلا : جهنم للمحمديين واللظى للنصارى والحطمة لليهود والسعير للصابئة وسقر للمجوس والجحيم لمشركى العرب والهاوية للمنافقين . ومن الأمثلة على ما ورد فى هذه الناحية :

القرآن : الحجر : ٤٤ .

الخازن : تفسير القرآن (السابق الذكر) ج : ٣ ص : ٩٧ .

Cerulli (op. cit.) pp. 188-193.

(٥) الوجه المنتفخ بسبب الغضب . وأورد دانتى لفظ الشفة كناية عن الفم .

(٦) ينعته بالذئب لصوته المزعج .

(٧) أى أن الغضب فى ذاته هو خير عذاب يناسبه .

(٨) أى أن هذه هى إرادة الله . وسبق مثل هذا المعنى أمام كارون ومينوس :

Inf. III. 95; V. 23.

(٩) تغلب ميكائيل على جماعة الملائكة الثائرين على الله وطرد لوتشيفيرو من الفردوس ، كما ورد فى الكتاب المقدس :

Rev. XII. 7-9.

(١٠) يقارن دانتى بين أشرعة السفينة وصاريها المحطم وبين الوحش الساقط على الأرض ويعطى هذا التشبيه القوة للمعنى الذى أراده .

(١١) هذه هى الحلقة الرابعة .

(١٢) يعنى الذى يحوى آثام البشر والملائكة الذين خرجوا على طاعة الله .

(١٣) يعنى من غير العدالة الإلهية يستطيع أن يجمع بين أنواع العذاب الهائل .

(١٤) هذا كناية عن شدة العذاب .

(١٥) تصل أمواج البحر الأيونى إلى مضيق مسينا حيث تصطدم بأمواج البحر التيرانى على مقربة من صخرة كاريدى . وورد هذا فى الإنيادة والأوديسة :

Virg. Æn. III. 420.
Hom. Od. XII.

(١٦) هذا رقص دائرى يتقابل فيه الراقصون من ناحيتين متواجهتين ، ثم يتراجعون ويعودون

إلى التلاقي في حركات دائرية متكررة ، وهذا هو عذاب الآثمين في هذه الحلقة .

(١٧) انقسم المعذبون قسمين ، جماعة البخلاء ويندفعون من يسار الشاعرين إلى وسط الحلقة ، وجماعة المبذرين ويندفعون من يمينهما إلى الوسط ، حيث تتلاقى الجماعتان .

(١٨) الأحمال الثقيلة رمز للثروة والذهب الذي كان عندهم كل شيء في الحياة ، والأثقال هنا كتل من الأحجار الضخمة .

(١٩) ينعى كل فريق على الآخر ما ارتكبه من البخل أو التبذير .

(٢٠) يعني في وسط الحلقة .

(٢١) يكرر كل فريق اتهامه وتقريعه للفريق الآخر .

(٢٢) أي في وسط الحلقة .

(٢٣) لا يكاد كل فريق يصل إلى وسط الدائرة حتى يتجه إلى الخلف ، لكي يدور ويعود مرة أخرى إلى التلاقي ، وهكذا دواليك .

(٢٤) انحرفت عقولهم جميعاً وأصابتهم غشاوة ، ففقدوا الاتزان وحسن التصرف في أموالهم واكتنز المال فريق وأسرف فيه فريق آخر .

(٢٥) كانت أصواتهم أقرب إلى نباح الكلاب منها إلى الكلام . وهذا تقريب بين الإنسان والحيوان .

(٢٦) كان هؤلاء مثالا في البخل ، مع أنهم من رجال الدين . وهكذا بدأ دانتي في امهاجمة رجال الدين الذين خرجوا على قواعد الدين .

(٢٧) أي خطايا البخل والتبذير معاً .

(٢٨) الحياة الخالية من المعرفة هي حياة الحرص على المال ، التي جعلتهم أدنياء .

(٢٩) سودت هذه الحياة وجوههم حتى لم يعد من المستطاع التعرف عليهم .

(٣٠) أي سيخرج البخلاء وأيديهم مقفلة على شعر المبذرين الذي لا يساوي شيئاً .

(٣١) سيخرج المبذرون من القبر يوم القيامة ، وقد نزع شعر رؤوسهم ، كناية عن إنفاقهم المال دون حساب ، فهم أنفقوا كل شيء حتى شعرهم ، وفي الوقت نفسه يدل هذا على أن تبذيرهم لا يساوي أكثر من شعر الرأس .

(٣٢) أي أفقدهم البخل والتبذير عالم السماء .

(٣٣) أي لا يوجد كلام جميل يناسب هذا العذاب .

(٣٤) هذا الخداع أو السخرية أو الوهم القصير الأمد الذي لا يلبث أن يزول سريعاً .

(٣٥) يعني الخير الذي يرتبط بالحظ ولا يتم بدونه .

(٣٦) أي الذهب الموجود فوق الأرض .

(٣٧) لا يكفل الذهب الموجود في العالم الراحة والسلام لأحد ، على الرغم من تهالك الناس عليه

(٣٨) يبدو دانتي باعتباره ممثل البشر أنه اعتقد أن الحظ هو كل شيء في الحياة .

(٣٩) عندما يعتقد الناس أن الخير نتيجة للحظ وحده يظهرون جهلا عظيما ، ولهذا ينعت ڤرجيليو الناس بالحمق .

(٤٠) يعني فهم أو وعي الحكم على الحظ .

(٤١) أى الله .

(٤٢) يقصد الملائكة .

(٤٣) مباهج الدنيا أى الثروة والمجد والقوة والجمال .

(٤٤) يعنى الله .

(٤٥) يقصد الحظ . والحظ عند دانتى خلاصة لعناصر ميتولوجية ومسيحية . تصور القدماء الحظ كامرأة أو إلهة عمياء فوق عجلة يجرها جوادان فقدا البصر . وأشار الكتاب المقدس وفلاسفة العصور الوسطى إلى الله والحظ الذى يغير أحوال البشر . ويرى دانتى أن الحظ ضرورة ولكنها ليست تعسفية بل مستمدة من إرادة الله . عمل دانتى بذلك على التوفيق بين آراء القدماء وأفكار العصر الوسيط . وسيكون هذا من أسس التفكير فى عصر النهضة .

(٤٦) لا يبقى حال الناس ولا الأمم واحداً .

(٤٧) يعنى أنه لا شيء يغلب الحظ .

(٤٨) أى أن الحظ يختفى كالأفعى فلا يشعر به أحد . وورد هذا المعنى عند ڤرجيليو :
Virg. Ec. III. 93.

(٤٩) أى سائر الملائكة الذين يحركون السموات .

(٥٠) يشبه هذا قول بويتزيوس فيلسوف العصور الوسطى :
Boet. Phil. Cons. II. 1.

(٥١) يشبه هذا قول هوراتيوس ، مع الفارق :
Horatius, Odes, I. 35.

(٥٢) يعنى يغير أحوال البشر والأمم .

(٥٣) يعنى أن لعنات الناس انصبت على الحظ عندما جافاهم .

(٥٤) لا يجوز أن يلام الحظ لأنه خاضع لله ، فضلا عن أن للانسان إرادة حرة عليها أن تعمل حتى تتغلب على صعوبات الحظ .

(٥٥) أى يحكم الأرض .

(٥٦) يقصد الملائكة .

(٥٧) هذه هى الحلقة الخامسة ، حيث يشتد عذاب الآثمين . ويوجد هنا سريعو الغضب ثم الكسالى الخاملون ثم الحاسدون .

(٥٨) كانت الكواكب صاعدة فى مساء اليوم الأول للرحلة ، وقد تجاوز الوقت الآن منتصف الليل وأخذت الكواكب فى الهبوط .

(٥٩) أى أن مياه النبع هى التى صنعت الجرف بجريانها .

(٦٠) هو مستنقع استيكس ويسمى بالنهر الحزين لأنه يحيط مدينة ديس أو مدينة الشيطان .

(٦١) ويرد هذا المستنقع فى التراث القديم عند ڤرجيليو وهوميروس :
Virg. Æn. VI. 323.
Hom. Ill. II. 755; XIV. 271.

(٦٢) أى الحاجز بين الحلقة الرابعة والخامسة .
(٦٣) هؤلاء هم سريعو الغضب فى الحياة .
(٦٤) عليهم سيماء الغضب كما كانوا فى الدنيا .
(٦٥) يتناسب هذا العذاب مع ما فعلوه فى الحياة .
(٦٦) هؤلاء هم الكسالى الخاملون ، وهم بعكس سريعى الغضب .
(٦٧) أى فى الحياة الدنيا .
(٦٨) هذا كناية عن الكسل .
(٦٩) لم ينطقوا بكلمات واضحة لأنهم مغمورون تحت الماء الدنس .

ويشبه هذا بعض ما جاء فى التراث الإسلامى فى عذاب السكارى بشرب الطين والأقذار :
السمرقندى : قرة العيون (السابق الذكر) . ص : ١٧ .
Cerulli (op. cit.) pp. 164-165.

الأنشودة الثامنة[1]

تساءل دانتى عن الإشارات التى تبودلت بين البرج العالى ومدينة ديس، ثم رأى قارباً مندفعاً نحوه بقوة كأنه سهم أطلق من قوس ، يقوده فليجياس الشيطان حارس الحلقة الخامسة ، الذى حاول البطش بدانتى ، وقد حسبه أحد الهالكين ولكن ڤرجيليو أوقفه عند حده . ونزل الشاعران فى القارب وسار بهما فوق مستنقع استيكس ، ثم ظهر شبح فيليپو أرجنتى المواطن الفلورنسى ، وكان من ألد أعداء دانتى ، وعُرف بالغطرسة وسرعة الغضب . أظهر دانتى نحوه القسوة ، فحاول أرجنتى أن يقلب القارب بدانتى ، ولكن ڤرجيليو حال دون ذلك ، وقبّل دانتى وهدّأ من روعه ، وقال إن كثيرين يحسبون أنفسهم فى الدنيا ملوكاً عظاماً ، وسوف يُغمرون فى الجحيم كالخنازير فى الوحل . وانهال بقية المعذّبين على أرجنتى فزادوه عذاباً ، وبذلك أرضى دانتى رغبته فى الانتقام من عدوّه : وسمع دانتى أصوات المعذّبين فى مدينة ديس ورأى أبراجها العالية ، ووصل الشاعران إلى خندق الماء الذى يحيطها . وأخيراً وصل بهما فليجياس إلى باب المدينة . رأى دانتى أكثر من ألف شيطان من الملائكة الذين طردهم الله من الفردوس لخروجهم على طاعته ، وقد حاولوا منع دانتى من دخول مدينة ديس . عمل ڤرجيليو على التفاهم معهم دون جدوى ، وأخذ يُسرّى عن دانتى ويبعث الثقة فى نفسه الواهنة ، وأفاده بأنه لابدّ سيظفر فى هذه التجربة ، وبأن ملاكاً سيهبط من السماء ويفتح لهما أبواب مدينة ديس .

١ أقول بعدُ⁽٢⁾ ، إننا قبل أن نصير عند قدم البرج العالى بمسافةٍ طويلة ، اتّجهتْ عيوننا إلى قمتـــه أعلى ،

٤ بشعلتين صغيرتين رأيناهما موضوعتين هناك⁽٣⁾ ، وبأخرى أرسلتْ إشارتَها من بعيد⁽٤⁾ ، حتى لم تـــكد تلمحها العين .

٧ واتجهتُ إلى بحر كلِّ علم⁽٥⁾ : وقلتُ : « هذه ، ماذا تقول ؟ وبماذا تجيب تلك النار الأخرى ؟ ومن الذين يصنعونها ؟ » .

١٠ قال لى : « يمكنك أن تتبين فوق الأمواج الغبراء ذاك الذى ينتظر⁽٦⁾ ، إذا لم يُخفه عنك ضباب المستنقع » .

١٣ لم يقذفْ أبداً قوسٌ بسهم ، جرى فى الهواء بسرعةٍ هكذا ، كما رأيتُ قارباً صغيراً ،

١٦ يأتى نحونا فى تلك اللحظة فوق الماء ، بقيادة ملاح واحد ، يصيح قائلا⁽٧⁾ : «قد وصلت الآن أيتها النفس الخبيثة⁽٨⁾ ! » .

١٩ قال سيدى : «فليجياس ، يا فليجياس⁽٩⁾ ، عبثاً تصرخ هذه المرّة⁽١٠⁾ : فلن تحوزَنا إلا ونحن نعبر المستنقع » .

٢٢ وكمنْ يصغى إلى خدعة كبرى حِيكتْ له⁽١١⁾ ، فيأسى منها ويحزن ، هكذا أصبح فليجياس فى غضبه المكظوم⁽١٢⁾ .

٢٥ نزل دليـــلى إلى القـــارب ثم جعلنى أدخل إلى جانبـــه ، ولم يبدُ القارب مثقلاً إلا بعد أن أصبحتُ داخله⁽١٣⁾ .

٢٨ وما إن صرتُ ودليلى داخل السفينة حتى سار القارب القديم وقد زاد عمقه فى الماء ، أكثر مما اعتاد إذْ يحمل غيرى⁽١٤⁾ .

٣١ وبينما كنا نجرى فوق المستنقع الميت⁽١٥⁾ ، ظهر أمامى هالكٌ ملىء الوحل ، وقال لى⁽١٦⁾ : « مَنْ أنت يا مَنْ تجىء قبل الأوان⁽١٧⁾ ؟ » .

٣٤ قلت له : « إذا كنتُ قد أتيتُ فلن أبقى ؛ ولكن مَنْ أنت يا مَنْ صرت قبيح المنظر هكذا⁽١٨⁾ ؟ » . أجاب : « أنت ترى أننى نفسٌ تبكى » .

٣٧ قلتُ له : « فلتبقَ فى البـكاء والحزن أيتها الروح اللعين ؛ فإنى أعرف أنك لا زلت فى الدنس مغمورة[١٩] » .

٤٠ عندئذ مدَّ إلى القارب كلتا يديه[٢٠] ؛ ولذلك دفعه أستاذى اليقظ قائلاً : « ابتعد هناك مع سائر الـكلاب[٢١] ! » .

٤٣ ثم أحاط بذراعيه عنقى وقبل وجهى[٢٢] قائلاً : « أيتها النفس المزدرية ، ألا بوركتْ تلك التى حملتك جنيناً[٢٣] !

٤٦ كان ذلك فى الدنيا رجلاً متغطرساً لا يزين ذكراه عملٌ طيبٌ : وهكذا يبقى شبحه هنا محتدِم الغضب[٢٤] .

٤٩ كمْ أناس يحسبون أنفسهم اليوم ، هناك أعلى[٢٥] ، ملوكاً عظاماً ، وسيصيرون هنا كالخنازير فى الوحل[٢٦] ، تاركين وراءهم الاحتقار الشنيع[٢٧] ! » .

٥٢ قلتُ : « كمْ تحدونى يا أستاذى الرغبة فى أن أراه غاطساً فى هذا الدنس ، قبل أن نخرج من هذه البحيرة[٢٨] » .

٥٥ قال لى : « ستكون راضياً قبل أن يتاح لك رؤية الشاطئ ، ويجدر أن تتمتع بمثل هذه الرغبـة[٢٩] » .

٥٨ وبعد ذلك بقليل رأيتُ أهلَ الوحل ، يُصْلُون ذلك الهالك شديدَ العذاب ، حتى لا زلت أحمد الله على ذلك وأشكره[٣٠] .

٦١ صاحوا جميعاً : « إلى فيليبو أرجنتى ! » . وتلك الروح الفلورنسية السريعة الغضب ، أنحتْ على نفسها بالأسنان نهشاً[٣١] .

٦٤ وهنا تركناه إذْ أنى لن أتحدَّث عنه مزيداً ؛ ولكنَّ عويلاً طرق أسماعى ، فجعلنى أمدَّ النظر إلى الأمام فى انتباه[٣٢] .

٦٧ قال لى أستاذى الطيب : « الآن تقترب يا بنىَّ المدينة التى تحمل اسم ديس[٣٣] ، بأهلها المـكتئبين[٣٤] وبحشدها الـكبير[٣٥] .

٧٠ قلتُ : « أستاذى ، إنى أتبين بوضوحٍ معابدَها هناك فى الوادى ، محمرةَ اللون ، كأنها خارجةٌ من النار[٣٦] » .

٧٣ قال لى : « النّار الأبدية التى تستعر فى داخلها تجعلها بادية َ الحمرة، كما ترى فى هذا الجحيم الأسفل[٣٧]» .

٧٦ ثم وصلنا إلى الخنادق العميقة[٣٨]، التى تحيط بتلك المدينة البائسة : لقد بدَتْ لى كأنّ أسوارها من حديد[٣٩].

٧٩ وبعد أن قمنا أولاً بدورة كبيرة[٤٠]، جئنا إلى مكانٍ صاح الملاّح عنده بنا عالياً : « اخرجا ، هوَذَا المدخل » .

٨٢ رأيتُ أكثر من ألف شيطان على الأبواب يهطلون من السماء[٤١]، وصاحوا فى غضب : « مَنْ ذا الذى يسير فى مملكة

٨٥ الموتى ، دون أن يعرف الموت[٤٢]؟ » . فأبدى أستاذى الحكيم إشارةً برغبته فى التحدّث إليهم سرًّا .

٨٨ عندئذ كظموا قليلاً من شدّة الغضب وقالوا[٤٣] : « تعال أنت وحدك[٤٤]، وَليذْهب ذاك الذى دخل هذه المملكة بمثل هذه الجرأة[٤٥].

٩١ فليعد وحده فى طريقه المجنون[٤٦] : وَليحاولْ إذا استطاع ؛ فإنك ستبقى هنا ، يا مَنْ صَحبتهُ خلال هذا العالم المظلم » .

٩٤ وَلتفكر أيها القارئ كيف فقدتُ شجاعتى ، عند سماعى تلك الكلمات الملعونة ، إذْ ظننتُ أنى لن أرجع هناك أبداً[٤٧].

٩٧ قلتُ : « يا دليلى العزيز ، الذى منحنى الأمان أكثر من مرّات سبع[٤٨]، وأنقذنى من هول المخاطر التى اعترضتْ سبيلى ،

١٠٠ لا تدَعنى واهناً هكذا ؛ وإذا كان ممنوعاً علينا أن نتقدّم إلى الأمام ، فلنرجع معاً على آثارنا بخطىً سراع[٤٩]» .

١٠٣ قال لى ذلك السيد الذى قادنى إلى هنا : « لا تخَفْ[٥٠]، فلن يستطيع أحدٌ أن يعترض سبيلنا : إنها لكذلك مَنْ منحتنا إيّاه[٥١] .

١٠٦ ولكن انتظرنى هنا ، وسرِّ عن روحك الواهنة ، وغذّها بالأمل الطيب[٥٢] ، فلن أتركك فى العالم الأسفل[٥٣] » .

١٠٩ هكذا[٥٤] يذهب الأب الحبيب[٥٥] ويتركني هنا وحيداً ، وأبقى يساورني الشكّ ، إذْ تضاربت في رأسي لا ونعم[٥٦] .

١١٢ لم أستطع أن أسمع ما عرضه عليهم ، ولكنه لم يبق معهم هناك طويلاً ، وإذا هم يسارعون جميعاً متزاحمين إلى الداخل[٥٧].

١١٥ لقد أغلق الأبواب أعداؤنا هؤلاء في وجه مولاي[٥٨] ، الذّي ظلّ خارجاً واتجه نحـــوي بخطوات متهادية[٥٩].

١١٨ أطرقتْ عيناه إلى الأرض وخلا جبينه من كلّ ثقة[٦٠] ، وقال وهو يتنهد : « مَنْ ذا يمنعني من دخول بيوت العذاب[٦١] » .

١٢١ ثم قال لي : « لا يساورك القلق لما يثيرني ، فسأظفر في هذه التجربة ، مهما أعدّوا في الداخل من وسائل الدفاع[٦٢].

١٢٤ وليس عنادهم هـــذا بجديد ؛ فقد أظهروه من قبل عند باب أقلّ خفاء[٦٣] ، ولا يزال إلى الآن دون إغلاق ،

١٢٧ وقد رأيتَ في أعلاه عنوان المنون[٦٤] : وسيهبط من هذا الجانب منه[٦٥] إلى الهاوية عـــابراً الحلقات دون رفيـــقٍ ،

١٣٠ مَنْ ستفتح له أبواب المدينة[٦٦] » .

حواشي الأنشودة الثامنة

(١) هذه أنشودة الغاضبين والخاملين ، وهي استمرار لما بدأ في آخر الأنشودة السابعة . وتسمى بقصيدة فيليپو أرجنتي .

(٢) يعني أنه يستمر في الكلام عما بدأه من قبل . وربما كان المقصود أنه يستأنف الكتابة لأنه يقال إن دانتي كتب الأنشودات السبع الأولى في فلورنسا .

(٣) الشعلتان الصغيرتان هما إشارتان أرسلهما البرج العالي إلى مدينة ديس لاقتراب الشاعرين .

(٤) النار الثالثة البعيدة تفيد أن مدينة ديس قد تلقت إشارة البرج . وهذه صورة مأخوذة من قواعد الحرب التي كانت متبعة في عهد دانتي .

(٥) ڤرجيليو هو بحر كل علم .

(٦) أي فليجياس الشيطان .

(٧) تأثر دانتي هنا بقول ڤرجيليو :

Virg. Æn. VI. 618-620.

(٨) أي أنه متحفز لتعذيب دانتي وقد حسبه أحد الآثمين .

(٩) فليجياس (Flegias) من شخصيات الميتولوجيا اليونانية وابن مارس وملك أوركوميئوس في بيوتيا ، أحرق معبد ردلف للانتقام من أپولو الذي أغرى ابنته كورونيس، فغضب الله عليه وأرسله إلى العالم السفلي . وهو هنا شيطان الحلقة الخامسة وحارسها :

Virg. Æn. 618-626.

(١٠) هكذا يسكته ڤرجيليو .

(١١) يعني خاب رجاء فليجياس في أن يكون دانتي من الهالكين .

(١٢) يعني أن فليجياس كتم غضبه في نفسه . ووردت صورة مشابهة عند ڤرجيليو :

Virg. Æn. IX. 63 ...

(١٣) أصبح القارب مثقلا عندما نزل فيه دانتي بجسمه الحي .

(١٤) هذا لأنه كان ينقل نفوس الآثمين بغير أجسام .

(١٥) المستنقع الميت الآسن هو مستنقع استيكس .

(١٦) هذا هو فيليپو أرجنتي دلي أديماري (Filippo Argenti degli Adimari) وهو مواطن فلورنسي معاصر لدانتي ، وكان من حزب السود أعداء دانتي . أفادت أسرة أديماري من نفي دانتي ووضعت يدها على أملاكه ، وعارضت في عودته إلى وطنه . ولهذا لم يعطف دانتي على هذا المواطن الفلورنسي .

(١٧) أي أن دانتي كان حيا ولم يحن وقت ذهابه إلى العالم الآخر .

(١٨) كان بشع المنظر بسبب الوحل الذي كساه كله .

(١٩) لا يعرف دانتي شخصه ولكنه يعرف أنه أحد الهالكين .

(٢٠) فعل فليجياس ذلك محاولا أن يقلب القارب في الماء لكي يستبقي دانتي معه في الوحل .

(٢١) هكذا يحمي ڤرجيليو دانتي من الخطر ويدفع أرجنتي عن القارب .

(٢٢) يبدو ڤرجيليو بمثابة الأب العطوف على دانتى .

(٢٣) أبدى ڤرجيليو إعجابه بدانتى لأنه لم يرض عن أرجنتى المتكبر الغضوب .

(٢٤) يعنى أنه يبقى هنا غاضباً كما كان فى أثناء الحياة .

(٢٥) أى فى الدنيا .

(٢٦) يعنى أنه مهما تمتع هؤلاء المتغطرسون بالسلطان والثروة فسيصبحون هنا كالخنازير فى الوحل .

(٢٧) لن يتركوا عملا طيباً يزين ذكراهم ، وستكسبهم غطرستهم الاحتقار الشنيع .

(٢٨) يدل هذا على مدى كراهية دانتى لأرجنتى ورغبته فى الانتقام منه .

(٢٩) يؤكد ڤرجيليو لدانتى أن رغبته ستحقق سريعاً .

(٣٠) ابتهج دانتى عندما رأى أصحاب الوحل ينهالون جميعاً على أرجنتى ، ويشكر الله ويحمده لأنه حقق العدالة . يبين هذا حب الانتقام فى شخصية دانتى .

(٣١) أخذ أرجنتى يعض نفسه بالأسنان تعبيراً عن غضبه .

(٣٢) كان هذا صوت المعذبين فى مدينة ديس آتياً من بعيد .

(٣٣) يطلق دانتى لفظ ديس على الشيطان وعلى لوتشيفيرو على أمبراطور عالم العذاب . ويعنى هنا مدينة ديس ، وهى الجحيم الأدنى .

(٣٤) السكان المكتئبون الذين ارتكبوا خطايا أعظم .

(٣٥) هذه إشارة إلى جماعة الشياطين الذين سيلاقيهم دانتى عند مدخل مدينة ديس .

(٣٦) هذه نيران مشتعلة داخل مدينة ديس يرى دانتى أثرها فوق الأبراج والأسوار العالية . وتوجد صورة مشابهة فى التراث الإسلامى :

Cerulli (op. cit.) pp. 156-159

(٣٧) ينقسم الجحيم قسمين ، الجحيم الأعلى من الحلقة الثانية إلى الخامسة ، ويعذب فيه أصحاب الخطايا الخفيفة نسبياً فى نظر دانتى ، ثم الجحيم الأدنى وهو مدينة ديس من الحلقة السادسة إلى التاسعة ، ويعذب فيه مرتكبو الخطايا الكبيرة .

(٣٨) تحمى مياه استيكس مدينة ديس فى خندق عميق يحيط بها .

(٣٩) تأثر دانتى فى هذا بڤرجيليو :

Virg. Æn. VI. 548-558.

(٤٠) يدل هذا على طول المياه التى تحيط بمدينة ديس .

(٤١) أى أن الملائكة الذين خرجوا على طاعة الله مع لوتشيفيروا هبطوا من السماء كالمطر .

(٤٢) عرف هؤلاء مثل فليجياس أن دانتى إنسان حى من ثقل القارب وغوصه فى الماء .

(٤٣) وضع دانتى الشياطين لحراسة كل حلقة . وعند اقتراب الشاعرين من الحلقة السادسة وجدا هذا الحشد من الشياطين .

(٤٤) أى أنهم دعوا ڤرجيليو إليهم .

(٤٥) يعنى أنهم طلبوا ابتعاد دانتى عن الجحيم .

(٤٦) أى فى الطريق الصعب . وسبق الإشارة إليه :

Inf. II. 35.

(٤٧) أى أنه فقد الأمل فى العودة إلى الدنيا .

(٤٨) يدل رقم سبعة على مرات عديدة غير محدودة . وورد هذا التعبير فى الكتاب المقدس:
Prov. XXIV. 16.

(٤٩) أى فلنرجع سريعاً من حيث أتينا .

(٥٠) هكذا يعمل ڤرجيليو على تهدئة روع دانتى .

(٥١) أى أن هذه الرحلة تمت بإرادة الله .

(٥٢) يعمل ڤرجيليو على تقوية عزيمة دانتى بالأمل .

(٥٣) هذه كلمات ڤرجيليو التى تفيض بالعطف على دانتى .

(٥٤) أى عند ما قال ڤرجيليو ذلك ذهب عنه وتركه وحيداً .

(٥٥) يذكر دانتى لفظ الأبوة بالحب والإعزاز .

(٥٦) هكذا يستولى الخوف والشك على دانتى .

(٥٧) يعنى هرولوا جميعاً إلى داخل مدينة ديس .

(٥٨) أى الشياطين أعداء الإنسان . ويشبه هذا ما جاء فى الكتاب المقدس :
Epis. V. 8.

(٥٩) رجع ڤرجيليو بخطوات بطيئة بعد أن أخفق فى التغلب على مقاومة الشياطين .

(٦٠) كان هذا نتيجة الإخفاق .

(٦١) يخاطب ڤرجيليو نفسه بهذه الكلمات . ويشبه هذا قول ڤرجيليو :
Virg. AEN. VI. 563..n

(٦٢) ڤرجيليو يطمئن دانتى ويبعث الثقة فى نفسه .

(٦٣) هبط المسيح إلى اللمبو لإنقاذ بعض المعذبين كما سبق ذكره ، وتقول أساطير العصور الوسطى إن الشياطين أغلقوا الباب فى وجهه :
Inf. IV. 53.

(٦٤) أى باب الجحيم وسبق ذكره :
Inf. III. 1-11

(٦٥) أى عن طريق ذلك الباب .

(٦٦) أى سيهبط ملاك يفتح لهما مدينة ديس .

الأنشودة التاسعة[1]

شحب لون دانتى عندما وجد ڤرجيليو قد تغير لونه لما أخفق فى دخول مدينة ديس وتنبه ڤرجيليو إلى ذلك فأخفى ما ساوره وأخذ يبعث الثقة فى دانتى . ولكن ڤرجيليو عاد إلى التردّد بين الشك والثقة فزادت مخاوف دانتى . وأراد دانتى من ناحيته أن يجد سبيلا للاطمئنان فسأل ڤرجيليو إذا كان قد زار أعماق الجحيم من قبل ، فأجابه بالإيجاب . رأى دانتى فوق البرج العالى ثلاث جنيّات جهنميات تجمع بين صفات الطير والنساء ، وقد تعلّقت بهن الأفاعى ، وأخذن يمزّقن صدورهنّ بالأظفار ويلطمن أنفسهنّ بالأكفّ وحاولن استدعاء ميدوسا لكى تحوّل دانتى إلى حجر حال رؤيته إياها ، ولكن ڤرجيليو أداره إلى الوراء وأغمض عينيه وأنقذه من الخطر . وسمع دانتى دوى تكسر رهيب اهتز له شاطئا المستنقع ، وكان ذلك أشبه بريح عاتية تحطم الأشجار وتدفع الوحوش والرعاة إلى الفرار . وهبط من السماء رسول ، فهربت الشياطين كما تهرب الضفادع أمام الأفعى وتلتصق بقاع المستنقع . فتح رسول السماء باب مدينة ديس بضربة من صولجانه ، وعنّف الشياطين على صلفهم ثم عاد من حيث أتى ، وقد بدتْ عليه سيماء رجل تشغله مسائل أخرى . زالت مخاوف دانتى ودخل الشاعران مدينة ديس بسلام . رأى دانتى أمامه سهلا فسيحاً مليئاً بالقبور ، يشبه الأرض عند مدينتى أرليس وپولا . وكانت تلك قبور المعذّبين من الهراطقة ، وقد وُضعوا فى توابيت توهجت بألسنة اللهب ، وهم يرسلون صرخات الألم . ومضى الشاعران إلى الأمام بين قبور المعذّبين وأسوار مدينة ديس .

١ ذلك اللون الذى رسمه الخوَرُ علىَّ من الخارج ، عندما رأيتُ دليلى يعود أدراجه ، طوى بداخله سريعاً لونه الطارئ[2] .

٤ وتوقف منتبهاً كمَـــن يتسمَّع ، إذْ لمْ تسعفه عيناه بالرؤية بعيـــداً ، فى الهـــواء الأسود والضبـــاب الكثيف [٣].

٧ وبدأ قائلا : « علينا — حسْبُ — أن نكسب المعركة [٤] ، وإلاّ [٥]… إنها لكذلك مَنْ أسدتْ إلينا العون [٦] : أوّاه ! كم يبدو متأخراً مجىء غيرى هنا [٧] ! » .

١٠ ورأيتُ فى وضـــوح كيف وارى ما بدأ به بالآخر ، الذى أتى بعدُ ، وكان كلاماً مخالفـــاً للأوّل [٨] ؛

١٣ ولكن حديثه رغم ذلك قد بعث فى نفسى الخوف ، لأنى فهمتُ من الكلام المقطَّع معنىً ، ربما كان أسوأ مما ذهب إليه قصده [٩] .

١٦ « ألَمْ يهبط أحدٌ أبداً من الحلقة الأولى [١٠] إلى أعماق هذه الهـــوّة البائسة ، وليس له من عذاب سوى الأمل المفقود [١١] ؟ » .

١٩ ألقيتُ عليه هذا السؤال فأجاب بقوله : « نادراً ما يحدث أن يقـــوم أحدنا [١٢] بهذه الرحلة التى أذهب فيها .

٢٢ وفى الحقّ أنى كنتُ من قبل مرةً هنا أسفل ، عندما ناشدَتْنى ذلك إريكتو تلك القاسية [١٣] ، التى استدْعَتْ الأشباحَ إلى أجسادها .

٢٥ وكنتُ قد تجرّدتُ من جسدى منذ قليل ، عندما جعلتنى أنفذُ داخل ذلك السور [١٤] ، لكى أخرج روحاً من حلقه يهـــوذا [١٥] .

٢٨ ذلك هو أسفل مكانٍ وأشدّه إظلاماً ، وأبعده عن السماء التى تحيط بكلّ شىءٍ : إنى أحسن معرفةَ الطريق ولذا فلتطمئنّ نفسك [١٦] .

٣١ وهذا المستنقع الذى ينفث تلك الروائح الخبيثة ، يلتفّ حول مدينة العذاب ، التى لا نستطيع الآن دخولها دون غضب [١٧] » .

٣٤ وقال غير هذا ، ولكنى لا أعيه فى ذاكرتى ، لأن عينى جذَبتْ كل انتباهى [١٨] ، نحو البرج العالى ذى القمـــة المحمرّة [١٩] ،

٣٧ حيث انتصبتْ فى مكانٍ منه فجأةً ثلاث جنياتٍ جهنمياتٍ مخضبات بالدم[٢٠]، لهن أعضاء النساء وشكلهنّ ،

٤٠ وتمنطقنَ بهيدرات[٢١] شديدة الخضرة ؛ وكان لهنّ مكان الشعر أفاعٍ صغارٌ وأخرى ذواتُ قرونٍ ، أطبقتْ على وجوههنّ المرعبة .

٤٣ وذاك[٢٢] الذى عـرف جيـداً وصائف ملـكة البكاء الأبدى[٢٣]، قال لى : « انظر الجنّيـات القاسيات[٢٤]،

٤٦ هذه ميجيرا[٢٥] فى الجانب الأيسر ؛ وتلك إليكتو[٢٦] التى تبكى إلى اليمين ؛ وفى الوسط تيزيفونى[٢٧]». وعندئذ لزم الصمت .

٤٩ مزّقتْ كلٌّ منهنّ صدرَها بالأظافر ؛ ولطمنَ أنفسهنّ بالأكفّ[٢٨] وصرخن صراخاً مدوّياً ، فالتصقتُ بالشاعر وقد تملكنى الخوف[٢٩].

٥٢ قلنَ وهنّ ينظرن جميعاً إلى أسفل : «تعالىْ ميدوسا[٣٠] : إننا سنحوّله الآن إلى حجر هكذا ؛ لقد أخطأنا إذْ لم ننتقم من تيزيوس على هجومه[٣١]» .

٥٥ « استدرْ إلى الوراء وأغلق العينين إغلاقاً ؛ لأن جورجون إذا ظهرتْ ورأتها عيناك[٣٢]، فلن يكون هناك رجوع إلى أعلى أبداً[٣٣]» .

٥٨ هكذا قال أستاذى وأدارنى بنفسه إلى الوراء ولم يثق بيدىّ وحدهما ، بل بيديه أيضـاً أغلق عينىّ[٣٤].

٦١ وأنتم يا ذوى العقول السليمة ، تأملوا ما يختفى ، وراء حجاب هذه الأبيات الغريبة ، من مذهب واعتقـاد[٣٥].

٦٤ وكان قد جاء فوق الأمواج المضطربة[٣٦]، دوىّ تكسّرٍ ملىءٌ بالفزع[٣٧]، جعل كلا الشاطئين يرتجفان[٣٨].

٦٧ لم يختلف هـذا عن ريح عاتيـةٍ تولدتْ عن[٣٩] حرارةٍ متضادة ، تعصف بالغـابة دون توقّف ،

٧٠ تحطّم الفروعَ وتطرحها أرضاً وتحملها بعيداً ، وتمضى شامخةً تحدو زوبعةً من الغبار ، وتدفع الوحوشَ والرعـاة إلى الهرب[٤٠].

٧٣ فلكَ قرجيليو إساري عينيَّ وقال : «الآن وجّه زمامَ البصر [٤١] إلى ذلك الزبد القديم ، هناك حيث ذاك الضباب أكثف ما يكون » .

٧٦ وكالضفادع أمام عدوّها الأفعى ، إذْ تتفرّق كلها غاطسةً في الماء حتّى تلتصق جميعاً بالقاع [٤٢] ،

٧٩ هكذا رأيت أكثر مَن ألف نفس هالكة تهرب أمام مَنْ [٤٣] عبر مستنقع استيكس ، بقدمين لمْ يصبهما بللٌ [٤٤] .

٨٢ أزاح دليلي ذلك الهواء الكثيف [٤٥] عن وجهه ، بحركات عديدة من يده اليسرى إلى الأمام ، وبدا أن ذلك الجهد وحده قد ألحق به الضجر [٤٦] .

٨٥ وتبينتُ [٤٧] أنه كان رسولاً من السماء ، فاتجهتُ إلى أستاذي ؛ فأشار إليّ أن ألزم الصمت وأنحني أمامه [٤٨] .

٨٨ آه ، كم بدا لي مليئاً بالازدراء [٤٩] ! لقد وصل إلى الباب [٥٠] ، وفتحه بضربة من صولجانه [٥١] إذْ لم يعترضه عائق .

٩١ وبدأ عند المدخل الرّهيب قائلاً « أيها المطرودون من السماء ، أيها القوم الأدنياء ، كيف يسكن نفوسكم مثلُ هذا الصلف [٥٢] ؟

٩٤ ولِمَ تعارضون تلك الإرادة [٥٣] . التي لا يفوتها تحقيق غايتها أبداً ، وكثيراً ما زادتكم عذاباً [٥٤] ؟

٩٧ وماذا يُفيد مقاومتكم أحكام القدَر [٥٥] ؟ إن شيطانكم تشيربيروس ، لو أحسنتم التذكر ، لا يزال من أجل ذلك مقطوعَ الذقن والحلق [٥٦] » .

١٠٠ ثم عاد في الطريق الموحل ، دون أن يوجه إلينا كلمةً [٥٧] ، ولكن بدتْ عليه سيماء رجل تستحثه مسألةٌ أخرى وتشغله [٥٨] ،

١٠٣ عن أمر مَنْ هو قائمٌ أمامه [٥٩] ؛ ثم حرّكنا أقدامنا [٦٠] صوب المدينة [٦١] ، مطمئنين إلى هذه الكلمات المقدّسة [٦٢] .

١٠٦ ودخلنا هناك دون عراك [٦٣] ؛ وأنا الذي كانت تساورني رغبةٌ ملحّةٌ أن أرى حالَ مَنْ تضمهم مثل تلك القلعة [٦٤]

١٠٩ أسرّح عينىّ فيما حوالىّ لمّــا صرتُ فيها (٦٥)، وأرى على كلتا اليدين (٦٦) سهلاً فسيحــاً ، مليئاً بالألم والعذاب الشديد .

١١٢ وكما تجعل القبور الأرضَ كلها غير مستوية (٦٧) ، عند مدينة أرْليس (٦٨) حيث تركد مياه الرون ، وكما عند پولا (٦٩) قرب خليج كارنارو ،

١١٥ الذى يغلق بابَ إيطاليا (٧٠) ويغمر أطرافها بالماء (٧١) ، كذلك فعلتْ القبورُ هنا فى كل جانب ، غير أن الصّورة كانت هنا أدهى وأمرّ (٧٢) ؛

١١٨ إذْ انتشرت بين القبور ألسنةٌ من اللهب ، اشتعلت بها جميعاً حتّى لا تتطلب مهنةٌ حديداً أشدّ وهجــاً (٧٣) .

١٢١ كلّ أغطية القبور كانت مرفوعة ، وقد خرجت منها صرخاتٌ قاسية هكذا ، بدا جليــاً أنها صادرةٌ عن معذّبين بؤساء (٧٤) .

١٢٤ قلتُ : « أستاذى ، مَنْ هؤلاء القوم الذين دُفنوا فى تلك التوابيت (٧٥) ، ويُسمعون بتنهداتهم الأليمة (٧٦)؟ » .

١٢٧ أجابنى قائلاً : « هنا الهراطقــة مع أتباعهم من كلّ نحلةٍ ، والقبور مليئةٌ بهم أكثر مما تعتقد (٧٧) .

١٣٠ هنا كل قرينٍ مع قرينه مدفون ، ويزيد سعير النار ويخف داخل القبور (٧٨) » . وبعد أن استــدار دليلى إلى اليمين ،

١٣٣ مررنا بين المعذّبين والأســوار العالية .

حواشي الأنشودة التاسعة

(١) هذه أنشودة رسول السماء الذي هبط لكي يفتح مدينة ديس للشاعرين .
(٢) شحب لون ڤرجيليو عند ما أخفق في التغلب على الشياطين .
(٣) استخدم ڤرجيليو حاسة السمع عند ما لم يساعده الظلام على الرؤية .
(٤) يدل هذا على تصميم ڤرجيليوعلى الظفر ، وثقته في نفسه .
(٥) يعاود ڤرجيليو الشك في هذا الموقف .
(٦) يشير إلى المعونة التي قدمتها بياتريتشى من قبل :

Inf. II. 52 ...

(٧) يدل هذا على قلق ڤرجيليو لتأخر وصول العون المنتظر .
(٨) يشير دانتي إلى كلام ڤرجيليو عن ثقته في نفسه ثم كلامه عن الشك والقلق بعد ذلك .
(٩) أي ربما فسر دانتي كلام ڤرجيليو بما لم يقصد إليه .
(١٠) أي من المعذبين في اللمبو .
(١١) أراد دانتي أن يطمئن نفسه بهذا السؤال ، وحاول أن يعرف هل سبق لڤرجيليو معرفة هذا الطريق . وجعل دانتي سؤاله غير مباشر ، حتى لا يجرح ڤرجيليو إذا لم يكن يعرفه .
(١٢) أي من أهل اللمبو .
(١٣) إريكتو (Erichto) ساحرة من تساليا ، كان لها القدرة على إرجاع الأرواح إلى أجسادها :

Luc. Phars. VI. 507 ...

(١٤) أي اجتاز أسوار مدينة ديس .
(١٥) حلقة يهوذا هي الحلقة التاسعة في أسفل الجحيم . وربما كانت الروح التي أنقذها ڤرجيليو — كما يرى بعض النقاد — روح پالاميديس أحد أبطال حرب طروادة :
Virg. Æn. II. 81 ...

(١٦) هكذا أعاد ڤرجيليو الثقة إلى دانتي .
(١٧) ذلك لاعتراض الشياطين طريقهما .
(١٨) أي أنه رأى بعينه أولا ثم انتبه بكليته إلى أعلى البرج .
(١٩) قمة البرج متوهجة بسبب شعلتي النار في أعلاه .
(٢٠) هؤلاء إلهات أو شيطانات جهنميات من الأساطير اليونانية (Furies) ويهمهن الانتقام من الآثمين :

Virg. Æn. VI. 554-555.

(٢١) هيدرات (Hydras) يعني حيات متعددة الرؤوس كما ورد في الميتولوجيا القديمة :
Virg. Æn. VII. 658.

(٢٢) أي ڤرجيليو .
(٢٣) هي پروسيپرينا (Prosperina) ابنة جوپيتر في الميتولوجيا القديمة . خطفها پلوتوس

الشيطان بينما كانت تجمع الأزهار فى صقلية ، وأصبحت ملكة الجحيم ويطلق اسمها على القمر :
Virg. Æn. IV. 698; VI. 142, 402, 487.
Ov. Met V. 385 ...

(٢٤) إيرينيس (Erinyes) هو اللفظ اليونانى للشيطانات أو الجنيات .

(٢٥) ميجيرا (Megaera) بمعنى العدوة اللدودة .

(٢٦) أليكتو (Alecto) بمعنى بغير راحة .

(٢٧) تيزيفونى (Tisiphone) بمعنى التى تعاقب القتلة . هؤلاء الشيطانات كن يقمن بخدمة پروسيپرينا ملكة الجحيم :
Virg. Æn. VI. 570-605.
Ov. Met. IV. 451, 481.
Statius, Thebaides, I. 103-115

(٢٨) هذه علامة اليأس والأسى .

(٢٩) كلمة الشك فى النص الإيطالى تعنى الخوف . ودانتى يحتمى دائماً بڤرجيليو .

(٣٠) ميدوسا (Medusa) شخصية خرافية فى الميتولوجيا القديمة كانت فتاة جميلة وحول پوسيدون شعرها إلى أفاع . وتعرف بجورجون :
Virg. Æn. II. 616; VI. 289; VIII. 438.

رسم ليوناردو دافنتشى صورة ميدوسا ، وقد غطت الأفاعى رأسها وفغرت فاها وجحظت عيناها وارتسمت على وجهها علائم القسوة والوحشية . والصورة فى متحف أوفيتزى فى فلورنسا . وكذلك رسم كارڤادجو (١٥٨٢ — ١٦١٠) صورة لرأس ميدوسا وقد استلقت بأفاعيها إلى الوراء ، وهى فى متحف پيتى فى فلورنسا . وصنع تشلينى (١٥٠٠ — ١٥٧٢) تمثالا لپرسوس وهو يقتل ميدوسا ، وحمل رأسها فى يده ، وبقيت أشلاؤها عند قدميه . والتمثال من البرونز وموجود فى اللودجا دى لانتزى فى فلورنسا .

(٣١) يعنى أنهن آسفات لعدم تحويل تيزيوس ملك أثينا عند ما دخل الجحيم ، ولو فعلن ذلك لما اجترأ آدمى بعده على القدوم حيا إلى الجحيم . وتقول الأساطير إن تيزيوس هبط إلى الجحيم ليأخذ پروسيپرينا ، ولكنه أخفق وبقى هناك حتى أنقذه هرقل :
Virg. Æn. VI. 392 ...

(٣٢) جورجون (Gorgon) أى كائن مكون من جسم امرأة ورأسها مغطى بالأفاعى . وفى الميتولوجيا القديمة ثلاث جورجونات ، وهن ميدوسا — السالفة الذكر — وستينو (Stheno) وأريال (Euryale) والمقصود هنا ميدوسا .

(٣٣) كان ڤرجيليو حريصاً على ألا يرى دانتى ميدوسا حتى لا يتحول إلى حجر .

(٣٤) فعل ڤرجيليو ذلك زيادة فى المحافظة على دانتى .

(٣٥) يشير دانتى إلى الأبيات التى تتكلم عن أسطورة ميدوسا والشيطانات . اختلف النقاد فى فهم دانتى لهذه الأسطورة . يرى بعض أن ميدوسا عنده رمز المرأة الشهوانية التى تسيطر على الرجل ، أو أنها رمز لكراهية المرأة للرجل . ويرى آخرون أن دانتى كان على وشك أن يدخل بين جماعة الهراطقة ، وأن ميدوسا تبعث الشك فى الإنسان المؤمن وتميل به عن العقيدة السليمة ، ولذلك منعه

ڤرجيليو من أن ينظر إليها حتى يبقى صحيح العقيدة . يمثل ڤرجيليو الدليل أو العقل الإنساني ، وكان لابد إلى جانبه من معونة السماء ، التي تتمثل في ملاك يهبط من السماء ، حتى ينجو دانتي من الضلال .

(٣٦) اضطربت الأمواج لما جاء فوقها .

(٣٧) هذا وصف مستمد من ملاحظة دانتي للعواصف والأنواء .

(٣٨) أعلن هذا الدوى عن قدوم رسول السماء الذى لا تقف أمامه قوة .

(٣٩) يقصد التقاء تيارين من الهواء تختلف درجة حرارتهما ، وكلما زاد التفاوت بينهما اشتد عصف الريح .

(٤٠) هكذا أعطى دانتي صورة صادقة لثورة الرياح العاصفة .

رسم ليوناردو داڤنتشي صورة للعاصفة بهذه التفاصيل — مستمدة أيضاً من ملاحظته مظاهر الطبيعة — وهى موجودة فى المكتبة الملكية بقصر وندسور فى إنجلترا .

(٤١) أى انظر بكل ما فيك من قوة على الإبصار .

(٤٢) تحتمى الضفادع بقاع المستنقع هرباً من الأفعى .

(٤٣) هذا هو الملاك الذى هبط كرسول من السماء لكى يفتح مدينة ديس وقد أغلقها الشياطين فى وجه الشاعرين . وهو رمز لقوة عليا خارقة .

(٤٤) يوازن دانتي بين اختفاء المعذبين أمام رسول السماء وبين اختفاء الضفادع أمام الأفعى .

(٤٥) أى الضباب الكثيف .

(٤٦) أى الضيق الذى سببه الضباب الكثيف .

(٤٧) تبين مما رآه عند قدومه أنه رسول من السماء .

(٤٨) أشار إليه أن ينحنى احتراماً لرسول السماء .

(٤٩) يزدرى الآثمين والشياطين .

(٥٠) أى باب مدينة ديس .

(٥١) الصولجان رمز القوة التى منحها له الله .

(٥٢) هكذا يعنفهم رسول السماء وينعتهم بصفاتهم .

(٥٣) أى إرادة الله .

(٥٤) زادت فى عذابهم وعلى الأخص عند هبوط المسيح إلى اللمبو .

(٥٥) أى لا جدوى فى معاندة القدر .

(٥٦) هذه إشارة إلى هبوط هرقل إلى الجحيم وتغلبه على تشيربيروس حيث قيده بالسلاسل وجرح ذقنه وحلقه :

Virg. Æn. VI. 392 ...

(٥٧) عاد رسول السماء تواً من حيث أتى بعد أداء واجبه ، كما كانت بياتريتشى راغبة فى العودة سريعاً إلى السماء عند ما نزلت إلى اللمبو لإنقاذ دانتي :

Inf. II. 71.

(٥٨) هذه مظاهر من يؤدى عملا عاجلا لإنقاذ قوم من الخطر ، وأمامه مسائل أخرى عليه القيام بها . هكذا يرسم دانتي بعض تفاصيل للنفس الإنسانية .

(٥٩) يعنى دانتى .

(٦٠) هذا هو تعبير دانتى ، والمقصود السير .

(٦١) فى الأصل أرض ، يعنى مدينة . ويتكرر هذا الاستعمال فى مواضع كثيرة .

(٦٢) هكذا زالت مخاوف دانتى وعادت إليه الطمأنينة .

(٦٢) يعنى دون عقبة .

وضع دانتى الهراطقة فى بداية مدينة ديس وبالقرب من أسوارها ، وهم منفصلون عن بقية الآثمين قبلهم ، كما يبعدون عن المعذبين فى أعماق الجحيم . أى أن دانتى يعاملهم معاملة خاصة بوضعهم فى مكان خاص مناسب ، كما عامل أهل اللمبو ، وبذلك احترم دانتى حرية الفكر عند الهراطقة ، وإن خالفهم فى العقيدة . وهنا تبدأ الحلقة السادسة .

(٦٤) يعنى مدينة ديس .

(٦٥) سرح عينيه فيما حوله لتلهفه على رؤية الهراطقة . وهذه بعض صور الإنسان .

(٦٦) أى رأى أمامه سهلا فسيحاً .

(٦٧) أبدلت البيت ١١٢ بالبيت ١١٥ مراعاة للأسلوب العربى .

(٦٨) أرليس (Arles) مدينة فى مقاطعة البروفنس فى فرنسا ، وبها مقابر رومانية ومسيحية ونشأت حولها أساطير فى العصور الوسطى . ويرى بعض المؤرخين احتمال زيارة دانتى لفرنسا بناء على هذه الإشارة وغيرها .

(٦٩) پولا (Pola) ميناء على خليج كوارنيرو (Quarnero) فى إستيريا ، وبها مقابر رومانية .

(٧٠) يغلق يعنى يحدد .

(٧١) استغل هذا القول الوطنيون الإيطاليون فى القرن ١٩ الذين كانوا يطالبون النمسا بضم إستيريا إلى إيطاليا .

(٧٢) زاد عدم استواء الأرض هنا بسبب العذاب الذى لقيه الآثمون .

(٧٣) يعنى أن الحديد لا يقتضى زيادة من صنعة الحداد وفنه ليصبح متوهجاً مثل تلك القبور . وهذه صورة مقتبسة من حياة الصناع فى فلورنسا .

(٧٤) هذا تعبير عن مدى الأسى والعذاب الذى لقيه الهراطقة .

(٧٥) جعل دانتى فى كل تابوت أحد زعماء الهراطقة ومعه أتباعه .

(٧٦) فى الأصل (الذين يجعلون أنفسهم مسموعين بتنهداتهم الأليمة) والمعنى واحد .

(٧٧) هذا كناية عن كثرة الهراطقة الذين كانوا يمارسون عقائدهم سراً .

(٧٨) تتفاوت قوة النار تبعاً لقرب المذهب أو بعده عن العقيدة المسيحية .

الأنشودة العاشرة(١)

سار الشاعران بين أسوار مدينة ديس وقبور المعذّبين ، وعرف دانتى أنه أمام مقبرة الهراطقة من أتباع أبيقور . وسمع فجأةً صوتاً يناديه بالتسكانى الصادق الأمين ، فتولاه الخوف . ولكن ڤرجيليو أوضح له أنه أمام فاريناتا وأنه سيراه كله من وسطه حتى رأسه . سأل فاريناتا دانتى عن أصله ، ولما عرف أنه من الجِلف وقع بينهما فصلٌ من التراشق العنيف ، يستند إلى ذكريات الصراع الحزبى فى فلورنسا بين الجِلْف والجبليّين ، تناول نفى كلا الحزبين من فلورنسا وعودة الجلْف دون الجبلين إلى فلورنسا لأنهم عرفوا فن الرجوع إلى الوطن . ثم قطع هذا الموقف العنيف ظهور كاڤالكانتى الجلفى الذى خرج من القبر باحثاً عن ابنه جويدو صديق دانتى ، ولكنه لم يجده ، واعتقد أنه مات ، عندما تباطأ دانتى فى إجابته ، فاختفى داخل قبره . وعاد الموقف العنيف بين دانتى وفاريناتا . ثم تحوّل الموقف بينهما إلى الهدوء واللين . قال فاريناتا إنه وإن كان قد حارب الجلْف الفلورنسيين إلا أنه دافع عن فلورنسا وحده عندما أراد الجبلين إزالة معالمها من الوجود . دعا دانتى لسلالة فاريناتا بالسلام ، وسأله عن رؤية الموتى للمستقبل . قال فاريناتا إن الموتى يرون الماضى والمستقبل دون الحاضر . وعندئذ أدرك دانتى خطأه فى حقّ كاڤالكانتى ، وسأل فاريناتا أن يخبره أن ابنه لا يزال حيّاً ، وأنه كان قد أبطأ فى إجابته لأنه كان يفكرّ فى اللغز الذى فهمه الآن . تحرّك الشاعران للمسير وأخذ دانتى يفكرّ فى حياة المنفى التى تتنبأ له بها فاريناتا ولكن ڤرجيليو ذكر له أن بياتريتشى سوف تشرح له كل شىء . وتقدم الشاعران إلى الحلقة السابعة .

١ الآن يسير أستاذى وأنا من وراء منكبيه ، فى طريقٍ خفى[٢] ، بين أسوار المدينة وقبور المعذّبين[٣].

٤ بدأتُ : « أيتها الفضيلة العليا[٤] ، يا مَنْ تدور بى خلال الحلقات السيئات كما يروق لك[٥] ، حدّثنى وأشبع رغبانى .

٧ هل يمكن رؤية القوم الذين اضطجعوا فى القبور ؟ وها قد رُفعتْ كلّ أغطيتها ، ولا يحرسها أحد[٦] » .

١٠ أجابنى : « ستُغلق جميعـاً إذا عادوا هنـا من وادى يوسافاط[٧] ، بأجسادهم التى تركوها هناك أعلى[٨] .

١٣ فى هذا الجانب مقبرةُ أبيقور[٩] ، ومعه كلّ مريديه[١٠] الذين يجعلون النفسَ تموت مع الجسد .

١٦ ولكنك ستنال وشيكاً هنا بالداخل ، ما يرضيك عما وَجَّهْتَ إلىّ من سؤال[١١] ، وعن الرغبة التى لم تفصح عنها بعـدُ[١٢] » .

١٩ قلتُ : « أيها الدليل الطيب ، إنى لا أغلق عنك قلبى إلا قصْداً فى الـكلام ، وإنك وَجهتنى إلى ذلك ليس الآن فحسبُ[١٣] » .

٢٢ « أيها التسكانى[١٤] الذى تسير حيّاً فى مدينة النيران ، متكلماً بهـذا الإخلاص[١٥] ، لعله يروقك أن تقف فى هذا المكان[١٦].

٢٥ إن كلامك[١٧] ينمّ على أنك مولودٌ فى ذلك الوطن النبيل[١٨] ، الذى ربما كنتُ شديد القسوة عليه[١٩] » .

٢٨ صدر هـذا الصوت فجأةً عن أحد القبور ؛ عندئذ ازددتُ اقتراباً من دليلى ، وقد عرانى الوجل[٢٠].

٣١ قال لى[٢١] : « استدرْ : ماذا تفعل ؟ انظر هاك فاريناتا[٢٢] منتصب القامة : إنك ستراه كله من وسطه إلى أعلاه[٢٣] » .

٣٤ وكنت قد صوبتُ عينى إلى وجهـه[٢٤] ؛ ووقف هو منتصب الصدر مرفوع الجبهـة ، كمنْ يشعر نحو الجحيم بازدراءٍ شديد[٢٥].

٣٧ ودفعتنى إليـــه بين القبـــور [٢٦]، يبدا دليلى الجريئتان المتحفزتان [٢٧]،
وهو يقول : « لتـــكن كلماتك موزونـــة [٢٨] » .

٤٠ ولما وقفتُ عند دعامة قبره ، نظر إلىّ قليلاً ثم سألنى بلهجـــة تنمّ على
الزراية [٢٩] : « مَنْ كانوا أجـــدادك [٣٠] » .

٤٣ ولم أخفِ عنه ذلك ، إذْ كنتُ راغباً فى طاعته ، بل أفصحتُ له عن
كلّ شىء [٣١] ؛ عندئذ رفـــع حاجبيه إلى أعلى قليلاً [٣٢] ،

٤٦ ثم قال : « إنهـــم كانوا خصومـــاً ألدّاء لى ولأجدادى وحزبى ،
حتى لقـــد شتَّتُ شملهم مرّتين [٣٣] » .

٤٩ فأجبته قائلا [٣٤] : « إذا كانوا قد طردوا ، فإنهم رجعوا من كلّ صوب [٣٥]
فى كلتا المرّتين [٣٦] ، ولكن ذويك لم يحسنـــوا تعلم ذلك الفن [٣٧] » .

٥٢ عندئذ بـــرز شبحٌ إلى جانبه [٣٨] أمام عينىّ ، مكشوفاً إلى الذقن [٣٩] ،
وأعتقد أنه عـــلى ركبتيـــه وقف .

٥٥ نظر حوالىّ كأنمـــا تدفعـــه الرغبة فى أن يرى هل يصحبنى غيرى
من البشر [٤٠] ؛ ولـــكن لمـــا زال عنده كل شك [٤١] ،

٥٨ قال وهو يبكى [٤٢] : « إذا كنتَ تـــزور هذا المحبس الأعمى بفضل
عبقريتك الساميـــة ، فأين ابنى [٤٣] ؟ ولماذا هو ليس معك [٤٤] ؟ » .

٦١ قلت له : « أنا لا أجىء من تلقاء نفسى : إن من ينتظر هناك [٤٥] يقودنى
إلى هنا ، وربما كان ابنـــك جويدو يحتقـــره [٤٦] » .

٦٤ وفى كلمـــاته وأسلوب عذابه ، كنتُ قد قـــرأتُ اسمه وشخصه [٤٧] ،
ولذلك كانت إجابتى لـــه وافية هكذا [٤٨] .

٦٧ فنهض منتصب القامة لتوِّه ، وهو يصرخ قائلاً [٤٩] : « كيف تقول ؟
كان [٥٠] ؟ ألا يعيش بعدُ ؟ ألا يردُ على عينيه النور الحبيب [٥١] ؟ » .

٧٠ ولما أدرك بعض الإبطـــاء الذى بدَرَمنى قبل أن أجيب ســـؤله ،
هبط سريعاً ، ولم يظهر بعدُ فى الخارج [٥٢] .

٧٣ ولكن ذاك الشبح الآخر العظيم ،الذى وقفتُ تلبيةً لدعائه ، لم يغير ملامحه ، ولم يحرك عنقه[٥٣] ، ولم يثن عِطفه[٥٤] ؛

٧٦ وقال مكملاً حديثه الأول[٥٥] : « إذا كان قومى لم يحذقوا ذلك الفنَّ[٥٦] ، فإن ذلك يؤلمنى أكثر من هذا الفراش المضطرم[٥٧] .

٧٩ ولكن لن يضىء خمسين مرّة وجه السيدة التى تحكم هنا[٥٨] ، حتى تعرف كم هو ثقيلٌ ذلك الفنّ[٥٩] .

٨٢ وأنت يا مَنْ عسى أن ترجع إلى العالم الحبيب[٦٠] ، أخبرنى : لِمَ كان ذلك الشعب شديد القسوة على عشيرتى فى كل قوانينه[٦١] ؟ » .

٨٥ عندئذ أجبته : « الدمار والهلاك الذى خضّب مياهَ أرْبيا بالدم[٦٢] ، جعل مثل هذه الصلوات تتجاوب فى أرجاء معبدنا[٦٣] » .

٨٨ وبعد أن هزّ رأسه وهو يتنهد ، قال[٦٤] : « لم أكن فى ذلك وحدى ، ولم يكن قطعاً دون سببٍ نهوضى مع الآخرين[٦٥] .

٩١ ولكنى كنتُ وحدى هناك ، حينما اتفق الجميع على محق فيورنتزا[٦٦] ، وكنتُ وحدى الذى أدافع عنها بوجه صريح[٦٧] » .

٩٤ رجوته قائلا[٦٨] : « آه ! لكى تنعم سلالتك بالسلام[٦٩] ، حُلَّ لى تلك العقدة التى تبلبل فكرى[٧٠] .

٩٧ وإذا كنتُ أحسن السمع[٧١] ، فيبدو أنكم ترون مقدّماً ما يأتى به الزمن ، أما الحاضر فلكم فيه طريقةٌ أخرى[٧٢] » .

١٠٠ قال : « إننا نرى الأشياء البعيدة عنا ، كما يفعل مريضُ البصر[٧٣] ، وهذا هو الضوء الذى لا يزال يمنحنا إياه الدليل الأعلى[٧٤] .

١٠٣ وحينما تقترب منا أو تصير معنا يذهب كل نظرنا سدى[٧٥] ؛ وإذا لم يحمل أحدٌ إلينا خبراً ، فلن نعرف شيئاً عن حالكم الإنسانية[٧٦] .

١٠٦ ولذلك تستطيع أن تدرك أن معرفتنا ستموت تماماً ، منذ تلك اللحظة التى يوصد فيها باب المستقبل[٧٧] » .

١٠٩ عندئذ قلت كنادمٍ على ما وقعتُ فيه من خطأ [٧٨]: « أخبرْ إذاً ذلك الهابط [٧٩]، أن ابنه لا يزال فى عداد الأحياء .

١١٢ وإذا كنت قد سكت قبلُ عن جوابه [٨٠]، فعرِّفه أنى فعلت ذلك لأنى كنتُ أفكر فى الخطأ الذى حررتنى من قيـده [٨١]» .

١١٥ وكان أستاذى قد نادانى، فرجوتُ توّاً ذلك الشبح أن يخبرنى عمـن كان معه [٨٢].

١١٨ فقال لى : « إنى أرقد هنا مع أكثر من ألف : وهناك فى الداخل فردريك الثانى [٨٣]، والكردينال [٨٤]؛ أما عن الآخرين فلا أتكلم [٨٥]» .

١٢١ عندئذ اختفى [٨٦]: فوجهت خطواتى نحو الشاعر القديم، متأملاً فى ذلك الكلام الذى بدا لى معادياً [٨٧].

١٢٤ وتحرّك دليلى إلى الأمام، ثم قال لى ونحن نسير على ذلك النحو : « لِمَ أنت مضطرب هكذا ؟ » . فأجبته وأرضيتُ سؤاله [٨٨].

١٢٧ « فلتحفظْ ذاكرتك ما سمعتَ ضدّ شخصك [٨٩]» . هكذا أمرنى ذلك الحكيم . ثم رفع أصبعه قائلا [٩٠]: « والآن انتبه هنا جيداً :

١٣٠ حينما تصبح أمام الضوء الحبيب ، لتلك [٩١] التى ترى عينها الجميلة كل شىء [٩٢]، ستعرف منهـا رحلة حياتك [٩٣]» .

١٣٣ بعدئذٍ وجه خطاه إلى اليسار : وتركنا السور [٩٤]، واتجهنا إلى الوسط [٩٥]، فى ممـرٍ يـؤدى إلى وادٍ ،

١٣٦ تصاعدتْ رائحته الـكريهة هناك إلى أعلى [٩٦] .

حواشى الأنشودة العاشرة

(١) هذه أنشودة الهراطقة أو أنشودة فاريناتا دلى أوبرتى ، وهى من أكثر قصائد الكوميديا اتصالا بالحياة الفلورنسية .

(٢) يسير دانتى وراء أستاذه لأن الطريق خفى ضيق . ويشبه هذا قول ڤرجيليو:
Virg. Æn. IV. 405.

(٣) أى أنهما سارا بين أسوار مدينة ديس وقبور المعذبين على مقربة منها . استمد دانتى صورة مدينة ديس بأسوارها وأبراجها وقبورها ونيرانها وشياطينها من ڤرجيليو :
Virg. Æn. VI. 548 ...

وهناك بعض أوجه شبه بين صورة مدينة ديس عند دانتى وبين ما جاء فى التراث الإسلامى :
Cerulli (op. cit.) pp. 188-191.

عبد الوهاب الشعرانى : مختصر تذكرة القرطبى . القاهرة ، ١٣٠٨ ﻫ : ص : ٧٠ .

(٤) يقصد ڤرجيليو .

(٥) يرى بعض النقاد أن دانتى أراد أن يحدثه ڤرجيليو كما يروق له .

(٦) يعنى أن هذه فرصة مناسبة لرؤية من بداخل هذه القبور .

(٧) وادى يوسافاط (Josaphat) قريب من أورشليم ، حيث يجرى الحكم الأخير كما ورد فى الكتاب المقدس :
Joel, III. 2, 12.

(٨) أى الدنيا .

(٩) أبيقور (٣٤٢ – ٢٧٠ ق . م . Epicurus) فيلسوف يونانى مؤسس المذهب الأبيقورى الذى يعتبر أن النفس تموت مع الجسد ، وبذلك يدعو إلى التمتع بالملذات قبل فوات الوقت ، وامتد مذهبه فى العصور الوسطى ، رغم روح العصر .

(١٠) نسب هذا المذهب إلى الجبليين أعداء البابا . ووجد من الجلف من أخذ به . وبولغ فى نسبة هذا المذهب إلى بعض الناس من باب الخصومة السياسية .

(١١) يطمئن ڤرجيليو دانتى بأنه سيعرف كل شىء سريعاً .

(١٢) يعنى أن دانتى لم يفصح بعد عن رغبته فى رؤية فاريناتا دلى أوبرتى ولكن ڤرجيليو يعرف ما يدور بنفسه ، وكان دانتى قد استفسر عن بعض مواطنى فلورنسا من قبل ، ومن بينهم فاريناتا .
Inf. VI. 79 ...

(١٣) يشير دانتى إلى أن ڤرجيليو سبق أن حمله على السكوت . وهذه كلمات تلميذ لأستاذه يتبادلان التقدير والإعزاز :
Inf. III. 76-81; IX. 86-87.

(١٤) سمع دانتى هذا الصوت ينبعث فجأة من القبر أمامه ، وكان ذلك صوت فاريناتا .

(١٥) أحس فاريناتا أن دانتى يتكلم بإخلاص ، والإخلاص غريب على الجحيم ، فناداه بهذا التعبير .

(١٦) سمع فاريناتا مواطناً فلورنسياً يتكلم بصدق وإخلاص ، ففرح واهتزت نفسه ، وخرج من القبر يسأله فى رفق ولين أن يقف قليلا فى ذلك المكان ، لكى يحادثه .

(١٧) دلت ألفاظ دانتى ولغته وطريقة كلامه على أنه مواطن فلورنسى ، ولذا ناداه فاريناتا بالتسكانى .

(١٨) يقصد فلورنسا . ونطق فاريناتا باسم الوطن النبيل بكل إعزاز بالوطن وبالمواطن الصادق . وهكذا نسى فاريناتا لحظة الحزبية الجامحة ، ولم يعرف إلا الوطن والمواطن .

(١٩) هذا اعتراف بالإساءة فى حق الوطن ، وإعلان للأسف على ما فعل . أعاده ذلك القول إلى ذكرى الصراع الحزبى العنيف فى فلورنسا . وقوله «ربما» يعنى أنه أراد التخفيف من أثر القسوة التى ارتكبها فى حق فلورنسا . وهذا كلام رقيق مؤثر يبدو فى ثناياه الأسى والندم .

(٢٠) دوى صوت فاريناتا فجأة ، ولم ير دانتى صاحب الصوت ، فاضطرب وفزع واقترب من ڤرجيليو يطلب الأمان . وما أضعف الإنسان عند ما يخاف .

(٢١) أى قال ڤرجيليو .

(٢٢) فاريناتا دلى أوبرتى (Farinata degli Uberti) من أسرة جرمانية الأصل كان لها نصيب كبير فى حكم فلورنسا منذ القرن ١٢ ، وقامت بكفاح عنيف ضد ثورة الشعب الفلورنسى على حكم النبلاء . ولد فاريناتا فى فلورنسا فى أوائل القرن ١٢ ونشأ فى أثناء انشقاق فلورنسا إلى حزبى الجلف والجبلين فى ١٢١٥ . وأصبح زعيم الجبلين ، ونجح فى طرد الجلف من فلورنسا فى ١٢٤٨ . ولكن الجلف استعادوا مركزهم وطردوا الجبلين فى ١٢٥٨ ، فلجأوا إلى سيينا ونظموا قواتهم وانتصروا على قوات فلورنسا بمساعدة مانفريد فى موقعة مونتاپرتى فى ١٢٦٠ . وأراد الجبلين المنتصرون أن يهدموا فلورنسا ، حتى لا يقوم للجلف الفلورنسيين قائمة بعد ذلك . ولكن وقف فاريناتا مدافعاً عن فلورنسا ، وآثر مصلحة الوطن على مصلحته الشخصية والحزبية . وعاد إلى فلورنسا حيث مات فى ١٢٦٤ قبل ميلاد دانتى بسنة واحدة . واتهم بأنه من أتباع أبيقور ولذلك وضعه دانتى فى منطقة الهراطقة فى بداية مدينة ديس .

(٢٣) يدل ظهور فاريناتا المفاجىء . على أنه شخص عظيم ، ونحس بعظمته قبل رؤيته . ويدل لفظ « كله » على القوة والعظمة . استعان دانتى هنا بالمادة والشكل لتعزيز صورة القوة والعظمة .

(٢٤) أى تركزت عيناه عليه ، وعبرتا عما فى نفسه من الدهشة والإعجاب . ولم يستطع دانتى إلا أن ينظر إلى فاريناتا بكل عينيه .

(٢٥) مع أنه لم يظهر من فاريناتا سوى الصدر والرأس فإنه وقف منتصباً شامخاً غاية فى القوة والعظمة ، وبدا أنه يحتقر الجحيم من حوله . توفرت فى فاريناتا قوة الروح التى جعلته يعلو على الجحيم كله . ولا يعنينا الآن فاريناتا الهرطيق ولكن يعنينا الإنسان البطل . ويساعد الجحيم ذاته على إبراز قوة فاريناتا وعظمته .

(٢٦) عندما حملق دانتى فى وجه فاريناتا أخذته عظمته ووقف صامتاً لا يتكلم . ولكن

السكوت لا يطول ، إذ تدخل ڤرجيليو ودفع دانتى إلى ما بين القبور لكى يصبح أقدر على سماع حديث فاريناتا .

(٢٧) عبر ڤرجيليو بيديه الجريئتين عن رغبته فى أن يتحدث دانتى إلى فاريناتا . وتتكلم اليد وتعبر كالعين واللسان . مهد دانتى السبيل فى مجال الشعر لرجال التصوير والنحت فى عصر النهضة للكشف عن قيمة أعضاء الإنسان وما تبديه من المعانى .

(٢٨) هناك تفاوت حول تفسير كلمة (Conte) . المعنى المألوف هو معدودة عداً أو محسوبة حساباً . ولكن بعض النقاد يضعون لها تفسيرات على صلة بالمعنى الأصلى مثل : صريحة ، واضحة ، قصيرة ، موجزة ، متزنة ، مناسبة ، كريمة ، رقيقة ، دقيقة ، نبيلة .

(٢٩) عبر فاريناتا بعينيه وكلامه عن معنى الاحتقار ، وذلك لأنه ساوره الشك فى أن يكون هذا المواطن الفلورنسى من أعدائه . مجرد الشك جعله ينظر إليه ويحادثه بلهجة تنم عن الاحتقار .

(٣٠) عندما أراد فاريناتا أن يعرف شخص دانتى لم يسأله عن ذاته بل سأله عن أجداده . كان الأصل عند فاريناتا أهم من الشخص ذاته . سادت فكرة الأصل والنسب عند النبلاء ، وذلك على عكس الفكرة الحديثة التى تعنى بقيمة الفرد بغض النظر عن أصله .

(٣١) أى أنه حدثه عن أسرته وأجداده من حزب الجلف الأعداء الألداء لآل أوبرتى الجبلين .

(٣٢) عند ما أدرك فاريناتا أن دانتى من الأعداء — وكان قد أخذ يشك فى هذا — غضب وقطب جبينه ورفع حاجبيه وتذكر الماضى الأليم .

(٣٣) قال فاريناتا إن أجداد دانتى كانوا أعداء ألداء له ولأسرته وحزبه ، ومع هذا فقد هزمهم مرتين فى (١٢٤٨ و ١٢٦٠) . تكلم فاريناتا وهو فخور بالنصر ، وهو لا يعرف الحرب بغير النصر . وبدت كلماته كضربات سيف قاطع . إن فاريناتا هنا أشبه بتمثال صارم عنيف ، بدأت الحياة تدب فى أوصاله .

(٣٤) أجاب دانتى بكلمات جافة مماثلة .

(٣٥) أى عادوا من كل أنحاء تسكانا .

(٣٦) عقب الهزيمة الأولى عاد الجلف إلى فلورنسا ، عند ما استدعاهم الشعب الذى ثار على حكم الجبلين فى ١٢٥٨ ، ثم عادوا عقب الهزيمة الثانية بعد انتصارهم على الجبلين فى موقعة بنيڤنتو فى ١٢٦٥ .

(٣٧) أى أن آل أوبرتى لم يعرفوا فن الرجوع إلى الوطن وعند ما صدر العفو العام عن الجبلين استثنيت حوالى ٦٠ أسرة ، كان من بينها آل أوبرتى .

هكذا كان رد دانتى على فاريناتا جافاً قاسياً ، وبذلك باداه عنفاً بعنف . وهو فى ذلك يطيع أستاذه فى أن تكون كلماته متزنة ومناسبة للمقام . قال إن الجلف أعفوا أثر الهزيمة على حين لم يتعلم الجبلين فن الرجوع إلى الوطن . وهكذا ألقى دانتى إلى فاريناتا بسهم عنيف ، ولم يستطع فاريناتا سوى أن يضم هذا السهم المستقر بين جوانحه . وكان دانتى كمن يبسم ابتسامة ساخرة بهذه الكلمات القاسية المليئة بالسخرية . ومع ذلك فإن دانتى يحترم فاريناتا ويناديه بضمير الجمع ، على حين ينادى فاريناتا دانتى بضمير المفرد . وقد تكون القسوة والسخرية دليل التقدير والإعزاز .

(٣٨) هذا شبح كاڤالكانتى دى كاڤالكانتى الذى استفسر دانتى عنه ضمن أبطال فلورنسا ، وإن لم يذكر اسمه على وجه التحديد :
Inf. VI. 79-82

(٣٩) أى لم يظهر منه سوى الوجه .

(٤٠) أضفت لفظ (البشر) للإيضاح .

(٤١) الشك أو خيبة الظن . نظر كاڤالكانتى حوله لأنه كان يريد أن يرى ابنه مع دانتى .

(٤٢) عند ما لم يجد ابنه مع دانتى زال شكه فى احتمال رؤيته ، فتكلم وهو يبكى . وفرنتشسكا تبكى وتتكلم ، وأوجولينو يتكلم ويبكى :
Inf. V. 126; XXXIII. 9.

(٤٣) كاڤالكانتى دى كاڤالكانتى (Cavalcante dei Cavalcanti) من أتباع أبيقور مثل فاريناتا ، ولكن خالفه فى السياسة فكان من الجلف ، وأصبح عمدة جوبيو فى ١٢٥٧ . وبعد موقعة مونتاپرتى نكل الجبلين المنتصرون بالجلف ومن بينهم كاڤالكانتى . وهو أب جويدو كاڤالكانتى (Guido Cavalcanti) الذى تزوج بياتريتشى ابنة فاريناتا ، وكان زواجاً سياسياً للتقريب بين الجلف والجبلين . واشترك جويدو فى الكومون الفلورنسى ، وأصبح من حزب البيض عند انشقاق الجلف إلى بيض وسود . وكان من أصدقاء دانتى . وامتاز بالثقافة والاطلاع ، وهو من شعراء مدرسة الشعر الحديث فى فلورنسا . اشترك دانتى فى قرار نفيه إلى سارتزانا لمدة سنتين فى ١٣٠٠ تخفيفاً من حدة النزاع الحزبى فى فلورنسا . ومرض فى المنفى ، ورجع إلى وطنه ومات بعد قليل .

هنا يسأل كاڤالكانتى دانتى عن ابنه جويدو وكان يتوقع أن يراه .

(٤٤) أى أنه إذا كان دانتى يزور الجحيم بفضل عبقريته فلماذا لم يأت معه ابنه جويدو وهو عبقرى مثله . ولم يتكلم كاڤالكانتى عن السياسة الحزبية ، بل تكلم كأب يبحث عن ابنه .

(٤٥) يقصد ڤرجيليو .

(٤٦) هناك خلاف فى تفسير التنافر بين جويدو وڤرجيليو . ربما لم يقدر جويدو ڤرجيليو لأن جويدو أحب الفلسفة ولم يحفل بالشعر القديم ، أو لأن ڤرجيليو يمثل أحياناً سلطة الأمبراطور عند دانتى ، على حين كان جويدو من حزب الجلف . هكذا أراد دانتى أن يجمل الموقف بين جويدو وڤرجيليو .

(٤٧) استدل دانتى من كلماته وطريقة عذابه على شخصيته .

(٤٨) ظن دانتى على غير حقيقة أن إجابته كانت وافية .

(٤٩) نهض على قدميه وهو يصرخ لفرط الألم عند ما اعتقد أن ابنه جويدو قد مات .

(٥٠) عند ما قال دانتى إن جويدو ربما كان يحتقر ڤرجيليو بصيغة الماضى ، وكان يتكلم قبلا بصيغة المضارع ، اعتقد أن ابنه قد مات ، فارسل تلك الأسئلة المتلاحقة فى حزن وألم . وهى تعبر فى صدق وبساطة عن إحساس الأب وشعوره عند فقد ابنه . وهذه صورة تكشف عن بعض نواحٍ فى النفس الإنسانية .

(٥١) ألح كاڤالكانتى بهذا السؤال لأن عيون الموتى — وقد اعتقد أن ابنه قد مات — تتطلع إلى الضوء وتتعلق بأهداب الأمل حتى آخر لحظة من الحياة .

(٥٢) هبط كاڤالكانتى فى القبر بغير كلام ، عندما اعتقد أن ابنه قد مات . وأى شىء

أقوى تعبيراً من الألم أكثر من سقوطه فى القبر دون كلام كجسم ميت لا حراك به ! عبر دانتى بذلك الشعور الأبوى عن بعض دقائق القلب الإنسانى .

استمد دانتى شخصية كاڤالكانتى الأب من ذكرى صلته بابنه جويدو . ولم يصور شخصية جويدو ذاته ، ربما لأن نفسه لم تطاوعه على ذلك ، وقد كان مشتركاً فى قرار نفيه . واستمد دانتى شخصية كاڤالكانتى من ظروف حياته هو . فقد شعر دانتى منذ صغره بالحاجة إلى عطف الأم والأب وخبر بنفسه معنى الأبوة وأدرك أثر الحرمان من أبنائه فى حياة المنفى والتشريد . صور دانتى شخصية كاڤالكانتى كإنسان هادئ رقيق وديع ، وكأب بار عطوف ، لا تهمه السياسة ولا الحزبية ولا الوطن ، ولكن يعنيه مصير ابنه الحبيب . وهو يعبر فى حركاته وأقواله عن الأبوة البارة الرحيمة . وهو واضح صريح متلهف على رؤية ابنه . ويمتزج فيه الرجاء والأمل باليأس والأسى والزفرات .

(٥٣) أى أنه لم يحرك رأسه .

(٥٤) فى تلك الفترة ظل فاريناتا واقفاً فى مكانه كالتمثال لا يتحرك ، وعلى الرغم من صلة المصاهرة بينه وبين كاڤالكانتى ، فلم تعن فاريناتا دموع الأب المتلهف على رؤية ابنه ، واستمر يفكر فى قول دانتى السابق وفى حياة المنفى وفى الصراع الحزبى . لم يفهم فاريناتا الجبليني سوى سخرية دانتى الجلفى عند ما عرض بالجبلين ذاكراً أنهم لم يعرفوا فن الرجوع إلى الوطن . كل هذا من مقومات شخصية فاريناتا الوطنى الصارم العنيف ، الذى لا يفكر فى غير وطنه ، ولا تشغله عنه المشاغل الأسرية .

(٥٥) عاد فاريناتا مسرعاً إلى متابعة الحديث الأول الذى توقف بعض الوقت .

(٥٦) أى أن الجبلين أساءوا تعلم فن الرجوع إلى الوطن .

(٥٧) كان عجز الجبلين عن الرجوع إلى الوطن جحيما عند فاريناتا أشد من هذا الجحيم . وجحيم النفس عنده يتضاءل إلى جانبه جحيم الجسد وجحيم الآخرة . خلق دانتى بذلك من فاريناتا ثائراً على الله وخارجاً على تقاليد العصور الوسطى . أنطق دانتى فاريناتا كبطل غاضب ثائر ، لا يتحول من مبدئه ووطنه . يشبه فاريناتا موسى الذى خلقه ميكلأنجلو فى تمثاله الرائع فى كنيسة سان پيترو إن ڤينكولى فى روما يوشك أن ينهض ثائراً على شعبه لما ارتكبه من الخطايا . وهناك كاپانيو ثائر آخر على الله فى الجحيم ، سيأتى بعد :

Inf. XIV. 43-75.

(٥٨) السيدة التى تحكم هنا هى پروسپيرينا (Prosperina) ملكة الجحيم . والمقصود بذلك القمر ، كما سبق الإشارة إلى ذلك . أى أنه لن يظهر البدر ٥٠ مرة ، أى مدة ٤ سنوات وشهرين ، من أبريل ١٣٠٠ زمن هذه المقابلة فى الجحيم كما جعلها دانتى ، إلى يونيو ١٣٠٤ ، عند ما حاول دانتى الرجوع إلى فلورنسا بالقوة مع الخارجين الفلورنسيين من حزب البيض ، ولكنه أخفق .

(٥٩) أى سوف يعرف دانتى كم هو صعب ثقيل فن الرجوع إلى الوطن . لم يسكت فاريناتا من سخرية دانتى به وبقومه ، وبادله سهماً بسهم . وعاد الموقف بينهما إلى العنف السابق . وهذا هو أوج المقابلة وخاتمة ذلك الشعور العنيف المتدفق بين فاريناتا ودانتى ، الذى ظلت خلاله صورة الوطن ماثلة على الدوام .

(٦٠) ينعت وطنه بالعالم العذب الحبيب .

(٦١) يقصد شعب فلورنسا . ولا يذكره بالاسم بسبب العداوة .

هكذا انتهت ثورة فاريناتا واعتدل وتحول إلى الهدوء . يسأل فاريناتا دانتى لماذا كانت قوانين فلورنسا شديدة القسوة على آل أوبرتى ، فاستثنوا من قانون العفو العام عن الجبلين بعد موقعة بنيفنتو وهدمت قصورهم ودكت بيوتهم وحولت أماكنها إلى ميادين عامة ومنها ميدان السنيوريا فى فلورنسا .

(٦٢) امتلأت مياه نهر أربيا (Arbia) بقرب سيينا بالدماء ، فى موقعة مونتأبرتى التى انتصر فيها الجبلين على الجلف .

(٦٣) أى جعلت هذه الدماء شعور أهل فلورنسا عدائياً نحو آل أوبرتى ، فكانت صلواتهم فى الكنائس ضدهم ، وبذلك صدرت قوانين فلورنسا قاسية عليهم .

(٦٤) عند ما تذكر فاريناتا ضحايا فلورنسا فى موقعة مونتأبرتى تحول إلى الهدوء واللين وتنهد وهز رأسه أسى وألما .

(٦٥) أى أنه لم يحارب وحده ولكنه اشترك فى الحرب مع أعضاء حزبه من الجبلين .

(٦٦) يقول دانتى فيورنتزا (Fiorenza) وهذا هو اسم فلورنسا وقتئذ ويطلق الإيطاليون عليها لفظ فيرنتزه (Firenze) (انظر أنشودة ٢٤ حاشية ٦٧) . يقصد أنه كان وحده صاحب الرأى المخالف عند ما اتفق الجبلين على هدمها وتحويلها إلى أنقاض . استمد دانتى هذا المعنى من القصور والأبراج والبيوت التى هدمت فى فلورنسا فى أثناء الصراع الحزبى العنيف .

(٦٧) دافع فاريناتا عن فلورنسا بوجه مفتوح أو صريح أى بجسارة وعزم وتصميم . يقصد أنه عند ما انتصر الجبلين على الجلف فى مونتأبرتى فى ١٢٦٠ أمر فاريناتا الجند الجبليى بالكف عن قتل الجند الفلورنسى . وفكر الجبلين المجتمعون فى إيمبولى فى هدم فلورنسا ، ولكن فاريناتا عارض ذلك بشدة ، وقال لزعماء الجبلين وعلى رأسهم الكونت جوردانو إنه قاتل لاسترجاع وطنه لا ليفقده ، وإنه سيدافع عنه ضد كل من تسول له نفسه هدمه أو تحطيمه ، وإنه سيفعل ذلك بعزم وتصميم أكثر مما فعل فى حرب فلورنسا من قبل . قال فاريناتا ذلك وهو يقبض على سيفه ، وبذلك أنقذ فلورنسا من الدمار . وهكذا أعطى فاريناتا للناس درساً رائعاً فى الوطنية .

(٦٨) يرجوه دانتى أن يتكلم .

(٦٩) هكذا تحدث دانتى إلى فاريناتا بكلمات رقيقة ودعا له بالسلام جزاء وطنيته الصادقة .

(٧٠) سأله أن يفسر له مشكلة غمضت عليه .

(٧١) يعنى إذا كان قد أحسن الفهم .

(٧٢) يقصد أن كافالكانتى قد تنبأ بحوادث المستقبل وتنبأ فاريناتا بنفى دانتى ، على حين لم يعرف كافالكانتى هل كان ابنه حياً أو ميتاً .

(٧٣) أى مثل مديدى البصر ، الذين يرون البعيد خيراً من القريب ، وهذا نوع من مرض العيون . والمقصود أنهم يرون المستقبل . تأثر دانتى فى هذا برأى توماس الأكوينى فى أن النفس تعرف الماضى وتدرك المستقبل ولكنها تجهل المحسوس . وتأثر أيضاً فى هذا بذكريات اللاتين ومعتقدات العامة التى احتوت نفس الفكرة . ولذلك جعل دانتى لهؤلاء المعذبين القدرة على رؤية المستقبل دون الحاضر .

(٧٤) يقصد الله .

(٧٥) إذااقتربت منهم الأشياء أو أصبحت معهم يبقى عقلهم فارغاً ولا يرون شيئاً .

(٧٦) يعنى أنه لا بد أن يحمل أخباركم إلينا أحد الأحياء وإلا تبقى مجهولة .

(٧٧) أى أن المستقبل سينتهى عندهم يوم القيامة ، ويحل مكانه الخلود . ولذلك ستفقد هذه النفوس المعذبة القدرة على رؤية المستقبل ، والتى تتمتع بها الآن .

(٧٨) يعنى أن دانتى تبين أنه ارتكب خطأ غير مقصود عند ما لم يجب فوراً عن سؤال كاڤالكانتى عن ابنه ، فأحس بالندم . وأراد أن يعرف فاريناتا كاڤالكانتى بأن ابنه جويدو لا يزال حياً يرزق .

(٧٩) أى كاڤالكانتى الهابط فى قبره .

(٨٠) كان كأنه أخرس لانشغاله بلغز الموتى .

(٨١) يعبر دانتى عن أسفه للألم الذى سببه لكافالكانتى دون قصد .

(٨٢) أى معه فى القبر .

(٨٣) الأمبراطور فردريك الثانى هوهنشساوفن(١١٩٤ — ١٢٥٠ Federico Secondo Hohenstaufen)الذى يسمى بأول رجل فى العصر الحديث . عاش فى جنوبى إيطاليا وعرف بالعلم والثقافة وسعة الأفق . وضعه دانتى هنا لأنه كان من أحرار الفكر ، ونسبت إليه الهرطقة .

(٨٤) الكردينال أوتافيانو دلى أو بالدينى (عاش فى القرن ١٣ م Ottaviano degli Ubaldini) وهو من أسرة جبلينية سيطرت على الموجلو ورومانيا التسكانية وأصبح أسقف بولونيا فكاردينالا .

(٨٥) يسكت فاريناتا عن الآخرين ، إذ ليس هناك متسع من الوقت للكلام .

(٨٦) عبر دانتى عن اختفاء فاريناتا بكلمة واحدة ، ولم يشأ أن يصف هبوطه حتى لا يمس شخصه العظيم .

(٨٧) يقصد كلام فاريناتا عن المنفى .

هكذا رسم دانتى صورة فاريناتا دلى أو برتى الإنسان البطل الذى تسيره قوته الجبارة . جعل دانتى من فاريناتا رجلا لا يكاد يحس أن له قوة يفخر بها على أحد . هو يعرف أنه يحب حزبه ووطنه بكل قلبه ، وهو يضحى بالمصلحة الحزبية فى سبيل الوطن . والقوة عند فاريناتا ممتزجة بالأفكار والأهداف النبيلة التى يسعى إلى تحقيقها . إنها القوة التى تجعل الجسم الضئيل والإنسان الخجول يبدو كالعملاق. وهذه صورة أخرى رسمها دانتى للإنسان الحديث . ووضع دانتى إلى جانب شخصية كاڤالكانتى دى كاڤالكانتى الذى يمثل الأبوة البارة الرحيمة . وقد أظهره دانتى وسط التراشق الذى حدث بين فاريناتا وبينه . وكان ظهور كاڤالكانتى المفاجىء أمراً قطع ذلك الموقف العنيف بين دانتى وفاريناتا لكى يجعله أكثر عمقاً بعد قليل . وكان فاريناتا جبلينيا ، بينما كان كاڤالكانتى جلفياً . وكانت تلك مفارقة فى الأهواء والعواطف والأهداف . كانت شخصية كاڤالكانتى الهادئة الرقيقة أشبه بلحن هادئ رقيق ، يسير إلى جانب فاريناتا الثائر العنيف تارة ، والشاعر بالأسى والأسف طوراً ، والهابط الساكت فى قبره تارة أخرى . وأظهرت كل من الصورتين الصورة الأخرى . وتعتبر هذه القصيدة من أشهر قصائد الكوميديا .

ويوجد تمثال من المرمر لفاريناتا دلى أو برتى — خارج متحف الأوفيتزى فى فلورنسا وفى مواجهة نهر الأرنو ، يمثله واقفاً وقد تمنطق بالدروع ويده على مقبض سيفه ، وبدت على وجهه علائم القوة والعزم والتصميم .

(٨٨) أى تحدث إليه عن مخاوفه وقلقه عند سماعه التنبؤ بحياة المنفى التى سيتعرض لها عما قليل .

(٨٩) أى التنبؤ بالمنفى . وسبق أن سمع دانتى بمثله من تشاكو :

Inf. VI. 64-75.

(٩٠) رفع ڤرجيليو أصبعه للدلالة على أمر هام سيتكلم عنه .

(٩١) أى بياتريتشى التى ستقود دانتى فى الفردوس ، وستجعله يسأل كاتشاجويدا عن مستقبل حياته :

Par. XVII. 7-30.

(٩٢) ترى العين الجميلة الحساسة كل شىء وتقرأ ما لا يقرأه سائر الناس .

(٩٣) أى أن دانتى بفضل بياتريتشى سيهدأ ويستقر ويعرف كل شىء .

(٩٤) أى سور مدينة ديس .

(٩٥) يعنى صوب وسط الحلقة .

(٩٦) هذه هى الرائحة الكريهة التى انبعثت من الحلقة السابعة حتى الحلقة السادسة حيث كان دانتى وڤرجيليو .

الأنشودة الحادية عشرة[1]

وصل الشاعران إلى حاجز من الصخور يفصل بين الحلقتين السادسة والسابعة ، وأحسا برائحة كريهة تنبعث من أعماق الجحيم ، فاضطرا إلى الاحتماء خلف غطاء قبر كبير احتوى طائفة من الهراطقة ، وعلى رأسهم البابا أناستاسيوس . انتظر الشاعران بعض الوقت حتى يعتادا هذه الرائحة الكريهة ، وفى أثناء ذلك وحتى لا يضيع الوقت هباء ، أخذ ڤرجيليو يشرح لدانتى ما تحويه أعماق الجحيم ، وتكلم عن مرتكبي خطيئة العنف ، وكيف أنهم يوجهونه إلى الله وإلى الإنسان ، إلى ذاته وإلى ما ملكت يديه . هناك القتلة وقطاع الطرق ومن يحرمون أنفسهم من الدنيا ، وهناك من يرتكبون خطيئة الخيانة مثل المنافقين والمتملقين والمزيفين والمرتشين . تساءل دانتى لماذا يوجد الجشعون ومن غلبوا العاطفة على العقل وغيرهم من الآثمين خارج مدينة ديس ، فشرح له ڤرجيليو الأمر بقول أرسطو فى كتابه عن علم الأخلاق ، وقال له إن الخطايا تتفاوت فى خطورتها ، فالعنف والخيانة أشد من سائر الخطايا ، ولذلك فإن مكانهما فى أعماق الجحيم . وأشار إلى أقوال أرسطو بشأن الطبيعة التى تأخذ مجراها عن العقل الإلهى وفنه ، وكيف أن الفن يتبع الطبيعة ، حتى ليكاد يصبح لله حفيداً . وقال ڤرجيليو إن المرابى يسىء إلى الخير الإلهى لأنه يخرج على الطبيعة وعلى الفن ، عندما يبنى آماله على غيرهما ، ويستثمر أمواله بطريقة غير طبيعية . ولما أخذ الفجر فى الاقتراب تابع الشاعران سيرهما لبلوغ الحلقة السابعة .

١ على حافة شاطئ مرتفع (٢) كوّنته صخور ضخمة محطمة في شكل دائرة (٣) ، أشرفنا على (٤) حشدٍ يلقى عذاباً أقسى (٥) .

٤ هنا ، ومن أجل ما تطلقه الهوّة السحيقة من روائح كريهة نكراء انسحبنا خلف غطاء قبرٍ

٧ كبير (٦) ، حيث رأيتُ نقشاً يقول : « أنا أحوى البابا أناستاسيوس (٧) ، الذى حاد به فوطينوس (٨) عن الصراط القويم » .

١٠ « يجب أن يتأخر هبوطنا (٩) ، حتّى يعتاد إحساسنا أولاً كريه الروائح قليلا ، وبعدئذ لن نعيرهـا التفاتاً (١٠) » .

١٣ هكذا تكلم أستاذى ؛ فقلتُ له : « ألا فلتجد بعض العوض ، حتّى لا يضيع الوقت هباء » . قال : « إنك ترى أنى فى هذا أفكر (١١) » .

١٦ ثم بدأ قائلا : « يا بنىّ ، فى داخل هذه الصخور ثلاث حلقات صغيرة ، واحدةٌ بعد أخرى ، كتلك التى تتركها (١٢) .

١٩ وكلها زاخرةٌ بأرواح لعينة ؛ ولكن لكى يكفيك بعدئذ مجرّد النظر (١٣) ، اعرف كيف ولماذا احتشدتْ معاً (١٤) .

٢٢ إن كل شرٍّ يثير الكراهية فى السماء (١٥) ، غايته الضرر (١٦) ؛ وكل هدفٍ هذا طبيعته ، يُحزن الآخرين سواءٌ بالعنف أم الغدر .

٢٥ ولكن لما كان الغدر شرًّا يختص به الإنسان (١٧) ، فإن إساءته إلى الله تزداد ؛ ولذا يستقرّ الغادرون أسفل ، ويدهمهم عذابٌ أشدّ (١٨) .

٢٨ الحلقة الأولى كلها (١٩) لمرتكبى العنف ؛ ولكن بما كان العنف يرتكب نحو ثلاث جهات (٢٠) ، فقد قسِّمتْ وأنشئت فى ثلاث دوائر (٢١) .

٣١ قد يعنف الإنسان مع الله (٢٢) ، أو مع نفسه (٢٣) ، أو مع الأقربين (٢٤) ، أعنى مع ذواتهم أو ما ملكتْ أيديهم ، كما ستسمع ذلك بصريح الكلام .

٣٤ وبالعنف ، قد يصبّ الإنسان على جاره الموتَ الزؤام ، والجراح الأليمة ، وينُحِى على أملاكه بالسلب والنهب والدمار والنيران (٢٥) .

٣٧ ولذا فإن القتلة وكل من يجرح بسوء طوية ، والناهبين وقطاع الطرق ، تعذبهم جميعاً الدائرة الأولى ، فى جماعات منفصلة[٢٦] .

٤٠ ويستطيع المرء أن يوجه إلى نفسه[٢٧] وإلى ما يملك يداً عنيفة ، ولذا ينبغى أن يعض بنان الندم ، دون جدوى ، فى الدائرة الثانية .

٤٣ وكلّ من يحرم نفسه من دنياكم[٢٨] ، يقامر بثروته ويفقدها ، ويبكى هناك[٢٩] ، حيث ينبغى أن يكون سعيداً[٣٠] .

٤٦ وقد يرتكب الإنسان العنف على الله ، بإنكاره فى القلب ولعنه على اللسان[٣١] ، وبالزراية بخيره فى الطبيعة[٣٢] .

٤٩ ولذا تدمغ صُغرى الدوائر بميسمها[٣٣] كلاًّ من سدوم[٣٤] وكاهور[٣٥] ، وكل من يتحدّث عن الله وهو يزدريه بقلبه .

٥٢ وقد يسدد الإنسان الغدر[٣٦] الذى يلدغ كلّ ضمير[٣٧] ، إلى من يثق فيه ، وإلى مَن لا يوليه ثقته .

٥٥ وهذه الصورة الأخيرة[٣٨] تبدو أنها تقطع ، حسبُ ، رباطَ الحبّ الذى تصنعه الطبيعة[٣٩] ؛ ولذلك يأوى إلى وكره فى الدائرة الثانية[٤٠] :

٥٨ النفاق[٤١] ، والملق[٤٢] ، والسحرُ ، والزيف[٤٣] ، والسرقة[٤٤] ، والرشوة[٤٥] ، والقوّادون والمختلسون ، ومثل هذا الدنس[٤٦] .

٦١ وفى صورة الغدر[٤٧] الأخرى[٤٨] ، ينسى الإنسان ذلك الحبّ الذى تصنعه الطبيعة ، وما يُضاف إليه بعدُ[٤٩] ، وهو ما يخلق الثقة الأكيدة[٥٠] .

٦٤ ولذا فإن كلّ خائنٍ يلقى عذابه إلى الأبد ، فى الحلقة الصغرى[٥١] ، حيث مركز العالم الذى يستوى عليه ديس[٥٢] » .

٦٧ قلت : « أستاذى ، إن تبيانكَ يسير بكلّ وضوحٍ ، ويحدّد جيداً[٥٣] هذه الهاوية[٥٤] ، والخلقَ الذين تملكهم[٥٥] .

٧٠ ولكن أخبرنى : أصحاب المستنقع الموحل هؤلاء[٥٦] ، والذين تقودهم الريح[٥٧] ، ومَنْ يضربهم المطر[٥٨] ، ومَنْ يتلاقوْن بمثل هذه الألسنة الحادّة[٥٩] ،

٧٣ لِـمَ لا يعاقبون داخل المدينة الحمراء[٦٠]، ما دام الله قد غضب عليهم؟
وإذا لم يحل بهم غضبه ، فلمَ هم على هذه الحال ؟ » .
٧٦ قال لى : « لماذا يحيد عقلك بعيداً عن مألوف صوابه ؟ أم هل اتجه
عقلك وجهةً أخرى[٦١]؟
٧٩ ألا تذكر تلك الكلمات التى يتناول فيها كتابك عن الأخلاق[٦٢]،
الاتجاهات الثلاثة ، التى لا تريدها السماء :
٨٢ الجشع ، والحقد ، والبهيمية المجنونة ؟ وكيف أن الجشع تقلّ إساءته
إلى الله ، ويستحقّ لوماً أهـون[٦٣]؟
٨٥ إذا أحسنتَ النظر فى هذا الحكم ، واستعدْتَ إلى الذاكرة مَنْ هؤلاء
الذين يقاسون هناك فى الخارج[٦٤] مرارةَ الندم ،
٨٨ فسترى جلياً لمـاذا أبعدوا عن هؤلاء الأدنياء[٦٥]، ولماذا يَصُب عليهم
الانتقام الإلهى[٦٦] عذاباً أيسر » .
٩١ قلتُ : « أيها الشمس[٦٧] التى تبرئ كلّ نظر سقيم[٦٨]، إنك تغمرنى
بالرضا بما تُقدّمه من حلول ، وإن كان الشكّ لا يقلّ إمتاعاً عن
المعرفة[٦٩].
٩٤ عدْ بعدُ إلى الوراء قليلا[٧٠]، هناك حيث تقول إن الربا يُسيء إلى
الخير الإلهى ، وحلَّ هذه العقدة[٧١] » .
٩٧ قال لى : « تذكر الفلسفة لمنْ يفهمها حقًّا ، ليس فى موضعٍ واحدٍ
منها حسبُ[٧٢] — كيف تأخذ الطبيعة مجراها ،
١٠٠ صادرةً عن العقل الإلهى وفنه ؛ وإذا أنت أمعنتَ النظر فى كتابك عن
الطبيعة[٧٣]، فستجد — بعد ورقاتٍ غير كثيرة[٧٤] —
١٠٣ أن فنك يتبع الطبيعة[٧٥]، بقدْرِما يستطيع ، كما يتبع المريدُ أستاذَه ،
حتى ليكاد فنك يكون لله حفيداً .
١٠٦ ومن هذين الاثنين[٧٦] — إذا استعدْتَ إلى الذاكرة بدءَ الخليقة —
يجب على البشر أن يستمدّ حياته ويواصل تقدّمه .

١٠٩ ولـمّـا كان المرائى يسلك غيرَ هذا الطريق[٧٧]، فإنه يحتقر الطبيعة فى ذاتها ، وفيما يتبعها[٧٨]، إذْ أنه — فى غيرهما — يضع آماله .

١١٢ ولكن اتبعنى الآن، فإن الرحلة تروق لى ؛ وها هوَ ذا برج الحوت يصعد فى الأفق ، ويستقر الدبّ الأكبر كله فوق ريح كاروس[٧٩]،

١١٥ فهناك الهبوط على الشاطئ بعيداً[٨٠] » .

حواشي الأنشودة الحادية عشرة

(١) تسمى أنشودة التقسيم الخلقي للجحيم ، لأن ڤرجيليو سيشرح ذلك لدانتي .

(٢) هذا هو الحاجز بين الحلقة السادسة والسابعة .

(٣) هذا لأن الجحيم مخروطي التركيب .

(٤) أي كانا في موضع مرتفع يشهدان منه العذاب .

(٥) تحوي هذه الهاوية آثمين يلقون هولا من العذاب .

(٦) يضم هذا القبر جماعة من الهراطقة وعلى رأسهم البابا أناستاسيوس .

(٧) البابا أناستاسيوس الثاني (٤٩٦ – ٤٩٨ م. Anastasius II.) اتهم بتأثره بفوطينوس التسالي الذي اعتقد بالطبيعة الواحدة للمسيح ، مما أثار عليه رجال الكاثوليكية . ويظن بعض النقاد أن دانتي خلط بين البابا أناستاسيوس الثاني وبين الأمبراطور البيزنطي أناستاسيوس الأول (٤٩١ – ٥١٨م) الذي كان من أتباع فوطينوس التسالي .

(٨) فوطينوس التسالي (عاش في القرن ٥ م. Photinus) قال بالإرادة الواحدة للمسيح وهو غير فوطين أسقف سيرميو الذي مات حوالي ٣٧٦م وعرف أيضاً بالهرطقة .

(٩) أشار ڤرجيليو بضرورة الانتظار قليلا .

(١٠) بعد أن يعتادا الروائح الكريهة يسهل عليهما الهبوط .

(١١) كان كل من الشاعرين عارفاً بقيمة الوقت حريصا على عدم إضاعته سدى .

(١٢) يعني أنه في باطن الحاجز الصخري المرتفع ثلاث حلقات هي الجزء الأدنى من الجحيم وهي متدرجة وتضيق واحدة بعد أخرى وتشبه في ذلك الحلقات الست التي مر بها الشاعران حتى الآن .

(١٣) أي أن دانتي بعد أن يكسب المعرفة سيكفيه مجرد النظر لكي يفهم ما يراه .

(١٤) يعني المعذبين الذين ضاق عليهم الخناق ، وسيوضع كل فريق منهم في حيز ضيق لكي يزيد عذابهم .

(١٥) يشبه هذا قول تشيشيرون :

Cic. De Officiis, I. 13.

(١٦) يعني تؤدي إلى عدم العدالة .

(١٧) الغدر من صفات الإنسان عامة .

(١٨) وضع دانتي الخونة والغادرين في الحلقتين ٨ و ٩ أسفل حلقات الجحيم .

(١٩) الحلقة الأولى من الحلقات الصغيرة الثلاث ، يعني الحلقة السابعة .

(٢٠) أي يرتكب العنف بثلاث صور .

(٢١) أي قسمت الحلقة السابعة ثلاث دوائر أصغر ، تشمل الأولى جزءاً من الأنشودة ١٢ (Inf. XII. 46-139.) وتشمل الثانية الأنشودة١٣ وتشمل الثالثة الأنشودات من ١٤ إلى ١٧ .

(٢٢) هذه أشد خطايا العنف .

رسم ميكلانجلو صورة رائعة للعنف فى رسم رجل غاضب ، وهى فى متحف أوفيتزى فى فلورنسا .

(٢٣) يعنى يقتل الإنسان نفسه . وكان المنتحر فى وقت دانتى يعامل كمن ارتكب القتل، فتصادر أملاكه . وهذه خطيئة تلى السابقة .

(٢٤) هذه هى الخطيئة الثالثة من خطايا العنف . وستأتى هذه الأنواع الثلاثة فى الحلقة الثامنة بالترتيب من الأخف إلى الأشد كلما زاد الهبوط .

(٢٥) هذا تفصيل فى أنواع العنف التى يمكن أن يرتكبها الإنسان ضد الإنسان .

(٢٦) يعذبون فى جماعات منفصلة تبعاً لأنواع خطاياهم .

(٢٧) يمكن للإنسان أن يؤذى نفسه فى حياته ومستقبله ويمكنه أن ينتحر ، وبهذا يكون عدو نفسه .

(٢٨) أى يحرم نفسه من الحياة أو ينتحر .

(٢٩) أى يبكى دون مبرر .

(٣٠) يعنى أن الحياة بما فيها من خيرات ونعم كان ينبغى أن تكون سبباً للسعادة والوصول إلى الفردوس ولكن الإنسان كثيراً ما يجحد فضل الدنيا ويسيء إلى الخيرات والنعم ويرتكب الخطايا فيستحق اللعنة والعذاب .

(٣١) كان عقاب من يلعن الله فى وقت دانتى أن يقطع لسانه .

(٣٢) هذه كلها صور من اجتراء البشر على الله .

(٣٣) أى تطبع بالنار من أنكروا الله .

(٣٤) سدوم (Sodom) مدينة قديمة على البحر الميت أهلكتها نار السماء لارتكاب أهلها الموبقات وخروجهم على الطبيعة . وورد ذكرها فى الكتاب المقدس:
Gen. XVIII - XIX.

(٣٥) كاهور (Cahors) مدينة صغيرة فى جنوب فرنسا اشتهرت بالمرابين فى العصور الوسطى .

(٣٦) الغدر أشد الخطايا عند دانتى .

(٣٧) يحس الضمير بوخز الخيانة لأنها أشد الخطايا .

(٣٨) أى خيانة من لا يمنح الإنسان ثقته .

(٣٩) أى تقتل روابط الحب الطبيعية التى تجعل الإنسان يحب جاره .

(٤٠) أى فى الحلقة الثامنة .

(٤١) يقصد المنافقين ويأتى دانتى بالاسم لتقوية المعنى .

(٤٢) يعنى المتملقين .

(٤٣) يقصد المزيفين .

(٤٤) يعنى اللصوص .

(٤٥) يقصد المرتشين .

(٤٦) مكان هؤلاء جميعاً فى الحلقة الثامنة التى تشمل من الأنشودة ١٨ إلى الأنشودة ٣١ ، أى أنها تشمل ١٣ أنشودة من مجموع أنشودات الجحيم التى تبلغ ٣٤ أنشودة .

(٤٧) أضفت لفظ (الغدر) لإيضاح المعنى .

(٤٨) أى خيانة الأصدقاء ، ويقصد بذلك الثقة التى تقوم من جانب واحد .

(٤٩) أى الحب الذى هو وليد ظروف الحياة .

(٥٠) يعنى أن المزيد من الحب يخلق الثقة الكاملة المتبادلة بين الأصدقاء ، وهنا تصبح الخيانة أشد .

(٥١) أصغر الحلقات هى الحلقة التاسعة لأنها آخر حلقة فى الجحيم المخروطى الشكل .

(٥٢) وهناك مكان لوتشيفيرو .

(٥٣) أى أن وصف ڤرجيليو يحدد تماماً ما يحتويه الجحيم الأدنى .

(٥٤) يعنى أسفل الجحيم .

(٥٥) أى من تضمهم هذه الهاوية .

(٥٦) يعنى المعذبين فى مستنقع استيكس فى الحلقة السادسة :
Inf. VII; VIII.

(٥٧) أى الذين غلبوا العاطفة على العقل فى الحلقة الثانية :
Inf. V.

(٥٨) أى الذين امتازوا بالشره فى الحلقة الثالثة :
Inf. VI.

(٥٩) يعنى البخلاء والمبذرين فى الحلقة الرابعة :
Inf. VII.

(٦٠) يعنى المدينة المشتعلة بالنيران .

(٦١) يراجع ڤرجيليو دانتى فى أسئلته ، ويقصد بهذا أن الخطايا غير متساوية ويتفاوت عقابها تبعاً لخطورتها .

(٦٢) يقصد كتاب أرسطو عن علم الأخلاق (ترجمه أحمد لطفى السيد إلى العربية) :
Arist. Et. VII. 1.

(٦٣) يوافق هذا رأى أرسطو فى علم الأخلاق :
Arist. ibid.

(٦٤) يعنى خارج مدينة ديس .

(٦٥) أى أنهم لم يدخلوا مدينة ديس .

(٦٦) الانتقام الإلهى بمعنى العدالة الإلهية .

(٦٧) يقصد ڤرجيليو .

(٦٨) المقصود يا من ترفع عن النظر غشاوة الجهل .

(٦٩) للمعرفة والشك لذته عند دانتى .

(٧٠) أى عندما قال ڤرجيليو إن الربا يسىء إلى الفضل الإلهى .

(٧١) ظن دانتى أن المرابى يسىء إلى جاره فقط ولذلك سأل ڤرجيليو أن يشرح له هذه العقدة .

(٧٢) يشير أرسطو فى مؤلفاته إلى العلاقة بين الفن والطبيعة ويتأثر دانتى برأيه فى أن الطبيعة تستمد حركتها من العقل الإلهى .

(٧٣) درس دانتى بعناية كتاب أرسطو عن الطبيعة .

(٧٤) أى فى بداية كتاب علم الطبيعة :

Arist. Fisica, II. 2.

(٧٥) ويشبه هذا ما جاء فى الكتاب المقدس :

Gen. III. 19.

(٧٦) يعنى العقل الإلهى والفن .

(٧٧) أى أن المرابى يضع عنايته فى استثمار المال الذى أقرضه للناس وبذلك يسىء إلى الطبيعة لأنه لا يطلب الفوائد الطبيعية ، ويسىء إلى الطبيعة فيما يتبعها أى فى الفن ، لأنه لا يعمل ولا يجتهد . وهكذا يهاجم دانتى الربا والمرابين الذين انتشروا فى عهده . وكان أبوه من المشتغلين بالربا .

(٧٨) يسىء إلى الطبيعة فى الفن الذى هو تابع لها .

(٧٩) كاروس (Garus) ريح تهب من الشمال الغربى على إيطاليا . وبذلك يصف دانتى اقتراب الشفق فى الصباح التالى ، أى أن الساعة كانت حوالى الثالثة من صباح السبت ٩ أبريل ١٣٠٠ ، وورد هذا فى كتاب برونيتو لاتينى :

B. Latini. Trésor, I. 107.

(٨٠) أى الشاطىء الذى سبق ذكره فى أول الأنشودة .

الأنشودة الثانية عشرة[1]

وصل الشاعران إلى مكان وعر لكى يهبطا منه إلى الحلقة السابعة، ووجدا المينوطاوروس عند مدخله يعترض سبيلهما ، فأثار ڤرجيليو غضبه، وبذلك أبعده لحظة عن الطريق، وهبط الشاعران فوق حطام الصخور إلى الحلقة السابعة، وذكر ڤرجيليو سابق هبوطه إلى هذا المكان، عندما لم تكن صخوره على ذلك النحو . وظهر أمامهما نهر تغلى فيه الدماء، ويعذب فيه مرتكبو خطيئة العنف . ورأى دانتى سيلا من القناطس مسلحاً بالسهام، وصاح أحدهما يستوقف الشاعرين مهدداً إياهما بإطلاق سهمه، فقال ڤرجيليو إنهما سيتحدثان إلى كيرون كبير القناطس . وكانت هذه تدور حول نهر الدماء بالألوف وتضرب بسهامها من يعلو من المعذبين خارج الدم أكثر مما تستحقه خطيئته لاحظ كيرون أثر خطوات دانتى على الصخور وتحركها عند سيره ولفت ، رفاقه إلى هذه الظاهرة ، فأوضح له ڤرجيليو أن دانتى إنسان حىّ، وأنه يأتى هنا للضرورة لا للمتعة ، وأنه ليس لصا آثماً . أمر كيرون القنطروس نيسوس أن يكون دليلهما فى عبور نهر الدماء . ورأى دانتى الطغاة الذين غرقوا فى الدم حتى عيونهم ، وشهد القتلة الذين غطسوا حتى حناجرهم ، وبالتدريج ظهر من نهر الدم بعض المعذّبين حتى صدورهم لخفة آثامهم . وعبر نيسوس بالشاعرين نهر الدم فى أقلّ مواضعه عمقاً ، ثم عاد من حيث أتى إلى رفاقه القناطس .

١ كان ألبيًّا[٢] المكانُ الذى أتينـــا إليه، لنهبط من الشاطئ[٣]، ومَنْ كان هناك أيضاً جعله على صورة يرتدّ عنها كل طرف[٤] .

٤ ومثل ذلك الُحطام من الصخر الذى ارتطم بجانب الأديـــج ، من ناحية ترنتو[٥]، سواءٌ بفعل زلزال أم لهبـــوط باطن الأرض[٦] ،

٧ وعندما تحرّك الُحطام من قمة الجبل إلى السهل، تهشم الصخر هكذا ، حتى يشقّ بعضَ الطريق[٧]، لمنْ كان فى أعلى[١] ؛

١٠ هكذا كان الهبـــوط فى ذلك المنحدر الوعر ؛ وعلى حافة الصخر المحطم[٩]، استلقى عارُ كريت[١٠] ،

١٣ الذى حملته البقرة الزائفة فى بطنها[١١]، ولما رآنا عضّ نفســـه كمَنْ يقهـــره الغضب فى أعماقه[١٢].

١٦ وصاح دليلى الحكيم فى وجهه[١٣]: « ربما تظنّ هنا دوق أثينـــا[١٤]، الذى أذاقك الموتَ فوقُ — فى الدنيا .

١٩ امض أيها الوحش ، فإن هذا لا يأتى بتدبير من أختـــك[١٥]، ولكنه يمضى ليشهد عقابـــكم » .

٢٢ ومثل ذلك الثور الذى يحطم قيـــده ، فى اللحظة التى يتلقى فيها الضربةَ القاتلة ، فلا يقوى على المسير ، بل يقفز هنا وهناك[١٦]،

٢٥ رأيت المينوطاوروس هكذا يفعل[١٧] ؛ وصاح ذلك المتيقظ قائلا[١٨]: سارع إلى المعبر ؛ إذْ يحسن أن تهبط وهو فى سورة الغضب[١٩]» .

٢٨ هكذا هبطنا فـــوق حطام تلك الصخور ، التى تحركت كثيراً تحت قدمىّ ، لما تنوء به من حملٍ جديد[٢٠] .

٣١ سرْتُ متـــأملاً ، وقال لى : « ربما تفـــكر فى هذا الُحطام يحرسه ذلك الغضب الوحشىّ ، الذى أخمدتُ الآن سوْرته .

٣٤ والآن أريد أن تعلم أننى عندما نزلت فى المرّة السابقة هنا فى الجحيم الأسفل[٢١]، لم تكن هذه الصخرة قد سقطتْ بعدُ .

٣٧ ولكن — إذا أحسنتُ التـــذكر — فمنْ المؤكد أنه قبيل أن يأتى ذاك[٢٢] الذى انتزع من ديس[٢٣] الفريسة الكبرى[٢٤] فى الحلقة العليـــا[٢٥] ،

٤٠ اهتز الوادى العميق الكريه فى كل أرجائه هكذا[٢٦] ، حتى ظننتُ أن العالم قد أحس بالحبّ[٢٧] ، وهناك من يعتقد أن الدنيا

٤٣ كثيراً ما انقلبت به إلى الفوضى والاضطراب[٢٨] ؛ وفى تلك اللحظة سقطتْ على هذا النحو تلك الصخرة القديمة هنا وفى غير هذا المكان[٢٩] .

٤٦ ولكن ثبِّتْ عينيك فى الوادى ، فها يقترب نهر الدم[٣٠] ، الذى يغلى فيه كلّ من يضرّ الآخرين بالعنف .

٤٩ يا للجشع الأعمى[٣١] ، ويا للغضب المجنون ، الذى يهزنا هكذا فى الحياة القصيرة[٣٢] ، ثم يقذف بنا فى الحياة الأبدية على هذا النحو المرير !

٥٢ رأيتُ هوةً واسعةً منحنيةً على شكل قوس[٣٣] ، كتلك التى تحتضن كلّ السهل ، طبقاً لمـــا قاله رفيـــقى[٣٤] .

٥٥ وبينها وبين سفح الشاطئ[٣٥] جرى سيلٌ من القناطس صفًّا[٣٦] واحداً ، وقد تسلحتْ بسهامٍ ، كما اعتادت فى الدنيا أن تخرج إلى الصيد[٣٧] .

٥٨ وقفتْ جميعاً حينما رأتنا نهبط ، وانفصل ثلاثةٌ من حشدها[٣٨] ، بأقواسٍ وأسهمٍ مختارة من قبـــل ؛

٦١ وصاح واحدٌ منها عن بُعـــد : « إلى أىّ عذابٍ تأتيان أيها الهابطان على الشاطئ ؟ تكلما حيث أنتما[٣٩] ، وإلا شددْتُ القوس[٤٠] » .

٦٤ قال أستاذى : « سنوجِّـــه الجوابَ إلى كيرون[٤١] هناك عن كثب ؛ لقد أضرّتْ بك دائماً رغبتك المتعجلة هكذا » .

٦٧ ثم ربّتَ علىّ وقال[٤٢] : « هوَ ذَا نيسوس[٤٣] ، الذى مات من أجـــل ديانيرا الجميلـــة ، وجعل من نفسه أداة الانتقام لنفسه .

٧٠ وذاك ، فى الوسط ، الذى يتطلع إلى صدره[٤٤] ، هو كيرون الكبير ، الذى ربّى أخيل[٤٥] ؛ وذاك الآخر هو فولوس[٤٦] ، الذى أفعم هكذا بالغضب[٤٧] .

٧٣ إنها تسير ألفاً ألفاً[٤٨] حول بحيرة الدماء ، وترمى بسهامها كل نفس تبرز من الدم ، فوق ما تقتضيه خطيئتها[٤٩] » .

٧٦ واقتربنا من تلك الوحوش المتحفزة ؛ فتناول كيرون سهماً ، أزاح بمؤخرته لحيته وراء فكيه[٥٠] .

٧٩ ولما كشف عن فمه الواسع ، قال لرفاقه : « هل انتبهتم إلى أن مَنْ بالخلف[٥١] ، يحرّك كل ما يمسه[٥٢] ؟

٨٢ وما اعتادت أقدام الموتى أن تفعل ذلك » . فأجاب دليلى الطيب ، الذى كان قد بلغ مستوى صدره[٥٣] ، حيث تلتقى الطبيعتان[٥٤] :

٨٥ « حقاً إنه حىٌّ وحيدٌ هكذا[٥٥] ، ويجب علىَّ أن أريَهُ الوادى المظلم : فالضرورة تحدوه إليـه لا المتعة .

٨٨ لقد انقطعتْ عن نشيـدها العلوىّ مَنْ عهدتْ[٥٦] إلىَّ بهذا العمل الجديد[٥٧] : إنه ليس لصّاً ولستُ أنا بالنفس السارقة .

٩١ ولكن باسم ذلك المقام السامى الذى أحرّك من أجله خطواتى فى طريقٍ موحشٍ كهذا ، أعطنا من أتباعك واحداً قريبـاً منا ،

٩٤ كى يرينا أين مـكان العبـور ، ويحمل هذا الإنسان على ظهره ، فإنه ليس روحاً يذهب فى الهواء[٥٨] » .

٩٧ فاتجه كيرون صوب اليمين وقال لنيسوس : « ارجع وكنْ لهما خير دليل ، وإذا اعترضكم حشدٌ آخر[٥٩] فأبعدْه » .

١٠٠ الآن مضينا إلى الأمام مع الدليل الأمين ، على شاطئ الغليان القانى[٦٠] ، حيث أطلق مَنْ يغْلَوْنَ فيه صرخات عالية .

١٠٣ ورأيت قوماً غاطسين[٦١] حتى الرموش[٦٢] ؛ وقال القنطروس الكبير : « أولئك هم الطغاة الذين أراقوا الدماء وأعملوا السلبَ والنهب[٦٣] .

١٠٦ إنهم يبكون هنا ما اقترفوه دون رحمةٍ من جرائم ؛ هنا الإسكندر[٦٤] وديونيسيوس الوحشى[٦٥] ، الذى أذاق صقلية سنوات من العذاب الأليم .



٧ – القناطس

أنشودة ١٢ : ٥٢ . . .

١٠٩ وذاك الجبين ذو الشعر الحالك السواد هو أتزولينو[٦٦] ، وذلك الآخر الذى هو أشقر ، هو أوبيتزو دا إستى[٦٧] ، الذى قتله فى الحقيقة

١١٢ هناك على الدنيا الابن الأثيم[٦٨] » .حينئذٍ اتجهتُ إلى الشاعر ،فقال : « ليكنْ هذا الآن دليلك الأوّل ، وأنا الثانى[٦٩] » .

١١٥ وبعد هذا بقليلٍ ، وقف القنطروس على قومٍ ، بدا أنهم خرجوا حتى حناجرهم ، من جدول ذلك الحميم الآنى[٧٠].

١١٨ وأراناشبحاً منعزلاً إلىجانبٍ[٧١] وهو يقول : «لقدطعنهذا الشبح[٧٢] فى معبدِ الله ، قلباً لا يزال على التاميز ممجداً هكذا[٧٣] » .

١٢١ ثم رأيتُ قوماً أخرجوا من النهر الرأسَ وكذلك الصدر كله[٧٤] ؛ وعرفتُ من بينهم كثيرين[٧٥].

١٢٤ وهكذا انخفض ذلك الدم رويداً رويداً ، حتى لم يعدْ يغطى سوى الأقدام ، وهناك عبرْنا ذلك المستنقع .

١٢٧ وقال القنطروس : « وكما ترى هذا الجانب من جدول الحميم الآنى يأخذ دائماً فى النقصان[٧٦] ، أريد أن تعلم

١٣٠ أن الجانب الآخر يهبط قاعه شيئاً فشيئاً[٧٧] ، حتى يبلغ موضعاً من الحتم أن يبكى فيه الطغيان .

١٣٣ هناك تعذب العدالة الإلهية أتيلاً ذاك[٧٨] الذى كان نقمةً فى الأرض ، وتعذّب پيروس[٧٩] ، وسكستوس[٨٠] ، وتستدرّ إلى الأبد

١٣٦ دموعاً تسيلها شدّة الغليان[٨١] ، من أعين[٨٢] رينير دا كورنتيو[٨٣] ، ورينير پاتزو[٨٤] ، اللذين أثارا حرباً مريرةً فى مجاهل الطرق » .

١٣٩ ثم استدار إلى الوراء ، واستأنف اجتياز المستنقع .

حواشى الأنشودة الثانية عشرة

(١) هذه أنشودة من ارتكبوا العنف ضد الناس ، وتسمى أنشودة القناطس .

(٢) أى كان المكان وعراً مثل جبال الألب .

(٣) يعنى الحاجز بين الحلقتين السادسة والسابعة .

(٤) يقصد المينوطاوروس حارس الحلقة السابعة .

(٥) اختلف الباحثون فى تحديد هذا المكان الذى يقصده دانتى ، وربما كان منحدراً جبليا يسمى سالڤينى دى ماركو (Salvini di Marco) على شاطىء الأديج (Adige) الأيسر وبالقرب من روڤيريتو بين ڤيرونا وترنتو فى شمال إيطاليا . وهكذا يذكر دانتى بعض المناطق التى التى تردد عليها فى إيطاليا ، ويستعين بها فى تصوير الجحيم .

(٦) اختل أساس الجبل لحركة القشرة الأرضية أو لتسرب مياه النهر إلى باطن الأرض .

(٧) أى تفسح طريقاً ما ، ومع أنه كان مليئاً بالصخور فإنه طريق على كل حال .

(٨) يعنى فى أعلى الجبل .

(٩) كان بهذه الصخرة وبقرب حافتها فجوة فى ذلك الشاطىء المرتفع .

(١٠) تقول الميتولوجيا القديمة إن پاسيڤى (Pasiphae) زوجة مينوس (Minos) ملك كريت عشقت ثوراً فأنجبت منه المينوطاوروس (Minotaurus) وهو نصف إنسان ونصف ثور ، وجمع بين صفات الإنسان والحيوان . وعندما انتصر مينوس على الأثينيين فرض عليهم أن يرسلوا كل عام سبعة شبان وسبع فتيات لكى يفترسهم ذلك الوحش . وكانت هذه الضريبة هى العار الذى جلبته كريت على أثينا . وأخيراً قتل تيزيوس دوق أثينا ذلك الوحش بمساعدة أريادنى ابنة مينوس وپاسيڤى وأخت المينوطاوروس :

Virg AEn VI 26.

(١١) كانت پاسيڤى قد اختبأت داخل بقرة من الخشب عند اجتماعها بعشيقها الثور :

Virg. Ec. VI. 46; Æn. VI. 25, 447.

(١٢) هذه صورة من يغلبه الغضب فيعض نفسه .

(١٣) هكذا يدفع ڤرجيليو الأخطار عن دانتى .

(١٤) دوق أثينا هو تيزيوس (Theseus) الذى قتل الوحش وخلص أثينا من العار :

Virg. Æn. 122, 393, 618.

(١٥) أخت الوحش هى أريادنى (Ariadne) التى أحبها تيزيوس وبإرشادها وصل إلى مكان الوحش وقتله . ونحس فى قول ڤرجيليو روح التهكم والسخرية . وأورد أوڤيديوس هذه الأسطورة :

Ov. Met. VIII. 150-161, 166 ...

(١٦) هكذا يلاحظ دانتى حركات الثور ويستخدمها فى الكوميديا . ويشبه هذا قول ڤرجيليو :

Virg. Æn. II. 223.

(١٧) فعل المينوطاوروس ذلك لأن ذكرى القتل الذى أصابه أثار غضبه .
(١٨) أى ڤرجيليو .
(١٩) يدعو ڤرجيليو دانتى إلى أن ينتهز فرصة غضب الميناطوروس فيسارع إلى الهبوط .
(٢٠) الحمل الجديد يعنى أن هذه الصخور لم تعتد أن يسير عليها الأحياء كدانتى .
(٢١) يشير ڤرجيليو إلى هبوطه السابق :
Inf. IX. 22-27.

(٢٢) أى المسيح .
(٢٣) ديس هنا يعنى الشيطان (لوتشيفيرو) .
(٢٤) أى سبق أن أنقذ بعض الشخصيات .
(٢٥) يعنى فى اللمبو :
Inf. IV. 52-63.

(٢٦) هذه إشارة إلى الزلزال الذى أصاب العالم عند موت المسيح عند المسيحيين :
Matt. XXVII. 51.

(٢٧) أى أنه ظن أن العالم قد اهتز كأنه أحس بالحب .
(٢٨) هذه إشارة إلى رأى إمپدوقليس الذى يقول بأن العالم يقوم على تعارض عناصره ، وإذا حل الحب ، أى التوافق ، فقد العالم توازنه .
(٢٩) هذه إشارة إلى ما سيلاقيه دانتى فى الحلقة الثامنة :
Inf. XXI. 106 ...

(٣٠) هذا هو نهر الدم (Flegetonte) الذى سيأتى ذكره :
Inf. XIV. 130-135.

(٣١) يعمى الجشع بصيرة الإنسان فيدفعه للاعتداء على الناس .
(٣٢) يدفع الغضب الإنسان إلى جرح كرامة الآخرين والإساءة إليهم فى الحياة الدنيا .
(٣٣) هذه هى الدائرة الأولى فى الحلقة السابعة .
(٣٤) أى تبعاً لما شرحه ڤرجيليو لدانتى من قبل .
(٣٥) هذا دليل على ارتفاع الشاطىء أو الحاجز .
(٣٦) قناطس جمع قنطروس (Centaurus) وهى كائنات خرافية نصفها رجل ونصفها حصان . وهى رمز العنف والغضب :
Virg. Georgics. II. 465; Æn. VI. 286.
Ov. Met. XII. 210 ...

(٣٧) استمد دانتى صورة الخروج إلى الصيد من الحياة الاجتماعية فى عصره .
(٣٨) هم نيسوس وكيرون وفولوس ويرمزون للغضب ولذة الجسد والعناد والعنف ، مما يحمل الإنسان على ارتكاب العنف . وهم أبناء أكسيون ملك لاپيتى وسحابة فى صورة هيرا .
(٣٩) أى دون تقدم .
(٤٠) يعنى وإلا قتلهما بالسهم .

(٤١) كيرون (Chiron) هو القنطروس الكبير الذى علم أبطال اليونان واشتهر ببراعته فى الصيد و بمعرفته الطب والموسيقى و بالقدرة على التنبؤ وهو أعقل القناطس وأعدلها :
Virg. Geor. III. 550.
Hom. Ill. IV. 219; XI. 830 ...

(٤٢) لمس ڤرجيليو دانتى بيده لكى يسترعى انتباهه .

(٤٣) نيسوس (Nessus) القنطروس الذى حاول أن يخطف ديانيرا (Dejanira) زوجة هرقل ، فضربه بسهمه ضربة قاتلة ، وطلب نيسوس وهو يجود بأنفاسه أن تأخذ ديانيرا بعض دمه . وعندما خشيت ديانيرا أن يقع هرقل فى حب امرأة أخرى ، وضعت عليه قميصاً مغموساً فى دم نيسوس ، فشعر هرقل بآلام هائلة لأن دم نيسوس كان ساماً ، وأحرق نفسه لكى يتخلص من العذاب . و بذلك انتقم نيسوس بنفسه للقتل الذى أصابه ، كما تقول الميثولوجيا القديمة :
Ov. Met. IX. 101 ...

(٤٤) أى الذى أحنى رأسه .

(٤٥) أخيل بطل اليونان فى حرب طرواده ، وسبق الإشارة إليه :
Inf. V. 65.

(٤٦) فولوس (Pholus) القنطروس الثالث ، الذى قتله أحد رجال هرقل :
Virg. Georg. II. 456; Æn. VIII. 294.

(٤٧) أفعم قلبه بالغضب لما ناله من القتل .

(٤٨) أى فى عدد لا حصر له .

(٤٩) تغمر كل نفس فى الدم حسب خطورة ما ارتكبته بسبب الغضب . وعندما تحاول أى نفس أن تخفف العذاب الذى تلاقيه فى نهر الدم وتخرج أكثر مما ينبغى لها ، يضربها القناطس بالسهام حتى تغمر فى الدم . وفى التراث الإسلامى صور تحوى بعض الشبه بعقاب الغاضبين عند دانتى ، وذلك بالنسبة لعذاب من عاشوا على أموال الربا :
الهندى : كنز العمال (السابق الذكر) ج : ٧ ص : ٢٧٨ — ٢٨٠ رقم : ٣٠٨٢ — ٣٠٨٥ .

(٥٠) فعل ذلك حتى لا تعوقه لحيته الكثة عن الكلام .

(٥١) يعنى دانتى الذى يسير وراء ڤرجيليو .

(٥٢) أى أنهم أدركوا أن المتخلف إنسان حى قادم نحوهم .

(٥٣) أى أن دانتى بلغ بطوله صدر الوحش . وهذا دليل على ضخامة حجمه .

(٥٤) أى عند التقاء الجزء الحيوانى بالجزء الإنسانى .

(٥٥) يعنى لا يصحبه أحد سوى ڤرجيليو .

(٥٦) أى بياتريتشى التى تركت أناشيد السماء السعيدة وهبطت لإنقاذ دانتى .

(٥٧) العمل الجديد يعنى الذى يخالف المألوف .

(٥٨) أى أن ڤرجيليو يطلب أن يحمل دانتى واحد من القناطس .

(٤٩) أى حشد آخر من القناطس .

(٦٠) أى شاطىء نهر فليجيتونتى ، نهر الدم .

(٦١) فى الأصل تحت أو أسفل ، والمعنى واحد .

(٦٢) يغلي حتى عيونهم ، لأنهم ارتكبوا العنف ضد الأشخاص وضد ممتلكاتهم .

(٦٣) في الأصل نهبوا الممتلكات ، والمعنى واحد .

(٦٤) لا يتفق النقاد على تحديد شخص الإسكندر هنا . ربما كان المقصود إسكندر فيرى طاغية تساليا الذي عاش في القرن ٤ ق . م. واشتهر بالقسوة وإراقة الدماء . وربما كان إسكندر الأكبر المقدوني ، الذي أراق الدماء في حروبه وفتوحاته :

Cic. De Officiis, II. 7.

(٦٥) ربما كان هذا هو ديونيسيوس الكبير (٤٣١ – ٣٧٦ ق.م Dionysius) طاغية سيراكوزا الذي أراق الدماء وسام شعب صقلية العذاب .

(٦٦) أتزولينو دا رومانو (١١٩٢ – ١٢٥٩ . Azzolino da Romano) زعيم الجبليين في شمال إيطاليا ، حيث بسط حكم الطغيان وأخضع عدة مدن في لمبارديا وإميليا والفنتو ، وساعده فردريك الثاني في مشروعاته . وعارض البابوية لأسباب سياسية فأعلن إسكندر الرابع عليه حرباً صليبية وثارت عليه المدن التي أخضعها ، فهزم ووقع في الأسر ومات في السجن ويشير إليه دانتي في الفردوس :

Par. IX. 28-31.

(٦٧) أوبيتزو دا إستي (١٢٦٤ – ١٢٩٣ . Obizzo da Este) مركيز فرارا الذي اشتهر بالبطش وإراقة الدماء .

(٦٨) قتله ابنه ، ويسميه دانتي الابن الأثيم ، أو ابن زوجته .

(٦٩) هذه هي المرة الأولى التي يصبح فيها دليل دانتي روحاً غير ڤرجيليو ، إذ يحل مكانه نيسوس القنطروس .

(٧٠) هؤلاء هم القتلة ، وخطيئتهم عند دانتي أقل من الطغاة لأن ضحاياهم أقل ، ولذلك يغمرون في الدم حتى الحناجر .

(٧١) كان ذلك المعذب منعزلا بمفرده لأن بقية الآثمين ابتعدوا عنه ، وذلك لفظاعة الجرم الذي ارتكبه .

(٧٢) أضفت (الشبح) لإيضاح المعنى .

(٧٣) المقصود بهذا الشبح جويدو دي مونتفورتي (Guido di Monteforte) ابن سيمون دي مونتفورتي إرل ليستر ، وكان جويدو رسول شارل الأول ملك أنجو في تسكانا . وكان إدوارد ، الذي أصبح فيما بعد ملك إنجلترا ، قد قتل سيمون أبا جويدو ، فأراد الانتقام ، وقتل هنري بن ريتشارد ملك إنجلترا ، في كنيسة ڤيتربو في ١٢٧٢ ، وكان القتيل ابن أخي القاتل . ويقال إن قلب هنري قد وضع داخل أحد الأعمدة على أحد جسور التاميز في إنجلترا .

(٧٤) كلما نقص العنف وإراقة والدماء زاد ظهور المعذبين من نهر الدماء .

(٧٥) لا يذكر دانتي اسم واحد من هؤلاء ، ولكن ربما يشير بذلك إلى الصراع الحزبي العنيف في فلورنسا .

(٧٦) أي من الناحية التي جاؤوا منها .

(٧٧) أي في الناحية المقابلة في هذه الحلقة .

(٧٨) أتيلا (٤٣٣ – ٤٥٣م . Atilla) ملك الهون الذى قام بإغارات مدمرة على آسيا وأوروپا ، ويسمى نقمة الله أو لعنته .

ورسم رافايلو صورة لأتيلا وهو يتراجع إلى بلاده ، وهى فى الڤاتيكان فى روما .

(٧٩) پيروس (Phyrrhus) بن أخيل ، الذى اشترك فى حرب طروادة وقتل الملك پريام وابنه پوليتس . وربما كان المقصود ملك أپيروس (٣١٨ – ٢٧٢ ق.م.) الذى اشتهر بسفك الدماء :

Virg. Æn. II. 469, 491, 526.

(٨٠) سكستوس پومپيوس (Sextus empoius) بن پومپى الكبير ، هزمه قيصر فى ٤٥ ق.م. وبعد وفاة قيصر سيطر على صقلية ، ثم هزمه أسطول أغسطس وقتل فى ٣٥ ق.م. ويشير دانتى إليه فى الفردوس :

Luc. Phars. VI. 420-423.
Par. VI. 71-72.

(٨١) تستنزف العدالة الإلهية دموعهم على الدوام .

(٨٢) لا يذكر دانتى لفظ العين ، ولكنى أضفت (من أعين) لإيضاح المعنى .

(٨٣) رينير دا كورنيتو (Rinier da Corneto) قاطع طريق معاصر لدانتى أثار الرعب فى منطقة ماريما وحتى أبواب روما .

(٨٤) رينير پاتزو (Rinier Pazzo) قاطع طريق آخر معاصر لدانتى أثار الرعب فى وادى الأرنو وحتى مدينة أريتزو .

الأنشودة الثالثة عشرة[1]

وصل الشاعران إلى الدائرة الثانية من الحلقة السابعة ، وكانت غابة بريّة جافة الأشجار ، وبها أعشاش الهربوسات التى كانت لها وجوه النساء وأجسام الطيور . سمع دانتى فى كلّ جانب نواحاً لم يعرف مصدره فتولاه الرعب والاضطراب . أشار عليه ڤرجيليو أن يقطع غصناً حتى يعرف السر ، ففعل ، فصاح جذع الشجرة متألماً وقد سالت منه الدماء ، فزاد رعب دانتى واضطرابه . اعتذر ڤرجيليو للنفس الجريحة التى سكنت تلك الشجرة . كانت هذه روح پييرو دِلاّ ڤينيا الذى خفّف ألمه عندما علم أن دانتى سيجدّد ذكره عند عودته إلى الدنيا . قال إنه كان موضع ثقة الأمبراطور فردريك الثانى ، ثم أثار الحقد عليه النفوس ، ففقد مركزه ، وارتكب جريمة الانتحار ، وبذلك أصبح غير عادل مع نفسه العادلة . سأله ڤرجيليو كيف تتحد نفس المنتحر بهذه الأشجار ، فأفاده بأن مينوس حارس الجحيم يرسلها إلى هذه الغابة حيث تنبت شجرة جافة قاسية ، ثم تهاجمها الهربوسات وتتغذى منها . وفجأة سمع الشاعران أصوات الصيد والوحوش قادمة نحوهما ، ورأيا روحين تهربان من كلاب متحفزة تطاردهما ، وكانتا روحى مواطن من سيينا وآخر من پادوا ، وقد أسرفا فى أموالهما وأموال غيرهما . لجأت إحداهما إلى بعض العشب الكثيف محتمية به ، فمزّقتها الكلاب إرباً ، فصاحت روح مواطن فلورنسى سكن فيها وقالت إنه لولا وجود بقية من تمثال مارس راعى فلورنسا القديم ، لما استطاع الفلورنسيون أن يعيدوا بناء مدينتهم بعد غارة أتيلا ، وتنبأ لفلورنسا بالصراع الداخلى الدائم .

١ لم يكن نيسّوس قد وصل هناك بعدُ ، حينما دخلنا فى غابةٍ[٢] ،
لم يدلّ عليها طريق[٣] .

٤ لا أوراق خضراء ، بل داكنة اللون ، ولا غصون ملساء ، بل
ملتويةٌ كثيرةُ العقد ؛ ليس بها فاكهةٌ ، ولكن أشواكٌ ذات
سموم[٤] .

٧ ليس لتلك الوحوش المفترسة ، التى تكره المناطق المزروعة بين تشيتشينا
وكورنيتو ، أجماتٍ فى مثل هذه الكثافة والخشونة[٥] .

١٠ هنا تبنى أعشاشها الهَرپوسات القبيحة[٦] ، التى طردَتْ أهلَ طروادة
من ستروفاديس[٧] ، بنبؤة حزينة عن محنة المستقبل .

١٣ ذوات أجنحةٍ كبيرة ، ولهن رقاب أناسيٍّ ووجوه بشر ، وأقدامٌ ذات
مخالب ، وبطونٌ كبيرةٌ يكسوها الزغب[٨] ؛ ويُطلقن نواحاً ، فوق
الأشجار الغريبة[٩] .

١٦ بدأ أستاذى الطيب قائلا : « اعلم قبل أن تتقدم إلى الأمام ،
أنك فى الدائرة الثانية ، وستبقى بها

١٩ حتى تبلغ الرملَ الرهيب[١٠] : ولذا فانظر جيداً ، وسترى أشياء
يمكن أن تنزع من نفسك الثقة فى كلامى[١١] » .

٢٢ وسمعتُ من كلّ جانبٍ نُواحاً ينطلق ، ولم أرَ إنساناً يُصدره ؛ ولذا
توقفتُ عن المسير. وقد تولاّنى الاضطراب[١٢] .

٢٥ إخال أنه ظنّ أنى اعتقدتُ[١٣] ، أن هذه الأصوات العديدة قد
صَدَرَتْ ، من بين تلك الجذوع ، عن قوم أخفوْا أنفسهم عنا[١٤] .

٢٨ ولذا قال أستاذى : « إذا قطعتَ من إحدى هذه الأشجار غصناً
صغيراً ، فستصبح كلّ أفكارك دون أساس[١٥] » .

٣١ عندئذ مددتُ يدى إلى الأمام قليلاً ، وانتزعتُ غصناً صغيراً من فرعٍ
كبير ، فصاح جذعه : « لماذا تقطعنى[١٦] ؟ » .

٣٤ ولما اسودّ بعدئذ لونه بالدم ، عاد إلى صياحه[١٧] : « لماذا تمزّقنى ؟ أليس فى قلبك من الرحمة أثارة[١٨] ؟

٣٧ لقد كنا رجالا ، وأصبحنا الآن أشجاراً : وينبغى حقًّا أن تكون أرحم يداً ، ولو كنا نفوس أفاعٍ[١٩] » .

٤٠ وكغصنٍ أخضر يحترق أحد طرفيه ، ويقطر الآخر ماءً[٢٠] ، ويصرصر من أثر الهواء الذى يخرج منه[٢١] ،

٤٣ كذلك خرج من الغصن المقطوع الدم والكلام معاً[٢٢] ؛ عندئذ تركتُ الغصنَ يسقط[٢٣] ، وظللتُ كرجل يساوره الخوف[٢٤] .

٤٦ وأجابه حكيمى قائلا[٢٥] : « أيتها النفس الجريحة ، لوْ أنه استطاع من قبل أن يُصدّق ما رآه فى شعرى وحده[٢٦] ،

٤٩ لما مد إليك يدًا ؛ ولكن الشىء الذى لم يُصدّقه ، جعلنى أدفعه إلى عمل يثقلُ على نفسى ويصعب[٢٧] .

٥٢ ولكن خبِّره مَنْ كنتَ ، حتى يصحح بعضَ ما فعل ، فيجدّد ذكراك فوقُ ، فى الأرض[٢٨] ، حيث من حقه أن يرجع[٢٩] » .

٥٥ قال الجذع[٣٠] : « إنك تغرينى هكذا بمعسول الكلام ، فلا أستطيع صمتاً[٣١] ، وعسى ألا أكون ثقيلاً عليك ، إذا أطلتُ فى الحديث قليلاً .

٥٨ أنا ذاك الذى استحوذ على مفتاحىْ قلب فردريك[٣٢] ، وأنا الذى أدارهما فاتحاً مغلقاً برفقٍ ولين[٣٣] ،

٦١ إلى أن كدتُ أبعد عن سرّه كل إنسان : وحملتُ الأمانة للمنصب المجيد ، حتى فقدتُ فى ذلك الكرى ونبضات القلب[٣٤] .

٦٤ والعاهرة[٣٥] التى لم تُحوّل أبداً عينيها الداعرتين عن منزل قيصر ، والتى هى هلاكٌ للجميع وإثمٌ لكلّ بلاط ،

٦٧ أشعلتْ علىّ كل النفوس ، وسعّر المشتعلون حقداً قلب أغسطس هكذا[٣٦] ، حتى تحوّلتْ أمجادى السعيدة إلى أتراح حزينة[٣٧] .

٧٠ ونفسى التى أحستْ بالزراية ، وهى معتقدةٌ أنها تهرب من الزراية بالموت [٣٨] ، جعلتنى غير عادل مع نفسىَ العادلة [٣٩] .

٧٣ وأقسم لك بالجذور الجديدة من هذه الشجرة [٤٠] ، أنى لم أنكث أبداً بعهد سيدى ، الذى كان جديراً بكلّ تشريف [٤١] .

٧٦ وإذا رجع أحدكما إلى الأرض فليُرْضِ ذكراى التى لا تزال صريعة طعنة ، سدّدها إليها الحسد [٤٢] » .

٧٩ تمهلَ الشاعر قليلاً ثم قال لى [٤٣] : « ما دام قد سكت ، فلا تُضيِّع وقتاً ؛ ولكن تكلمْ ، واسأله إذا راقك المزيد » .

٨٢ حينئذ قلتُ له : « زدْه أنت سؤالاً عما تعتقد أنه يرضينى ؛ فأنا لا أستطيع ، لأن فرطَ الأسى يُضنينى [٤٤] ! » .

٨٥ وعلى ذلك استأنف قائلا [٤٥] : « فليؤدِّ لك الرجل طوعاً ما تمناه حديثك ، أيتها الروح الحبيسة ، ولعله يرضيك بعدُ [٤٦] ،

٨٨ أن تُخبرينا كيف تتحد النفس بهذه العقد ؛ وأخبرينا إذا استطعت [٤٧] ، هل تتحرّر أبداً إحدى النفوس من مثل هذه الأعضاء ! » .

٩١ عندئذ زفر الجذع بقوّة [٤٨] ، فتحوّل ذلك الزفير [٤٩] إلى هذا الصوت : « ستتلقى الجواب بكلامٍ وجيز .

٩٤ عندما تغادر الروحُ القاسيةُ الجسد [٥٠] ، الذى انتزعتْ منه نفسها [٥١] ، يرسلها مينوس [٥٢] إلى الهوّة السابعة .

٩٧ وتسقط فى الغابة [٥٣] ، وليس لها مكانٌ مختار ؛ ولكن حيث يقذف بها الحظّ ، وهناك تنبت مثل حبة حنطة [٥٤] .

١٠٠ وتنبعث ساقاً وتصير نباتاً بريّاً [٥٥] : وحين تتغذّى الهربوسات بعدُ على أوراقها ، تؤلمها [٥٦] ، وتجد منفذاً للألم [٥٧] .

١٠٣ وسنذهب كالأخريات بحثاً عن أجسادنا [٥٨] ، ولكن لن تلبسه إحدانا حقّاً ، إذْ ليس عدلاً أن ينال الإنسان ما خلعه بنفسه [٥٩] .

١٠٦ وسنجرّها ها هنا ، وستعلق أجسادنا فى الغابة الحزينة ، كلٌّ منها فى الشجرة البرية التى يسكنها شبحه المعذّب [٦٠] » .

١٠٩ كنا لا نزال منصتين إلى الجذع على ظنٍّ أنه أراد أن يقول لنا غير ذلك ، حيث فاجأنا دويٌّ شديدٌ ، [٦٢]

١١٢ كمَنْ يُحِسّ بالخنزير وركب الصيد[٦٣] مُقبلاً على مكان وقوفه ، ويسمع الوحوشَ وتكسّر الأغصان[٦٤] .

١١٥ وإذا هناك اثنان[٦٥] على الجانب الأيسر ، عاريان مُمزّقان يمعنان هرباً ، حتى حطّما فى الغابة كل غصن .

١١٨ صاح المتقدّم[٦٦] : « عجِّلْ الآن ! عجِّلْ أيها الموت[٦٧] ! » . وصاح الآخر الذى بدا متأخراً عنه كثيراً [٦٨] : « لم تكن ساقاك يالانو

١٢١ سريعتين هكذا فى معارك توپّو[٦٩] ! » . وربما لأنه أعوزه النَّفَسُ ، جعل من نفسه ومن الدغل مجموعةً واحدة[٧٠] .

١٢٤ ومن خلفهما كانت الغابة ملآى بكلابٍ سوداء متحفزة سريعة العدْو ، ككلابٍ سلوقية انطلقت من سلاسلها[٧١] .

١٢٧ وضعتْ أسنانها فى ذاك الذى كان مُختفياً [٧٢] ، ومزّقته إرباً إرباً ؛ ثم حملتْ تلك الأشلاء المعذّبة[٧٣] .

١٣٠ حينئذٍ أخذنى دليلى من يدى[٧٤] ، وقادنى إلى الدغل الذى كان يبكى دون طائل ، خلال جراحه الدامية[٧٥] .

١٣٣ قال الدغل[٧٦] : « أنت يا جاكومو دا سانت أندريا ، ماذا أفدْتَ إذْ جعلتنى دريئةً لك ؟ وأىّ ذنب لى أن كانت حياتك آثمة[٧٧] ؟ » .

١٣٦ فلما وقف عنده أستاذى قال : « مَنْ ذا كنتَ ، أيها الذى يتدفّق من جراحه العديدة[٧٨] الكلامُ الأليم مع الدم[٧٩] ؟

١٣٩ أجابنا : « أيتها النفسان اللتان جئتما لتشهدا العذابَ المزرى ، الذى جرّدنى هكذا من أوراقى ،

١٤٢ هيا إلى جمعها عند أسفل الدغل الحزين . لقد كنتُ من المدينة التى استبدلتْ المعمدان [٨١] براعيها الأوّل [٨٢] ، ولذا فإنه

١٤٥ سيجعلها بفنه على الدوام شقية[٨٣]؛ ولولا أن بعض ملامح منه لا تزال
باقيـــةً[٨٤] فوق جسر الأرنو[٨٥] ،
١٤٨ لكان أولئك المواطنون[٨٦] ، الذين أعادوا بناءها بعدُ ، فوق ما
خلفه أتيلا من رماد ، قد أتوا عملاً غير ذى جدوى[٨٧] .
١٥١ ولقد جعلتُ من بيتى مِشنقةً لى[٨٨] » .

حواشى الأنشودة الثالثة عشرة

(١) تسمى أنشودة المنتحرين أو أنشودة پيير و دلا ڤينيا .

(٢) أى أنه فى الوقت الذى كان فيه نيسوس يسير فى اتجاه رفاقه كان الشاعران يسيران فى اتجاه الدائرة الثانية من الحلقة السابعة .

(٣) لم يكن فى الأرض أى دليل على طريق يؤدى إلى غابة المنتحرين .

(٤) لم تكن هذه غابة خضراء ، بل كانت غابة موحشة معقدة الأشجار ذات أشواك سامة .

(٥) أى أن الحيوانات المفترسة فى تسكانا لم تكن تعيش فى غابات من هذا النوع . يشير دانتى بهذا إلى بعض أجزاء إيطاليا فى منطقة ماريما التسكانية . وتشيتشينا (Cecina) نهر فى إقليم ڤولتيرا ، وكورنيتو (Corneto) مدينة صغيرة فى تسكانا ، وكان بها غابات كثيفة امتلأت بالوحوش وانتشرت فيها الملاريا فى عهد دانتى .

(٦) هرپوسات جمع هرپوسة (Harpies) حيوانات خرافية فى الميتولوجيا القديمة لها جسم الطيور ورأس النساء .

(٧) عندما قدم إينياس ورفاقه إلى جزر ستروفاديس (Strophades) فى بحر إيجه هاجمت الهرپوسات طعامهم ، وتنبأت إحداهن وهى تشيلاينو (Celaeno) بأنه ستحل بهم مجاعة رهيبة :

Virg. Æn. III. 253.

(٨) استمد دانتى هذه الأوصاف من ڤرجيليو :

Virg. Æn. III. 216.

(٩) كانت الأشجار غريبة علىَ دانتى ، لأنه لم يعرف حقيقتها بعد .

(١٠) أى حتى الدائرة الثالثة من الحلقة السابعة التى تحددها الرمال الملتهبة :

Inf. XIV.

(١١) يعنى أن الكلام عن الأشياء التى سيراها لا يكفى ، ومن الصعب تصديقه ، ولا بد من رؤيتها.

(١٢) استولى على دانتى الاضطراب لأنه سمع نواحاً لم يعرف مصدره .

(١٣) كان تكرار حروف بعض الكلمات والألفاظ أمراً شائعاً فى عصر دانتى .

(١٤) اعتقد دانتى أن بعض النفوس قد اختفت بين جذوع الأشجار .

(١٥) يعنى أنه إذا قطع غصناً فستزول عنه الأفكار التى تواردت عليه بشأن هذه الأصوات المجهولة .

(١٦) هذا كلام رقيق يعبر عن نفس متألمة تشكو القسوة التى أصابتها وتسأل العطف والرحمة . ويشبه هذا قول ڤرجيليو :

Virg. Æn. III. 22 ...

(١٧) هذا هو پييرو دلا ڤينيا (١١٩٠ – ١٢٤٩ . Pier della Vigna) ولد فى كاپوا ودرس القانون فى بولونيا ، ودخل فى خدمة الأمبراطور فردريك الثانى ونال ثقته، وشغل عدة

وظائف ، واشتغل بالقضاء وقام بوضع قوانين الدولة وتنظيمها ، وكتب رسائل لاتينية وشعراً باللهجة العامية . وساعد فردريك فى كفاحه ضد البابا . وبعد سنوات طويلة فقد ثقة الأمبراطور ، ولا يعرف السبب تماماً . يقال إن هذا التغير حدث لأن پيير و بدأ يميل إلى البابا أو بسبب وقوعه فى حب الأمبراطورة . عزله فردريك وحبسه وأفقده النظر ، فانتحر بيير و فى سجنه فى پيزا أو فى سان ميناتو .

(١٨) هكذا يستثير پيير و دلا ڤينيا الرحمة فى قلب دانتى . يسأله أليس فى قلبه ذرة من الرحمة ؟ ويسأل من ؟ يسأل دانتى الذى يفيض قلبه بالعطف والرحمة ! وورد هذا المعنى فى الإنيادة :

Virg. Æn. III. 37.

(١٩) يكفى ما نال هؤلاء فى الدنيا وما ينالهم الآن فى الجحيم . يطلب پ يير و الرحمة فى عالم لا رحمة فيه .

(٢٠) يقطر طرفه الآخر ماء كأنه يبكى بفعل النار فى الطرف الأول .

(٢١) هذا وصف دقيق للغصن المحترق مستمد من الملاحظة .

(٢٢) خروج الكلام مع الدم دليل على الألم الهائل الذى كان يعانيه پيير و .

(٢٣) تألم دانتى للكلام الذى ينزف الدمع معه ، فسقط فرع الشجرة من يده ، ووقف خائفاً مبهوتاً لا يقوى على النطق .

(٢٤) يشبه هذا قول ڤرجيليو :

Virg. Æn. III. 29.

(٢٥) أى ڤرجيليو .

(٢٦) يشير ڤرجيليو إلى ما ورد فى الإنيادة عن إينياس وپوليدوروس :

Virg. Æn. III. 22 ...

ورد فى تراث الشرق والإسلام صور عن العلاقة بين النبات والحيوان، مثل أشجار النساء فى جزر الواق واق فى بحر الصين .

سراج الدين أبو حفص عمر بن الوردى . خريدة العجائب وفريدة الغرائب . القاهرة ، ١٣١٦ هـ ص ٨٢ .

ألف ليلة وليلة ، طبع القاهرة . قصة حسن الصائغ البصرى . ليلة : ٧٥١ .

حسين فوزى : حديث السندباد القديم . القاهرة ، ١٩٤٢ ص ٩٨ ، ٢٢٨ .

(٢٧) أى أن عدم تصديق دانتى لما ورد فى شعر ڤرجيليو حمله على أن يقطع الغصن مما يأسف له ڤرجيليو ذاته .

(٢٨) تجديد الذكرى فى الدنيا تعويض جزئى عما أصابه ، ويدل هذا على أن الموتى عند دانتى يتطلعون إلى الدنيا دائماً .

(٢٩) من حق دانتى أن يرجع إلى الدنيا لأنه لا يزال إنساناً حيا .

(٣٠) أى پيير و دلا ڤينيا .

(٣١) ما إن انتهى ڤرجيليو من الكلام حتى سكن ألم الجذع لذكرى العالم الحبيب ولم يستطع أن يلزم الصمت أمام هذا الإغراء . تكلم الجذع دون أن يعرف شخص دانتى بل ويود ألا

يكون كلامه ثقيلا عليه . هذا كلام رقيق يصدر عن إحساس مرهف يشبه ما نطقت به فرنتشسكا دار يمينى من الكلام العذب الرقيق الممزوج بالأسى :
Inf. V. 72 ...

(٣٢) هو الأمبراطور فردريك الثانى الذى حكم ناپلى وصقلية ، وسبق الإشارة إليه :
Inf. X. 119.

(٣٣) أى أنه سيطر على قلب فردريك ، حتى لم يكن يقبل شيئاً أو يرفضه إلا باستشارة پيير و دلا ڤينيا ورأيه .

(٣٤) يعنى أنه عمل بكل إخلاص ، وضحى فى ذلك بالنوم والجهد .

(٣٥) يقصد الحقد والحسد الذى يشبهه دانتى بالمرأة الداعرة فى بلاط الملوك .

(٣٦) أى فردريك .

(٣٧) أى أنه فقد بالحقد أمارات التشريف وأصابته أحزان مفجعة .

(٣٨) اعتقد پيير و دلا ڤينيا أن الموت يغسل الإهانة التى لحقته . ويقال إنه انتحر فى سجنه بأن ضرب رأسه فى الحائط فمات .

(٣٩) يعنى أنه ارتكب بانتحاره عملا غير عادل ضد شخصه العادل ، الذى لم يرتكب إثماً يستحق من أجله الإهانة التى لحقته .

(٤٠) أى أن نفسه تحولت إلى هذه الشجرة منذ زمن غير بعيد .

(٤١) يثنى دانتى هنا على فردريك ، ولو أنه وضعه مع الهراطقة .

(٤٢) يرجو أن يضحد أحدهما فى الدنيا التهمة الكاذبة التى انصبت عليه .

(٤٣) أمام هذا الأسى والصدق والبراءة سكت ڤرجيليو لحظة ، وسكت معه دانتى وأخذا يستعرضان ما قاله .

(٤٤) استولى الأسى على دانتى فلم يستطع متابعة الكلام .

(٤٥) أى عاد ڤرجيليو إلى الكلام .

(٤٦) يخاطب ڤرجيليو روح پيير و دلا ڤينيا بالحال التى هى عليها .

(٤٧) أى أنه لا يريدها أن تفعل ما فوق الطاقة ، إذ يكفى ما هى عليه من العذاب . هذا كلام رقيق عطوف فى عالم لا رحمة فيه .

(٤٨) هذا تنهد العذاب وزفرة الأسى أرسلها الجذع بقوة .

(٤٩) تحول هواء التنهد إلى كلمات ممزوجة بالأسى والألم . لم يتكلم پيير و دلا ڤينيا سريعاً ، لأن الأسى أوقفه قليلا .

(٥٠) الروح قاسية لأنها قتلت صاحبها .

(٥١) هذا تعبير عن القسوة التى ارتكبها المنتحر ضد نفسه .

(٥٢) مينوس حارس الجحيم وقاضيه وسبق ذكره :
Inf. V. 4 ...

(٥٣) أى هذه الغابة فى الدائرة الثانية من الحلقة السابعة .

(٥٤) ينبت هذا الحب من الحنطة (spelta) فى الأرض الخصبة وغير الخصبة .

(٥٥) يعنى أن نفس المنتحر تتحول إلى شجرة برية تحس الألم والعذاب . وهذا ربط بين الإنسان والنبات .

(٥٦) تتغذى الهربوسات على أوراق الشجرة وتمزقها وتؤلمها .

(٥٧) عندما تتمزق الأوراق تخرج آهاتها ، ويفيض الدم من الأغصان ، وهذا هو مخرج الألم . وعقاب المنتحر عند دانتى هو أن تلاقى روحه هذا التمزيق المستمر كأنه الانتحار المتكرر ، لاعتداء الهربوسات الدائم .

(٥٨) أى أنهم سيذهبون مثل سائر الآثمين للبحث عن أجسامهم فى وادى يوسافاط يوم القيامة عند المسيحيين .

(٥٩) يعنى أن الأشياء التى لا يمكن للإنسان أن يعطيها لا يجوز له أن ينزعها . ويجب عليه أن يحتفظ بها إلى الوقت الذى يريدها من أعطاها إياه ، أى الله . وإذا نزعها الإنسان عامداً ، فلا يجوز أن يحوزها مرة أخرى .

(٦٠) شبحه معذب لأنه ارتكب الانتحار . سكت پييرو دلا ڤينيا عند ذلك كما سكت فاريناتا دلى أوبرتى عندما تحدث عن بعض صفات الموتى :

Inf. X. 73-108.

رسم دانتى فى شخصية پييرو دلا ڤينيا صورة إنسانية حية . وهو يمثل الرجل المثقف الواسع الإدراك الذى تمتع بالمنصب الرفيع . وقد عاون الأمبراطور فردريك الثانى فى كفاحه ضد البابوية ، ثم أثار الحاقدون عليه قلب الأمبراطور ففقد إمارات التشريف وسجن وفقد البصر . وهو الرجل الحى الذى أحس بالإهانة ، فلا يطيق صبراً ويؤثر الانتحار . وهو مرهف الحس رقيق المشاعر يجذبه كلام دانتى الرقيق ، ويقترب فى إرهاف الحس – مع اختلاف الموقف – من فرنتشسكا دا ريمينى . وهناك تجاوب بين دانتى وپييرو دلا ڤينيا، ويتشابهان فى معارضة البابوية ، وفى التنكيل بهما . وهو حريص على أن تدحض تهمته وينال الذكرى الحسنة فى الأرض . وهذه صورة أخرى حية ناطقة ،مرهفة الحس ، تعبر عن نفسها بصدق وصراحة ، رسمها دانتى فى تلك الغابة الموحشة .

(٦١) سكت پييرو دلا ڤينيا عن الكلام ، وسادت فترة صمت فى هذه الغابة الرهيبة ، وانصت كل من الشاعرين إلى الجذع ظناً منهما بأنه سيتابع الكلام .

(٦٢) قطع هذا السكون دوى مفاجئ . ويشبه هذا قول ڤرجيليو :

Virg. Æn. VI. 559.

(٦٣) يعنى أنه يسمع صوت الصيادين وأدواتهم وكلابهم فى أثناء السير .

(٦٤) يشبه هذا قول هوميروس :

Hom. Ill. XII. 45-47.

(٦٥) الأول هو لانو دى سيينا (Lano di Siena) الذى أسرف فى ماله ومال غيره ، وقتل فى معركة توپو (Toppo) بين جند سيينا وأريتزو فى ١٢٨٨ . والثانى هو جاكومو دا سانت أندريا (Giacomo da Sant' Andrea) وهو مواطن من پادوا اشتهر بالإسراف فى ماله ومال الناس وكان من أتباع فردريك الثانى . ويقال إن أتزيلينو دا رومانو قد قتله فى ١٢٣٩ .

وضع دانتى المسرفين فى مالهم ومال الناس مع المنتحرين ، لأنهم يتشابهون فى الإضرار بأنفسهم . وسبق أن عذب المبذرين بطريقة أخرى :

Inf. VII.

(٦٦) أى لانو دى سيينا .

(٦٧) يقصد موت الروح ، أى الموت الثانى .

(٦٨) أى جاكومو دا سانت أندريا .

(٦٩) تقع توپو على مقربة من أريتزو . أى أنه لم يكن سريعاً إلى الهرب فى معركة توپو كما هو الآن .

(٧٠) أى أنه اختفى داخل الأعشاب المتشابكة .

(٧١) تجرى هذه الكلاب المتحفزة وراء هؤلاء الآثمين وتطاردهم بعنف وقسوة وهى بالنسبة لهم كالهرپوسات للمنتحرين .

(٧٢) المقصود جاكومو .

وفى التراث الإسلامى صورة تحوى بعض الشبه لما أورده دانتى فى عقاب من يناجى رجلا وعنده آخر ومن يتعظم على الناس ومن يمزق نفسه فتمزقه كلاب النار يوم القيامة :

القرآن : النازعات : ٢ .

أبو حامد الغزالى : كتاب إحياء علوم الدين . القاهرة ، ١٣٥٢ هـ . ج ٣ ص ٢٥٦

(٧٣) يصور دانتى هنا منظراً رائعاً يبدأ بسكوت پيير و دلا ڤنيا وسكوت دانتى وڤرجيليو معه لحظة ، ثم يسمع صوت وضوضاء فجأة . ثم يبدو آثمان عاريان يهربان وقد تولاهما الرعب ، واحد يسبق والثانى يتأخر لأن الرعب قد أعجزه عن الجرى ، ويحتمى بين مجموعة من الأعشاب البرية ، ثم تظهر كلاب متحفزة تطارد هذين الآثمين ، وتنهش ذلك المختفى بين الأغصان وتقطعه أرباً وتحمل أشلاءه بعيداً . يحدث هذا بالتتابع فى لمح البصر ، ويبدأ نقطة ثم يستعرض المنظر ويتسع حتى نهايته . هذا وصف دقيق مستمد من حياة الصيد ومن دراسة معنى الخوف والرعب فى الإنسان . رسم دانتى هذا كله بريشة صادقة ، وكشف عن بعض مظاهر النفس البشرية .

(٧٤) هذا لون من ألوان العطف الذى أبداه ڤرجيليو نحو دانتى دائماً .

(٧٥) عندما نهشت الكلاب ذلك المختفى بين الأعشاب نهشت أعشاباً أخرى ومزقتها ، وكانت روح أحد مرتكبى جريمة الانتحار فسالت الدماء .

(٧٦) هذا صوت مواطن فلورنسى لا تعرف شخصيته . يرى بعض النقاد أنه ربما كان لوتو دلى آلى (Lotto degli Ali) القاضى الفلورنسى الذى انتحر تكفيراً عن حكم خاطئ أصدره . ولا بد أن هذا الآثم كان قد مات منذ زمن قليل لأنه لم ينبت شجرة كبيرة مثل پيير و دلا ڤينيا الذى مات فى ١٢٤٩ .

(٧٧) يقول صاحب الصوت إنه يكفيه ما فيه من عذاب ، ولا داعى لتمزيقه على ذلك النحو .

(٧٨) الجراح العديدة بسبب التمزيق .

(٧٩) يتدفق الكلام الأليم مع الدم ، وهذا تعبير عن منتهى الأسى والألم .

(٨٠) أى من فلورنسا .

(٨١) هو يوحنا المعمدان الذى أصبح حامى فلورنسا فى العهد المسيحى .

(٨٢) كان مارس إله الحرب راعى فلورنسا فى العهد الوثنى .

(٨٣) يعنى أن مارس سيجعل فلورنسا ضحية الحروب والصراع الداخلى دائماً .

(٨٤) هذه إشارة إلى تمثال الإله مارس فى فلورنسا . ويقال إن فلورنسا عندما تحولت إلى المسيحية وضعت تمثال مارس فوق برج على مقربة من نهر الأرنو . وعندما أغار الهون على فلورنسا ألقوا بالتمثال فى نهر الأرنو ، ثم أخرج من النهر فى عهد شارلمان ووضع عند رأس الجسر القديم ، وظل هناك حتى ١٣٣٣ حيث تحطم فى أثناء الصراع الداخلى فى فلورنسا ، وبقى منه قطعة من الحجر .

(٨٥) هذا هو الجسر القديم (Ponte Vecchio) المشهور فى فلورنسا ويرجع بشكله المعروف إلى القرن ١٤ وقد سلم فى أثناء الحرب العالمية الثانية ، وإن كانت القنابل قد أصابت زاوية مبانيه عند طرفه الجنوبى الغربى .

(٨٦) أى أنه لو لم يبق من تمثال مارس شىء لما استطاع الفلورنسيون أن يعيدوا بناء مدينتهم فى عهد شارلمان فى ٨٠١ .

(٨٧) أغار أتيلا على إيطاليا فى ٤٥٠ ، وألحق الدمار بفلورنسا .

(٨٨) يعنى أن ذلك المواطن الفلورنسى قد انتحر فى مسكنه .

الأنشودة الرابعة عشرة[1]

تأثر دانتى بكلام الفلورنسى المجهول فى القصيدة السابقة ، ودفعه حبه لوطنه إلى أن يجمع الأوراق المتناثرة ويعيدها إلى الروح التى لزمت الصمت . ووصل الشاعران إلى الدائرة الثالثة فى الحلقة السابعة ، وكانت سهلا من الرمال الجرداء التى تشبه رمال ليبيا وقد وطئها كاتون من قبل ، وأحاطت هذه الرمال بغابة المنتحرين . رأى دانتى قطعاناً كثيرة من المعذبين ، يبكون فى بؤس شديد ، وقد اتخذوا أوضاعاً مختلفة فوق الرمال ، تبعاً لخطيئة العنف التى اقترفوها على الله أو الفن أو الطبيعة ، وتساقطت عليهم ألسنة اللهب من السماء دون انقطاع . رأى دانتى كاپانيو الذى احتقر الآلهة فى الأرض كما احتقرهم فى الجحيم ، وقد اعتقد أن قوة الله قوة غاشمة مثل قوته هو . عنّفه ڤرجيليو وندّد بخطيئته ، وأوضح له أن عقابه هو الغضب وما يصدر عنه من الاحتقار فى حدّ ذاته ، الذى هو بمثابة حلية تزين صدره بما يناسبه . سار الشاعران فى طريق ضيق بين غابة المنتحرين وسهل الرمال ، ورأيا جدولا أحمر اللون ، هو نهر فليجيتونتى . وأخذ ڤرجيليو يشرح لدانتى مصدر أنهار الجحيم ، متأثراً فى ذلك بالميتولوجيا اليونانية ، التى تقول إنه كان فى كريت تمثال ضخم مصنوع من الرأس إلى القدم ، من الذهب والفضة والنحاس والحديد والفخار على التوالى ، وتخرج منه دموع الآثمين ، ثم تنحدر إلى حلقات الجحيم ، وبذلك تكون أنهاره ، كما أشار إلى نهر ليتى فى المطهر ، حيث تزول خطايا الآثمين . ثم سار الشاعران فى طريق ضيق بين النهر والرمال الملتهبة ، حيث لا تسقط شواظّ اللهب من السماء .

١ إنى وقد كنتُ مدفوعاً بحبّى لموطن ميلادى ، جمعتُ الأوراق المتناثرة[٢] ، وأعدتها إلى مَنْ أصبح الآن خائر القوى[٣] .

٤ وعندئذ جئنا إلى الحدّ الذى تنفصل عنده الدائرة الثانية عن الثالثة ، حيث يبدو للعدالة فنٌّ رهيب[٤] .

٧ ولكى أحسن وصف الأشياء الجديدة[٥] ، أقول إننا وصلنا إلى سهل ، تطرد أرضه كل نبات[٦] .

١٠ الغابة الأليمة من حوله إكليلٌ ، كالخندق المشئوم من حولها[٧] ، وهنا أوقفنا خطانا على حافة السهل[٨] .

١٣ كان الفضاء رملاً قاحلاً كثيفاً ، لا تختلف طبيعته[٩] عن ذاك الذى سبق أن وطئه كاتون بقدميه[١٠] .

١٦ أيها الانتقام الإلهى[١١] ، كمْ ذا ينبغى أن يرهبك كل مَنْ يقرأ ما تراءى لعينىّ[١٢] !

١٩ رأيتُ قطعاناً كثيرةً من نفوس عارية[١٣] ، تبكى جميعاً فى بؤسٍ شديد[١٤] ، وقد بدَتْ خاضعةً لقوانين مغايرة[١٥] .

٢٢ اطّرح بعض فوق الأرض مستلقياً على ظهره[١٦] ، وجلس بعضٌ متلاصقين تماماً[١٧] ، وآخرون ساروا على الدوام[١٨] .

٢٥ وهؤلاء الذين ساروا دائرين كانوا أكثر عدداً ، وأولئك الذين استلقوْا للعذاب كانوا أقلّ ، ولكن الألم زاد ألسنتهم انطلاقاً[١٩] .

٢٨ وفوق كل الرمل الضخم أمطرتْ ، فى تساقطٍ بطىءٍ ، نُدَفٌ كبيرةٌ من النار[٢٠] ، كما يسقط الثلج على المرتفعات دون رياح .

٣١ وكما رأى الإسكندر[٢١] ، فى تلك المناطق الدافئة من الهند ، ألسنة اللهب تسقط وهى متماسكةٌ على جيشه حتى الأرض[٢٢] ،

٣٤ ولذا عنى بأن تدوس فيالقه الأرض ، لأن البخار[٢٣] كان أيسر انطفاء إذا أصبح معزولاً[٢٤] —

٣٧ هكذا سقط الوَهجُ الأبديّ(٢٥) الذى أشعل الرمل ، كما يقع الحجر تحت الزناد ، لمضاعفة الألم(٢٦) .

٤٠ كان رقص الأيدى البائسة دون انقطاعٍ أبداً(٢٧) ، وهى تُبعد الاحتراقَ المتجدّد عن نفسها هنا وهناك(٢٨) .

٤٣ بدأتُ : « أستاذى ! يا مَنْ تغلب كل شىء(٢٩) ، سوى الشياطين العنيدة ، التى خرجتْ فى مواجهتنا عند مدخل الباب(٣٠) !

٤٦ مَنْ ذلك العظيم(٣١) الذى يبدو غير عابئ بالحريق ، وينطرح ثانى العِطف بازدراء ، حتّى بدا كأن هطلَ النار(٣٢) لا ينضجه(٣٣) ! » .

٤٩ وذاك نفسه الذى أدرك أنى أسائل عنه دليلى ، صاح قائلاً « هكذا كنتُ حيًّا ، وهكذا أكون فى الممات(٣٤) .

٥٢ ولو أن جوپيتر يُتعب حدّاده(٣٥) ، الذى أخذ منه وهو غاضبٌ ، الصاعقةَ القاتلة ، التى ضُربتُ بها فى اليوم الأخير(٣٦) ،

٥٥ أو إذا كان يتعب الآخرين واحداً تلو واحد(٣٧) ، فى جبل النار(٣٨) ، بالمصهر الأسود منادياً " النجدة النجدة ، يا ڤولكانو الطيب ! " ،

٥٨ كما فعل فى موقعة فليجرا(٣٩) ؛ وإذا كان يصوب السهام إلىّ بكلّ ما له من قوة ، فلن يستطيع أن ينال منى انتقاماً سعيداً(٤٠) » .

٦١ عندئذ قال دليلى بحدّة شديدة ، لم أسمعها بمثل هذا العنف(٤١) : « يا كاپانيو ! لما بك من صلف لا تنطفئ .

٦٤ جذوته ، يزداد عقابك ويشتد(٤٢) : وما من عذابٍ سوى غضبك ذاته ، يمكن أن يكون ألماً جديراً بحنقك(٤٣) .

٦٧ ثم استدار نحوى بفم أعذب قائلاً : « كان هذا أحد الملوك السبعة الذين حاصروا طيبة ؛ وكان ، ويبدو أنه لا يزال .

٧٠ يزدرى الله ، ويظهر أنه لا يأبه له كثيراً ؛ ولكن ازدراءه — كما قلت له(٤٤) — حليةٌ تزين صدره حقا بما يناسبه(٤٥) .

٧٣ والآن سرْ ورائى ، واحذر بعدُ أن تضع قدميك فوق الرمل الملتهب ؛ ولكن أبقهما دائماً ملتصقتين بالغابة(٤٦) » .

٧٦ وفى صمتٍ وصلنا هناك، حيث ينبع من الغابة(٤٧) جدولٌ صغيرٌ(٤٨)، لا تزال حمرته ترعدنى .

٧٩ وكما يخرج من بوليكامى جدولٌ(٤٩) ، تقتسمه الخاطئات بعدُ فيما بينهن ، كذلك هبط هذا الجدول وسط الرمال .

٨٢ وكان قاعه وكلا شاطئيه ، والحاشيتان على جانبيه ، قد تحوّلتْ إلى حجر ؛ فتبينتُ أنّ هنا مكان العبور(٥٠) .

٨٥ قال : « بين كلّ ما أريتك إياه منذ دخلنا ذلك الباب ، الذى لا يمتنع مدخله على أحد(٥١) ،

٨٨ لم تستجل عيناك ما يلفت النظر ، مثل الجدول الماثل ، الذى تخمد عليه كلّ ألسنة اللهب(٥٢) » .

٩١ كانت هذه كلمات دليلى ؛ ولذا رجوته أن يزيدنى من الغذاء الذى أذكى(٥٣) شهيّتى إليه(٥٤) .

٩٤ عندئذٍ قال : « فى وسط البحر(٥٥) تستوى بلادٌ خربةٌ تدعى كريت ، وقد كان العالم طاهراً فى ظلّ ملكها(٥٦) .

٩٧ وهناك جبلٌ يدعى إيدا، كان من قبل سعيداً بالماء وأوراق الشجر(٥٧) ، وهو الآن قفرٌ مثل غابر الأثر .

١٠٠ كانت ريا قد اختارته لابنها مهداً أميناً ، ولكى تحسن إخفاءه ، كانت تدوى بالصراخ عند بكائه(٥٨) .

١٠٣ وفى داخل الجبل ينتصب قائماً عجوزٌ ضخمٌ(٥٩) ، وهو يدير كتفيه لدمياط ، وينظر إلى روما كأنها مرآته(٦٠) .

١٠٦ رأسه مصوغٌ من خالص الذهب(٦١)؛ والصدر والذراعان من نقىّ الفضّة(٦٢)، ثم هو إلى الركبة من نحاسٍ(٦٣)،

١٠٩ ومن هنا إلى أسفل كله من حديد دون خبث ، سوى أن يمنى قدميه من فخار(٦٥) ، وهو يعتمد عليها أكثر من الأخرى(٦٦) .

١١٢ وكل أجزائه – ما عدا الذهب – يقسمها شقٌّ تقطر منه دموع [٦٧]، تحفر – وهي متجمعةٌ – ذلك الصخر .

١١٥ وينحدر مجراها في هذا الوادي من صخرة إلى أخرى : وتكون أكيرونتي [٦٨]، واستيكس [٦٩]، وفليجيتونتي [٧٠]؛ ثم تهبط في تلك القناة الضيقة [٧١]،

١١٨ إلى حيث لا هبوط بعدُ [٧٢] : وتصنع كوتشيتوس [٧٣]؛ وسوف ترى أيّ مستنقع هو ، ولذا لن أتكلم عنه هنا » .

١٢١ قلتُ له : « إذا كان هذا الجدول ينبع من دنيانا على هذا النحو [٧٤]، فلِمَ يبدو لنا على هذا الجانب وحده ؟ » .

١٢٤ قال لي : « أنت تعلم أن هذا المكان مستديرٌ ؛ ومع أنك سرتَ طويلاً إلى اليسار فحسبُ ، هابطاً إلى القاع [٧٥]،

١٢٧ فأنت لم تقطع بعدُ كلَّ الدائرة : ولذا إذا ظهر لنا شيءٌ جديدٌ ، فينبغي ألا يجلب على وجهك أمارات العجب [٧٦] » .

١٣٠ قلتُ ثانياً : « أستاذي ، أين يوجد فليجيتونتي وليتي ؟ فإنك تسكت عن أحدهما ، والآخر تقول إن هذا المطر يصنعه [٧٧] » .

١٣٣ أجاب : « في الحقّ أنك تروقني في كلّ ما تسأل ، ولكن غليان الماء الأحمر كان ينبغي أن يحلّ جيداً واحداً مما تسأل [٧٨] .

١٣٦ أما ليتي فسوف تراه ، ولكن خارج هذه الهاوية [٧٩]، هناك حيث تذهب النفوس لكي تغتسل ، عندما تُمحى الخطيئة بالندم » .

١٣٩ ثم قال : « الآن حان وقت رحيلنا عن الغابة ؛ فاحرص على أن تسير من ورائي : إن الضفتين [٨٠] اللتين لا تشتعلان تفسحان

١٤٢ طريقاً ، وعليهما تخمد كل نار » .

حواشي الأنشودة الرابعة عشرة

(١) هذه أنشودة من لعنوا الله أو أنشودة كاپانيو .

(٢) هذه عودة إلى الأنشودة السابقة عندما مزقت الكلاب الأعشاب الجافة التى احتمى بها جاكومودا سانت أندريا :

Inf. XIII. 142 ...

(٣) هكذا يعبر دانتى عن حنينه إلى الوطن . وفى هذا إشارة إلى ما سبق مع التمهيد للقصيدة الحالية .

(٤) وصل الشاعران حيث رأيا صورة رهيبة من صور العدالة الإلهية .

(٥) أى العذاب الجديد الذى لم ير دانتى له مثيلا .

(٦) يعنى أن السهل رملى قاحل لا ينمو فيه نبات .

(٧) يحيط مستنقع الدم بغابه المنتحرين ، كما يحيط بالغابة هذا السهل الرملى القاحل .

(٨) يعنى حافة السهل .

(٩) يشبه هذا الرمل صحراء ليبيا القاحلة .

(١٠) هو ماركوس پورتشيوس كاتو (٩٥ – ٤٦ق.م. Marcus Porcius Cato) سياسى رومانى ومن أنصار الجمهورية ومن تلاميذ المدرسة الرواقية . عارض كلا من قيصر وپومپى ، ولكن عندما قامت الحرب بينهما انضم إلى الأخير : وهرب بعد معركة فارساليا إلى أفريقيا ولحق بقوات پومپى بعد سير شاق فوق رمال ليبيا المحرقة . وهزم قيصر هذه القوات ، ولم يقبل كاتو الهزيمة كما لم يرض بالانحياز إلى قيصر فآثر الانتحار . وسيجعله دانتى حارساً للطريق إلى جبل المطهر :

Luc. Phars. X. 411 ...
Purg. I. 31.

(١١) يذكر دانتى الانتقام الإلهى ، ويناسب هذا رغبته فى الانتقام من أعدائه .

(١٢) يعنى أن علائم الرهبة قد ارتسمت فى عينى دانتى ، مما ينبغى أن يجعل كل من يراه يشعر برهبة الجحيم .

(١٣) نفوس الجحيم جلها عارية ، لكى تظهر الآثام على حقيقتها . وهذا تمهيد لرجال الفن فى عصر النهضة الذين سيعنون بدراسة الجسم البشرى وتشريحه للوصول إلى دقة التعبير عن المعانى الإنسانية مع إبراز مفاتن الجسم . وسيتجلى هذا عند رجال التصوير والنحت وعلى الأخص عند ميكلانجلو . وهذا كله خروج على تقاليد العصور الوسطى .

(١٤) هذه نفوس من ارتكبوا العنف فى الحياة الدنيا .

(١٥) يعنى أن عقابهم كان مخالفاً لما سبق ، ويتفاوت تبعاً لنوع الإثم .

(١٦) هذه إشارة إلى كاپانيو الذى سيأتى بعد قليل .

(١٧) فعلوا ذلك لكى يتعرضوا لأقل قدر من النيران الهابطة عليهم ، وهم المرابون الذين ارتكبوا العنف ضد الطبيعة والفن .

(١٨) هؤلاء هم من ارتكبوا اللواط وخالفوا الطبيعة .

(١٩) يعنى أن العذاب الذى لاقوه زاد إطلاق ألسنتهم بلعنة الجحيم كما لعنوا الله فى الدنيا .

(٢٠) يشبه هذا سقوط النار فوق قوم لوط كما ورد فى الكتاب المقدس :

Gen. XIX. 24.

وهناك شبه بين هذه الصورة وبعض ما ورد فى التراث الإسلامى بالنسبة لقوم لوط :

القرآن : الأعراف : ٨٣ ، هود : ٨٢ .

الهندى : كنز العمال (السابق الذكر) ج : ٧ : ص : ٢٤٦ : رقم : ٢٨٠٠ .

الخازن : تفسير القرآن (السابق الذكر) ج : ٣ : ص : ٣٤٩ .

(٢١) وصل الإسكندر الأكبر فى فتوحه حتى الهند . ويقال إنه كتب إلى أرسطو عن عجائب الهند ، وذكر أن الثلج سقط على جنوده ثم كرات النار . زسبق الإشارة إلى الإسكندر :

Inf. XII. 107.

(٢٢) يعنى أن ألسنة النار بقيت متماسكة حتى بلغت الأرض وهذا دليل على شدتها .

(٢٣) أى البخار الناتج عن الاحتراق .

(٢٤) تنطفىء النار إذا امتنع عنها الهواء . فعل جنود الإسكندر ذلك قبل أن تسقط نيران أخرى .

(٢٥) أى نيران الجحيم .

(٢٦) اشتعلت الرمال بالنار كاشتعال الزناد ، وبذلك تضاعف عذاب الآثمين .

(٢٧) يعنى تحركت أكفهم على الدوام بحركة تشبه الرقص غير المنتظم لكى تطفى النيران .

(٢٨) يعنى النيران التى تسقط دون توقف .

(٢٩) فى الأصل الأشياء بالجمع .

(٣٠) يقصد الشياطين الذين حاولوا منع الشاعرين من دخول مدينة ديس كما سبق :

Inf. VIII. 82 ...

ولا يخلو هذا القول من سخرية رقيقة وجهها دانتى إلى ڤرجيليو ، وهو بذلك يرد رداً خفيفاً على ملاحظات ڤرجيليو عليه فى أكثر من موضع من الجحيم :

Inf. III. 76-81, XI. 75-78.

(٣١) كاپانيوس (Capaneus) بن هيپونوس أحد الملوك السبعة الذين حاصروا طيبة فى الميتولوجيا القديمة ، واشتهر بقسوته وقوته الجسدية واحتقاره الآلهة . صعد أسوار طيبة وأخذ يلعن الآلهة فأرسل عليه جوپيتر صاعقة قتلته . أورد أخباره ستاتزيوس :

Stat. Theb X 845-906, 907-911, 918. ...

(٣٢) فى الأصل المطر .

(٣٣) يعنى لايخضعه هطل النار .

(٣٤) أى أنه كما كان يحتقر الآلهة فى الدنيا ، فإنه يحتقرهم فى الجحيم .

(٣٥) حداد الإله جوپيتر هو ابنه ڤولكانو ، كما ورد فى الميتولوجيا القديمة .

(٣٦) عندما قذف جوپيتر كاپانيو بصاعقة لم يسقط ، ومات واقفاً .

(٣٧) يعنى بقية العمال الذين عملوا مع ڤولكانو فى صناعة الصواعق .

(٣٨) مونجيبلو (Mongibello) لفظ مأخوذ من التسمية العربية لبركان إتنا ، وهو المقصود هنا ، وأطلقوا عليه جبل النار .

(٣٩) فليجرا (Phlegra) وادى فى تساليا أهلك فيه جوپيتر المردة الذين حاولوا صعود جبل أوليمپس ، فى الميتولوجيا القديمة .

(٤٠) اعتقد كاپانيو أن الانتقام عند الله لذة وتسلية وليس لتحقيق العدالة ، وهو بذلك يتصور فى الله القوة الغاشمة المادية التى توفرت لديه هو .

(٤١) انتهى صبر ڤرجيليو فخرج على مألوفه وخاطب كاپانيو بعنف شديد .

(٤٢) يعنى أن هذه الغطرسة الغاشمة وهذا الغضب العاجز المستمر هو فى ذاته العقاب المناسب لخطيئته .

(٤٣) يمثل كاپانيو القوة الغاشمة والغطرسة الجوفاء والكبرياء الفارغ . وقوته قوة خارجية لا تقابلها قوة الروح . ويتصور الله على صورته . وعندما هزمه جوپيتر اعتقد أن قوته المادية قد فاقت قوته هو ، ولم يعتقد أن قوة الله فوق القوة المادية . كان يحتقر الله فى الدنيا وظل يحتقره فى الجحيم . وقوته الوحشية الخارقة تجعله لا يشعر بنيران الجحيم . وهو ثائر على الله ، ولا يعترف بالهزيمة . هذه صورة رسمها دانتى للقوة الغاشمة الوحشية التى لا تؤيدها قوة الروح . وهذه صورة من صور البشر . وكاپانيو على عكس فاريناتا دلى أوبرتى الذى يمثل قوة الروح التى تستند إلى الهدف النبيل ، كما سبق ذكره :

Inf. X.

(٤٤) قال له ذلك منذ قليل .

(٤٥) الاحتقار فى ذاته هو العقاب الذى يناسبه .

(٤٦) هكذا يحرص ڤرجيليو على أن يجنب دانتى المخاطر .

(٤٧) يعنى غابة المنتحرين .

(٤٨) هذا هو استمرار لنهر الدم — فليجيتونتى — الذى دار حول الدائرة الأولى والدائرة الثانية ثم وصل إلى الدائرة الثالثة فى الحلقة السابعة .

(٤٩) يقارن دانتى هذا الجدول بالنهير ذى المياه الساخنة الحمراء اللون الذى يخرج من نبع بوليكامى (Bulicame) على مقربة من ڤيتربو ويقال إن العاهرات كن يستخدمن مياهه للنظافة .

(٥٠) هذا هو مكان العبور الوحيد بين الرمال المحترقة ونهر الدماء .

(٥١) أى باب الجحيم السالف الذكر :

Inf. III. 1 ...

(٥٢) تطفىء الأبخرة المتصاعدة من نهر الدم النيران المتساقطة من السماء .

(٥٣) فى قراءة أخرى لنص الكوميديا أعطى أو منح الغذاء .

(٥٤) المقصود بهذا غذاء المعرفة التى لا يشبع منها دانتى .

(٥٥) أى البحر الأبيض المتوسط .

(٥٦) يقصد العصر الذهبى بجزيرة كريت فى عهد ملكها ساتورن ، كما تقول الميتولوجيا القديمة :

Virg. Æn. III. 104; VIII. 319-329.

(٥٧) إيدا (Ida) جبل مرتفع وسط جزيرة كريت مقر زيوس وتكثر به الينابيع :

Hom. Ill. VIII. 47; XII. 19; XV. 151.

(٥٨) فى الميتولوجيا أن ريا (Rhéa) زوجة ساتورن أخفت ابنها جوبيتر فى جبل إيدا لكى تنقذه من بطش أبيه ، الذى سبق أن افترس بعض أبنائه وكانت تخفى صوت بكائه بإحداث أصوات عالية يصدرها بعض أتباعها :

Ov. Fasti, IV. 197-214.

(٥٩) يقصد تمثالا كبيراً صنع من المعادن الأربعة التى تدل على العصور التى مرت بها البشرية ، وكما ورد فى الكتاب المقدس فى رؤيا نبوختنصر ملك بابل :

Dan. II. 31-33.

ووردت هذه الصورة عند أوڤيديوس :

Ov. Met. I. 89 ...

(٦٠) وقف التمثال فى البحر الأبيض المتوسط مركز الحضارة فى العالم ، وينظر مولياً ظهره إلى الشرق مهد الحضارة القديمة ، ويرمز له بمدينة دمياط دون غيرها من المدن لأن شهرتها وصلت أوروبا فى أثناء الحروب الصليبية القريبة إلى عهد دانتى ، ويتجه التمثال صوب روما مهد الحضارة الجديدة .

(٦١) الذهب رمز العصر الذهبى الأول قبل أن يرتكب الإنسان الخطيئة .

(٦٢) الفضة رمز العصر الثانى .

(٦٣) النحاس رمز العصر الثالث .

(٦٤) الحديد رمز العصر الرابع .

(٦٥) الصلصال رمز السلطة الدينية .

(٦٦) القدم اليسرى وهى من الحديد رمز سلطة الأمبراطور .

(٦٧) الدموع رمز الخطيئة .

(٦٨) نهر أكيرونتى سبق ذكره :

Inf. III 71

(٦٩) نهر أو مستنقع استيكس ورد من قبل :

Inf VII. 106.

(٧٠) نهر فليجيتونتى أو نهر الدماء سبق ذكره :

Inf. XII. 47.

(٧١) سيأتى ذكر هذا الممر الضيق :

Inf. XX. III. 46

(٧٢) يعنى أدنى موضع فى الجحيم حيث مركز العالم عند دانتى ، وهناك لا يمكن الهبوط بعد .

(٧٣) سيأتى نهر كوتشيتوس بعد :

Inf XXXII. 22 ...

(٧٤) لم يدرك دانتى أن هذا المجرى هو نهر فليجيتونتى ولذلك سأل ڤرجيليو عن ذلك .

(٧٥) يعنى أنهما سارا حتى الآن إلى اليسار ، ولا داعى للعجب عند رؤية أشياء جديدة .

(٧٦) هذا لأنه سيعرف كل شىء فيما بعد .

(٧٧) يقصد مطر الدموع .

(٧٨) يعنى أن الدم الذى يغلى فى نهر الدماء كان يكفى لأن يوضح لدانتى أنه نهر فليجيتونتى .

(٧٩) نهر ليتى فى الفردوس الأرضى فى المطهر :

Purg. XXVIII. 121...

(٨٠) أى طريق ضيق بين النهر والرمال ، حيث لا تسقط ألسنة اللهب من السماء .

الأنشودة الخامسة عشرة (١)

سار الشاعران فوق ضفة نهر فليجيتونتى ، التى كان يحميها البخار المتصاعد من شواظ اللهب الهاطلة من السماء ، وعندما ابتعدا عن غابة المنتحرين ، رأى دانتى حشداً من المعذّبين أخذوا يحدّقون النظر فيهما . وعرف دانتى أحدهم ، ولم يمنع تشويه وجهه من أثر النيران أن يناديه باسمه ، السيد برونيتو لاتينى ، وجرى بينهما موقف ودّ وصداقة متبادلة ، وعبرّ لاتينى عن رغبته فى السير والتحدّث إلى دانتى بعض الوقت ، فرحب دانتى بذلك ، بل أبدى استعداده للبقاء معه فى الجحيم ، إذا راق ذلك لفرجيليو . قال برونيتو إنه لابد له أن يتحدث وهو يسير حتى لا يشتدّ عذابه بالنار ، وظلّ دانتى سائراً منحنى الرأس ، لأنه كان فوق الضفة المرتفعة ، وحتى يصبح أقرب إلى برونيتّو . وتحدّثا عن الماضى والمستقبل ، وتنبأ لاتينى لدانتى بالمجد العظيم ، وأخبره أن شعب فلورنسا الخبيث الحقود الناكر للجميل سوف يناصبه العداء لجميل صنعه ، لأنه ليس من المناسب أن يثمر حلو التين بين حامض الغُبيراء ، وسأله أن يكون حريصاً على التخلص من مساوئ ذلك الشعب . اعترف دانتى بفضل لاتينى عليه ، وقال إنه سيحتمل كلّ تقلبات الحظّ وتصاريف القدر . وذكر لدانتى أسماء بعض رفاقه فى العذاب ، من القساوسة وأصحاب الشهرة الملوّطين ، وتمنى لو أنه بقى مع دانتى وقتاً أطول ، ولكنه رأى جماعة من المعذّبين تثير غباراً فوق الرمال ، فترك دانتى بعد أن أوصاه خيراً بكتابه ، الكنز ، الذى يحفظ ذكراه فى الدنيا ، وجرى بأقصى سرعة لكى يلحق بجماعته .

١ الآن تحملنا إحدى الضفتين الصلدتين[٢] ، ودخانُ الجدول يبسط فوقُ ظلاً ، لكي يحمى الماء والشاطئين من النار [٣].

٤ وكالفلاميّين ، بين ڤيسانت[٤] وبروجس[٥] ، إذْ يخشون الفيضان الذى يتدافع نحوهم ، فيقيمون سداً يصدّ عنهم البحر[٦] ؛

٧ وكأهل پادوا[٧] ، على طول نهر برنتا[٨] ، فى الدفاع عما لهم من قرىً وقلاع ، قبل أن تشعر كيارنتانا[٩] بالدفء[١٠] —

١٠ على هذه الصورة أقيم ذانك الشاطئان[١١] ، خلا أن الصانع — كائناً من كان[١٢] — لم يشيدهما بمثل تلك الضخامة والارتفاع[١٣] .

١٣ وكنا قد ابتعدنا عن الغابة كثيراً[١٤] ، حتى لم أكن لأتبين أين كانت ، إذا ما اتجهتُ إلى الوراء ،

١٦ حينما لقينا حشداً من النفوس ، قدموا على طول الشاطئ[١٥] ، ونظر كل منهم إلينا ، كما جرتْ العادة فى المساء ،

١٩ أن ينظر الناس بعضهم بعضاً تحت القمر الجديد[١٦] ، وحدّقوا نحونا بأبصارهم هكذا ، كما يحدّق حائك عجوزٌ فى سَمّ الخياط[١٧] .

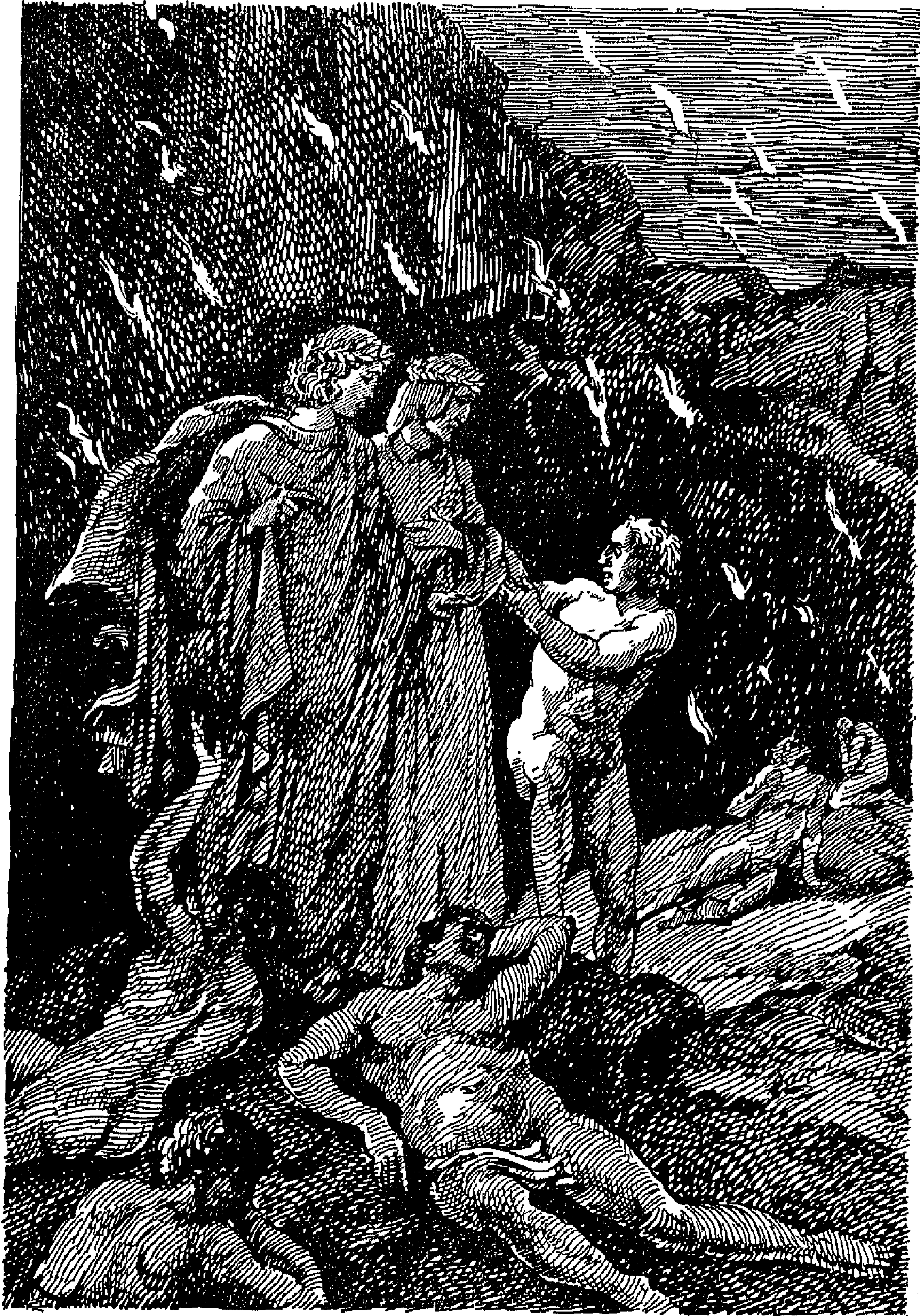
٢٢ وحينما وقع علىّ نظر تلك الأسرة[١٨] ، تعرّف علىّ واحدٌ منها[١٩] ، وأمسكنى من طرف الرداء[٢٠] ، وصاح : « أىّ عجب[٢١] ! » .

٢٥ ولما مدّ ذراعه إلىّ ، حدقتُ بعينى فى وجهه الذى أنضجتْه النار ، حتى لم تمنع سحنته المحترقة

٢٨ ذاكرتى أن تعرفه[٢٢] ؛ وبينما كنتُ أحنى يدى إلى وجهه[٢٣] أجبته : « أنت هنا أيها السيد برونيتّو[٢٤] ؟ » .

٣١ قال لى : « أىْ بنىّ[٢٥] عسى ألا يسوءك أن يعود برونيتو معك إلى الوراء قليلا ، ويترك الحشد يسير[٢٦] » .

٣٤ قلتُ له : « أرجو هذا من كلّ قلبى[٢٧] ؛ وإن أردت أن أبقى معك ، فسأفعل ذلك ، إذا راق لمن أذهب معه[٢٨] » .



٨ – برونيتو لا تيني وشواظ اللهب

أنشودة ١٥ : ٢٢ . . .

٣٧ قال : « يا بنىّ ، كلّ من يتوقف من هذا الحشد لحظةً ، يستلقى بعدئذ مائة عام ، دون أن يروِّح عن نفسه عندما تصْليه النار [٢٩] .

٤٠ ولذلك سرْ قدُماً : وسأتبع طرف ثوبك [٣٠] ، وسألحق بعد ذلك برُفقتى التى تسير باكيةً عذابها الأبدىّ » .

٤٣ لم أجرؤ على الهبوط من الطريق حتى أسير فى مستواه [٣١] ؛ ولكنى بقيتُ منحنى الرأس كرَجل يتقدّم فى خشوع [٣٢] .

٤٦ وبدأ قائلاً : « أىّ حظ أو قدَر [٣٣] ، يسوقك هنا أسفل ، قبل اليوم الأخير [٣٤] ؟ ومَنْ هذا الذى يدلك على الطريق ؟ » .

٤٩ وأجبته : « هناك فى الحياة الهادئة فوقنا فى العالم الأعلى ، ضَللتُ فى وادٍ قبل أن تكتمل منى السنّ [٣٥] .

٥٢ ووليته ظهرى صباح أمس حسبُ [٣٦] : وظهر لى هذا الدليل [٣٧] ، حينما كنتُ أتراجع فيه ، وهو يقودنى فى هذا الطريق إلى المستقر [٣٨] » .

٥٥ قال لى : « إذا أنت اتّبعتَ نجمك ، فلن يفوتك بلوغ المرفأ المجيد [٣٩] ، إن صحّ ما تنبأتُ به فى الحياة الجميلة [٤٠] ؛

٥٨ ولو لَمْ أكن متَّ قبل الأوان [٤١] ، ورأيت السماء رفيقةً بك هكذا ، لكنتُ منحتك العونَ فى عملك [٤٢] .

٦١ ولكن ذلك الشعب الخبيث الناكر للجميل [٤٣] ، الذى هبط قديماً من فييزولى [٤٤] ، ولم يزَلْ محتفظاً بطبيعة الصخر والجبل [٤٥] ،

٦٤ سيصير عدواً لك بجميل صُنعك [٤٦] : ولهذا سببٌ ، إذْ ليس من المناسب أن يثمرَ حلوُ التين بين حامض الغبيراء [٤٧] .

٦٧ سمعةٌ قديمةٌ فى الأرض تصمهم بالعمى [٤٨] ؛ وهم شعبٌ بخيلٌ حسودٌ متغطرسٌ : فاحرص على أن تبرئَ نفسك من عاداتهم [٤٩] .

٧٠ يحفظ لك حظلك رفيعَ الشرف ، حتى يساور النهم عليك هذا الحزب وذاك [٥٠] ؛ ولكنّ العشبَ لن يكون فى متناول العنز [٥١] .

٧٣ فليجعل وحوش فييزولى من أنفسهم حصيداً يابساً[٥٢]، ولكنهم لن يمسوا النبات بأذى[٥٣] ، إذا كان بعضه لا يزال ينبت فى خَبَثِهم ،

٧٦ الذى تنبعث فيه البذرة المقدّسة لأولئك الرومان الذين ظلوا هناك ، حينما بُنِى وكرٌ لهذا الحقد الشديد[٥٤] » .

٧٩ أجبته : « لو كانت رغبتى تحقّقتْ تماماً ، لما كنتَ أبعدتَ عن طبيعة البشر بعدُ[٥٥] ؛

٨٢ إذ بقيتْ راسخةً فى ذهنى ، وهو ما يحزننى الآن[٥٦]، صورتك الأبوية العزيزة الطيبة ، عندما كنتَ تعلمنى فى الدنيا من ساعةٍ

٨٥ لأخرى ، كيف يخلّد المرء نفسه[٥٧] : وطالما أحيا ، ينبغى أن يفصح لسانى : كمْ ذا أعترفُ لك بالجميل[٥٨] .

٨٨ وذلك الذى تقصّه عن مصيرى[٥٩]، أنا أسجله وأحتفظ به ، لكى تفسره لى ، مع غيره من قولٍ[٦٠]، سيدةٌ سوف تعرفه إذا وصلتُ إليها[٦١] .

٩١ وأريد حقاً أن يكون هذا واضحاً لك ؛ ولكيلا يؤنّبنى ضميرى ، فإنى على أهبةٍ للقاء الحظّ كما يريد لى .

٩٤ وليس جديداً على أذنى مثل هذه النبؤة : ولذلك فليُدرْ الحظّ عجلته كما يروق له[٦٢] ، ولْيُعمل الريفىّ فأسه[٦٣] » .

٩٧ عندئذ استدار أستاذى صوب اليمين إلى الوراء، ونظر إلىّ[٦٤] ؛ ثم قال : « مَنْ يحسن إنصاتاً يحسن فهماً[٦٥] » .

١٠٠ وأنا ، برغم ذلك ، أواصل السير متحدثاً مع السيد برونيتو ، وأسأل مَنْ أشهر رفاقه وأعلاهم قدراً[٦٦] .

١٠٣ قال لى : « من الخير أن تعرف منهم بعضاً ، أما الآخرون فالسكوت عنهم أفضل ، لأن الوقت سيقصر عن هذا الكلام الكثير[٦٧] .

١٠٦ واعلم فى كلمةٍ ، أن جميعهم كانوا قساوسةً ، وأدباء عظاماً ، وذوى شهرةٍ واسعة ، ووصَمَتهم فى الدنيا خطيئةٌ واحدة[٦٨] .

١٠٩ بريشان يذهب[٦٩] مع ذلك الحشد البائس ، وكذلك فرنتشيسكو دا كورسو[٧٠] ؛ وإذا رغبتَ أن ترى مثل هذا القذَر ، فإنك مستطيعٌ أن

١١٢ ترى مَنْ[٧١] نقله خادمُ سدَنة الله[٧٢] ، من الأرنو إلى باكيليونى[٧٣] ، حيث ترك أعصابه المرهقة[٧٤] .

١١٥ كم أودّ أن أزيد من القول ، بيدَ أنى لا أستطيع أن أطيل السير والحديث[٧٥] ، فإنى أرى هناك دخاناً جديداً ينبعث من الرمال[٧٦] .

١١٨ يأتى قومٌ ينبغى ألا أكون معهم[٧٧] : فأوصيك بكتابى الكنز ، الذى أحيا فيه بعدُ ، ولست أسأل مزيداً[٧٨] » .

١٢١ ثم قفل راجعاً ، وبدا أنه من أولئك الذين يتسابقون على العلم الأخضر ، فى ريف ڤيرونا[٧٩] ، وظهر من بينهم أنه مَنْ يظفر ،

١٢٤ وليس ذاك الذى يخسر[٨٠] .

حواشي الأنشودة الخامسة عشرة

(١) هذه أنشودة من ارتكبوا العنف ضد الطبيعة أو قصيدة الملوطين ، وتسمى أيضاً أنشودة برونيتو لاتيني .

(٢) هذا هو ما أشار به ڤرجيليو فى الأنشودة السابقة :

Inf. XIV. 139-142.

(٣) سبقت هذه الظاهرة فى الأنشودة السابقة :

Inf. XIV. 90.

(٤) ڤيسانت (Wissant) مدينة صغيرة فى غرب الفلاندر وعلى مقربة من كاليه .

(٥) بروجس (Bruges) مدينة تقع فى شرق الفلاندر . وكانت هذه المنطقة أقرب إلى ساحل بحر الشمال فى عهد دانتى .

(٦) يوازن دانتى بين نهر فليجيتونتى وذلك السد فى بلاد الفلاندر .

(٧) كذلك أقام أهل پادوا حاجزاً يحميهم من فيضان نهر برينتا .

(٨) نهر برينتا (Brenta) فى شمال إيطاليا يمر بپادوا ويصب فى الأدرياتيك .

(٩) كيارنتانا (Chiarentana) منطقة اختلف الباحثون فى تحديدها . قال بعضهم إنها تقع فى الألب الإيطالية ، وقال آخرون إنها منطقة دوقية كارينتزيا فى إليريا ، وكانت تمتد حتى تشمل منبع برينتا وپادوا إلى ١٣٢٢ .

(١٠) يعنى قبل أن يأتى دفء الربيع وينوب الثلج فيفيض نهر برينتا على پادوا . وقد عاش دانتى بعض الوقت فى بادوا وشهد ذلك السد .

(١١) يوازن دانتى أيضاً بين شاطىء فليجيتونتى وذلك السد .

(١٢) يعنى الله .

(١٣) أى أن شاطئى فليجيتونتى كانا أقل ارتفاعاً من سد الفلاندر ومن حاجز برينتا . وفى هذا نوع من السخرية بعمل الإنسان .

(١٤) أى غابة المنتحرين .

(١٥) كان هؤلاء من ارتكبوا العنف ضد الطبيعة كما سبق الإشارة إليهم :

Inf. XI. 48-50; XIV. 24-25.

(١٦) أى نظروا بتدقيق لضعف الضوء وقت المساء ، وفى ظهور الهلال الجديد بعض الأمل فى الرؤية . استمد دانتى هذه الصورة من البشر فى حضن الطبيعة . وتوجد صورة مشابهة عند ڤرجيليو :

Virg. Æn. VI. 268 ...

(١٧) هذه صورة خياط عجوز ضعيف النظر يريد أن يدخل الخيط فى ثقب الإبرة فيكشر حاجبيه ويدقق النظر حتى يستطيع ذلك . وهذه صورة مستمدة من حياة الإنسان فى صناعته . هكذا يعطى دانتى هذا التصوير البارع الذى يدل على دقة الملاحظة ، وكل لفظ فيه عبارة عن صورة .

(١٨) يستخدم دانتى لفظ الأسرة للدلالة على جماعة الملوطين الذين لم يحفلوا بالروابط الأسرية . وفى هذا سخرية بهؤلاء المعذبين .

(١٩) يأتى دانتى فى الأصل بالفعل المبنى للمجهول . ولا يكاد المعنى يتغير بهذا التصرف .

(٢٠) كان دانتى يسير فوق شاطىء نهر فليجيتونتى وكان المعذبون يسيرون فوق الرمال المحترقة التى انخفضت عن مستوى الشاطىء بما يقرب من قامة الإنسان ، ولذلك لم يستطع هذا المعذب أن يلفت نظر دانتى إلا بإمساكه من طرف ثوبه فى أسفل .

(٢١) تعجب المعذب ودهش لأنه كشف أن دانتى إنسان حى .

(٢٢) لم يمنع تشويه وجه هذا المعذب من أن يتعرف دانتى عليه .

(٢٣) يعنى أن دانتى انحنى حتى اقتربت يده من وجه هذا المعذب . وفى قراءة أخرى لنص الكوميديا أن دانتى خفض وجهه لا يده حتى اقترب من وجه المعذب الذى يسير على الرمال . وليس هناك فرق يذكر بين التعبيرين فى الدلالة على المعنى المقصود .

(٢٤) برونيتو لاتينى (١٢١٠ - ١٢٩٤) Brunetto Latini مواطن فلورنسى اشتهر فى مجال الأدب والثقافة وفى ميدان السياسة والوظائف . قام بعدة سفارات إلى الخارج ، وعلى الأخص زيارته لألفونسو العاشر ملك قشتالة . وكان من حزب الجلف . وضع كتاب الكنز (Le Trésor) وهو دائرة معارف باللغة الفرنسية . وكتب الكنز الصغير (Il Tesoretto) شعراً باللهجة التسكانية ، وتعتبر تمهيداً للكوميديا . وكان لاتينى صديقاً لدانتى وفتح له أبواب المعرفة وغرس فى نفسه حب الوطن وتخليد الذكرى . ومات وكان دانتى لا يتجاوز الثلاثين .

(٢٥) يخاطبه بلفظ البنوة ، التى كان يلذ لدانتى سماعها . وهذه كناية عن صلتهما القوية فى الدنيا .

(٢٦) يسأله فى رفق هل من المستطاع أن يرافقه فى سيره قليلا ، وفى هذا حنين المواطن إلى المواطن والصديق إلى الصديق . وما إن رأى برونيتو دانتى حتى أراد أن يصاحبه لكى يستعيد ذكرياته العزيزة بعض الوقت . ويذكر اسمه مع أن دانتى عرفه منذ قليل ، لكى يسمعه رنين هذا الاسم العزيز لديه . وهذه عاطفة مرهفة لا يدركها إلا الإنسان المرهف الحس .

(٢٧) قابل دانتى عاطفة برونيتو بالمثل واستجاب لحنينه وإعزازه .

(٢٨) لا يرجو دانتى بكل قوته أن يبقى مع برونيتو قليلا فحسب ، بل هو مستعد أن يبقى معه فى الجحيم على الدوام ، إذا لم يعترض ڤرجيليو على ذلك . وهذا موقف إنسانى ملىء بالعاطفة .

(٢٩) عقاب من ارتكبوا العنف ضد الطبيعة هو أن يدوروا على الدوام . ومن يتوقف منهم لحظة يبقى مائة عام فى مكان واحد دون أن يستطيع تخفيف شىء من أثر النيران التى تحرقه فوق الرمال .

(٣٠) ولذلك فهو مضطر إلى متابعة المسير ، فيسأل دانتى أن يمضى فى سيره بينما هو يتبعه من أسفل محاذياً لطرف ثوبه . ويوضح هذا إلى أى حد كان برونيتو حريصاً على مرافقة دانتى أى وقت مستطاع .

(٣١) كان دانتى يؤثر أن يهبط لكى يسير إلى جانب برونيتو ، ولكن كان هذا ممنوعاً عليه .

(٣٢) خفض دانتى رأسه لكى يكون أقرب إلى برونيتو . وهذان هما الرجلان اللذان جمع بينهما الوطن والأدب والسياسة .

(٣٣) يشبه هذا قول ڤرجيليو :

Virg. Æn. VI. 531.

(٣٤) أى وهو لا يزال على قيد الحياة .

(٣٥) يقصد بلوغه منتصف العمر ، أى سن الخامسة والثلاثين ، عند ما ضل دانتى سواء السبيل :

Inf. I. 1.

(٣٦) يعنى صباح ٨ أبريل ١٣٠٠ :

Inf. I. 37.

(٣٧) أضفت (الدليل) للإيضاح ، والمقصود ڤرجيليو ، الذى لا يذكر دانتى اسمه للآثمين .

(٣٨) يقصد الفردوس ، ويعتبر دانتى أن هناك مقره .

(٣٩) أى إلى الخلود . ويتفق هذا مع قول دانتى فى الفردوس عن نجمه :

Par. XXII. 112-113.

وكان برونيتو يدرك ملامح العبقرية على دانتى منذ شبابه .

(٤٠) يعنى الحياة الدنيا .

(٤١) أى إذا كان قد عاش حتى يرى دانتى وقد وضع الكوميديا .

(٤٢) أى أنه كان يرجو أن يعيش لكى يفرح بعمل دانتى ويعاونه فيه .

(٤٣) يعنى شعب فلورنسا .

(٤٤) استولى الرومان على فيزولى (Fiesole) وأنشأوا فى مواجهتها فلورنسا . ويقال إن هذا حدث فى عهد يوليوس قيصر ونشأ شعب فلورنسا من بقايا شعب فيزولى ومن بقايا الجيش الرومانى .

(٤٥) أى احتفظ شعب فلورنسا بصفات الصلابة والخشونة .

(٤٦) هذه إشارة إلى ما سيناله دانتى على يد شعب فلورنسا بسبب أعماله الطيبة . وسبق أن تنبأ تشاكو وفاريناتا بنفى دانتى :

Inf. VI 64-69; X. 79-81.

(٤٧) يوازن برونيتو بين دانتى والتين الحلو وبين شعب فلورنسا وأشجار الغبيراء الحامضة المذاق .

(٤٨) تقول قصة قديمة إن پيزا خدعت فلورنسا بإرسالها إليها عمودين تالفين من الرخام كهدية من أجل مساعدتها فى أثناء حملة جزر البليار ، وقبلت فلورنسا الهدية دون أن تفطن إلى التلف ، ولهذا أطلق على شعبها صفة العمى .

(٤٩) هكذا يحرص برونيتو على أن يجنب دانتى أخطاء شعب فلورنسا .

(٥٠) أى أن كلا من حزب البيض وحزب السود سيحرص على الإيقاع بدانتى .

(٥١) يعنى أن دانتى لن يكون فى متناول أعدائه . وكان هذا من الأمثلة السائدة .

(٥٢) أى فليمزق أهل فلورنسا بعضهم بعضاً .

(٥٣) النبات رمز لدانتى وسط الحصيد الجاف اليابس .

(٥٤) هذه إشارة إلى وجود الدم الرومانى فى فلورنسا . ويقصد فلورنسا بوكر الحقد .

(٥٥) أى لبقّى على قيد الحياة .

(٥٦) أى يؤلمه الآن هذا العذاب الذى يلاقيه برونيتو فوق الرمال المحترقة .

(٥٧) لم يكن برونيتو معلماً محترفاً ولكنه كان مرشداً لدانتى وصديقاً له أفاده بثقافته الواسعة .

(٥٨) دانتى معترف بالجميل .

(٥٩) أى ما تنبأ به منذ هنيهة .

(٦٠) أى تنبؤ فاريناتا بنفى دانتى مثلا .

(٦١) يعنى بياتريتشى . وسبق أن قال له ڤرجيليو إنه سيعرف من بياتريتشى مصيره وقصة حياته :

Inf. X. 132.

(٦٢) أى أن دانتى سيحتمل كل تقلبات الحظ وتصاريف القدر .

(٦٣) أى أنه سيحتمل ما يصدر عن إرادة الإنسان . وكان هذا القول من الأمثلة الشائعة فى فلورنسا فى عهد دانتى .

(٦٤) كان ڤرجيليو يسير متقدماً على دانتى ، وكان برونيتو يسير على الرمال وعلى يمين دانتى .

(٦٥) بهذا يطرى ڤرجيليو دانتى ويبدى ارتياحه لإنصاته وحسن فهمه .

(٦٦) كان دانتى لا يزال حريصاً على المزيد من المعرفة .

(٦٧) كان الوقت ضيقاً لا يتسع لحديث طويل ، وهذا تمهيد لافتراقهما .

(٦٨) أى أنهم ارتكبوا اللواط أو العنف ضد الطبيعة ، برغم شهرتهم وكونهم من رجال الأدب ورجال الدين . لم يعف دانتى صديقه برونيتو من العذاب فى الجحيم لأنه اشتهر بهذه الصفة .

(٦٩) پريشان دا تشيزاريا (Priscian da Cesarea) أستاذ اللاتينية فى القسطنطينية فى أوائل القرن ٦ . وضع مؤلفاً كبيراً فى قواعد اللغة اللاتينية نال شهرة واسعة فى أثناء العصور الوسطى .

(٧٠) فرنتشسكو داكورسو (١٢٢٥ – ١٢٩٣ ، Francesco d'Accorso) من أصل فلورنسى وولد فى بولونيا وأصبح أستاذاً للقانون فى جامعتها وعلم القانون فى أكسفورد بعض الوقت ، وجمع فى إنجلترا ثروة طيبة ، ورجع إلى بولونيا . واشتهر بمؤلفاته القانونية وبممارسته الربا .

(٧١) هو أندريا دى موتزى (Andrea dei Mozzi) مواطن فلورنسى عاش فى القرن ١٣ وأصبح من رجال الدين .

(٧٢) أى البابا ، ومن ألقابه خادم خدام الله ، والمقصود بونيفاتشو الثامن .

(٧٣) يعنى أن بونيفاتشو الثامن نقل أندريا دى موتزى من فلورنسا على نهر الأرنو إلى أسقفية ڤيتشينتزا على نهر باكيليونى (Bacchiglione) فى ١٢٩٦ .

(٧٤) أعصابه مرهقة بسبب الخطيئة التى ارتكبها ، وترك أعصابه المرهقة يعنى مات .

(٧٥) كان برونيتو يود أن يطيل الحديث والسير مع دانتى ، ولكن كان لابد من افتراقهما ، وفى هذا تكرار لمعنى الود القديم بينهما .

(٧٦) أثار هذا الدخان الجديد جماعة أخرى من المعذبين فى أثناء مسيرهم .

(٧٧) هذه جماعة أخرى ممن ارتكبوا العنف ضد الطبيعة ، وهم ينقسمون طوائف حسب طبقاتهم ومهنهم . كانت هذه جماعة من شغلوا المناصب السياسية .

(٧٨) يوصيه خيراً بكتابه الكنز الذى يخلد ذكراه فى الدنيا .

(٧٩) كان يقوم هذا السباق فى أرض فضاء على مقربة من ضاحية سانتا لوتشيا بالقرب من ڤيرونا . وكان الفائز فيه ينال علماً أخضر . يعنى أن برونيتو لاتينى جرى بآخر سرعة مثل من اشتركوا فى ذلك السباق ، جرى وهو الرجل المسن العالم المثقف الذى شغل مناصب هامة . وهذا جزء من العقاب الذى رأى دانتى أنه يستحقه .

(٨٠) كان آخر من يصل إلى نهاية السباق ينال ديكاً علامة الهزيمة . وهذه صورة مستمدة من الحياة الاجتماعية التى عرفها دانتى .

الأنشودة السادسة عشرة(١)

سمع الشاعران فى سيرهما دوىّ المياه الساقطة إلى الحلقة الثامنة ، ورأيا أشباح معذبين ثلاثة ، انفصل أصحابها عن جماعتهم ، ودعوْا دانتى إلى الوقوف قليلا ، عندما تبينوا أنه مواطن فلورنسى مثلهم . طلب ڤرجيليو إلى دانتى التريث لأن هؤلاء جديرون بحسن المعاملة . قدم الثلاثة على دانتى وجعلوا من أنفسهم حلقة تدور على الدوام ، وتحدثوا فى دورانهم ، وكان هذا هو عقابهم . كانوا جويدو جويرّا وتيجيايو ألدوبراندى وجاكوپو روستيكوتشى ، وهم فرسان فلورنسيون شجعان اشتهروا بالبطولة والوطنية . وكانت خطيئتهم اللواط ، مثل برونيتو لاتينى ، فى القصيدة السابقة . قال دانتى إنه مواطن من مدينتهم ، وإنه أنصت لأخبارهم دائماً وردّد أسماءهم وأعمالهم المجيدة بكل إعزاز . سأله روستيكوتشى ألا تزال فلورنسا موئلا للشجاعة والكياسة كالعادة . وأجابه دانتى بأن محدَثى النعمة والأرباح العاجلة قد أشاعت الغطرسة والإفراط فى فلورنسا . سأل الثلاثة دانتى أن يذكرهم فى الدنيا عند عودته إليها ، ثم هرولوا إلى جماعتهم، وفى الهرب بدَتْ سيقانهم السريعة كأنها أجنحة . تابع الشاعران المسير ، واقتربا من مسقط مياه كان له دوىّ شديد ، مثل دوى نهر أكواكويتا ، وكان ذلك الدوىّ قميناً بأن يصيب أسماعهما بالصمم . خلع دانتى حبلا كان ملتفاً به حول وسطه ، وناوله لڤرجيليو ، الذى ألقى به فى الهاوية وتوقع دانتى أنه سيرى شيئاً غير مألوف . وأقسم دانتى بأبيات الكوميديا أنه رأى كائناً عجيباً يصعد سابحاً فى الهواء المظلم الكثيف ، ويقترب منهما ، مثل ملاح يأتى إلى الشاطئ ، ويخلص رواسى سفينة تشبثت بحجر تحت الماء ، وهو يمدّ ذراعيه إلى أعلى ويضمّ قدميه .

١ لقد كنت فى مكان يُسمع عنده ، هدير المياه التى اسّاقطتْ فى الدائرة الأخرى[٢] ، مثل الدوى الذى يصنعه النحل[٣] ،

٤ حينما غادرتْ أشباحٌ ثلاثةٌ معاً ، وهى تجرى ، جماعةً[٤] كانت تسير تحت وابلٍ من العذاب الشديد[٥].

٧ أقبلوا نحونا[٦] ، وصاح كل منهم : « قفْ ! يا مَنْ تبدو لنا من زيّك[٧] ، واحداً من مدينتنا المنحرفة[٨] » .

١٠ وا أسفاه ، كم رأيت على أعضائهم من ندوبٍ ، حديثة وقديمة[٩] ، نقشتْها ألسنة اللهب ! ولا أزال أتألم منها لمجرد ذكراها[١٠].

١٣ تنبه إلى صياحهم أستاذى ؛ فلفتَ وجهه إلىّ ، وقال : « انتظر : ينبغى أن يكون المرء رفيقاً بهؤلاء[١١].

١٦ ولولا النار التى تقذف بها طبيعة هذا المكان ، لقلتُ لك إن إسراعك إليهم خيرٌ من إسراعهم إليك[١٢]» .

١٩ ولما وقفنا استأنفوا عويلهم القديم[١٣] ؛ فلما وصلوا إلينا جعل ثلاثتهم جميعاً من أنفسهم حلقةً واحدةً[١٤] ،

٢٢ كما اعتاد أن يفعل أبطال الرياضة العراة المطليّون بالزيت ، وهم يتحيّنون مسكاتهم وفرص ظفرهم ، قبل أن يلتحموا ويتضاربوا فيما بينهم[١٥] ؛

٢٥ وفى دوراتهم هكذا صوّب كل منهم وجهه نحوى حتى أحدثتْ رقابهم تتحرك على الدوام ، فى اتجاه يخالف حركة الأقدام[١٦].

٢٨ بدأ أحدهم : « إذا كان بؤس هذا المكان الرخو[١٧] ووجهنا المشوه المسوَدّ[١٨] ، مما يجلب الزرايةَ علينا وعلى صلواتنا[١٩] ،

٣١ فلعل شهرتنا تحمل عقلك على أن يخبرنا من أنت[٢٠] ، يا مَنْ يحرك قدميك دبيبُ الحياة خلالَ الجحيم بمثل هذا الاطمئنان[٢١] .

٣٤ هذا[٢٢] الذى ترانى أمشى على آثار قدميه ، وإن سار الآن عارياً مشوهاً[٢٣] ، كان رفيع المقام إلى حد لا يدور بخَلَدك :

٣٧ كان حفيد جوالدْرادا الطيِّبة[٢٤]؛ ودعى باسم جويدو جويرًا ، وفى حياته صنع أعمالا كثيرة ، بالرَّأى والسيف .

٤٠ والآخر الذى يطأ الرملَ من ورائى ، هو تيجيايو ألدوبراندى[٢٥]، الذى لابدَّ أن تكون ذكراه حميدة ، فوقنا فى الدنيا[٢٦].

٤٣ وأنا الذى وُضعتُ فى العـــذاب معهما[٢٧] ، كنت جاكوپو روستيكوتشى[٢٨] وفى الحق أن الزوجة المتوحشة تؤذينى أكثر من غيرها[٢٩]».

٤٦ ولو كنتُ فى وقايةٍ من النار لألقيتُ بنفسى بينهم إلى أسفل[٣٠]، وأعتقد أن أستاذى كان سيأذن لى بذلك ؛

٤٩ ولكن لما كنتُ سأحترق وينضج جلدى ، فقد غلب الخوفُ على رغبتى الصادقة ، التى جعلتنى مشوقاً إلى عناقهم[٣١].

٥٢ ثم بدأت : «لمْ تغرس حالتكم زرايةً فى نفسى ، ولكن ألماً يمكث طويلاً قبل أن يغادرنى تماماً[٣٢]،

٥٥ ولما قال لى سيدى هذا كلمات ، جعلتنى كلماته أفكرُ أن قوماً فى مثل حالكم ربما يقدمون[٣٣].

٥٨ أنا من مدينتكم[٣٤] وقد رَدَّدْتُ وأصغيتُ بإعزاز دائماً وأبداً ، إلى أعمالكم وأسمائكم المجيدة[٣٥].

٦١ وإنى أترك مُرَّ العفص وأرتاد حلوَ الثمار التى وعدنى[٣٦] بها دليلى الصدوق؛ ولكن علىَّ أن أهبط أوّلاً إلى القرار[٣٧] » .

٦٤ أجاب بعدُ ذلك المعذَّب : « ألا فلتُحى النفسُ أعضاءَكَ طويلاً[٣٨] ، ولتسطع شهرتك من بعدك ،

٦٧ ولكن أخبرنى ، ألا تزال الشجاعة والكياسة كامنةً فى مدينتنا كالعادة هكذا ، أم نزح ذلك عنها تماماً[٣٩]؛

٧٠ فإن جولْيلْمو بورسييرى[٤٠] الذى يتألم معنا منذ قريب[٤١]، ويسير هناك مع رفاقه ، يعذبنا كثيراً بكلماته[٤٢] » .

٧٣ « إن محدَثى النعمة والأرباح المفاجئة[٤٣] ، وَلدَتْ فيك يا فيورنتزا الغطرسة والإفراط ، حتى لتبكين اليوم من أجله[٤٤] » .

٧٦ هكذا صحتُ ووجهى متطلعٌ[٤٥] ؛ والثلاثة الذين أدركوا أن فى ذلك جواباً ، نظر بعضهم بعضاً كما يواجه الناس الحقيقة[٤٦].

٧٩ أجابوا جميعاً : « إذا كانت مرضاة الآخرين كلَّفتك هكذا قليلاً فى المرّات السابقة ، فإنك لسعيدٌ إذا كنتَ تتكلم كما يروق لك[٤٧] !

٨٢ ولهذا إذا أنت خرجتَ من هذه الأماكن المظلمة ، ورجعتَ إلى رؤية النجوم الجميلة ، وعندما يحلو لك قول إنى كنت[٤٨] ،

٨٥ فاعملْ على أن تحدثَ منا لدَى الناس ذكراً[٤٩] » . وعندئذ فضّوا حلقتهم[٥٠] ، وفى الهرب غدَتْ أجنحةً سيقانهم السريعة[٥١] .

٨٨ ولم يكن مستطاعاً قول آمين ، بمثل هذه السرعة ، بينما كانوا يختفون ، وحينئذ بدا لأستاذى أن نرحل .

٩١ وتبعته ؛ وما إن سرنا قليلاً حتّى اقترب إلينا خرير المياه هكذا[٥٢] ، فلم يكد يسمع لنا صوتٌ[٥٣] .

٩٤ وكذلك النهر[٥٤] الذى يجرى فى أوّل مجرىً مستقل[٥٥] ، من جبل ڤيزو صوبَ[٥٦] الشرق[٥٧] ، على الجانب الأيسر من الأپنين ،

٩٧ والذى يسمى فى أعلى أكواكويتا ، قبل أن يهبط إلى المجرى الأدنى[٥٩] ، ثم يفقد هذا الاسم عند فورلى[٦٠] ،

١٠٠ ويدوّى هناك فوق سان بندتّو[٦١] فى جبال الألب ، وهو يسقط فى منحدرٍ ، حيث ينبغى أن يكون معتصماً لألف شخص[٦٢] —

١٠٣ هكذا فى أسفل شاطئٍ منحدر ، وجدنا تلك المياه القاتمة[٦٣] تدوّى دوياً ، كان ممكناً أن يصمّ آذاننا فى وقت قليل[٦٤] .

١٠٦ وكان معى حبلٌ التفّ من حولى ، وقد فكرتُ مرّةً أن أمسك به ، الفهدة ذات الجلد الأرقط[٦٥] .

١٠٩ وبعد أن فككته كله من حولى ، كما أمرنى بذلك دليلى ، قدمته إليه ملفوفاً مطوياً .

١١٢ وحينئذ استدار إلى الجانب الأيمن ، وعلى مسافة قليلة من الحافة ، ألقى به إلى أسفل[٦٦] ، فى تلك الهاوية السحيقة .

١١٥ قلت فى نفسى : « لابدّ أن يستجيب شىء غير مألوف لهذه الإشارة الجديدة ، التى يتابعها أستاذى هكذا بعينه[٦٧] » .

١١٨ أوّاه ، كم ينبغى أن يأخذ الناس الحذر ، بقرب من لايرون الأعمال وحدها ، ولكن ينفذون إلى الأفكار بذكائهم[٦٨] !

١٢١ قال لى : « سيأتى إلى أعلى توًا ، ما أنا أنتظره وما يحلم به فكرك[٦٩] : وهو ما ينبغى أن ينكشف لعينيك سريعاً » .

١٢٤ يجب على الإنسان دائماً أمام ذلك الصدق الذى له مظهر الكذب ، أن يغلق شفتيه لأقصى ما يستطيع ، وإلا أثار اللوم دون خطيئة[٧٠] ؛

١٢٧ ولكنى لا أستطيع هنا صمتاً ؛ وأقسم لك أيها القارئ بأبيات هذه الكوميديا[٧١] ، ولعلها لا تعوزها الحظوة الطويلة الأمد[٧٢] ،

١٣٠ إنى رأيت فى ذلك الهواء المظلم الكثيف ، كائناً يأتى إلى أعلى سابحاً ، يثير الرعبَ فى كل قلبٍ رابط الجأش[٧٣] ،

١٣٣ وكان كما يعود ذلك الذى يهبط أحياناً[٧٤] ، لكى يخلّص رواسى سفينةٍ تشبثتْ بحجر ، أو بشىء غيره فى البحر مختبئ[٧٥] ،

١٣٦ وهو يمدّ ذراعيه إلى أعلى ويضمّ قدميه[٧٦] .

حواشي الأنشودة السادسة عشرة

(١) هى تكملة للانشودة السابقة ، ويمكن أن تسمى أنشودة الفلورنسيين الثلاثة .

(٢) هذه إشارة إلى الحلقة الثامنة التى أخذ الشاعران فى الاقتراب منها .

(٣) كان صوت المياه الساقطة غير واضح بسبب البعد ، وكان يشبه دوى النحل .

(٤) هذه جماعة من شغلوا وظائف هامة حربية أو مدنية .

(٥) يعنى مطر النيران المتساقطة من السماء .

(٦) كانت هذه الجماعة تسير فى اتجاه مضاد للشاعرين ، يعنى أن هؤلاء الثلاثة جاءوا من ناحية مسقط الهاوية .

(٧) كان دانتى يلبس ما يشبه العباءة ، وفوق رأسه الغطاء الفلورنسى ، كما يبدو فى كل رسومه .

(٨) يعنى فلورنسا التى سادها الفساد والفوضى .

(٩) هذا كناية عما لحقهم من العذاب الشديد .

(١٠) هكذا أحس دانتى بآلام هؤلاء المعذبين .

(١١) أشار ڤرجيليو على دانتى بالانتظار والإنصات لهؤلاء المواطنين الفلورنسيين الذين يجب أن يلقوا كل رعاية وكياسة ، على عكس احتقاره فلورنسيين غيرهم كما سبق :
Inf. III. 49-51.

(١٢) ذلك لأنهم أهل قدر وشرف .

(١٣) كانوا يبكون من الألم ، وأوقفوا بكاءهم لحظة ثم عادوا إلى البكاء .

(١٤) كان عقابهم أن يسيروا على الدوام بغير توقف ، ولذلك جعلوا من أنفسهم حلقة تدور دائماً .

وهناك نوع من الشبه بما جاء فى التراث الإسلامى فى النمامين بين الناس الذين لا يقرون لحظة ، وكذلك بالنسبة لما ورد فى الأنشودة السابقة :

الشعرانى : مختصر تذكرة القرطبى (السابق الذكر) . ص : ٧٦ .

(١٥) كانت تحدث مثل هذه المصارعات عند الرومان واليونان ، كما كانت تحدث فى العصور الوسطى . وهذه صورة من صور الرياضة فى ذلك العصر .

(١٦) كان يدور ثلاثتهم فى شكل عجلة ، وفى الوقت نفسه أداروا رؤوسهم نحو دانتى حتى يمكنهم رؤيته والتحدث إليه .

(١٧) المكان رخو لوجود الرمال .

(١٨) سودت النيران وجوههم وشوهتها وسلختها .

(١٩) لم تكن تقبل لهم صلاة ولا ضراعة .

(٢٠) يسأله المتكلم باسم شهرته أن يخبره عن شخصه .

(٢١) يعنى أن دانتى يسير خلال الجحيم دون أن يخشى النيران .

(٢٢) هو جويدو جويرا السادس من آل جويدى (١٢٢٠ م – ١٢٧٢ (Guido Guerra مواطن فلورنسى من أنصار الجلف ، وتزعم الجلف الخارجين من فلورنسا بعد هزيمة مونتأبرتى ، ثم رجع إلى فلورنسا حيث مات بها ، وامتاز بالشجاعة والفروسية ، ولم تعرف عنه صفة اللواط ، ولكن دانتى اعتبره من الآثمين بسببها .

(٢٣) هذا التشويه من اثر النيران .

(٢٤) جوالدرادا (Gualdrada) زوجة جويدو جويرا الرابع من زعماء الجبلين ، وجاء حفيدها جويدو جويرا السادس من أنصار الجلف .

(٢٥) تيجيايو ألدوبراندى دلى أديمارى (Tegghiaio Aldobrandi degli Adimari) فارس فلورنسى شجاع أصبح عمدة أريتزو بعد منتصف القرن ١٣ ، ونصح حكومة فلورنسا بعدم الخروج لقتال سيينا ، ولكن فلورنسا لم تستمع لرأيه فهزمت قواتها الجلفية فى موقعة مونتأبرتى . ولم تعرف عنه صفة اللواط ، ولكن دانتى جعله من الآثمين بسببها . وسبق أن استفسر عنه :

Inf. VI. 79.

(٢٦) أى أن قوله لم يقبل عندما أشار بعدم خروج الجند الفلورنسى لقتال سيينا ولذلك ينبغى أن يقدر رأيه الآن وتعرف قيمة نصيحته .

(٢٧) يعنى أنه احتمل معهما عذاباً واحداً .

(٢٨) جاكوبو روستيكوتشى (Jacopo Rusticucci) فارس فلورنسى شجاع عاش فى القرن ١٣ ، وكان من حزب الجلف ، وهدم الجبلين منزله بعد موقعة مونتأبرتى .

(٢٩) أساءت إليه زوجته فجعلته يزهد النساء ويرتكب اللواط .

(٣٠) هذا دليل على ما حمله دانتى فى قلبه من التقدير لهؤلاء المواطنين .

(٣١) هكذا غلبت النار رغبته الصادقة فى عناق هؤلاء المواطنين . وهذا تصوير دقيق للرغبة المخلصة فى عناق مواطنى فلورنسا التى وقفت أمامها عقبة النيران .

(٣٢) تأثر دانتى لعذاب مواطنيه أشد التأثر .

(٣٣) هذا استمرار فى إظهار التقدير والإعزاز لهم .

(٣٤) يعنى فلورنسا .

(٣٥) كان دانتى يردد ذكرى أعمال هؤلاء الأبطال ويتخذهم رمزاً للوطنية .

(٣٦) العفص (fele) نوع من شجر البلوط ، وهو رمز للخطيئة . والمقصود بالثمار الحلوة السعادة الأبدية التى وعده بها فرجيليو من قبل :

Inf. I. 112-123.

(٣٧) يعنى أسفل الجحيم حيث يوجد لوتشيفيرو .

(٣٨) يعنى فلتعش طويلا .

(٣٩) هذه إشارة إلى ما لقيه هؤلاء الفلورنسيون على أيدى خصومهم السياسيين .

(٤٠) جوليلمو بورسييرى (Giuglielmo Borsiere) فارس فلورنسى عاش فى القرن ١٣ . وامتاز بالكياسة والرقة وكان يقوم بمهمة المصالحة وإيجاد حسن التفاهم بين النبلاء .

(٤١) ذلك لأنه مات قبيل ١٣٠٠ بينما مات هؤلاء الثلاثة منذ حوالى ربع قرن .

(٤٢) أى يعذبهم بما حمله من أخبار الوطن السيئة .

(٤٣) أى أن أهل الريف الذين وفدوا على فلورنسا حديثاً وكسبوا أموالا سريعة أظهروا الغطرسة وأخلوا بالمقاييس المألوفة .

(٤٤) أدى هذا إلى أن تعانى فلورنسا ويلات جديدة .

(٤٥) رفع دانتى رأسه حتى يبلغ صوته أسماع مواطنيه .

(٤٦) أى أن نظراتهم عبرت عن الدهشة والألم عند ما أكد لهم دانتى حقيقة أثمة جالت بخواطرهم .

(٤٧) يعنى أن دانتى يتكلم بصراحة ويغبطه مواطنوه على ذلك .

(٤٨) أى عند ما يعود دانتى إلى الدنيا ويحلو له أن يتذكر الرحلة التى قام بها إلى عالم ما بعد الحياة .

(٤٩) يشبه هذا قول ڤرجيليو :

Virg. Æn. I. 204.

(٥٠) أى الحلقة التى كونوها منذ وقفوا أمام دانتى .

(٥١) سارعوا إلى الهرب لفوات الوقت ، وفعلوا مثل برونيتولاتينى :

Inf. XV. 121-124.

(٥٢) هذا صوت مياه نهر فليجيتونتى .

(٥٣) ارتفع دوى المياه باقتراب الشاعرين منها فتعذر عليهما سماع كلامهما .

(٥٤) أى نهر مونتونى (Montone) .

(٥٥) أى أنه أول نهر يصب في البحر مباشرة دون أن يلتقى بنهر البو فى عهد دانتى . وأصبح الآن نهر لامونى أول نهر يصب فى البحر مباشرة .

(٥٦) جبل ڤيزو (Monte Viso) فى جبال الألب الأترسكية .

(٥٧) يعنى أنه يصب فى بحر الأدرياتيك مباشرة بعد مروره فى موضع قريب من راڤنا .

(٥٨) أى الجانب الشرقى من جبال الأپنين .

(٥٩) يسمى نهر أكواكويتا (Acquaqueta) من منبعه حتى مدينة فورلى (Foril) .

(٦٠) ويسمى نهر مونتونى من فورلى حتى بحر الأدرياتيك .

(٦١) دير سان بندتو (San Benedetto) فوق مرتفع بهذا الإسم .

(٦٢) ربما كان المقصود بهذا أن آل جويدى أرادوا إقامة بعض المساكن لأتباعهم فى هذا المنحدر لولا سقوط المياه .

(٦٣) أى مياه فليجيتونتى .

(٦٤) هكذا كان دوى المياه يكاد يصم الآذان .

(٦٥) هذه إشارة إلى الفهدة التى اعترضت سبيل دانتى فى أول الجحيم :

Inf. I. 31-43.

ويختلف النقاد فى المعنى الذى يرمز إليه الحبل . ربما يقصد به القانون أو الإيمان أو شارة رهبان الفرنتشسكان كرمز للطهارة والنقاء .

(٦٦) ألقى ڤرجيليو بالحبل على بعد مسافة من حافة الهاوية حتى لا يشتبك بالصخور الناتئة .

(٦٧) استدل دانتى من ملاحظته ڤرجيليو على أن شيئاً عجيباً على وشك الظهور .

(٦٨) يعنى أن ڤرجيليو قرأ أفكار دانتى بإحساسه المرهف .

(٦٩) أى سيأتى سريعاً ما كان دانتى يفكر فيه بطريقة غير واضحة .

(٧٠) هناك حقائق تبدو كالأكاذيب ولا يكاد يصدقها العقل . على الإنسان أن يلزم الصمت أمام هذا الصدق الذى يبدو كذباً ، حتى لا يثير على نفسه لوم الناس دون ذنب .

(٧١) يسمى دانتى كتابه بالكوميديا وسيكرر هذه التسمية بعد :

Inf. XXI. 2.

ويسميه بالقصيدة المقدسة فى الفردوس :

Par. XXV. 1.

(٧٢) يقسم دانتى باسم الكوميديا التى يرجو أن تنال المجد .

(٧٣) هذا هو جيريونى الكائن الخرافى الذى سيأتى بعد :

Inf. XVII. 1. ...

(٧٤) يقصد الملاح .

(٧٥) يشبه هذا قول لوكانوس :

Luc. Phars. III. 697.

(٧٦) هذه صورة الملاح الذى يمسك المرساة بقدميه ويفتح ذراعيه لكى يخرج من الماء .

الأنشودة السابعة عشرة (١)

أشار ڤرجيليو إلى الوحش جيريونى أن يأتى إلى الشاطئ ، وقد كان له وجه الرجل العادل ، وكانت زاحفة بقية أجزائه ، وتسلح ذَنبه بشوكة سامة مثل ذنابى العقرب ، وهو رمز الخيانة وحارس الحلقة الثامنة . اقترب جيريونى من الشاعرين واستقرّ عند حافة الشاطئ . دعا ڤرجيليو دانتى إلى أن يذهب بمفرده إلى مسافة قريبة ليحادث بعض الآثمين ، على حين يتفاهم هو مع جيريونى . وصل دانتى إلى جماعة المرابين الذين ارتكبوا العنف ضد الطبيعة والفن ، وقد انفجر الأسى من عيونهم وبكوا بمرارة ، وأبعدوا النيران عن أنفسهم كما تفعل الكلاب عندما تدفع عن نفسها الحشرات . وحمل كلّ منهم كيس نقوده وعليه علامته المميزة ، وبعضهم من فلورنسا أو من پادوا . تحدث بعضهم إلى دانتى ، ولكنه لم يتكلم هو ، ولم يذكر اسم واحد منهم ، ثم عاد إلى ڤرجيليو . اعتلى الشاعران ظهر جيريونى وتولى دانتى الخوف ، فأحس بما يشبه قشعريرة حمى الربع . ولكن ڤرجيليو شجعه وأحاطه بذراعيه ، وحفظه من الخطر . وتحرّك الوحش فى مثل حركة السفينة التى تبتعد عن الشاطئ ، وهبط وهو يسبح فى الهواء بطيئاً وفى دوائر واسعة . عاد شعور الخوف إلى دانتى وأحس بحركة الهواء عندما لفح وجهه وهبّ عليه من أسفل . وسمع دانتى دوىّ مياه ساقطة وصوت النيران وبكاء المعذبين ، فزاد خوفه . وأخيراً وصل بهما جيريونى إلى القاع عند أسفل صخرة وعرة ، وكان هبوطه فى مثل هبوط الصقر الذى أجهده الطيران دون أن يكسب صيداً . وعندما تخلص جيريونى من ثقله انطلق فى الفضاء انطلاق السهم من القوس .

١ « أنظر الوحش ذا الذنَب المدبّب[٢] ، الذى يجتاز الجبال ويحطم الأسوار والأسلحة[٣] ؛ هو ذا من يلوّث الدنيا بأسرها [٤] ! »

٤ هكذا بدأ دليلى يحدثنى ؛ وأشار إليه أن يأتى إلى الشاطئ ، قريباً من حافة الصخور المرمريّة التى مشينا عليها[٥].

٧ هذه الصورة الكريهة للخيانة ، أتتْ فمدّت الرأسَ والصدر ، ولكن لم تسحب ذَنباً على الشاطئ .

١٠ كان وجهه وجه رجلٍ عادلٍ ، وكان مظهره وديعاً من الخارج[٦] ، وسائر جسمه من الزواحف[٧] ؛

١٣ وكان له مخلبان يكسوهما الشعر إلى الإبطين ؛ والظهر والصدر وكلا الجانبين كلها تُزركشها العُقدُ والحلَق[٨] :

١٦ ما صنع الترك والتتر قطّ ثياباً[٩] فاقتها فى ألوان السَّدى واللُّحمة ؛ ولا أخرجتْ أراكناً مثل ذاك النسيج[١٠].

١٩ وكما تقف صغار السفن[١١] أحياناً على الشاطئ ، جانبٌ فى الماء وعلى الأرض جانب ، وكما يتأهب ، السمّور للقتال[١٢] ،

٢٢ هناك فى أرض الألمان أولى النهم[١٣] ، كذلك وقف شر الوحوش على الحافة ، التى تَلبس الرملَ نطاقاً من الصخر[١٤] :

٢٥ مد كلّ ذنبه فى الفضاء ، وحُمته السامة مرفوعة إلى أعلى ، تُسلّح طرفه مثل العقرب[١٥].

٢٨ قال الدليل : «الآن ينبغى أن ينحرف طريقنا قليلاً[١٦] إلى ذلك الوحش الخبيث الذى يجثم هناك[١٧]» .

٣١ ولذلك هبطنا إلى اليمين[١٨] ، ومشينا عشر خطواتٍ فوق الحافة ، لنتجنب تماماً الرمل واللهب .

٣٤ وحينما وصلنا إليه رأيتُ ، إلى الأمام قليلاً فوق الرمال ، قوماً[١٩] جلوساً بالقرب من المكان الخالى[٢٠].

٣٧ وهنا قال لى أستاذى : « لكى تحيط خُبْراً بهذه الدائرة[٢١] ، اذهب وتفقّد حالهم .

٤٠ وَلْيكن حديثك معهم هناك قصيراً[٢٢] : وإلى أن تعود سأتكلم مع هذا الوحش ، حتى يعيرنا كتفيه القويّتين[٢٣] » .

٤٣ وهكذا ذهبتُ بعدُ وحيداً[٢٤] ، على شفا هذه الحلقة السابعة ، حيث يجلس القوم المعذبون .

٤٦ من عيونهم تفجّر العذاب[٢٥] ؛ يُنحّون بأيديهم إلى هذا الجانب وذاك ، تارةً حميمَ البخار ، وطوراً محترق الأديم[٢٦] .

٤٩ ولا تفعل الكلاب غير ذلك فى الصيف ، بالأنوف أو الأقدام ، عندما تلسعها البراغيث أو ذباب البيوت[٢٧] أو ذباب الدواب .

٥٢ وبعد أن حدّقتُ ببصرى فى وجوه بعضهم ، وقد اساقطتْ عليهم نارٌ أليمةٌ ، لم أعرف منهم أحداً[٢٨] ؛ ولكنى تبينتُ

٥٥ أن كلا منهم تدلى من رقبته كيسٌ[٢٩] ، ذو لونٍ خاص وشعار مُعين ، وقد بدتْ عيونهم مستقرة عليه[٣٠] .

٥٨ وبينما كنتُ أمر بينهم وأجيل النظر ، رأيت فوق كيسٍ أصفر علامةً زرقاء ، كان لها وجه الأسد وزيّه[٣١] .

٦١ ثم رأيتُ ، وأنا أتابع مجرى بصرى ، علامةً أخرى حمراء كالدم ، تُبدى إوزّةً أنصع بياضاً من الزبد[٣٢] .

٦٤ قال لى أحدهم وكان لكيسه الصغير الأبيض ، شعار خنزيرةٍ زرقاء . سمينة[٣٣] : « ماذا تفعل فى هذه الهاوية ؟

٦٧ اذهب الآن ؛ وإذْ كنتَ لا تزال حياً فاعلم أن ڤيتاليانو[٣٤] جارى ، سيجلس هنا إلى جانبى الأيسر .

٧٠ أنا بين هؤلاء الفلورنسيين مواطنٌ پادوى : إنهم يصمون أذنىّ مرّات عديدة ، وهم يصيحون : ألا فليأت أمير الفرسان[٣٥] ،

٧٣ الذى سيحمل الكيسَ ذا العنزات الثلاث[٣٦]! » . وهنا لوَى فمه وأخرج لسانه[٣٧] ، كثورٍ يلحس أنفه .

٧٦ وأنا، وقد كنتُ أخشى أن أُغضب ببقائى طويلاً ، مَنْ أوصانى بالبقاء قليلاً[٣٩] ، رجعتُ القهقرى عن النفوس البائسة .

٧٩ فوجدتُ دليلى الذى كان قد صعد فوق ردْف الوحش المخيف[٤٠] ، وقال لى : « الآن كن قوياً شجاعاً .

٨٢ علينا أن نهبط الآن بمثل هذا السلم[٤١] : اصعد إلى الأمام فإنى أريد أن أكون فى الوسط ، حتى لا يقوى الذنب على أذاك[٤٢] » .

٨٥ وكذلك الذى تدنو منه رعشة حمى الرِّبع هكذا فتبيض أظفاره وترتعد فرائصه ، عند رؤية الظل حسبُ[٤٣] ،

٨٨ هكذا أصبحتُ أمام هذه الكلمات ؛ ولكن تهدّدنى الخجل ، الذى يجعل التابع شجاعاً أمام سيده الطيب[٤٤] .

٩١ فوضعتُ نفسى فوق هاتين الكتفين الرهيبتين : وأردت أن أقول هكذا : « احرص على أن تحضننى[٤٥] » . ولكن الصوت لم يجئ كما اعتقدت[٤٦] .

٩٤ ولكنه وقد حمانى مراتٍ سابقةٍ من أخطار أخرى ، حاطنى بذراعيه ، وأسندنى حينما صعدتُ .

٩٧ وقال : « تحرّك الآن يا جيريونى : وليكن هبوطك بطيئاً وفى دوائر واسعة ، وفكّر فى حملك هذا الجديد[٤٧] » .

١٠٠ وكما تخرج سفينةٌ من الشاطئ وهى تتراجع إلى الوراء[٤٨] ، كذلك ابتعد الوحش ؛ فلما أحس أنه طليق تماماً[٤٩] ،

١٠٣ أدار الذنبَ هناك حيث كان الصدر[٥٠] ، ولما مدّه حركة كثعبان الماء ، وبمخالبه جمع إليه الهواء[٥١] .

١٠٦ وأعتقد أنه – عندما ترك فيتونى[٥٢] أعنّة الجياد ، فاشتعلت السماء كما لا تزال تبدو ، وعندما أحسّ

١٠٩ إيكاروس البائس[٥٣] ، أن جناحيه يفقدان الريش من حرارة الشمع ، بينما كان أبوه يصيح به : "إنك تسلك سبيل الهلاك !" –

١١٢ لم يكن هناك خوفٌ أشد من خوفى ، عندما رأيت الهواء محيطاً بى من كلّ جانب ، وامتنعتْ علىّ كل رؤيةٍ سوى الوحش (٥٤).

١١٥ إنه يمضى سابحاً بطيئاً بطيئاً (٥٥) : يدور ويهبط ولكنى لا أشعر إلا بريحٍ تلفح وجهى من أسفل (٥٦).

١١٨ وكنتُ قد سمعت جهة اليمين مسقط ماءٍ (٥٧)، يحدث تحتنا دوياً مزعجاً ، ولذلك حنيتُ رأسى بعينين خفيضتين .

١٢١ وصرت عندئذ من النزول أشدّ خوفاً (٥٨)، إذْ رأيتُ نيراناً وسمعتُ نواحاً ؛ فربضتُ فى مكانى وقد تملكنى الرعب .

١٢٤ ثم رأيت ما لم أره من قبل : شهدتُ الهبوطَ والدوران فى العذاب الهائل ، الذى اقترب من كلّ الجوانب (٥٩) .

١٢٧ وكالبازى الذى استوى طويلاً على جناحيه ، ودون أن يرى طيراً أو دمية طير (٦٠) ، يجعل البيزار يقول "أوّاه ها أنت ذا تهوى!" ،

١٣٠ ويهبط تعباً ثم يتحرّك مسرعاً فى مائة دورةٍ ، ويحط بعيداً عن سيده (٦١) ، تحدوه الكآبة وتأخذه الخيبة —

١٣٣ هكذا هبط بنا جيريونى إلى القاع ، عند أسفل قدم الصخرة الوعرة ؛ وحينما تخلّص من شخصينا (٦٢) ،

١٣٦ انطلق انطلاقَ السهم من الوتر (٦٣).

حواشى الأنشودة السابعة عشرة

(١) هذه أنشودة من ارتكبوا العنف ضد الفن أو أنشودة المرابين، وتسمى أنشودة جيريونى . وهى أنشودة انتقال للهبوط من الحلقة السابعة إلى الحلقة الثامنة .

(٢) أى جيريونى (Gerione) حيوان خرافى فى الميتولوجيا اليونانية ، وكان ملك جزيرة إيريتيس فى البحار المجهولة فى أقصى الغرب . وصورته الميتولوجيا على أنه حيوان بثلاثة رؤوس وثلاثة أجسام ، وكان يجتذب الناس إلى مأواه ويطعمهم ثم يفترسهم . وتقول الميتولوجيا إن هرقلا عبر حدود العالم البرية نحو الغرب ، ثم ركب البحر حيث قتل جيريونى . استمد دانتى صورة جيريونى من الميتولوجيا ومن الكتاب المقدس . وجعل له رأس إنسان جميل الوجه وجسم زاحفة وذنب عقرب . وهو رمز الخيانة وحارس الحلقة الثامنة :

Virg. Æn. VIII. 202.
Rev. IX. 7, 10, 19; Apocal. IX. 7-11.

(٣) تتغلب الخيانة على كل الحواجز ، وهكذا يفعل جيريونى .

(٤) يلوث الدنيا بأسرها لأنه رمز الخيانة .

(٥) أى على مقربة من شاطىء فليجيتونتى .

(٦) كان له رأس إنسان ووجه الرجل العادل الكريم الرقيق .

(٧) كان سائر جسمه من الزواحف ، يعنى أن وجهه لا يدل على حقيقته .

(٨) هذه الرسوم والحلقات رمز للحيل التى يلجأ إليها الخائن للإيقاع بالناس .

(٩) اشتهر التتر والترك بمنسوجاتهم المزركشة ، وهكذا لا يكاد يفوت دانتى شىء .

(١٠) أراكنا (Arachna) الليدية فى الميتولوجيا اليونانية التى تحدت الإلهة أثينا (مينرفا) فى النسج ، فسخطتها إلى عنكبوت . ويشير دانتى إليها فى المطهر :

Ov. Met. VI. 5-145.
Purg. XII. 43-45.

(١١) المقصود نوع من السفن الصغيرة التى تستخدم فى الأنهار والبحار .

(١٢) السمور (bevero) حيوان ثديى يعيش على حافة النهر ، ويضع ذيله فى الماء لكى يصيد به السمك .

(١٣) ربما نعت دانتى الألمان بصفة النهم لأن الجنود الألمان الذين أرسلهم مانفريد لمساعدة الفلورنسيين المنفيين قد استألهم فاريناتا دلى أوبرتى .

(١٤) أى حاجز الصخر الذى يحيط بالدائرة الثالثة فى الحلقة السابعة ، وهى تحيط بالرمال الملتهبة .

(١٥) يعنى حمة العقرب .

(١٦) أى ينبغى أن ينحرف الشاعران قليلا للوصول إلى جيريونى .

(١٧) استقر جيريونى على بعد قليل من الشاعرين لأنه ساده شعور من عدم الثقة بهما .

(١٨) القاعدة هى السير إلى اليسار فى الجحيم . وهناك استثناء لها فى مواضع قليلة . ربما كان الاستثناء رمزاً للسير فى طريق الإخلاص الذى هو أمضى سلاح ضد الخيانة :

Inf. XIV. 126. IX. 132.

(١٩) هؤلاء هم الذين ارتكبوا العنف ضد الفن .
(٢٠) يعنى عند حافة الهاوية .
(٢١) أى لكى يحصل على معرفة مباشرة .
(٢٢) ربما لضيق الوقت أو لأن الآثمين لا يستحقون حديثاً طويلا .
(٢٣) عند مدخل مدينة ديس ذهب ڤرجيليو وحيداً لكى يحادث الشياطين ، ولم يسمع دانتى ما قاله لهم (Inf. VIII. 112) . وهنا يذهب دانتى وحيداً لمحادثة بعض المعذبين ولا يسمع ما سيقوله ڤرجيليو للوحش جيريونى .
(٢٤) سار دانتى وحيداً لمسافة قليلة ، ولكن كان ڤرجيليو على مقربة منه .
(٢٥) هذا تعبير رائع عن الأسى والألم الشديد الذى تجمع فى النفس ثم انفجر رغماً عن الآثمين .
(٢٦) التهبت الأرض بسقوط النار .
(٢٧) أضفت لفظ (البيوت) للتفرقة بين نوعى الذباب .
(٢٨) لم يتعرف دانتى على واحد من هؤلاء المرابين ، فهو لا يريد أن يذكرهم للناس ، كما لم يتعرف من قبل على واحد من البخلاء :
Inf. VII. 49-54.
(٢٩) يعنى كيس النقود الذى كان يحمله المرابون دائماً .
(٣٠) إنهم يتعذبون بالنظر دائماً إلى أكياس نقودهم .
(٣١) هذه علامة آل جانفيلياتزى (I Gianfigliazzi) الفلورنسيين الذين كانوا من الجلف فى ١٢١٥ ثم مالوا إلى البابوية وأصبحوا من الجلف السود فى ١٣٠٠ ، واشتهر من بينهم بعض كبار المرابين .
(٣٢) هذا شعار آل أوبرياكى (Gli Obriachi) الفلورنسيين وكانوا من الجبلين ، واشتهر من بينهم بعض كبار المرابين .
(٣٣) هذه علامة آل اسكروڤينى (Gli Scrovegni) من پادوا ، واشتهر من بينهم بعض المرابين .
(٣٤) هناك خلاف بين النقاد على تحديد شخصية ڤيتاليانو (Vitaliano) يقال إنه مواطن من پادوا كان لا يزال على قيد الحياة فى أوائل القرن ١٤ .
(٣٥) هو جوڤانى دى بوياموتى (Giovanni dei Buiamonti) الذى أصبح حامل لواء العدالة — أى رئيس الدولة — فى فلورنسا فى ١٣٩٢ . ويعتبر أمير المرابين .
(٣٦) أى عليه علامة فى شكل ثلاث عنزات .
(٣٧) يأتى المرابى أحياناً بحركة عصبية فيلعق شفتيه بلسانه ، وهذه صورة مستمدة من ملاحظة دانتى .
(٣٨) هذا تصوير دقيق مأخوذ من حياة الحيوان .
(٣٩) أى ڤرجيليو .
(٤٠) لم يخبرنا دانتى ماذا دار بين ڤرجيليو والوحش .

(٤١) يعنى أن الهبوط سيكون على ظهر الوحش .
(٤٢) هكذا يبعد ڤرجيليو الأخطار عن دانتى .
(٤٣) يعنى أن دانتى شعر بالخوف ، ويوازن بين خوفه والشعور بحمى الربع (quartana) وهى تتراوح كل أربعة أيام .
(٤٤) يدفع الخجل التابع إلى أن يقوم بواجبه على أحسن وجه أمام سيده الطيب ، وكذلك كانت حال دانتى .
(٤٥) كان دانتى يخشى السقوط من فوق الوحش .
(٤٦) أى أن صوت دانتى لم يخرج كما كان يرجو .
(٤٧) يعنى أنه يحمل دانتى الحى فعليه الهبوط فى بطء .
(٤٨) هذه موازنة دقيقة مستمدة من حركة السفن الصغيرة عند الشاطىء .
(٤٩) أى عند ما ابتعد عن حافة الشاطىء وأحس نفسه طليقاً .
(٥٠) أى أنه استدار وجعل ذنبه مكان صدره .
(٥١) يأخذ الصورة من حركة ثعبان الماء ، ويشبه ذلك حركة السباحة .
(٥٢) فيتون (Phaeton) هو ابن أپولو فى الميتولوجيا اليونانية ، سأل أباه أن يقود عربة الشمس ، ولكنه لم يستطع أن يكبح جماح الخيل فخرجت عن طريقها وأحرقت المجرة ، وكانت الأرض ستحترق لولا أن جوپيتر تدخل وقضى على فيتون :
Ov. Met. II. 47-324.
(٥٣) إيكاروس (Icarus) هو ابن ديدالوس فى الميتولوجيا اليونانية حاول أن يطير بجناحين ألصقهما له أبوه بالشمع ، عندما أراد الهرب من كريت ، ولكنه اقترب فى طيرانه من الشمس ، فسقط الجناحان و وقع فى البحر :
Ov. Met. VIII. 225.
(٥٤) كان خوف دانتى هنا أعظم من خوف فيتون وإيكاروس .
(٥٥) هذا وصف دقيق للهبوط فى الهواء يتفق مع قواعد الطيران .
(٥٦) بهذه التفصيلات جعل دانتى الخيال يبدو كأنه حقيقة .
(٥٧) هذا هو مجرى نهر فليجيتونى وهو يسقط من الحلقة السابعة إلى الحلقة الثامنة .
(٥٨) أصبح خوف دانتى عند التفكير فى النزول أشد من خوفه عند ما اعتلى ظهر جيريونى
(٥٩) رأى دانتى عذاباً هائلا لم يشهد له مثيلا من قبل .
(٦٠) دمية طير يعنى قطعة خشب مكسوة بالريش على صورة الطير يستخدمها البيزار لنداء البازى ودعوته إلى الهبوط .
(٦١) هذا التشبيه مستمد من حياة الصيد .
(٦٢) كان دانتى وحده هو صاحب الثقل المادى .
(٦٣) هذا كناية عن السرعة المتناهية فى الطيران .

الأنشودة الثامنة عشرة(١)

عندما هبط الشاعران عن ظهر جيريونى وجد نفسيهما فى « الماليبولجى » (وديان الشر أو خنادقه) فى الحلقة الثامنة ، وكانت مقسمة إلى وديان تشبه خنادق القلاع فى العصور الوسطى . وخرجت صخور وصلت بين شاطئ هذه الحلقة وسائر الوديان حتى بلغت البئر فى وسط هذا المحيط الخبيث . وكان المكان مقراً لمرتكبى الخيانة . واحتوى كل واد أو خندق على طائفة من الخونة ، لقى كل منهم العذاب الملائم . رأى دانتى فى الخندق الأول القوادين الذين أغروا النساء لمصلحة غيرهم ، وقد ألهب ظهورهم سياط شياطين ذوى قرون . ولقى دانتى واحداً من المعذبين الذى حاول أن يخفى عنه نفسه ، ولكنه عرف فيه ڤينيديكو كاتشانيميكو الذى حرّض أخته على خيانة زوجها ، إرضاء لشهوة مركيز فرّارا . وصعد الشاعران فوق جسر مقوّس مرّ تحته المعذّبون . ورأى دانتى مَنْ أغروا النساء للذّتهم الشخصية ، ومنهم جاسون الذى خدع هيپسپيل بمعسول الكلام ثم هجرها حبلى تنوء وحدها بالإثم والعار . وسمع الشاعران فى الخندق التالى نواحاً وضربات بالأكف . ولم يريا ما فى باطنه لعمقه وإظلامه ، فصعدا فوق جسر ، واستطاعا بذلك أن يريا تحتهما قوماً غطسوا فى غائط من نفايات البشر . وتعرّف دانتى على أليسيو إنترمينى المواطن من لوكّا ، الذى كان يغرى النساء بكلمات لم يتعب منها لسانه . وشهدا أيضاً تاييس الداعرة تمزق نفسها بالأظفار ، ولا تستقر على وضع واحد ، وعوقبت لأنها خدعت عاشقها . واكتفى ڤرجيليو بما شهده دانتى فى هذين الواديين .

١ فى الجحيم مكانٌ يدعى « ماليبولجى[٢] » ، كله من الصخر فى لون الحديد الصدئ ، كالحلقة التى تدور من حوله[٣] .

٤ وفى سرّة هذا الميدان الخبيث ، ينفغر بئرٌ كبيرُ الاتساع عميقٌ ، سوف أصف ترتيبه فى مكانه[٤] .

٧ مستديرةٌ إذاً تلك الحافة الباقية[٥] ، بين البئر[٦] وأسفل الحاجز الصخرى العالى[٧] ، وقاعها منقسمٌ إلى عشرة أودية[٨] .

١٠ وكالصورة التى تبدو عليها الأرض ، حيث تحيط بالقلاع خنادقُ متعاقبةٌ لحماية أسوارها[٩] ،

١٣ كذلك كانت صورة هذه الأودية[١٠] ؛ وكما يوجد فى تلك القلاع جسورٌ صغيرةٌ تصل بين مداخلها والحافة الخارجية[١١] ،

١٦ هكذا تصدر عن أسفل الصخر أحجار تعبر الأودية والشطئان ، إلى البئر التى أوقفتها وتلقتها[١٢] .

١٩ فى هذا المكان وجدنا نفسينا عندما نزلنا عن ظهر جيريونى ، وأخذ الشاعر الجانب الأيسر[١٣] ، وسرْتُ من ورائه .

٢٢ وذات اليمين رأيتُ بؤساً جديداً[١٤] ، وعذاباً غير معروف ، وجلادين جدداً ، زخرَ بهم الخندق الأول[١٥] .

٢٥ فى القاع كان الآثمون عرايا : ومن الوسط إلى هنا أقبلوا بوجوههم نحونا ، وساروا فى الجانب الآخر معنا ، ولكن بخطىً[١٦] أسرع ،

٢٨ كأهل روما عند ازدحام الجماهير فى عام اليوبيل[١٧] ، إذْ جعلوا فوق الجسر نظاماً مهيئاً للعبور[١٨] ؛

٣١ فمِنْ جانبٍ كانت جباه الجميع متجهةً نحو القلعة[١٩] ، ثم يذهبون إلى القديس بطرس[٢٠] ، ومن جانبٍ آخر يسيرون صوبَ الجبل[٢١] .

٣٤ وهنا وهناك رأيت فوق الصخر الكئيب شياطين لها قرونٌ[٢٢] وسياطٌ كبيرةٌ[٢٣] ، يضربون بها الآثمين فى قسوة من الخلف .

٣٧ أوّاه ! كيف جعلهم الشياطين يرفعون سيقانهم عند أولى الضربات ! وحقاً لم ينتظر أحدهم الضربات الثانية ولا الثالثة[٢٤] .

٤٠ وبينما كنتُ أسير ، التقتْ عيناى بواحد منهم ، فقلتُ توًا : « ليست هذه أوّل مرّة أرى فيها هذا الوجه[٢٥] » .

٤٣ ولذلك أوقفتُ قدمىّ كى أتبينه : ووقف معى الدليل الحبيب ، وأتاح لى أن أرجع إلى الوراء قليلاً[٢٦] .

٤٦ وظنّ ذلك المعذّب أنه يخفى نفسه إذا خفض وجهه ؛ ولكن لم ينفعه ذلك كثيراً[٢٧] ، فقلت له : « أنت يا مَنْ تلقى إلى الأرض بصرك ،

٤٩ إذا لم تكن زائفةً ملامح وجهك ، فأنت ڤينيديكو كاتشانيميكو : ولكن ما الذى يأتى بك إلى مثل هذا الحميم اللاذع[٢٨]؟» .

٥٢ فأجابنى : « عن غير رغبة أقول ذلك[٢٩] ؛ ولكن يرغمنى عليه كلامك الصريح ، الذى يجعلنى أذكر العالم القديم[٣٠].

٥٥ لقد كنتُ منْ حمل جيزولا بيلا[٣١] ، على أن ترضى رغبة المركيز[٣٢] ، مهما يكن من تداول هذه القصّة المخزية .

٥٨ ولستُ البولونىّ الوحيد الذى أبكى هنا ؛ بل إن هذا المكان ملىءٌ بنا ، حتى لا توجد الآن ألسنةٌ كثيرةٌ تتعلم

٦١ أن تقول بلساننا « نعم »[٣٣] بين ساڤينا[٣٤] ورينو[٣٥] ؛ وإذا أردتَ يقيناً أو دليلا على ذلك ، فلتستعدْ إلى ذاكرتك قلبنا الحريص[٣٦]» .

٦٤ وبينما كان يتكلم هكذا ، لسعه شيطانٌ بسوطه ، وقال : « اذهب أيها القوّاد ، فليس هنا نساء تباع[٣٧]! » .

٦٧ رجعتُ إلى رفيقى[٣٨] ؛ ثم وصلنا بخطواتٍ قليلة إلى هناك ، حيث خرج من الشاطئ جسرٌ صخرىّ[٣٩].

٧٠ وبخفةٍ بالغة صعدنا فوقه ؛ وفى اتجاهنا إلى اليمين[٤٠] على حافته الوعرة ، رحلنا عن تلك الحلقات الأبدية .

٧٣ ولما صرْنا هناك حيث يتقوس الجسر من أسفل[٤١] ليتيح المرور لمن ألهبتهم السياط ، قال الدليل : « قفْ ، واعمل على أن يصدم

٧٦ وجهك نظرَ هؤلاء الملعونين الآخرين[٤٢] ، الذين لم ترَ وجههم بعدُ ،

لأنهم ساروا معنا فى اتجاهٍ واحد[٤٣] » .

٧٩ ومن الجسر القديم رأينا صَف الآثمين الذى أتى نحونا من الجانب الآخر ، وقد طاردتْهم السياط كذلك[٤٤].

٨٢ قال أستاذى الطيب دون سؤالى[٤٥] : « انظر إلى ذلك العظيم الذى يأتى نحونا ، ويبدو أنه لا يذرف لألمه دمعة[٤٦] :

٨٥ أىّ مظهر ملكىّ لا يزال يحتفظ به ! ذلك هو جاسون[٤٧] الذى حرم الكولكيين[٤٨] ، بالعقل والقلب ، من كبش الذهب[٤٩] .

٨٨ إنه مرَّ بجزيرة ليمنوس[٥٠] ، بعد أن قتلتْ النساء الجريئات القاسيات[٥١] ، ذكورهنّ جميعاً .

٩١ وهناك ، بالحركات وزُخرف الكلام ، خدع هيبسيبيل الشابة التى خدَعتْ من قبل كل النساء الأخريات[٥٢] .

٩٤ ثم هجرها هناك ، حبلى وحيدة ، وتقضى عليه هذه الخطيئة بمثل هذا العذاب ؛ وبذلك نالتْ ميديا الانتقام[٥٣] .

٩٧ ومعه يذهب كل من ارتكب مثل هذا الغدر : وحسبك أن تعرف هذا عن الوادى الأوّل ، ومَن تتمزّق أوصالهم فيه[٥٤] » .

١٠٠ وكنا قد وصلنا حيث يلتقى الطريق الضيق بالشاطئ الثانى ، ويجعل منه كتفاً لجسرٍ جديد[٥٥] .

١٠٣ وهناك سمعنا قوماً ينوحون فى الخندق التالى ، وينشجون بالأنوف[٥٦] ، ويضربون أنفسهم بالأكفّ .

١٠٦ كانت الجوانب مغطاةً بعفنٍ صعّده البخار من أسفل ، وتجمد عليها ، فهو يحارب الأعين والأنوف[٥٧].

١٠٩ القاع شديد العمق حتى لا يكفى مكانٌ لرؤيته ، دون أن نصعد إلى سطح الجسر ، حيث يزداد ارتفاع الصخر[٥٨] .

١١٢ فصعدنا هناك ، وعندئذٍ رأيتُ تحتنا فى الخندق قوماً غطسوا فى غائطٍ ،

بدا أنه نبعٌ من فضَلات البشر[٥٩] .

١١٥ وبينما أفحص القاع بعيني[٦٠] ، رأيتُ واحداً أثقل رأسه القذَرُ هكذا ،
حتى لم يبدُ أعلمانياً كان أم قساً .

١١٨ فصاح بي : « لمَ أنت هكذا حريصٌ على أن تنظر إليَّ أكثر من بقية
المشوهين ؟ » . قلت له : « لأني إذا أحسنت التذكر ،

١٢١ كنتُ قد رأيتك بشعرك المجفف ؛ وأنت أليسيو إنترميني من أهل
لوكّا[٦١] : ولذلك أحدجك بنظرى أكثر من سائر الآخرين » .

١٢٤ عندئذ قال لى وهو يضرب رأسه : « أغرقني فى هذا العمق كلمات
الإغراء ، التى لم يكل منها لسانى أبداً[٦٢] » .

١٢٧ ثم قال لى دليلى : « اعمل على أن تمدّ وجهك إلى الأمام قليلا ، حتى
تبلغ عيناك وجهَ

١٣٠ تلك المرأة النجسة الشعثاء ، التى تمزّق هناك نفسها بأظفارها القذرة ،
وتخر تارةً ، وتقف على قدميها تارةً أخرى[٦٣] .

١٣٣ إنها تاييس الداعرة[٦٤] ، التى عندما سألها عاشقها : " ألى عندك آيات
شكر ؟" ، أجابته : " نعم ، آيات عجب[٦٥] " ! .

١٣٦ ألا فلتقنع عيوننا بما رأت هناك[٦٦] » .

حواشي الأنشودة الثامنة عشرة

(١) هذه أنشودة من ارتكبوا خطيئة إغراء النساء .

(٢) ماليبولجي (Malebolge) لفظ استحدثه دانتي يعني خنادق أو حفر أو أودية الشر والعذاب . وهي مكان لتعذيب من ارتكبوا الخيانة في شتى صورها .

(٣) الخونة قوم لا قلب لهم ، ويخدعون الناس بكل الوسائل ، ولذلك فإن هذه المنطقة صخرية تناسب طبيعتهم .

(٤) أي سيتكلم عن ذلك فيما بعد :

Inf. XXXI-XXXIV.

(٥) هذه هي الحلقة الثامنة .

(٦) البئر يعني الحلقة التاسعة .

(٧) يقصد الحلقة السابعة .

(٨) تنقسم هذه الحلقة الثامنة إلى عشرة أودية يضم كل منها طائفة من المعذبين الذين ارتكبوا الخيانة .

(٩) استمد دانتي هذه الصورة من الخنادق التي كانت تحفر حول القلاع لحمايتها .

(١٠) يعني أودية الحلقة الثامنة .

(١١) كانت توضع جسور صغيرة متحركة تصل بين باب القلعة وحافة الخندق الخارجي الذي يحيط بها .

(١٢) يعني أن الأحجار كونت جسوراً فوق الخنادق يمكن السير فوقها ، وتستمر حتى الخندق أو الوادي الخامس ثم تقطع في موضع وتتصل في موضع آخر .

(١٣) هذه هي قاعدة السير في الجحيم ، وإن وجدت بعض استثناءات ، كما سبق .

ويشبه هذا ما جاء في التراث الإسلامي :

القرآن : التحريم : ٨ ؛ الحديد : ١٢ .

ابن عربي : الفتوحات المكية (السابق الذكر) ج : ١ : ص ٤١٢ .

(١٤) يعني لم ير له مثيلا من قبل .

(١٥) هؤلاء هم الذين أغروا النساء لحساب غيرهم أو لأنفسهم .

(١٦) أي أن المعذبين كانوا فريقين ، أحدهما يسير في اتجاه مخالف لسير الشاعرين ، والآخر يسير في نفس اتجاههما .

(١٧) يعني أول يوبيل أقامه البابا بونيفاتشو الثامن للكنيسة الرومانية في روما في ١٣٠٠ ، وجاء عشرات الألوف من الناس لزيارة الأماكن المقدسة وعبروا جسر سانت أنجلو فوق التيبر .

(١٨) قسموا الجسر قسمين ، قسم للذاهبين وآخر للعائدين ، حتى يسهل العبور .

(١٩) أي يسيرون في اتجاه قلعة سانت أنجلو ، ثم ينحرفون إلى اليسار للوصول إلى كنيسة روما الكبرى . أنشأ الأمبراطور هادريان في ١٢٦ ق . م . مقبرة له ولأسرته في موضع قلعة سانت نجلو ، ثم بنيت القلعة في العصور الوسطى لصد الغزاة البرابرة ، وأضاف إليها البابوات تعديلات كثيرة وعلى الأخص إسكندر السادس ، واتخذها البابوات معقلا في أوقات الخطر . وهي الآن متحف .

(٢٠) سان پيترو — القديس بطرس (San Pietro) يقصد به كنيسة روما الكبرى . أقيمت هذه الكنيسة فى موضع ملعب نيرون الذى لقى فيه ألوف من شهداء المسيحية حتفهم . ويقال إن القديس بطرس قتل فى ٦٧ ، فى موضع المسلة القائمة الآن فى ميدان سان پيترو . وأقام قسطنطين الكبير كنيسة القديس بطرس فى موضع جزء من الملعب القديم ، وكانت فى نصف حجم الكنيسة الحالية ، وبقيت حوالى ١١ قرناً من الزمان . ثم بدأت تتصدع فى منتصف القرن ١٥ . وقرر نيقولا الخامس إعادة بنائها مع التوسع فيها فى ١٤٥٠ . ولكن البابا يوليوس الثانى هدم الكنيسة القديمة ووضع أساس الكنيسة الحالية فى ١٥٠٦ . وبذل كل من ليو العاشر وبولس الثالث جهودهما لإتمام العمل ، واشترك فى ذلك أفذاذ المهندسين ورجال الفن ، ومنهم برامانتى وأنتونيو دا سانجالو وميكلأنجلو الذى أقام قبة سستو وقام ميكلأنجلو ورافايلو برسم صورهما الخالدة بداخلها . واستغرق بناء الكنيسة الجديدة حوالى ١٧٢ سنة وهى تتسع لحوالى ٦٠,٠٠٠ شخص ، وتعتبر من عجائب الدنيا .

(٢١) أى أن الذين يعودون من زيارة الكنيسة يسيرون فى الجانب الآخر من الجسر ويتجهون نحو جبل جوردانو القريب من ذلك المكان .

(٢٢) شياطين بقرون وهذا يناسب هذه الخطيئة .

(٢٣) هذه سياط من الجلد ذات ثلاثة أطراف .

(٢٤) كانت الضربات شديدة حتى رفع المعذبون سيقانهم هربا من الضربات التالية . يشبه هذا بعض ما جاء فى التراث الإسلامى فى عقاب من أهملوا الصلاة أو رموا المحصنات بالفاحشة :

جلال الدين عبد الرحمن السيوطى : كتاب اللآلئ المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة . القاهرة ، ١٣١٧ هـ . ج : ٢ : ص : ١٩٥ .

السمرقندى : قرة العيون (السابق الذكر) . ص : ٨ .

(٢٥) هذا هو ڤينيديكو كاتشانيميتشى (Venedico Caccianemici) من زعماء الجلف فى بولونيا ، شغل عدة وظائف فى شمال إيطاليا فى النصف الأول من القرن ١٣ . أوقع أخته فى طريق الغواية . وربما عرفه دانتى عندما كان يدرس فى بولونيا ، أو عندما زار پستويا . وكان ڤينيدكو عمدتها .

(٢٦) فعل ذلك لكى يتبين ذلك المعذب .

(٢٧) خفض وجهه خجلا ولكن لم يمنع ذلك دانتى من أن يتعرف عليه .

(٢٨) يسأله دانتى عن الخطيئة التى ارتكبها .

(٢٩) لم يكن ليتكلم راضياً عما حدث .

(٣٠) أى أنه لا يستطيع أمام صراحة دانتى سوى أن يتكلم .

(٣١) جيزولا بيلا (Gisola Bella) زوجة نيقولا دا فونتانا وأخت ڤينيديكو الذى حرضها على أن تستجيب لرغبة المركيز وتفرط فى شرفها .

(٣٢) فى الغالب هو المركيز أوبيتزو دست (Obizzo d'Este) مركيز فرارا .

(٣٣) أى أن أغلب أهل بولونيا الذين يقولون (sipa) بدلا من (si) بمعنى نعم جاؤوا لكى يتعذبوا فى هذا المكان من الجحيم .

(٣٤) ساڤينا (Savena) نهير ينبع من الأپنين ويمر إلى الشرق من بولونيا .

(٣٥) رينو (Reno) نهير ينبع من الأپنين ويمر إلى الغرب من بولونيا .

(٣٦) أى القلب الملىء بالحرص على النساء .

(٣٧) هناك خلاف بين النقاد على تفسير لفظ (Gonio) يرى بعض أن المقصود أنه ليس هناك نساء تباع وتشترى بالمال . ويرى آخرون أن المقصود أنه ليس هناك نساء يمكن أن تقعن فريسة للخداع والغواية . والنتيجة متقاربة .

(٣٨) كان ڤرجيليو ينتظر دانتى فى مكانه .

(٣٩) مخرج جسر أو طريق طبيعى من شاطىء الحلقة السابعة إلى الحلقة الثامنة .

(٤٠) ليست هذه مخالفة لقاعدة السير فى الجحيم : لأنه ليس هناك مكان للسير بعد ذلك نحو اليسار لوجود الحاجز المرتفع إلى يسار الشاعرين ، وكانت الخنادق والجسور تقع هنا إلى يمينهما .

(٤١) يتقوس الجسر ويعلو لكى يعطى الفرصة لمرور المعذبين أسفله .

(٤٢) أى احرص على أن يراك هؤلاء المعذبون وتراهم .

(٤٣) المقصود من أغووا النساء لأنفسهم .

(٤٤) هم من أغووا النساء لأنفسهم وقد عادوا من الجانب الآخر فى الخندق .

(٤٥) تكلم ڤرجيليو دون أن ينتظر سؤال دانتى ، فهو يعرفه ويعلم ما يدور بخلده .

(٤٦) يشبه هذا كاپانيو الذى لم يذرف الدمع على الرغم من عذابه الهائل :
Inf. XIV. 46-49.

(٤٧) جاسون (Jason) بطل إغريقى من تساليا كان على رأس حملة من الكولكيين لاسترداد الكبش الذهبى من ملكهم أيتس وساعدته ميديا ابنة الملك فتزوجها ثم هجرها :
Stat. Theb. V. 404-485.
Ov. Met VII. 104-122.

(٤٨) الكولكيون (Colchi) شعب قديم سكن جنوبى القوقاز وعلى ساحل البحر الأسود .

(٤٩) يعنى حرمهم من كبش الذهب بالشجاعة والحيلة والدهاء .

(٥٠) جزيرة ليمنوس (Limnos) فى أرخبيل اليونان ، مر بها جاسون فى طريقه إلى الكولكيين .

(٥١) قتلت النساء كل ذكورهن لأن الرجال تركوهن وشغلوا بالحروب دائماً ، ثم جاؤوا بمحظيات من تساليا .

(٥٢) أنقذت هيپسيپيل (Hypsipyle) أباها تورياس ملك ليمنوس من الموت بالخديعة عند ما قرر نساء ليمنوس قتل كل الذكور ، ثم خدعها جاسون وأغواها وتركها بعد أن حملت منه فى توأمين :
Stat. Theb. V. 435-462.

(٥٣) ميديا (Medea) التى ساعدت جاسون فى الحصول على الكبش الذهبى، نالت الآن لانتقام المناسب لخديعته إياها .

(٥٤) يعنى لا يمكن الكلام عن كل المعذبين ويكفى هذا المثال .

(٥٥) أى عندما ينتهى الجسر الأول الذى يعبر الخندق الأول يأتى الجسر الثانى فوق الخندق التالى.

(٥٦) هذا لشدة ألمهم وبكائهم .

(٥٧) عذابهم أن يغمروا فى العفن الذى يشبه الطين أو العجين ويهاجم عيونهم وأنوفهم . ويشبه هذا بعض ما ورد فى التراث الإسلامى كما سبق .

(٥٨) بارتفاع الشاعرين فوق الجسر المقوس يصبحان أقدر على رؤية ما فى هذا الوادى .

(٥٩) هذا هو عقاب هؤلاء المعذبين الذين أغووا النساء للذّتهم الشخصية .

(٦٠) الفحص أو البحث بالعين تعبير دقيق عن قوة الملاحظة . وضعت لفظ (القاع) بدلاً من هناك أسفل وهذا هو المقصود .

(٦١) هذا هو أليسيو دلى إنترمينلى (Alessio degli Interminelli) فارس من لوكا عاش فى النصف الأول من القرن ١٣ واشتهر بإغواء النساء .

(٦٢) هكذا كان يغوى النساء ويوقعهن فى شباكه بكلامه المعسول .

(٦٣) هذا هو عذابهما الدائم .

(٦٤) تاييس (Thais) شخصية روائية تناولها تيرينتيوس الشاعر الرومانى فى القرن ٢ ق.م. وذكرها تشيشيرون . وهى غانية أثينية عشقها فيدريا وغازلها تراسو الضابط :

Cic. De Amicitia, 98.
Terentuis, Eunuchus, III. 1.

(٦٥) أى أنها تقول بلسانها ما لا تقصده بقلبها ، وتخون عاشقها .

(٦٦) رأى ڤرجيليو أن فى ذلك الكفاية .

الأنشودة التاسعة عشرة(١)

وصل الشاعران إلى الوادى الثالث حيث يعذب أهل السمعانية ، الذين حصلوا على الأشياء المقدسة بالمال دون التقوى . رأى دانتى فى قاع هذا الوادى فتحات متساوية تشبه فتحات معمدان سان جوڤانى فى فلورنسا ، التى حطم دانتى إحداها لإنقاذ طفل أوشك على الغرق فيها . وظهر من كل فتحة ساقا أحد المعذبين الذين كانوا فى وضع مقلوب جزاء خطيئتهم ، واشتعلت النيران فى باطن أقدامهم . كما يحدث للأشياء المطلية بالزيت . استفسر دانتى عن أحد المعذبين ، فحمله ڤرجيليو وهبط به حتى يمكنه الرؤية ، وكان هناك البابا نيقولا الثالث الذى اشتهر بحبه للمال . ظن نيقولا أن دانتى هو بونيفاتشو الثامن ، وقد جاء إلى الجحيم قبل أوانه ، وندد بجشعه وبما جلبه على الكنيسة من العار . ولكن دانتى أوضح له الأمر ، وعنفه على آثامه ، وقال إن القديس بطرس لم ينل من المسيح المفتاحين المقدسين بالمال ، وإن عبدة الذهب والفضة أسوأ من الوثنيين ، لأن الأولين يتخذون آلهة متعددة ، بينما الأخيرون يتخذون إلهاً واحداً . واعتبر دانتى الأمبراطور قسطنطين الأول مسؤولا عن هذه المساوئ ، وعن إفساده الكنيسة بمنحته الدينوية — المزعومة — للبابا سلڤسترو أول البابوات الأثرياء . أبدى ڤرجيليو أمارات الرضا عندما سمع رنين كلمات دانتى الصادقة ، وحمله مرة أخرى ، وعاد إلى الصعود فى الطريق الذى هبط منه ، ووصل به إلى المعبر بين الشاطئ الرابع والشاطئ الخامس ، ثم أنزله برفق فى الطريق الصعب ، وهناك انكشف لدانتى الوادى التالى .

١ سمعان ، أيها الساحر[٢]! ويا أيها الأتباع البؤساء، أيها اللصوص الذين أفسدتم بالذهب والفضة نِعم الله[٣] ، التي ينبغي

٤ أن تقترن بطيب الأعمال[٤] ؛ الآن يجب أن يصدح من أجلكم البوق[٥] ، ما دمتم قد أصبحتم في الخندق الثالث .

٧ وكنا قد صعدنا فوق القبر التالي[٦] ، في ذلك الجانب من الجسر الصخري ، الذي يعلو فوق سرة الخندق .

١٠ أيتها الحكمة العليا[٧] ، أيّ فن هذا الذي تبدينه في السماء وفي الأرض وفي عالم الشر[٨] ، وبأية عدالة توزّعين أفضالك[٩] !

١٣ رأيتُ على الجوانب وفي القاع الحجر القاتم ، مليئاً بفجواتٍ ، كانت جميعها باتساع واحد ، وكانت كلها مستديرة .

١٦ لم تبدُ لي أصغر ولا أكبر من فجوات سان جوفاني[١٠] ، معمداني الجميل[١١] ، التي جُعلتْ مكاناً لمن يزاولون التعميد ؛

١٩ حطمتُ إحداها منذ سنوات غير بعيدة بعدُ ، من أجل طفل كان يغرق فيها[١٢] ، وليكن هذا دليلا يزيل شكوك كل إنسان[١٣].

٢٢ ومن فم كل منها برزَتْ قدما آثمٍ وساقاه حتى الكعبين ، وسائره بقي في الداخل[١٤] .

٢٥ اشتعلت النار في باطن قدميّ كل منهم[١٥]، فاهتزت مفاصلهم بعنفٍ شديد[١٦] ، حتى ليمكنها أن تمزق حبالا من جافّ العشب أو اللبلاب[١٧].

٢٨ وكما تتحرك الشعلة فيما طلاه الزيت ، على السطح الخارجيّ وحده ، كذلك امتدّتْ النار من أعقابهم إلى الأطراف[١٨] .

٣١ قلتُ : « أستاذي ! مَنْ ذلك الذي يتلوّى، وهو يهتز أكثر من سائر رفاقه ، وقد أحرقته نيرانٌ أشدّ احمراراً[١٩] ؟ » .

٣٤ فأجابني : « إذا أردتَ أن أحملك هناك أسفل ، إلى ذلك الشاطئ الذي يزداد انخفاضاً[٢٠] ، فستعرف منه شخصَه وخطاياه » .

٣٧ قلتُ : « كلّ ما يرضيك جميلٌ عندى ومقبول[٢١] : أنت سيدى وتعرف أنى لا أحيد عن مرادك[٢٢] ، وتدرك ما أسكت عنه[٢٣] » .

٤٠ جئنا حينئذ على الشاطئ الرابع : واستدرنا وهبطنا إلى اليسار هناك أسفل ، فى القاع الضيق ذى الفجوات .

٤٣ لم ينزلنى بعدُ أستاذى الطيب عن جنبه[٢٤] ، حتى بلغ بى فجوةَ ذلك المعذب ، الذى بكى بساقيه كثيراً[٢٥] .

٤٦ بدأتُ قائلا : « يا كائناً مَنْ كنتُ ، أنت يا مَنْ تجعل عاليك سافلك[٢٦] ، ويا أيتها النفس البائسة التى غُرستْ كالخازوق ، تكلمى إن اسطعت[٢٧] » .

٤٩ وقفتُ كالراهب الذى يتلقى اعتراف القاتل الغادر ، الذى يناديه حينما يُزرع فى الأرض[٢٨] ، لكى يؤخر رَيبَ المنون[٢٩] .

٥٢ صاح : « أ أنت الواقف هناك ، أ أنت ذا الواقف هناك يابونيفاتشو[٣٠]؟ لقد كذب علىّ كتاب المستقبل منذ عدّة سنين[٣١] .

٥٥ أشبعتَ هكذا سريعاً من تلك الثروة[٣٢] ، التى لم تخش من أجلها أن تأخذ السيدة الجميلة بالخداع[٣٣] ، ثم تجعل منها حطاماً[٣٤]؟ »

٥٨ أصبحتُ مثل أولئك الذين يقفون كمن سُخر منهم ، لأنهم لم يفهموا ما تلقوه من جواب ، فلا يحيرون جواباً[٣٥] .

٦١ حينئذ قال ڤرجيليو : « قلْ له سريعاً : "أنا لست إياه ، أنا لست مَنْ تظن" » . وأجبتُ كما أُلقى علىّ[٣٦] .

٦٤ ولذا هز ذلك المعذّب بعنف كلتا قدميه ؛ ثم قال لى بصوت باك ، وهو يتنهد[٣٧] : « إذاً فماذا تسألنى ؟

٦٧ إذا كان يعنيك هكذا كثيراً أن تعرف من أنا ، حتى سارعتَ كذلك إلى هذه الضفة ، فاعلم أنى ارتديتُ يوماً الثوبَ الأعظم[٣٨] ؛

٧٠ وفى الحق كنتُ ابناً للدببة[٣٩] ، وكنت شديد الحرص على تقدم صغار الدببة ، ففى أعلى اختزنتُ المالَ[٤٠] وهنا نفسى[٤١] .

٧٣ وتحت رأسي ألقى بالآخرين[٤٢] ، الذين سبقونى فى ممارسة السمعانية[٤٣] ،
وقد قبعوا الآن فى فجوات الصخر .

٧٦ وسأهوى سريعاً هناك أسفل ، عندما يأتى مَنْ ظننتُ أنك هو[٤٤] ،
لما وجهتُ إليك سؤالى المفاجئ[٤٥] .

٧٩ ولكن الوقت الذى احترقتْ فيه قدماى ، وكنتُ خلاله هكذا مقلوباً ،
أطول مما سيقضيه هو مغروساً بقدمين مضطرمتين[٤٦] :

٨٢ لأنه سيأتى بعده من الغرب[٤٧] راعٍ دون قانون[٤٨] ، ذو أفعال أشنع ،
يمكن أن تغطيه وتغطينى[٤٩] .

٨٥ سيصبح جاسون الجديد[٥٠] ، الذى يُقرأ عنه فى قصة المكابيين ، وكما
كان ملكه ضعيفاً أمامه ، هكذا سيصبح مَنْ يحكم فرنسا[٥١]» .

٨٨ لا أدرى هل كنتُ شديد الوطأة عليه ، لأنى أجبته بهذا النظم : « أوّاه !
خبرنى الآن : كمْ من كنوز تطلّبَ

٩١ السيد الإله[٥٢] من القديس بطرس ، قبل أن يعهد إليه بالمفتاحين[٥٣] ؟
وبالتأكيد لم يطلب إليه سوى : "اتبعنى[٥٤]" ! .

٩٤ لم ينتزع بطرس ولا الآخرون من متّى ذهباً ولا فضة[٥٥] ، لما اختاره القدَر
للمقام الذى أضاعته النفس الآثمة[٥٦] .

٩٧ ولذا فلتبق هنا ، فإنك تلقى العقاب المناسب ؛ واحفظْ جيداً مالا
سلبته حراماً ، فجعلك جريئاً على الملك شارل[٥٧] .

١٠٠ ولولا أنه لا يزال يمنعنى احترامى للمفتاحين العظيمين ، اللذين احتفظتَ
بهما فى الحياة السعيدة[٥٨] ،

١٠٣ لاستخدمتُ بعدُ كلاماً أشدّ ، لأن جشعك يُحزن الدنيا ، باضطهادك
الأخيار ورفعك شأنَ الأشرار[٥٩] .

١٠٦ لقد توقع يوحنا الإنجيلى[٦٠] راعياً مثلك ، عندما رأى تلك التى تجلس
على الماء[٦١] ، تقترف الفحشاء مع الملوك ؛

١٠٩ تلك التى ولدت بسبعة رؤوس[٦٢] ، واستمدت حيويتها من قرونها
العشرة[٦٣] ، ما دام زوجها مرتاحاً إلى الفضائل[٦٤] .

١١٢ إنكم قد صنعتم من الذهب والفضة إلهاً[٦٥] : وأىّ فرقٍ بينكم وبين الوثنى ، سوى أنه يعبد إلهاً واحداً ، وأنتم تعبدون مائة ؟

١١٥ آه لك ياقسطنطين ! كمْ ذا ولّدَ من الشرور ، لا اعتناقك المسيحية ولكن ذلك الصداق الذى أخذه منك أوّل ثرىٍّ من البابوات[٦٦] ! » .

١١٨ وبينما كنتُ أتغنى بمثل هذه الألحان ، اهتزت كلتا قدميه بقوّةٍ ، إما لوخز الضمير أو عضّة الغضب .

١٢١ وأعتقد حقاً أن ذلك أرضى دليلى ، لأنه أصغى دائماً ، وعلى فمه بسمة الرضا[٦٧] ، إلى رنين كلماتى الصادقة .

١٢٤ ولذلك أخذنى بكلتا ذراعيه : وبعد أن حمل جسمى كله على صدره ، عاد إلى الصعود فى الطريق الذى هبط منه[٦٨] .

١٢٧ لم يلقَ تعباً إذْ حملنى وأنا ملتصقٌ به ، حتى وصل بى إلى قمة الجسر ، الذى هو معبرٌ بين الشاطئ الرابع والخامس .

١٣٠ وهنا أنزل الحملَ برفق[٦٩] ، ووضعه برفقٍ على الصخر المنحدر الوعر ، وهو حتى على المعز معبرٌ صعب[٧٠] .

١٣٣ وهناك كُشفَ لى عن خندقٍ جديد[٧١] .

حواشي الأنشودة التاسعة عشرة

(١) هذه أنشودة السمعانية ، أي من ارتكبوا خطيئة بيع أو شراء الأشياء الروحية بالمال ، سواء أكانوا من رجال الدين أم من العلمانيين .

(٢) سمعان الساحر (Simon) الذى أراد أن يشترى الروح القدس بالمال من القديسين بطرس ويوحنا ، كما ورد فى الكتاب المقدس : Apos. VII. 9-20.

(٣) يعنى أنهم اشتروا بالمال هبات الله ونعمه .

(٤) لا تشترى الأشياء الروحية المقدسة بالمال ، ولكنها تنال بالصلاح والتقوى .

(٥) ربما أراد دانتى القول بأنه ينبغى عليه أن يرفع صوته حتى يسمعوا كلامه . ولعله أراد بذلك الموازنة بصوت البوق الذى كان يصدح عند صدور أحكام القضاة على المتهمين فى زمنه .

(٦) يقصد الخندق التالى . وكل خندق أو واد بمثابة قبر المعذبين .

(٧) أى الله بما أوتى من حكمة .

(٨) يعنى فى الجحيم .

(٩) أى يوزع الله بحكمته العليا الثواب والعقاب بعدالة وجزاء لما فعله الناس من خير وشر .

(١٠) كان معمدان سان جوڤانى (San Giovanni) أهم كنيسة فى فلورنسا قبل إقامة الكاتدرائية ، وسمى باسم حامى المدينة . وكان به مواضع لوقوف القساوسة عندما يقومون بتعميد الأطفال وهى ليست موجودة الآن ، ولكن لا يزال شبيهها قائماً حتى الآن فى معمدان پيزا . ويشير إليه دانتى فى الفردوس: Par. XVI. 25.

(١١) ينعت دانتى معمدان سان جوڤانى بلفظ الجميل ، وقد عمد فيه ، وكان يأمل يوماً أن تتوج فلورنسا هامته فيه بإكليل الشعراء .

(١٢) عند ما كان دانتى أحد أعضاء مجلس السنيوريا فى فلورنسا ، وفى إحدى زياراته لمعمدان سان جوڤانى ، أنقذ طفلا أوشك على الغرق فى حوضه . ويقول بعض المؤرخين إنه كان بالديناتشو دى كاڤيتشولى (Baldinaccio dei Cavicciuli) .

(١٣) المقصود إزالة الشك فى أن دانتى لم يكن يحترم هذا المكان المقدس .

(١٤) كان وضع هؤلاء المعذبين مقلوباً ، لأنهم قلبوا الأوضاع فى الحياة ، ووضع فى كل ثغرة جماعة من المعذبين ، الواحد فوق الآخر ، ولعله كان فى باطن الأرض سرداب يتسع لهم ، ولا يظهر إلا آخرهم ، وإذا أتى معذب جديد يدفع الظاهر إلى داخل الحفرة ويحل مكانه .

وفى التراث الإسلامى بعض الشبه بهذه الصورة من حيث السير على الرؤوس:

الهندى : كنز العمال (السابق الذكر) ج: ٧ ص : ٢٤٦ : رقم : ٢٨٠٩ ، ص : ٢٨٠ رقم : ٣٠٨٨ .

(٥١) هذا المزيد فى تعذيبهم .

(١٦) اهتزت مفاصلهم بعنف من شدة اللهب .

(١٧) يعنى أن اهتزازهم العنيف كان يمزق أقوى الأربطة والقيود .

(١٨) هذا التشبيه مستمد من ملاحظة احتراق سطح مدهون بالزيت أو الشحم .

(١٩) كان عقاب هذا المعذب أشد لأنه من رجال الدين ، وهم أولى باتباع تعاليم الدين . ويجرى دانتى التشبيه بألفاظ سهلة بسيطة تجعل المشهد – برغم غرابته – يبدو حقيقياً .

(٢٠) يبذل ڤرجيليو دائماً كل ما يستطيع لكى يشبع رغبة دانتى فى المعرفة .

(٢١) سبق معنى قريب من هذا : Inf. II. 79.

(٢٢) هذه إشارة إلى معنى سابق : Inf. II. 40.

(٢٣) سبق تكرار هذا المعنى وسيأتى بعد : Inf. X. 18; XVI. 118-120; XXIII. 25.

(٢٤) حمل ڤرجيليو دانتى حتى وصل به إلى مكان ذلك المعذب الذى رآه من أعلى الجسر .

(٢٥) يبكى بساقيه أى يهزهما بعنف ، ولم يكن يستطيع أن يعبر عن بكائه بغير هذه الطريقة .

(٢٦) هذا هو عقاب من باع الأشياء المقدسة بالمال ، وبذلك اتجه إلى الدنيا لا إلى السماء .

(٢٧) هو البابا نيقولا الثالث (١٢٧٧ – ١٢٨٠ . Niccolo III.) الذى باع الدين بالمال وبذلك اتجه إلى الدنيا لا إلى السماء .

(٢٨) كان عقاب القاتل فى العصور الوسطى أن يدفن حياً ورأسه إلى أسفل .

(٢٩) يشبه دانتى نفسه بالراهب الذى يتلقى اعتراف القاتل وهو لا يزال متعلقاً بأهداب الحياة عند تنفيذ العقوبة فيه .

(٣٠) ينادى بونيفاتشو الثامن عدو دانتى اللدود .

(٣١) ظن نيقولا الثالث أن من يحادثه هو بونيفاتشو الثامن – لا دانتى – واعتقد أن كتاب المستقبل قد أخطأ عند ما جاء بونيفاتشو – على ظنه – قبل وفاته فى ١٣٠٢ .

(٣٢) اشتهر بونيفاتشو بجشعه وحبه للمال ، ويتساءل نيقولا هل شبع بما جمعه منذ توليه البابوية فى ١٢٩٤ .

(٣٣) أى الكنيسة . هذه إشارة إلى أن بونيفاتشو حمل تشيليستينو الخامس على أن يعتزل الكرسى البابوى وحل مكانه .

(٣٤) جلب على الكنيسة العار بسوء سيرته .

(٣٥) صور دانتى نفسه كشخص لم يفهم قول نيقولا وتعرض بذلك للسخرية ، فسكت ولم يستطع الكلام .

(٣٦) سارع ڤرجيليو إلى مساعدة دانتى وأشار عليه بالكلام .

(٣٧) تألم نيقولا الثالث لأنه لم يجد أمامه بونيفا تشو الثامن كما اعتقد .

(٣٨) يعنى الثوب البابوى .

(٣٩) المقصود بالدبة البابا نيقولا الثالث من أسرة أورسينى (Orsini) فى روما .

(٤٠) أى اختزن المال فى الدنيا .

(٤١) واختزن نفسه بآثامه فى الجحيم .

(٤٢) أى يوجد تحته بابوات سبقوه فى هذه الخطيئة وهم إنشنتو الرابع (١٢٤٣ – ١٢٥٤) وإسكندر الرابع (١٢٥٤ – ١٢٦١) وأوربان الرابع (١٢٦١ – ١٢٦٥) وكلمنتو الرابع

(١٢٦٥ – ١٢٦٨) .

(٤٣) السمعانية يعنى بيع الأشياء المقدسة بالمال .

(٤٤) أى بونيفاتشو الثامن .

(٤٥) أى السؤال الذى وجهه إلى دانتى فى أبيات ٥٢ – ٥٧ .

(٤٦) بهذا يعبر نيقولا الثالث عن طول العذاب الذى لقيه .

(٤٧) يقصد كلمنتو الخامس (١٣٠٥ – ١٣١٤ Clemento V.) وكان أسقف بوردو من قبل ، ونقل الكرسى البابوى إلى أفنيون وبدأ فترة الأسر البابوى ، واشتهر بحبه للمال . والغرب يعنى فرنسا .

(٤٨) أى أنه لم يعرف القانون السماوى ولا القانون الدنيوى .

(٤٩) أى أن كلمنتو الخامس سيرتكب وحده من الآثام ما يكفى لعذاب اثنين .

(٥٠) هو الأسقف جاسون أو ياسون (Jason) ابن الأسقف سمعان الثانى ، حصل على مركزه الدينى برشوة أنطيوقس ملك سوريا ، كما ورد فى الكتاب المقدس :

Maccab. 2. IV. 7-17; V. 5-10, ecc.

(٥١) أى أن أنطيوقس انحاز إلى جاسون ، وكذلك انحاز فيليپ الجميل فى فرنسا إلى كلمنتو الخامس .

(٥٢) يعنى السيد المسيح .

(٥٣) يعنى مفتاحى السماء كما ورد فى الكتاب المقدس: Matt. XVI. 18-19.

(٥٤) هذا من أقوال المسيح : Matt. IV. 19; Mar. I. 18.

(٥٥) هذه إشارة إلى الكتاب المقدس : Apos. I. 13-26.

(٥٦) المقصود يهوذا الإسخريوطى .

(٥٧) ربما كان المقصود أموال العشور الكنسية أو ثروات أخرى جعلت نيقولا الثالث يقوى على معارضة سياسة شارل دانجو ملك صقلية .

(٥٨) أى فى الحياة على الأرض .

(٥٩) ليس للأبرار ثروة ينالون بها الحظوة بعكس الأشرار الذين يشترون الأشياء المقدسة بالمال . وكم من آثام يرتكبها بعض رجال الدين باسم الدين .

(٦٠) هذه إشارة إلى ما جاء بالكتاب المقدس : Apoc. XVII. 1...

(٦١) يعنى الكنيسة التى أفسدها الذهب : Apoc. XVII. 15.

(٦٢) أى الطقوس السبعة .

(٦٣) يعنى الوصايا العشرة .

(٦٤) أى البابا زوج الكنيسة .

(٦٥) هذا إشارة إلى الكتاب المقدس : Osea, VIII. 4.

(٦٦) هذه إشارة إلى منحة قسطنطين الأول (٣٠٦ – ٣٢٧ م Costantino I.) للبابا سيلفيسترو الأول (٣١٤ – ٣٣٦ Silvestro I .) . ومع أن بطلان وثيقة تنازل قسطنطين عن سلطته الدنيوية لسيلفسيترو لم يثبت إلا فى القرن ١٥ على يد لورنتزو ڤالا ، فإن دانتى لم يعترف

بقانونية هذه المنحة لأن السلطتين الروحية والزمنية مستمدتان عنده من الله مباشرة كما قال فى كتابه « الملكية » : Mon. III. 10, ecc.

(٦٧) فى الأصل الشفة يعنى الابتسامة أو الوجه .

(٦٨) كان ڤرجيليو يحمل دانتى كابن له . هذه صورة من صور الأبوة التى افتقدها دانتى فى حياته الأسرية .

(٦٩) وفى قراءة أخرى أنزل برفق الحمل اللطيف .

(٧٠) هذا دليل على وعورة الطريق ، وقد جنبه ڤرجيليو هذه المشقة .

(٧١) هذا هو الخندق أو الوادى الرابع .

ويشبه هذا نوعاً ما ورد فى التراث الإسلامى من حيث تقسيم جهنم أو الجحيم واحتوائها على أودية وخنادق وآبار وسجون وجسور . . . . :

الشعرانى : مختصر تذكرة القرطبى (السابق الذكر) . ص : ٧٠ ، ٧٤ .

الأنشودة العشرون(1)

رأى دانتى عذاباً جديداً كان عليه أن يصوغه شعراً ، وقد انكشف له خندق رواه بكاء أليم . وشهد قوماً يتقدمون بخطوات بطيئة فى بطن الوادى الرابع ، وكان هؤلاء هم السحرة والعرافون والمنجمون . ورأى دانتى مشهداً عجباً ، إذ التوت رؤوس المعذّبين إلى الخلف وساروا إلى الوراء وبللت دموعهم فلقة الأرداف . تأثر دانتى لما أصاب صورة البشر من الانحراف والتشويه ، فبكى بمرارة وقد اعتمد على صخرة فى الجسر الوعر . عمل ڤرجيليو على تهدئة خاطره وقال له إنه ليس هناك من هو أضلّ من إنسان يأخذه الأسى أمام قضاء الله . وأشار ڤرجيليو إلى بعض هؤلاء السحرة والعرافين مثل أمفياروس وتيريسياس اليونانيين ، وأرونس الأترسكى ، ومانتو ابنة تيريسياس ، التى غادرت اليونان وهامت على وجهها فى الأرض طويلا ، ثم استقرت فى مسقط رأسه . أشار ڤرجيليو إلى بعض المناطق فى شمال إيطاليا ، والتى كان دانتى يعرفها ، مثل الأپنين عند بحيرة جاردا ، وعليها قلعة پسكييرا الحصينة . وقال إن العرافة مانتو استقرت فى أرض قفراء وعاشت هناك ومارست فنون السحر ، وهناك ماتت . ثم شيدت مدينة فوق عظامها الميتة وسميت مانتوا . وأشار ڤرجيليو إلى أوريپيلوس وكالكاس العرّافين اليونانيين ، اللذين أعطيا الإشارة للسفن بالرحيل إلى حرب طروادة . وذكر ڤرجيليو ميكيل سكوت الساحر الإسكتلندى ، وبوناتى المنجم والفلكى من مدينة فورلى ، وأشار إلى أسدينتى الإسكافى من پارما الذى اشتهر بالسحر والشعوذة . وكان القمر قد أخذ فى الغروب وآذنت الشمس بالشروق ، وبذلك حان الوقت لكى يتابع الشاعران رحلتهما .

١ فلأصنع شعراً من العذاب الجديد، وأجعل منه مادّة للأنشودة العشرين[٢]
من أغنيتي الأولى[٣] ، أغنية الغارقين[٤] .

٤ وكنتُ قد تأهبتُ بكلّ مشاعري ، لأنظر في الخندق الذي كُشفَ لي ،
وقد سقاه بكاءٌ أليم[٥] .

٧ فرأيت قوماً في الوادي المستدير ، يأتون[٦] باكين صامتين[٧] ،
بالخطوات التي يسير بها الليتانيون في هذه الدنيا[٨] .

١٠ ولما ازداد انخفاض بصري إليهم[٩] ، بدا لي من العجب أن كلاً منهم
قد التوى ، بين الذقن وأوّل الصدر[١٠] ؛

١٣ إذْ استدار الوجه للكليتين[١١] ، وكان عليهم أن يسيروا إلى الوراء ،
إذْ امتنع عليهم النظر إلى الأمام[١٢] .

١٦ قد يلتوي بعض الناس على هذا النحو تماماً من الشلل ، ولكني لم أرَ هذا
ولا أعتقد أنه يوجد[١٣] .

١٩ فليجعلك الله تجني ثمرة قراءتك أيها القارئ[١٤] ؛ ولتفكر الآن بنفسك
كيف كنتُ أستطيع حفظَ وجهي جافاً من الدموع[١٥] ،

٢٢ عندما رأيت من كثب صورتنا الإنسانية[١٦] منقلبةً على هذا الوضع ،
حتى بلل بكاء الأعين منهم قناة الردْفين[١٧] !

٢٥ بكيتُ حقاً ، وقد اعتمدتُ على صخرةٍ من الجسر الوعر[١٨] ، حتى قال
لي رفيقي : « أأنت أيضاً من الحمقى الآخرين[١٩] ؟

٢٨ هنا تعيش الرحمة عندما تموت تماماً[٢٠] : ومَنْ أضلّ ممَّنْ يأخذه
الأسى أمام قضاء الله[٢١] !

٣١ ارفع الرأس ، ارفع ، وانظر إلى مَنْ انفتحتْ له الأرض أمام أعين أهل
طيبة ، فصاحوا جميعاً : " إلى أين تهوى

٣٤ يا أمفياروس[٢٢] ؟ ولماذا تترك الحرب ؟ " . إنه ما انفك يهبط في الهاوية
إلى مينوس[٢٣] ، الذي يقبض على كل آثم[٢٤] .

٣٧ تطلّعْ إلى مَنْ جعل من كتفيه صدراً : ولأنه أراد أن يرى إلى الأمام
كثيراً ، فهو ينظر الآن إلى الوراء ، ويسير في مضيقٍ إلى الخلف[٢٥] .

٤٠ وانظر إلى تيريسياس[٢٦] الذى غيّر مظهره ، حينما تحوّل من رجلٍ إلى امرأة ، وقد بدّل كلّ أعضائه .

٤٣ ثم كان عليه أن يضرب بعصاه الثعبانين المتعانقين مرةً أخرى[٢٧] ، قبل أن يستعيد ريشَ الذكر[٢٨] .

٤٦ ذلك هو أرونس[٢٩] ، الذى يسند ظهره إلى بطن تيريسياس[٣٠] ، والذى كان له — فى جبال لونى[٣١] حيث يطهّر الأرض[٣٢] أهل كارّارا الساكنون فى أسفل —

٤٩ كهفٌ لسكناه ، بين المرمر الأبيض ، حيث لم تمتنع عليه عند النظر ، رؤية النجوم والبحر[٣٣] .

٥٢ وتلك التى تغطى ثدييها اللذين لا تراهما[٣٤] ، بجدائل محلولةٍ ، ولها فى الجانب الآخر كلّ جلد أشعر[٣٥] ،

٥٥ كانت هى مانتو[٣٦] التى جابتْ بلاداً كثيرة ، ثم استقرت هناك حيث ولدتُ[٣٧] ، ولذلك يسرنى أن تنصت إلىّ قليلا .

٥٨ بعد أن غادر أبوها الحياة ، واستُعبدتْ مدينة باخوس[٣٨] ، هامتْ على وجهها فى الأرض طويلا .

٦١ فى أعالى إيطاليا الجميلة ، وعلى سفح جبال الألب ، التى تغلق ألمانيا فوق التيرول[٣٩] ، تستلقى بحيرةٌ تدعى بيناكوس[٤٠] .

٦٤ أعتقد أن الأپنين[٤١] خلال ألف نبع وأكثر ، بين بحيرة جارْدا ووادى كامونيكا ، يرتوى بالماء الذى يسكن فى تلك البحيرة .

٦٧ وفى الوسط مكانٌ[٤٢] ، هناك حيث استطاع راعى ترنتو وراعى بريشا والڤيرونىّ أن يمنحوا البركات ، إذا ساروا فى ذلك الطريق[٤٣] .

٧٠ تجثم پسكييرا[٤٤] القلعة الجميلة القوية ، فى مواجهة أهل بريشا وأهل برجامو ، حيث يزيد هبوط الشاطئ من حولها[٤٥] .

٧٣ وهناك لابدّ أن يفيض كلّ ما لا يقوى على البقاء فى بطن بيناكوس ، وفى أسفل يصنع من نفسه نهراً خلال المروج الخضراء[٤٦] .

٧٦ حينما تبدأ المياه فى جريانها ، لا تسمى بيناكوس بعدُ ، ولكن تدعى مينتشو حتى مدينة جوفرنو ، حيث تسقط فى نهر البو[٤٧] .

٧٩ ولا تجرى كثيراً حتى تجد منخفضاً ، تنساب فيه وتتحول إلى مستنقع ، اعتاد أن يصير وخيماً فى الصيف أحياناً[٤٨] .

٨٢ وبينما كانت العذراء المتوحشة[٤٩] تمرّ هناك ، رأتْ وسطَ المستنقع أرضاً غير ذات زرعٍ وعاريةً من السكان .

٨٥ ولكى تهرب من كل علاقة بالبشر ، استقرتْ مع خدمها هناك ، حتى تمارس فنونها[٥٠] ، وعاشت ، وهناك تركت جسدها رفاتاً[٥١] .

٨٨ والرجال الذين تفرّقوا بعدئذ حوله ، اجتمعوا عند ذلك المكان وقد كان منيعاً بالمستنقع الذى أحاطه من كل جانب .

٩١ وشادوا المدينة فوق تلك الأعظم النخرات[٥٢] ؛ وباسم تلك التى اختارت المكان أوّلا ، سمّوها مانتوا ، دون كهانةٍ أخرى[٥٣] .

٩٤ وكان السكان بداخلها قد أصبحوا أكثر عدداً ، قبل أن يتلقى جنون الكونت كازالودى[٥٤] غدْرَ بيناموتى[٥٥] .

٩٧ ولذلك أوصيك — إذا سمعت أبداً أن مدينتى نشأتْ عن أصلٍ مغاير — ألاّ تجعل أكذوبةً تطمس الصدق[٥٦] » .

١٠٠ قلت : « أستاذى ! إن كلماتك أكيدة لدىّ تماماً ، وهى تسيطر على إيمانى ، حتى ليبدو لى ما عداها كفحمٍ خبت جذوته[٥٧] .

١٠٣ ولكن خبّرنى عن القوم الذين يتقدمون ، إذا وجدتَ من بينهم واحداً يستحق الذكر[٥٨] ؛ لأنه لا يشغل ذهنى سوى ذلك » .

١٠٦ عندئذ قال لى : « ذلك الذى تتدلى لحيته من خدّه على كتفيه الداكنتين حينما خلتْ اليونان من الذكور ،

١٠٩ حتى لم يكد يبقى أحدٌ فى المهد[٥٩] — كان عرّافاً ، وأعطى هو وكالكاس[٦٠] الإشارة لقطع أوّل حبل[٦١] فى أوْليس[٦٢] .

١١٢ كان اسمه أوريبيلوس[٦٣]، وهكذا تتغنى به مأساتى الرفيعة فى موضع منها[٦٤] : وإنك تعرفه جيداً ، أنت يا مَن تعرفها كلها .

١١٥ وذاك الآخر الذى يبدو فى الجنبين شديد الهزال ، كان ميكيل سكوت[٦٥] ، الذى عرف حقاً ألاعيب الخدع السحرية .

١١٨ وانظر جويدو بوناتى[٦٦] ؛ وانظر إلى أسدينتى[٦٧] الذى يتمنى الآن لو أنه التزم العملَ فى الخيط والجلد ، ولكنه يندم بعد الأوان .

١٢١ وانظر إلى البائسات اللائى تركنَ الإبرة والمغزل والمنسج ، وجعلنَ من أنفسهنّ عرّافات ؛ وصَنعنَ من العشب والدمى طلاسم[٦٨] .

١٢٤ ولكن تعال الآن ، فإن قابيل بأشواكه[٦٩] ، يسيطر على حدود نصفى الكرة ، ويلمس الموج عند أشبيلية[٧٠] ،

١٢٧ وكان القمر قد صار بدراً مساء أمس[٧١] : وينبغى أن تذكر هذا جيداً ، لأنه لم يؤْذك مرّةً فى الغابة العميقة[٧٢] » .

١٣٠ هكذا تحدّث إلىّ إذْ كنا نسير .

حواشى الأنشودة العشرين

(١) هذه أنشودة العرافين والمنجمين .

(٢) يعنى لفظ (canto) أنشودة أو نشيد أو قصيدة . وفى اللفظ دلالة على الغناء والموسيقى .

(٣) يعنى الجحيم الجزء الأول من الكوميديا .

(٤) أى الغارقين فى عذاب الجحيم .

(٥) هذه هى دموع العرافين والمتنبئين بالغيب .

(٦) أى أنهم يقتربون .

(٧) قد يكون البكاء الصامت أشد من البكاء المصحوب بالصوت .

(٨) الليتانى (letane) صلاة خاصة أو عامة . يسير القساوسة فى موكبهم وئيداً لأدائها ، وهى صلاة تكفير ودعاء لزوال الأوبئة ورفع الأخطار ، ووجدت فى الكنيسة الشرقية والكاثوليكية والبروتستانتية .

(٩) لم يلحظ دانتى المشهد العجيب لأول وهلة ، ولكن عند ما تابع المعذبين ببصره رأى أمراً عجباً .

(١٠) يعنى التوت رقابهم ورؤوسهم إلى الخلف .

(١١) أى نحو الظهر أو الخصر .

(١٢) ذلك لأن العرافين حاولوا أن ينظروا المستقبل ، وهم لا يرون الآن ما أمامهم .

(١٣) يحاول دانتى أن يفسر هذه الظاهرة الغريبة ، ويستمد الصورة من مرض الشلل .

وفى التراث الإسلامى بعض الشبه بهذه الصورة فى عقاب من لم يؤمنوا بكتاب الله :

القرآن : النساء : ٤٧ .

أبو جعفر محمد الطبرى : كتاب جامع البيان فى تفسير القرآن ، القاهرة ، ١٣٢٣ هـ . ج : ٥ : ص : ٧٧ .

الشعرانى : مختصر تذكرة القرطبى (السابق الذكر) . ص : ٤٧ .

الغزالى : إحياء علوم الدين (السابق الذكر) . ج : ٤ : ص ٢٦ .

(١٤) يعتقد دانتى أن من يقرأ الكوميديا يتعلم .

(١٥) أضفت (من الدموع) لإيضاح المعنى .

(١٦) أضفت (الإنسانية) لإيضاح المعنى .

(١٧) سالت دموع المعذبين على ظهورهم حتى فلقة الأرداف .

(١٨) سبق أن رأى دانتى ألواناً من العذاب ، ولكنه فى كل مرة كان يرى الإنسان فى صورته المألوفة ، وفى هذه المرة رأى الإنسان وقد اختلفت صورته فى هذا الوضع الغريب ، فبكى بمرارة وأسند رأسه إلى حجر ناتىء فى الجسر الوعر . وهذا هو دانتى الشاعر الفنان المرهف الحس الذى يشارك المعذبين آلامهم فتسيل عبراته .

(١٩) يحاول ڤرجيليو أن يكفكف من دمع دانتى ، ويريد أن يقول إن الرجل العاقل لا يجد فى عذاب هؤلاء العرافين مبررا للبكاء . ولكن دانتى لا يستطيع سوى أن يبكى آلام هؤلاء المعذبين .

(٢٠) يعنى أنه لا يجوز البكاء فى الجحيم وإبداء الرحمة حيث ماتت كل رحمة .

(٢١) ينطق ڤرجيليو بهذه الحكمة لكى يهدئ من روع دانتى .

(٢٢) أمفياروس (Amphirus) أحد الملوك السبعة فى الميتولوجيا اليونانية الذين ساروا لحصار طيبة لإعادة بولينيسى إلى العرش ، وقد تنبأ بأنه سيموت فى هذه الحملة ، وحاول بذلك أن يتجنب الحرب ، ولكن جوپيتر فغر الأرض أمامه فطوته فى جوفها : Stat. Theb. VII. 690-823.

(٢٣) مينوس قاضى الجحيم : Inf. V. 4-15.

(٢٤) أضفت لفظ (آثم) لإيضاح المعنى .

(٢٥) هكذا ينال العرافون والمنجمون عقابهم .

(٢٦) تيريساس (Tiresias) عراف طيبة فى أثناء حرب طروادة :

Ov. Met. III. 324-331.

(٢٧) تقول الأسطورة إن تيريسياس تحول إلى امرأة عند ما ضرب بعصاه ثعبانين متعانقين لكى يفرقهما ، ولم يستعد رجولته إلا بعد سبع سنوات عند ما ضرب ثعبانين متعانقين مرة أخرى .

(٢٨) المقصود اللحية ومظاهر الرجولة .

(٢٩) أرونس (Aruns) عراف أترسكى تنبأ بانتصار قيصر على پومپى :

Luc. Phars. I. 584-588.

(٣٠) أضفت لفظ (تيريسياس) للإيضاح .

(٣١) جبال لونى (Luni) على مقربة من كارارا (Carrara) . وهى جبال مشهورة بالمرمر الأبيض منذ عهد الرومان . وزار دانتى هذه المنطقة فى حوالى ١٣٠٦ .

(٣٢) يعنى تطهير الأرض من الأعشاب الضارة بزراعتها .

(٣٣) أى أنه استطاع فى الكهف أن يرى النجوم والبحر عندما كان يتنبأ بالمستقبل .

(٣٤) لم ير دانتى ثديى هذه الآثمة لأنها سارت بوجهها المعكوس إلى الخلف .

(٣٥) أى الجزء الأمامى من الجسم الذى ينبت عليه بعض الشعر ، ويقصد الشعر حول عضو التناسل . وهكذا لا يكاد يفلت جزء من جسم الإنسان من ملاحظة دانتى .

(٣٦) مانتو (Manto) هى ابنة تيريسياس ، غادرت وطنها بعد موت أبيها لكى تتجنب طغيان كريون .

(٣٧) أى استقرت فى موضع مانتوا ، وهى مكان ميلاد ڤرجيليو : Virg Æn. X. 199

(٣٨) أى عندما أصبحت طيبة — مدينة باخوس — تحت طغيان كريون .

(٣٩) هى الجبال الواقعة بين وادى كامونيكا ووادى الأديج فى شمال إيطاليا .

(٤٠) بيناكوس (Benacus) هو الإسم القديم لبحيرة جاردا فى شمال إيطاليا .

(٤١) المقصود بالأپنين هنا الجبل الذى يقع غربى بحيرة جاردا .

(٤٢) اختلف النقاد فى تحديد ذلك الموضع الذى كانت تلتقى فيه حدود هذه الأسقفيات

الثلاثة ، وترك دانتى المكان دون تحديد .

(٤٣) أى عند ما كان الأساقفة يخرجون لمباشرة وظائفهم الدينية .

(٤٤) پسكييرا (Peschiera) مدينة محصنة فى جنوبى شرق بحيرة جاردا ، اتخذها أهل ڤيرونا كقلعة أمام هجمات أهل بريشا (Brescia) وأهل برجامو (Bergamo) .

(٤٥) يلى پسكييرا أرض منخفضة .

(٤٦) هذه مروج ڤيرونا الخضراء .

(٤٧) يخترق نهر مينتشو (Mincio) مروج ڤيرونا ثم يصب عند مدينة جوڤرنو (Governo) فى نهر الپو .

(٤٨) عند مانتوا وقبل نهر الپو تبدأ المستنقعات التى تساعد على نشر الأوبئة .

(٤٩) يقصد مانتو العرافة السالفة الذكر .

(٥٠) أى تمارس التنجيم والسحر .

(٥١) يعنى أنها ماتت هناك .

(٥٢) أى حيث خلفت مانتو عظامها : Virg. Æn. X. 198...

(٥٣) سميت المدينة مانتوا (Mantua) وهو مشتق من مانتو دون الاستعانة بالكهانة والسحر ، كما كانت العادة عند اختيار أسماء المدن قديماً .

(٥٤) سيطر آل كازالودى (1 Casalodi) على مانتوا فى ١٢٧٢ ولكنهم كانوا موضع كراهية الشعب .

(٥٥) هذا هو پينامونتى دى بوناكورسى (Pinamonte de Buonaccorsi) الذى نصح الكونت ألبرتو دى كازالودى بأن ينفى كل الأمراء البارزين من مانتوا ، حتى لا يكونوا مصدر خطر عليه . ولما تم ذلك تزعم الشعب وقتل البقية الباقية من الأسر البارزة وطرد الكونت ألبرتو وسيطر على مانتوا حتى ١٢٩١ . والمقصود بجنون الكونت كازالودى استماعه إلى رأى پينامونتى المشار إليه .

(٥٦) يحذر ڤرجيليو دانتى من تصديق أى قول عن أصل مانتوا غير هذا ، وإن كان ڤرجيليو لم يذكر هذه الأسطورة على هذه الصورة تماماً : Virg. Æn. X. 198...

(٥٧) أى أن كل قول آخر سيكون عند دانتى مثل رماد فحم لا ينبعث منه ضوء .

(٥٨) هؤلاء هم المعذبون فى الوادى أو الخندق الرابع .

(٥٩) كان ذلك عند الخروج إلى حرب طروادة .

(٦٠) كالكاس (Calcas) عراف يونانى صحب قومه فى حرب طروادة :

Virg. Æn. II. 114-124.

Hom. Ill. I. 68-113; II. 299-332.

(٦١) أى قطع أول حبل فى السفن الذاهبة إلى حرب طروادة .

(٦٢) أوليس (Aulis) ميناء يونانى فى بويتزيا خرج منها الإغريق إلى حرب طروادة .

(٦٣) أوريپيلوس (Eurypylus) عراف وساحر يونانى ، أعلن مع كالكاس أن الآلهة طلبت تضحية بشرية من اليونانيين قبل الخروج إلى حرب طروادة : Virg. Æn. II. 108-129.

(٦٤) المقصود بالمأساة أو التراجيديا إينيادة ڤرجيليو .

(٦٥) ميكيل سكوت (١١٩٠ – ١٢٥٠ . Michel Scott) ولد فى اسكتلندا ودرس فى أكسفورد و پاريس وطليطلة وعاش بعض الوقت فى بلاط الأمبراطور فردريك الثانى فى ناپلى ، واشتهر بتبحره فى الفلسفة والفلك والسحر والتنجيم وترجم بعض مؤلفات أرسطو من العربية إلى اللاتينية .

(٦٦) جويدو بوناتى (عاش فى القرن ١٣ .Guido Bonatti) منجم وفلكى من مدينة فورلى وضع كتاباً ضخماً فى علم الفلك ، وعمل فى خدمة جويدو دى مونتفلترو ، ويقال إنه كان من عوامل انتصاره على القوات البابوية فى فورلى فى ١٢٨٢ .

(٦٧) أسدينتى (Asdente) إسكافى من پارما اشتهر بالتنجيم والسحر فى النصف الثانى من القرن ١٣ .

(٦٨) يندد دانتى بالنساء اللائى تركن واجباتهن إلى صناعة الطلاسم .

(٦٩) المقصود بذلك القمر الذى اعتقد أهل العصور الوسطى أن قابيل يقيم فيه ومعه حزمة من الأشواك .

(٧٠) هذه حدود نصف الكرة عند دانتى ، أى فى المحيط الواقع غربى أسپانيا والمقصود أن القمر أخذ فى الغروب وبدأت الشمس فى الشروق أى أن الوقت قد جاوز السادسة صباحاً .

(٧١) يعنى الليلة السابقة فى ٨ أبريل ١٣٠٠ .

(٧٢) أى أنه أضاء ظلمات الغابة .

الأنشودة الحادية والعشرون[1]

وصل الشاعران إلى الوادى الخامس ، حيث يعذّب المرتشون الذين استغلوا سلطة وظائفهم ليجمعوا المال . رأى دانتى قطراناً يغلى ، يشبه القطران السميك فى مصنع سفن البندقية ، حيث تُرمّم السفن المعطبة ، وهنا غطس الآثمون فى القطران الآنى . رأى دانتى شيطاناً مرعباً وحشىّ الحركات ، يحمل فوق كتفه آثماً ، ثم يقذف به فى الوادى ، واتجه إليه الشياطين بخطاطيفهم حتى لا يعلو فوق سطح القطران ، ويشبه هذا ما يفعله الطهاة فى سواء اللحم . أشار ڤرجيليو على دانتى بأن يتوارى وراء بعض الصخور ، حتى لا يثير عليه الشياطين . حاول الشياطين أن يهاجموا ڤرجيليو ، ولكنه تحدث إلى زعيمهم مالا كودا ، وأفهمه أنه أتى بإرادة السماء لكى يقود دانتى فى هذه الرحلة ، فهبط كبرياؤه ودعا رفاقه إلى السلام ، وإن كان الشياطين قد أضمروا الخيانة والغدر . ودعا ڤرجيليو دانتى أن يعود إليه آمناً مطمئناً ، ومع ذلك فقد ظل بعض الوقت وهو يساوره الخوف من الشياطين . قال مالا كودا إن الجسر السادس قد تحطم كله واستقر فى قاع الوادى ، ولا بد من الذهاب إلى موضع آخر للعبور . وأرسل مع الشاعرين بعض أتباعه من الشياطين لقيادتهما ولمراقبة من يخرج من الآثمين من القطران . لم يأمن دانتى جانبهم لما بدا عليهم من أمارات الشر والغدر ، وعبّر عن رغبته فى السير فى رفقة ڤرجيليو وحده ، ما دام يعرف الطريق . أخذ ڤرجيليو يهدّئ من روعه ويدخل السكينة عليه ، وتقدّم الشياطين للمسير بعد أن أعطوا إشارة التفاهم لدليلهم بارباريتشا ، الذى جعل من عجزه بوقاً يضرب عليه لتتحرّك جماعة الشياطين.

١ هكذا جئنا من جسرٍ إلى جسر(٢) ، ونحن نتحدّث عن أمور أخرى ، لا تُعنى ملهاتى (٣) بالتغنى بها ، وبلغنا القمة ،

٤ حينما وقفنا لكى نرى هُوّةً أخرى ، فى « الماليبولجى(٤) » ، ونشهد دموعاً أخرى باطلة(٥) ؛ ورأيتها عجيبةَ الإظلام(٦) .

٧ وكما يغلى القطران الكثيف شتاءً ، فى مصنع سفن البنادقة(٧) ، لطلاء سفنهم المعطبة

١٠ التى لا تقوى على الإبحار ، وبدلاً من ذلك يُجدّد هذا سفينته ، ويسدّ آخر ، جوانب تلك التى قامت برحلاتٍ كثيرة ؛

١٣ هذا يضرب المقدّمة ، وذاك يطرق المؤخرة ؛ ويصنع آخرون مجاديف ويجدل غيرهم حبالاً ، وواحدٌ يرتق شراعَ المقدّمة وآخر يُصلح الشراعَ الأكبر (٨) —

١٦ هكذا كان يغلى هناك فى أسفل قطرانٌ كثيفٌ ، لا بفعل نارٍ ولكن بفن إلهى ، وقد غمر الشاطىء فى كلّ جانب .

١٩ ورأيته ، ولكنى لم أتبينّ فيه سوى الفقاقيع التى صَعَّدها الغليان ، وقد انتفخت كلها (٩) ، ثم هبطت وهى تنكمش(١٠) .

٢٢ وبينما كنت أمعن النظر هناك أسفل ، وكان دليلى يقول لى : « خذ الحذر ، خذ الحذر(١١) ! » ، جذبنى إليه من المكان الذى كنت واقفاً فيه(١٢) .

٢٥ وحينئذ استدرتُ كالرجل الذى يتأخر ليرى ما ينبغى أن يهرب منه ، ويوهن قواه خوفٌ مفاجىء(١٣) » ،

٢٨ فلا يؤخرّ رحيله لكى يرى(١٤) ؛ ورأيتُ خلفنا شيطاناً أسود اللون ، يأتى سعياً فوق الجسر(١٥) .

٣١ أوّاه ! كم كان رهيباً فى مظهره ! وكم بدا لى وحشيا فى حركاته ، مفتوح الجناحين ، خفيفاً على القدمين(١٦) !

٣٤ وعلى كاهله ، الذى كان شامخاً مُدبّباً[١٧] ، حمل آثماً فاستقرّ بكلا ردفيه ، وأمسك هو بقوّة عصبَ القدمين[١٨] .

٣٧ وقال من فوق جسرنا[١٩] : « ياما ليبرانكى[٢٠] ، هاك واحداً من شيوخ[٢١] القديسة زيتا[٢٢] ! ضَعه أسفل[٢٣] ، حتى أعود من أجل آخرين ،

٤٠ إلى تلك المدينة[٢٤] التى أحسنتُ تزويدها بهم[٢٥] ؛ إن كلّ إنسان فيها مرتش سوى بونتورو[٢٦] ! هناك بالمال تُصبح لا بمعنى نعم[٢٧] » .

٤٣ وقذف به هناك أسفل ، ثم استدار فوق الجسر الوعر ؛ ولم يُطلَق كلبٌ أبداً بمثل هذه السرعة لكى يتعقب لصا[٢٨] .

٤٦ غطس هذا[٢٩] ، ثم عاد إلى أعلى وهو مغمورٌ بالقذر[٣٠] ؛ ولكن الشياطين الذين كان الجسر غطاءً لهم صاحوا : « ليس للوجه المقدّس مكانٌ هنا[٣١] .

٤٩ لا يُسبحُ هنا كما فى نهر سيركيو[٣٢] ! فإذا أردت ألا يكون لك بخطاطيفنا شأنٌ ، فلا تظهرنّ فوق القطران » .

٥٢ ثم ضربوه بأكثر من مائة خُطّاف ، وقالوا : « عليك أن ترقص هنا وأنت مُغطىّ[٣٣] ، وإذا استطعت فلتخرج خفية[٣٤] » .

٥٥ غير هذا لا يفعل الطهاة ، حين يجعلون أعوانهم يغمسون اللحمَ بمداريهم وسط القدور ، حتى لا يطفو[٣٥] .

٥٨ قال الأستاذ الطيب : « لكيلا يبدو لأحد أنك هنا[٣٦] ، اقبع فى أسفل وراء صخرة ، لتجد بعضَ مُعتصمٍ[٣٧] ؛

٦١ ومهما نالنى من هجوم فلا تخفْ ، لأنى حسبتُ لكلّ أمرٍ حسابه ، وكنتُ مرّةً من قبل فى مثل هذا العراك[٣٨] » .

٦٤ ثم سار وقد تجاوز رأس الجسر ؛ وعندما وصل إلى ما فوق الشاطىء السادس[٣٩] ، كان فى حاجة لأن يبدو بوجه مُطمئن .

٦٧ وبذلك الغضب وتلك العاصفة التى يندفع بها الكلاب وراء الفقير البائس ، الذى يسأل فجأةً حيث يقف ،

٧٠ هكذا خرج هؤلاء[٤٠] من تحت الجسر ، ووجهوا إليه كلّ الخطاطيف[٤١] ولكنه صاح بهم : « لا يكن أحدكم شرّيراً[٤٢] !

٧٣ وقبل أن تُصيبني خطاطيفكم ، فليتقدّم إلى الأمام واحدٌ منكم ليسمعني ، ثم فلتراجعوا أنفسكم في طعني » .

٧٦ فصاحوا جميعاً : « فليذهب مالاكودا[٤٣] ! » . وحينئذ تحرّك أحدهم ، وظلّ الآخرون وقوفاً ، وجاء إليه قائلا : « وما ينفعه هذا ؟ » .

٧٩ قال أستاذي : « أتعتقد يا مالاكودا أنك تراني جئت هنا ، وقد أمنتُ من كلّ عراقيلكم[٤٤] ،

٨٢ دون إرادةٍ إلهية وقدَر موافق ؟ دعوني أمضي ، فقد أُريدَ في السماء[٤٥] ، أن أرِيَ غيري هذا الطريق الموحش » .

٨٥ عندئذ هبطت كبرياؤه ، حتى ترك الخطّاف يسقط إلى قدميه ، وقال للآخرين : « لا يُمسّ الآن[٤٦] » .

٨٨ ثم قال لي دليلي : « يا مَنْ تجثم مختفياً بين صخور الجسر ، عُدْ إليّ الآن آمناً مطمئناً » .

٩١ وإذْ ذاك نهضتُ وذهبتُ إليه مسرعاً ، وتدافع الشياطين إلى الأمام جميعاً ، حتى خفتُ ألا يرعوْا العهد[٤٧] :

٩٤ وهكذا كنتُ قد رأيتُ المشاة خائفين ، وقد خرجوا من كاپرونا بعد التعاهد[٤٨] ، إذْ رأوا أنفسهم وسط أعداء كثيرين .

٩٧ وألصقتُ بدليلي كل جسمي ، ولم تَحدْ عيناي عن مرآهم ، الذي لم يكن حسن المظهر .

١٠٠ خفضوا الخطاطيف وقال كل منهم لآخر : «أتريد أن أناله في عجزه ؟» . وأجابوا : « نعم ، احرص على طعنه ! » .

١٠٣ ولكن ذلك الشيطان[٤٩] الذي كان يتحدّث [مع] [دليلي] استدار سريعاً وقال : « مهلاً مهلاً ياسكارميليوني[٥٠] ! » .

١٠٦ ثم قال لنا : « لا يمكن التقدم فوق هذا الصخر ، لأن الجسر السادس يستقر كله حطاماً فى القاع [٥١].

١٠٩ وإذا راقكما السير بعد ، فلتمضيا فوق هذا الصخر ، فقريب من هنا جسر آخر يصنع طريقاً .

١١٢ بالأمس [٥٢] وخمس ساعات بعد هذه الساعة [٥٣] ، اكتملت ست وستون ومائتان وألف سنة [٥٤] ، منذ أن تحطم الطريق هنا [٥٥].

١١٥ وإنى مرسل إلى هناك بعض أتباعى [٥٦] ، ليروا هل يتنسم أحدهم الهواء [٥٧] : اذهبا معهم فإنهم لن يكونوا سيئين معكما » .

١١٨ ثم بدأ يقول : « إلى الأمام يا أليكينو [٥٨] ، ويا كالكابرينا [٥٩] ، وأنت يا كانياتزو [٦٠] ؛ ولتكن ياباربارينتشا [٦١] دليلا للعشرة .

١٢١ وليذهب أيضاً ليبيكوكو [٦٢] ، ودراجينياتزو [٦٣]. وتشيرياتو [٦٤] ذو النابين ، وجرافيكانى [٦٥] ، وفارفاريلو [٦٦] ، وروبيكانتى [٦٧] المجنون .

١٢٤ ابحثوا جميعاً حول الغراء الآنى [٦٨] : وليصل هذان سالمين [٦٩] إلى الجسر التالى [٧٠] ، الذى يمتد برمته فوق الخنادق » .

١٢٧ فقلت : « أواه يا أستاذى ! ماذا أرى ؟ أواه ! فلنذهب وحيدين دون رفيق ، إذا كنت تعرف الطريق ؛ فإنى أنا لا أطلبه .

١٣٠ وإذا كنت شديد الحذر كما هو مألوف ، أفلا ترى أنهم يحرقون أسنانهم الأرم ، وبالأعين يتهددوننا بالعذاب [٧١] ؟ » .

١٣٣ فقال لى : « لا أريدك أن تفزع : دعهم كما يشاؤون يحرقون أسنانهم الأرم ، فإنهم يفعلون ذلك للمعذبين فى الحميم الآنى [٧٢] » .

١٣٦ واتجهوا للسير على الشاطئ الأيسر ؛ ولكن كان كل منهم قد ضغط لسانه من قبل بالأسنان صوب القائد ، للإشارة [٧٣] ؛

١٣٩ وجعل هو [٧٤] من عجزه بوقاً [٧٥].

حواشي الأنشودة الحادية والعشرين

(١) تعرف هذه الأنشودة والتي تليها بأنشودتي المرتشين الذين استغلوا سلطة وظائفهم لجمع المال أو لفوائد أخرى .

(٢) يعني من جسر الوادي الرابع إلى جسر الوادي الخامس .

(٣) الملهاة أو الكوميديا عكس المأساة أو التراجيديا .

(٤) أي الوادي الخامس . وهنا يعذب من استغلوا سلطة وظائفهم للحصول على المال أو لكسب أية فوائد أخرى ، وبذلك ألحقوا الضرر بالحكومة والشعب .

(٥) دموع هؤلاء المعذبين باطلة ولا جدوى منها .

(٦) أي ساد هذا الوادي ظلام حالك .

(٧) مصنع السفن أو دار الصناعة (Arzana) . وكان لمصنع سفن البندقية شهرة عالمية ، وقام البنادقة بنصيب عظيم في التجارة العالمية بين الشرق والغرب ، حتى كشف البرتغاليون طريق التجارة الجديد إلى الشرق حول جنوبي أفريقيا في النصف الثاني من القرن الخامس عشر .

(٨) أعطى دانتي كل هذه التفصيلات الدقيقة عن مصنع سفن البندقية ، وبذلك رسم صورة صادقة عن ناحية هامة في حياة عروس الأدرياتيك .

(٩) يعني ارتفع سطحها بقوة الغليان .

(١٠) يشبه هذا قول ڤرجيليو : Virg. Georg. II. 479.

(١١) سيأتي مثل هذا التعبير في المطهر : Purg. VI. 73.

(١٢) يحرص ڤرجيليو دائماً على حماية دانتي من الأخطار .

(١٣) يشبه هذا قول أوڤيديوس : Ov. Heroides, XIV. 132.

(١٤) تأثر بتراركا بهذا التعبير : Petrarca, Trionfo d'Amore, IV. 166.

(١٥) هذا هو جسر الوادي الخامس .

(١٦) هذا تصوير دقيق للشيطان وهو مستمد من رسم الشيطان في العصور الوسطى .

(١٧) رسم المصورون قديماً الشياطين بأكتاف بارزة لأنها قليلة اللحم والشحم .

(١٨) أي عصب قدمي الآثم الذي حمله الشيطان فوق كتفيه .

(١٩) أي الجسر الذي وقف عليه دانتي وڤرجيليو وقتئذ .

(٢٠) ماليبرانكي (Malebranche) يعني المخالب الشريرة ، وهو اسم أطلقه دانتي على الشياطين في الوادي الخامس .

(٢١) المقصود قضاة يمثلون الشعب ، وقد شاركوا في حكم مدينة لوكا .

(٢٢) زيتا دا مونساجراتي (Zita da Monsagrati) قديسة لوكا التي عاشت في أثناء القرن ١٣ .

(٢٣) لا يعرف على وجه التحديد من المقصود بهذا الآثم .

(٢٤) أى مدينة لوكا (Lucca) فى شمال إيطاليا .

(٢٥) أى أحسن تزويد لوكا بالمرتشين .

(٢٦) هذه سخرية لاذعة من دانتى لأن بونتورو داتى (Bonturo Dati) زعيم الشعب فى لوكا فى أوائل القرن ١٣ كان شيخ المرتشين وأدت سياسته الخرقاء إلى إشعال الحرب بين لوكا وبيزا وأصاب لوكا أضرار جسيمة ، فثار الشعب على زعيمه ، واضطر إلى الهرب إلى فلورنسا .

(٢٧) أى أنه لم تعد لمصلحة الدولة أى حساب وأصبح كل ممنوع مباحاً فى نظير الرشوة والمصلحة الخاصة .

(٢٨) هذه صورة مستمدة من حركة الكلب . واستخدمت الكلاب فى عهده دانتى لمتابعة اللصوص والمجرمين .

(٢٩) أى الآثم المجهول الاسم .

(٣٠) يعنى لفظ (convolto) فى عهد دانتى الوسخ أو القذر وإن كان معناه الحالى مقلوب أو منقلب .

(٣١) المقصود صورة خشبية قديمة للمسيح تحفظ فى كنيسة فى لوكا ، وكان الناس يستجيرون بها وقت الشدة . أى أنه ليس هنا مكان الاستجابة إلى الضراعة .

(٣٢) نهر سيركيو (Serchio) ينبع من جبال لونيدجانا ويمر بالقرب من لوكا ويصب فى البحر التيرانى ، واعتاد أهل لوكا السباحة فيه وقت الصيف .

(٣٣) أى وهو مغطى بالقطران .

وفى التراث الإسلامى بعض الشبه بهذه الصورة فى عقاب المجرمين :

القرآن : إبراهيم : ٥٠ .

الشعرانى : مختصر تذكرة القرطبى (السابق الذكر) . ص : ٧٧ .

(٣٤) أى أن عليه أن ينتهز الفرصة فيخرج رأسه إذا استطاع دون أن يراه الشياطين .

(٣٥) أى حتى لا يطفو اللحم فوق سطح المرق . وهذه صورة مستمدة من الطبخ .

(٣٦) لم يكن الشياطين قد رأوا الشاعرين بعد ، وأراد ڤرجيليو أن يختبئ دانتى حتى ينتهى ما أمامه دون إثارة الشياطين .

(٣٧) شعر دانتى هنا بالخوف أكثر من أى موضع آخر ، وذلك لأنه تذكر ما أصابه من تهمة الرشوة واستغلال النفوذ عندما كان عضواً فى مجالس السنيوريا فى فلورنسا ، ويحمل هؤلاء الشياطين ذكرى خصومه الذين تسببوا فى نفيه من وطنه إلى الأبد ظلماً وعدواناً .

(٣٨) يعمل ڤرجيليو على تشجيع دانتى ويذكره برحلته هو السابقة إلى الجحيم :
Inf. IX. 16-30.

(٣٩) أى الشاطئ الذى يفصل الوادى الخامس عن الوادى السادس .

(٤٠) أى الشياطين . والصورة مأخوذة من حركة الكلاب .

(٤١) هذا هو عقاب هؤلاء الآثمين يضربهم بالمقامع أو الخطاطيف إذا ظهروا فى الخارج .

وفى التراث الإسلامى بعض الشبه بهذه الصورة فى عقاب الذين كفروا :

القرآن : الحج : ٢١ ، ٢٢ .

الشعرانى : مختصر تذكرة القرطبى (السابق الذكر) . ص : ٧٣ .
(٤٢) هكذا صاح ڤرجيليو فى الشياطين وقد وجهوا إليه خطاطيفهم وبدا عليهم روح الشر .
(٤٣) مالاكودا (Malacoda) يعنى الذنب الشرير ، وهو زعيم الشياطين فى الوادى الخامس .
(٤٤) هذه إشارة إلى ما سبق أن صادفه من الصعاب .
(٤٥) يشبه هذا ما سبق: Inf. III. 95; V. 23; VII. 11; XII. 85-89.
(٤٦) خضع مالاكودا عند سماع الإرادة الإلهية ولكنه أضمر الشر والخيانة كما سنرى بعد : Inf XXI. 108...; XXIII. 34-36; 139-144.
(٤٧) أى الأمر الذى أصدره مالاكودا إلى الشياطين .
(٤٨) كاپرونا (Caprona) قلعة كانت تابعة لپيزا وهاجمها الجلف الفلورنسيون فى ١٢٨٩ واشترك دانتى فى ذلك الهجوم ، وسلمت حامية القلعة بعد الاتفاق بين الجلف والجبلين .
(٤٩) أى مالاكودوا .
(٥٠) سكارميليونى (Scarmiglione) يعنى الأشعث .
(٥١) أراد مالاكودا بهذا أن يخدع الشاعرين لكى يوقعهما فى مأزق ولم يكن الجسر محطماً .
(٥٢) أى فى ٨ أبريل سنة ١٣٠٠ .
(٥٣) أى بين الساعة السادسة والسابعة صباحاً .
(٥٤) يعتقد المسيحيون أن المسيح قد صلب فى ٣٤ م .
(٥٥) أراد مالاكولادا أن يحدد الوقت الذى يزعم أنه حدث فيه تحطيم الجسر عندما وقع الزلزال بعد موت المسيح عند المسيحيين، وذلك لكى يجعل لكلامه مظهر الصدق .
(٥٦) سيرسل مالاكودا مع الشاعرين عشرة شياطين
(٥٧) يحاول المعذبون أن يخرجوا من القطران لتنسم الهواء .
(٥٨) الشيطان أليكينو (Alichino) يعنى الجناح الخفيض .
(٥٩) كالكابرينا (Calcabrina) يعنى الملاح الأحمق الأهوج .
(٦٠) كانياتزو (Cagnazzo) يعنى الكلب الشرس .
(٦١) باربا ريتشا (Barbariccia) يعنى اللحية الشائكة .
(٦٢) ليبيكوكو (Libicocco) ربما كان معناه الليبى الردىء .
(٦٣) دراجينياتزو (Draghignazzo) يعنى التنين الخبيث .
(٦٤) تشيرياتو (Ciriatto) يعنى الخنزير .
(٦٥) جرافيكانى (Grafficani) يعنى مخلب الكلب .
(٦٦) فارفاريلو (Farfarello) يعنى القطرب .
(٦٧) روبيكانتى (Rubicante) يعنى صاحب الوجه الأحمر .
(٦٨) أى انظروا هل حاول أحد المعذبين أن يخرج من القطران .
(٦٩) أى دانتى وڤرجيليو .
(٧٠) هذه سخرية وخداع لأنه لا يوجد جسر آخر فوق الوادى السادس .
(٧١) كان دانتى خائفاً من الشياطين فآثر أن يذهب مع ڤرجيليو دونهم .

(٧٢) يعمل ڤرجيليو بذلك على تهدئة روع دانتى .

(٧٣) هكذا تفاهم الشياطين فيما بينهم .

(٧٤) أى بارباريتشا .

(٧٥) يرى بعض النقاد أن بارباريتشا أخذ يضرب على عجزه حتى يسير الشياطين وكان هذا بمثابة النفخ فى بوق ، ويرى آخرون أنه أخرج ريحاً وأحدث صوتاً مدوياً . وهذه من صور الاستهزاء والسخرية عند دانتى .

الأنشودة الثانية والعشرون[1]

أشار دانتى إلى حركات الفرسان وسيرهم فى الحرب والسلم ، وقال إنه لم ير مثيلا للبوق الغريب الذى سار الشياطين بمصاحبته . نظر دانتى إلى القطران فرأى بعض الآثمين قد رفع ظهره ، كالدرافيل فى البحر ، لكى يُخففوا ألم الغليان . ورأى المعذّبين فى القطران مثل الضفادع على حافة المستنقع ، وقد أظهرت خياشيمها وأخفت أجسامها فى الماء . ووجد الشيطان جرافيّكانى يلتقط أحد المعذّبين بخطّافه ، وأقبل بقية الشياطين للاشتراك فى تمزيقه ، ولكن محادثة ڤرجيليو له أوقفت ذلك التعذيب وعرف دانتى أنه جامپولو من ناڤار ، الذى استغلّ نفوذه فى بلاط الملك تيبالدو فى الرشوة وجمع المال . وحاول بارباريتشا أن يحميه من اعتداء الشياطين حتى ينتهى ڤرجيليو من حديثه معه . سأله ڤرجيليو هل يوجد معه رجل من اللاتين . قال جامپولو إن معه فى القطران الراهب جوميتا ، الذى استغلّ مركزه فى سارديينا لجمع المال ، وأصبح بذلك زعيماً للمرتشين . وعمل جامپولو على خداع الشياطين لكى يفلت منهم وينجو من التمزيق . وطلب أليكينو الشيطان أن يجرى بينه وبين جامپولو سباق ، وكانت تلك مباراة عجيبة ، بين شيطان ومعذّب . استطاع جامپولو أن يقفز فى لحظة إلى القطران ، ولم يستطع جناحا أليكينو أن يسبقا خوف جامپولو وهكذا أفلت من التعذيب ، وعندئذ غضب كالكابرينا لنجاح خدعة جامپولو ، وهاجم أليكينو المسؤول عن هربه ، واشتبك الشيطانان فى معركة حامية وسقطا معاً فى القطران الآنى . وحاول بقية الشياطين إنقاذهما بخطاطيفهم من جانبى الوادى . انتهز دانتى وڤرجيليو هذه الفرصة وتابعا رحلتهما دون صُحبة الشياطين .

١ من قبل رأيتُ الفرسان يتحرّكون ، يبدأون الهجوم ، ويعرضون صفوفهم ، وأحياناً ينسحبون نجاةً بأنفسهم [٢] ؛

٤ ورأيتُ الطلائع فى أرضكم يا أهل أريتزو[٣] ، وشهدتُ هجمات المغيرين[٤] ، ومبارزة الفرسان زرافاتٍ ووحداناً[٥] ،

٧ بالأبواق تارةً وطوراً بالأجراس ، وبالطبول وبإشارات القلاع [٦] ، وبأشياء لنا وأخرى أجنبيّة[٧] .

١٠ ولكنى لم أرَ بمصاحبة هذا البوق الغريب[٨] ، فرساناً ولا مشاةً يتحركون ، ولا سفينةً تسير بإشارةٍ من أرضٍ أو نجم[٩] .

١٣ ذهبنا مع الشياطين العشرة : ويلاه من الرّفقة الرهيبة ! ولكن فى الكنيسة يصحب الإنسان القديسين وفى الحانة ذوى النهم[١٠] .

١٦ اتجه انتباهى إلى القطران وحده ، لكى أرى كلّ ما احتواه الوادى ، والقومَ الذين احترقوا بداخله[١١] .

١٩ وكالدرافيل ، حينما تُشير للملاّحين بظهرها المقوّس ، كى يستعدّوا لإنقاذ سفينتهم[١٢] ،

٢٢ هكذا أبرز بعض الآثمين ظهره أحياناً[١٣] لكى يخفّف الألم ، وأخفاه فى أقل من ومضة البرق[١٤] .

٢٥ وكما تقف الضفادع عند حافّة مياه خندقٍ بخيشومها وحده فى الخارج ، حتى تُخفى أقدامها وسائر الجسم[١٥] ،

٢٨ كذلك وقف الآثمون فى كلّ جانب ؛ ولكن ما إن أخذ باربارِيتشا يقترب منهم ، حتى انسحبوا تحت الحميم الآنى[١٦] .

٣١ رأيتُ ، وهو ما لا يزال يرتجف منه قلبى ، واحداً ينتظر هكذا ، كما يحدث أن يبقى ضفدعٌ ويختفى آخر ؛

٣٤ وجرافيكانى الذى كان أقرب إليه ، شبك خُطّافه فى خصلات شعره اللزج[١٧] ، وانتزعه إلى أعلى ، فبدا لى ككلب البحر [١٨] .

٣٧ كنتُ قد عرفتُ أسماءهم جميعاً ، لأنى لاحظتهم بعناية ٍ حين اختيارهم[١٩] وحينما نادى كل منهم الآخر ، انتبهتُ ، وكيف انتبهت[٢٠]!

٤٠ صاح الملاعين كلّهم معاً[٢١] : « ياروبيكانتى ، احرص على أن تُنشب مخالبك فى ظهره ، حتى تسلخه » .

٤٣ قلت : « أستاذى ، اعمل على أن تعرف ، إن اسطعت ، مَنْ البائس الذى وقع فى قبضة أعدائه » .

٤٦ اقترب دليلى إلى جانبه ، وسأله من أين جاء ، فأجاب : « لقد وُلدت فى مملكة ناڤار[٢٢] ،

٤٩ وضعتنى أمىّ خادماً لسيد ٍ، إذْ كانت ولدتنى من وغد ٍ هادم لنفسه وماله[٢٣] ،

٥٢ ثم صرْتُ من خواصّ تيبالدو[٢٤] الملك الطّيب : وهناك عكفتُ على اصطناع الرشوة ، التى أؤدى عنها الحسابَ فى هذا الوَهج » .

٥٥ وتشيرياتّو ، الذى خرج من كلا جانبى فمه نابٌ ، كما للخنزير ، أشعره كيف يُمزّقه أحد نابيه[٢٥].

٥٨ وقع الفأر[٢٦] بين قطط شرّيرة[٢٧] ؛ ولكن بارباريتشا أطبق عليه ذراعيه ، وقال : « ابقوا هنا ، بينما أعصره أنا[٢٨] » .

٦١ ثم التفت إلى أستاذى وقال : « سلْه أيضاً ، إذا رغبتَ أن تعرف منه مزيداً ، وقبل أن يمزّقه الآخرون إرباً[٢٩] » .

٦٤ عندئذ ٍ قال دليلى : « أخبرنى الآن : أتعرف تحت القطران رجلاً من اللاتينّ بين سائر الأشرار[٣٠] ؟ » فأجاب : « لقد رحلتُ

٦٧ منذ قليل ٍ عن رجل ، كان جارهم فى ذاك الجانب[٣١] : كنتُ أودّ أن أبقى مُغطىً معه ، حتى لا أخشى مخلباً ولا خطّافاً[٣٢] ! » .

٧٠ فقال ليبيكوكّو : « إننا قد احتملنا كثيراً » . وأمسك ذراعيه بالمحجن ، حتى إنه وهو يمزّقه ، حمل منه قطعة[٣٣].

٧٣ وكذلك أراد دراجينياتزو أن يعقف ساقيه من أسفل ، وعندئذ دار قائدهم حوله[٣٤] بوجه الشرّ .

٧٦ وعند ما هدأوا قليلاً ، سأل دليلي دون أناة ، ذاك مَنْ كان لا يزال ينظر إلى جرحه [٣٥] :

٧٩ « مَنْ كان ذلك الذى تقول إنك قد أسأتَ بالرحيل عنه ، لتأتى إلى الشاطئ ؟ » . فأجاب : « كان هو الراهب جوميتا [٣٦] ،

٨٢ من جالوّرا [٣٧] ، وعاء كل خيانةٍ ، الذى استولتْ يده على أعداء سيده[٣٨] ، ففعل لهم ما جعل كلاًّ منهم يمدحه لذلك [٣٩] .

٨٥ أخذ أموالهم ، ثم تركهم أحراراً ، كما يقول ، وفى المناصب الأخرى كان أيضاً مرتشياً ، لا صغيراً ولكن زعيماً [٤٠] .

٨٨ ويتحدث إليه السيد ميكيل زانكى [٤١] ، من لوجودورو [٤٢] ، وفى الكلام عن سردينيا لا يشعر لساناهما بالكلال[٤٣] .

٩١ أوّاه ! انظر إلى ذاك الآخر الذى تتحرق أسنانه الأرّم[٤٤] ! وددت لو أطيل الحديث ، ولكنى أخشى أن يستعدّ لينزع منى جلدة الرأس » .

٩٤ وقال القائد الكبير [٤٥] وهو متجهٌ إلى فارفاريلو ، الذى أدار عينيه لكى يطعن : « فلتذهب هناك ، أيها الطائر الخبيث[٤٦] » .

٩٧ واستأنف المرْتعدُ بعدُ [٤٧] : « إذا أردتما أن تريا أو تسمعا قوماً من تُسكانا أو لمبارديا ، فسآتيكما بهم [٤٨] ؛

١٠٠ ولكن فَلتبق المخالب الشريرة بعيدةً قليلاً حتى لا يخشوا انتقامها[٤٩] ؛ وأنا ، إذْ أجلسُ فى هذا الموضع ذاته ،

١٠٣ ومهما كان من أمرى ، سأستقدم منهم سبعة[٥٠] حينما أطلق صفيرى[٥١] ؛ كما هى عادتنا أن نفعل ، عند ما يضع أحدنا نفسه فى الخارج [٥٢] » .

١٠٦ رفع كانياتزو فمه عند هذا الكلام ، وهو يهزّ رأسه ، وقال : « فَلتسمع الخبثَ الذى راوده ، كى يُلقى بنفسه إلى أسفل [٥٣] » .

١٠٩ وعندئذ أجاب مَنْ امتلأت جُعبته بالمكائد [٥٤] : « حقاً إنى لشديد الخبث ، حينما أدبر لرفاقى بؤساً أشدّ » .

١١٢ لم يُطقْ أليكينو صبراً ، وبعكس الآخرين قال له[٥٥] : « إذا أنت ألقيت بنفسك[٥٦] ، فلن أتبعك عدواً ،

١١٥ ولكنى سأضرب بجناحىّ فوق القطران[٥٧] ، ولنترك المرتفع ، وليكن الشاطئ حاجزاً لك ، لنرى أتتفوق علينا أنت وحدك ! » .

١١٨ ستسمع مباراةً جديدةً[٥٨] أيها القارئ : اتجه كلٌ منهم بعينيه إلى الجانب الآخر ؛ وأوّلهم من كان أقلّ نضجاً لأن يفعل ذلك[٥٩] .

١٢١ أحسن النافارىّ[٦٠] اختيار وقته ؛ وثبّت فى الأرض عقبيه ، وفى لحظة قفز ، وحرّر نفسه من قصدهم[٦١] .

١٢٤ وحينئذ أحسّ كل منهم بوخز الإثم[٦٢] ، وعلى الأخص من كان سبباً فى الخطأ[٦٣] ، ولذلك تحرّك وصاح : « قد لحقتُ بك ! » .

١٢٧ ولكن قليلاً نفعه ذلك ، لأن الجناحين لم يستطيعا للخوف سبقاً ؛ وذهب ذاك إلى أسفل ، ورفع هذا صدره إلى أعلى وهو يطير[٦٤] .

١٣٠ غير هذا لا يفعل البطّ البرّىّ ، إذْ يغوص إلى أسفل حينما يقترب البازى ، الذى يعود صُعداً حانقاً منهزماً[٦٥] .

١٣٣ وكالكابرينا ، وقد غضب من هذه الخدعة ، تبعه طائراً ، وهو شديد الرغبة أن يهرب الآثم ، لكى يدخل فى المعركة[٦٦] .

١٣٦ وحينما اختفى المرتشى[٦٧] ، حوّل كالكابرينا مخالبه هكذا إلى رفيقه ، واشتبك معه فوق الخندق .

١٣٩ ولكن الآخر كان فى الحقّ صقراً قارحاً ، يجيد طعنه بالمخلب ، وسقط الاثنان معاً وسط المستنقع الآنى[٦٨] .

١٤٢ وكانت الحرارة فاصلاً بينهما توّاً ، ولكن استحال عليهما التحليق ، إذْ صارت أجنحتهما منغمسة فى القطران هكذا .

١٤٥ وبارباريتشا الذى تولاه الحزن ، مع رفاقه[٦٩] ، جعل أربعةً منهم يطيرون إلى الشاطىء الآخر بكلّ الخطاطيف[٧٠] ، وبسرعة فائقة

١٤٨ هبطوا هنا وهناك إلى مواضعهم ، ومدّوا الخطاطيف إلى اللذين غمرهما اللزج[٧١] ، وكانا قد نضجا داخل الجلد المحترق.[٧٢] ؛

١٥١ وتركناهم مُرتبكين على ذلك النحو[٧٣] .

حواشى الأنشودة الثانية والعشرين

(١) هذه تكملة للأنشودة السابقة ، أنشودة المرتشين .

(٢) يصف دانتى حركات الفرسان المستمدة من تجربته ومشاهدته .

(٣) أهل أريتزو (Gli Aretini) يسكنون على تخوم تسكانا وكانوا من الجبلين الذين ناهضوا الحلف الفلورنسيين .

(٤) كان الفرسان يقومون بحملات اعتداء ونهب على أرض العدو . ويشير دانتى بهذا إلى معركة كامپالدينو فى ١٢٨٩ ، التى اشترك فيها دانتى .

(٥) المقصود المبارزات الاستعراضية وقت السلم .

(٦) كانت القلاع ترسل إشاراتها بالأعلام والدخان نهاراً وبالنار ليلا .

(٧) هذه هى الإشارات الإيطالية أو الأجنبية الأصل التى كانت تتحرك القوات العسكرية تبعاً لها فى الحرب والسلم .

(٨) أى أن بارباريتشا كان ينفخ فى بوق غريب ، بالضرب على عجزه أو بإخراج الريح وإحداث صوت عال .

(٩) كانت السفن تتلقى إشارات من الأرض بقرب الشاطىء ، وتهتدى بالكواكب فى عرض البحر . ووردت صورة مشابهة عند ڤرجيليو : Virg. Æn. VII, 215.

(١٠) يعنى كما يكون الإنسان فى رفقة القديسين فى الكنيسة وفى رفقة السكارى فى الحانة ، هكذا كان الشاعران هنا فى رفقة الشياطين ، بحكم الضرورة . كان هذا القول من الأمثلة السائدة فى عصر دانتى .

(١١) هذه صورة من العذاب الرهيب .

(١٢) كان ظهور الدرفيل يعنى اقتراب العاصفة ، واعتبر القدماء الدرفيل صديقاً للملاح لأنه ينبهه إلى الخطر المحدق .

(١٣) الصورة مأخوذه من ملاحظة الدرفيل فى البحر .

(١٤) هذه طريقة لتخفيف حدة الألم لحظة واحدة وسط القطران الآنى .

(١٥) هذه صورة دقيقة للضفادع عند حافة الماء .

(١٦) بهذه الطريقة حاول المعذبون أيضاً أن يخففوا عذابهم لحظة .

(١٧) فعل جرافيكانى ذلك عند ما كان المعذب عند حافة القطران الآنى .

(١٨) هذه مقارنة دقيقة بين المعذب المرفوع فى الهواء ولونه فى لون القطران ، وبين كلب البحر الذى يقرب لونه من السواد .

(١٩) أى أن دانتى انتبه عند ما اختار مالاكودا الشياطين العشرة وبذلك عرف أسماءهم : Inf XXI, 118-123.

(٢٠) أى أنه انتبه بأذن مرهفة السمع .

(٢١) يشبه هذا الموقف صياح المعذبين ضد فيليپو أرجنتى من قبل : Inf. VIII. 61.

(٢٢) هو جامپولو دى ناڤار (Giampolo di Navarre) مواطن من أسپانيا .

(٢٣) كان أبوه وغداً محتالا عاش على الخداع و بدد ما يملك ثم انتحر .

(٢٤) تيبالدو (١٢٥٣ – ١٢٧٠ Tibaldo) ملك ناڤار اشترك مع لويس التاسع ملك فرنسا فى حملته الصليبية على تونس ومات فى أثناء رجوعه .

(٢٥) هكذا أحس بوطأة العذاب .

(٢٦) الفأر كناية عن جامپولو .

(٢٧) القطط الشريرة كناية عن الشياطين . وكان هذا القول من الأمثلة الشائعة منذ عهد دانتى .

(٢٨) فى الأصل (inforcare) يعنى يضغط الجواد بالساقين ، والمقصود هنا إحاطة المعذب بالذراعين . وفعل بارباريتشا ذلك لكى يحمى جامپولو مؤقتاً من بقية الشياطين، وحتى يستطيع ڤرجيليو أن يحادثه . وسيستغل جامپولو هذه الحماية للقيام بخداع جديد كما كان يفعل فى الدنيا .

(٢٩) يعنى الشياطين .

(٣٠) لاتينى يعنى إيطالى عند دانتى . استخدم دانتى هذا اللفظ بهذا المعنى مرات عديدة :
Inf. XXVII. 27, 33; XXVIII. 71; XXIX. 88, 91.
Purg. VII. 16; XI. 58; XIII. 92.

(٣١) يقصد الراهب جوميتا فى الجانب الآخر من إيطاليا أى فى سردينيا .

(٣٢) يعنى أنه كان يود البقاء مغطى بالقطران حتى لا يناله عذاب الشياطين .

(٣٣) هذا المزيد فى عذابهم جزاء ما ارتكبوا من آثام .

(٣٤) أى بارباريتشا .

(٣٥) هذا هو جامپولو .

(٣٦) جوميتا (Gometa) راهب من سردينيا وكان قاضياً لجالورا نائباً عن أوجولينو ڤيسكونتى حاكم پيزا ١٢٧٥ – ١٢٩٦ ، واشتهر بالرشوة و باستغلاله سلطة وظيفته لتحقيق مصلحته الشخصية .

(٣٧) جالورا (Gallura) هى الجزء الشمالى الشرقى من سردينيا وكانت حكومة پيزا قد قسمت الجزيرة أربعة أقسام .

(٣٨) أى أوجولينو ڤيسكونتى .

(٣٩) أى أنه أطلق سراح أعداء مولاه فى نظير المال مما ألهج ألسنتهم بالثناء عليه .

(٤٠) كان زعيما للمرتشين .

(٤١) ميكيل زانكى (Michel Zanke) أصبح حاكم لوجودورو فى سردينيا بعد موت إنتزو ابن الأمبراطور فردريك الثانى ، وسيأتى بعد : Inf. XXXIII. 134-147.

(٤٢) لوجودورو (Logodoro) هى المنطقة الشمالية الغربية فى سردينيا .

(٤٣) ذكريات سردينيا عزيزة لديهما ، ولذلك فهما لا يتعبان أبداً من الحديث عنها .

(٤٤) أى فارفاريلو الذى كان يهدد جامپولو بالتعذيب .

(٤٥) أى بارباريتشا .

(٤٦) أي الشيطان صاحب الجناحين .

(٤٧) يعني جامپولو الذي ارتعد من تهديد الشياطين .

(٤٨) سبق أن سأل ڤرجيليو جامپولو عن بعض اللاتين معه ، ولما عرف جامپولو إلى أي البلاد ينتمي هذان الشاعران ، بطريقة كلامهما ، عرض عليهما أن يستخدم بعض مواطنيهما الحديث معهما ، وقصد جامپولو بذلك أن يستريح من العذاب وقد حماه بارباريتشا أطول وقت مستطاع ، ثم لكي يجد الفرصة للإفلات والقفز في القطران مرة أخرى .

(٤٩) طلب جامپولو أن يبتعد الشياطين حتى يظهر الآثمون فوق سطح القطران وهذا خداع لأنه أراد إبعاد الشياطين حتى يمكنه أن يقفز إلى القاع .

(٥٠) أي سبعة من الآثمين .

(٥١) الصفير هو طريقة التفاهم بينهم .

(٥٢) أي عندما يخرج أحدهم من القطران .

(٥٣) أراد جامپولو أن يخدع الشياطين باستدعاء بعض المعذبين بهذا الصفير .

(٥٤) أي جامپولو .

(٥٥) يعني بعكس بقية الشياطين الذين لم يحفلوا بكلام جامپولو .

(٥٦) أي إذا ألقى بنفسه في القطران .

(٥٧) يعني سيطير وراءه لكي يضربه قبل أن يغطس في القطران . وهكذا قبل أليكينو اقتراح جامپولو وبذلك سيتعرض للخديعة .

(٥٨) يعني مباراة عجيبة لأنها تقع بين آثم وشيطان . ويمتاز الآثم بالخبث والخداع، ويمتاز الشيطان بجناحيه ، وقد ظن أنه سيلحق بالآثم على كل حال .

(٥٩) المقصود بذلك كانياتزو .

(٦٠) أي جامپولو .

(٦١) أي اقتراح أليكينو عندما قبل تحدي جامپولو .

(٦٢) يعني لهرب جامپولو وتخلصه من تعذيب الشياطين عندما قفز إلى القطران .

(٦٣) أي أليكينو .

(٦٤) أي أن انطلاق جامپولو الخائف المرتعد كان أسرع من أن يلاحقه جناحا أليكينو الذي ارتفع عندئذ إلى أعلا الشاطيء . وفي هذا كله مشهد ملء بالخداع والسخرية والهزل مع عنصر المأساة والتعذيب ورسم دانتي ذلك بريشته البارعة .

(٦٥) أي يعود صاعداً في الهواء . وهذه ملاحظة مستمدة من حركة الطير .

(٦٦) كان كالكابرينا يأمل أن يستطيع جامپولو الاختفاء في القطران ، حتى يجد الفرصة سانحة لكي ينتقم لما وقع من أليكينو من التهاون وسوء التقدير .

(٦٧) يعني جامپولو .

(٦٨) سقط أليكينو وكالكابرينا معا في القطران . وهكذا نجح جامپولو في خداعه وأوقع الشيطانين في هذا المأزق . ويطابق هذا عنصر الهزل والسخرية في طبيعة دانتي .

(٦٩) تولى الشياطين الحزن لما أصاب أليكينو وكالكابرينا .

(٧٠) أى إلى الشاطىء الخامس .

(٧١) أى أن الشياطين مدوا خطاطيفهم من جانبى الوادى لإنقاذ الغارقين .

(٧٢) يعنى أن جلدهما كان قد احترق فتحول إلى قشرة جافة ثم احترق ما تحتها . أى أنهما احترقا فى الداخل والخارج على السواء .

(٧٣) انتهز دانتى وفرجيليو فرصة ارتباك الشياطين واشتغالهم بإنقاذ الغارقين لكى يتابعا رحلتهما دون هذه الصحبة الشريرة .

الأنشودة الثالثة والعشرون(١)

سار الشاعران وحيدين صامتين كما يسير رهبان الفرنتشسكان ، وأخذت تراود دانتى فكرة خطر الشياطين ، وخشى أن يلحقوا بهما ، بعد أن تعرّضوا للضرر والسخرية بسببهما ، فعبرّ عن مخاوفه لڤرجيليو ، الذى أخذ يُهدّئ من روعه . ولكن ما لبث الشياطين أن مضوا فى مطاردة الشاعرين وأوشكوا على اللحاق بهما ، فحمل ڤرجيليو دانتى بين ذراعيه ، مثل أم تحمل ابنها وتهرب به من ألسنة اللهب ، وانحدر به ڤرجيليو إلى الوادى السادس . رأى الشاعران جماعةً من المعذبين يرتدون ثياباً ملوّنة ، وعلى رؤوسهم قلانس برّاقة اللون ، وباطنها من الرصاص الثقيل ، وقد ساروا فى بطء شديد ، وكان هؤلاء هم جماعة المنافقين . وسأل اثنان دانتى عن شخصه وكيف جاء إلى هذا الموضع من الجحيم . أجاب دانتى بأنه وُلد ونشأ على ضفة الأرنو الجميل وأنه هنا بجسمه الذى كان له دائماً . عرف دانتى أنه أمام الراهبين كاتالانو ولوديرينجو اللذين اختارتهما فلورنسا لتحقيق السلام فيها ، ولكنهما أخلفا الظنّ فيهما ، وتصرفا بطريقة لا تزال آثارها بادية حول جاردينيو . ولفت نظر دانتى الكاهن قيافا ، الذى أشار بالتضحية بالمسيح فى سبيل خلاص الشعب ، وكان مُلقىً عارياً فى عرض الطريق ومصلوباً فى الأرض بثلاثة أوتاد ، وكان عليه أن يحتمل ثقل كلّ من يمرّون فوقه . استفسر ڤرجيليو عن الطريق ، وخرج إلى الوادى التالى ، وقد بدت عليه أمارات الغضب لخداع مالاكودا إياه من قبل ، وتابع دانتى مواطئ قدميه العزيزتين .

١ وحيدين صامتين[٢] ، دون رفيقٍ[٣] مضينا : واحدٌ إلى الأمام[٤] والآخر من بعده[٥] ، كما يسير الرهبان المينوريون فى الطريق[٦] .

٤ اتجه فكرى بالعراك الحالى إلى قصة إيزوب الخرافية ، حيث تحدّث عن الضفدع والفأر[٧] ؛

٧ إذْ لا تتشابه " الآن " و " حاليا " أكثر من مشابهة إحداهما للأخرى[٨] ، إذا أحسنتَ الجمع بذهن واعٍ بين البداية والنهاية .

١٠ وكما تتفتّق فكرةٌ عن أخرى[٩] كذلك تولّد من هذه[١٠] غيرها بعدُ ، فضاعفتْ من خوفىَ الأوّل[١١] .

١٣ وفكرتُ هكذا : « لقد هُزِىءَ بهؤلاء بسببنا ، ونالهم الضرر والسخرية[١٢] ، على صورةٍ أعتقد أنها تُزعجهم كثيراً .

١٦ وإذا ما أضيف الغضب إلى نيتّهم الخبيثة ، فإنهم سيأتون من ورائنا بوحشية أشدّ من الكلب وراء ذلك الأرنب البرىّ الذى ينهشه[١٣] .

١٩ أحسستُ أن شعرى كله قفَّ من الرعب ، ووقفتُ إلى الوراء منتبهاً ، حينما قلتُ : « أستاذى ، إذا لم تُخْفِ

٢٢ نفسك وإياى سريعاً ، فإنى أفزع من الشياطين : إنهم من ورائنا : وإنى أتخيلهم تماماً ، حتى لأسمعهم فِعْلا[١٤] » .

٢٥ فقال[١٥] : « لو كنتَ من زجاج يستبطن الرصاص[١٦] ، لما رسمت صورتك الظاهرة ، بأسرع مما أرسم صورتك الباطنة[١٧] .

٢٨ الآنَ حسْبُ — جاءت أفكارك بين أفكارى بفعلٍ واحدٍ ووجهٍ متجانسٍ[١٨] ، ولذلك جعلتُ من كليهما رأياً واحداً[١٩] .

٣١ إذا كان الشاطئ الأيمن ينحدر بحيث نقدر على الهبوط إلى الوادى الآخر[٢٠] ، فإننا سننجو من المطاردة الموهومة[٢١] » .

٣٤ ولم يكد ينتهى من ذكر قراره ، حتى رأيتهم قادمين نحونا بأجنحةٍ ممتدةٍ ، غير بعيدين منا ، يريدون الإمساك بنا .

٣٧ أخذنى دليلى سريعاً كالأمّ التى تستيقظ على الضوضاء ، فترى بقربها ألسنةَ اللهب المشتعل ،

٤٠ وتأخذ ابنها ، وتهرب ولا تتوقف ، وهى حريصةٌ عليه أكثر من ذاتها ، فلا ترتدى سوى قميصٍ واحد[٢٢] .

٤٣ ومن أعلى الشاطئ الوعر ، ترك نفسه يهبط سريعاً[٢٣] ، فوق الصخر المنحدر ، الذى يسدّ أحد جانبى الوادى التالى[٢٤] .

٤٦ لم تجر أبداً مياهٌ من مسقطٍ بمثل هذه السرعة ، لتديرَ عجلةَ طاحونٍ أرضىّ ، حينما تزداد قُرباً إلى أضراسها ،

٤٩ كما أسرع أستاذى على ذلك الشاطئ ، وهو يحملنى فوق صدره ، كأننى له ابنٌ[٢٥] لا رفيق[٢٦] .

٥٢ وما كادت تصل قدماه تحتُ إلى قاع المنخفض أسفل ، حتى صاروا[٢٧] فوقنا على المرتفع ؛ ولكن ذلك لم يُعرْهُ اضطراباً ؛

٥٥ لأن الحكمة العليا التى أرادت أن تضعهم حُرّاساً للخندق الخامس ، نزعتْ منهم جميعاً القدرة على مغادرته[٢٨] .

٥٨ وهناك فى أسفل وجدنا قوماً يعلوهم الطلاء[٢٩] ، كانوا يدورون كثيراً بخطىً بطيئه ، وهم يبكون ، وبدا على سيماهم الإعياء والوَهن[٣٠] .

٦١ وكانت عليهم عباءاتٌ ذات قلانس تدلت أمام الأعين ، وصُنعتْ على طراز ما يُعمل للرهبان فى كلونى[٣١] .

٦٤ مُذهَّبةٌ من الخارج حتى لتخطفَ الأبصار ، لكن باطنها كان كلّه من رصاصٍ شديد الثقل[٣٢] ، حتى بدتْ قلانس فردريك من القش إلى جانبها[٣٣] .

٦٧ واهاً لكَ أيها الثوب المُعَنِّى إلى الأبد ! واتجهنا بعدُ إلى اليسار فى رُفقتهم حسبُ ، ونحن صاغون إلى بكائهم الأليم[٣٤] .

٧٠ ولكن هؤلاء القوم المجهدين بأثقالهم[٣٥] ، ساروا ببطء شديد ، حتى كانت لنا صُحبةٌ جديدةٌ ، كلما تحرّكتْ أعقابنا[٣٦] .

٧٣ لذلك قلتُ لدليلى : « اعمل على أن تجد مَنْ يمكن معرفته بالاسم أو بالفعل [٣٧]. ونقِّلْ عينيك حولنا بينما نسير » .

٧٦ فصاح من خلفنا أحد المعذبين الذى سمع اللغة التسكانية : « احبِسا أقدامكما يا مَنْ تعدوان هكذا [٣٨]، خلال الهواء المظلم !

٧٩ فربما تنال منى ما تطلبه [٣٩] » . حينئذ استدار دليلى، وهو يقول لى : « انتظر ، ثم تقدمْ على وَفق خُطاه » .

٨٢ وقفتُ ، ورأيتُ اثنين أظهر وجهاهما لهفةً شديدةً أن يكونا معى ؛ ولكن عوَّقهما الحملُ وضيق الطريق [٤٠] .

٨٥ فلما وصلا [٤١]، نظرا إلىَّ طويلا بأعين حَوْلاء [٤٢]، دون أن ينبسا بكلمة [٤٣]؛ ثم اتجه كل منهما للآخر ، وقالا فيما بينهما :

٨٨ « هذا يبدو إنساناً حيا من حركة الحنجرة [٤٤]، وإذا كانا ميتين فبأىّ فضْلٍ يسيران دون غطاءٍ من الرداء الثقيل ؟ » .

٩١ ثم قالا لى : « أيها التسكانى الذى أتيت إلى جماعة [٤٥] المنافقين البؤساء [٤٦] ، لا تخجل أن تقول مَنْ أنت ! » .

٩٤ وأجبتهما : « لقد وُلدتُ ونشأتُ على ضفة الأرنو الجميل ، فى المدينة العظيمة [٤٧]، وأنا هنا بالجسم الذى كان لى دائماً [٤٨].

٩٧ ولكن مَنْ أنتما ، وقد جعل الألم دموعكما كما أرى ، تهطل على الخدود ، وأىّ عذابٍ هذا الذى أراه يتلألأ عليكما [٤٩] ؟ » .

١٠٠ فأجابنى أحدهما : « إن الأردية البرتقالية مصنوعةٌ من رصاص جدٍّ كثيف ، حتى يجعل الثقلُ لموازينها مثل هذا الصرير [٥٠] .

١٠٣ كنا رهباناً مُمتعين [٥١] من بولونيا ، أنا أدعى كاتالانو [٥٢] ، وهذا يُدعى لوديرينجو [٥٣]، وأخذتنا مدينتك نحن الاثنين [٥٤] معاً [٥٥]،

١٠٦ وقد كان المألوف أن يُختار واحدٌ ، ليحفظ فيها السلام ؛ وتصرفنا بطريقة لاتزال باديةً حول جاردينيو [٥٦] » .

١٠٩ بدأتُ : « أيّهذان الراهبان ، إن شروركما . . . » ؛ ولكنى لم أقل
مزيداً ، إذْ ابتدر لعينى معذبٌ مصلوبٌ فى الأرض بثلاثة أوتاد .
١١٢ وحينما رآنى اختلجت كلّ أعضائه ، وهو يُصعّد الزفرات فى لحيته(٥٧) ؛
وكاتالانو الراهب ، الذى انتبه إلى ذلك(٥٨) ،
١١٥ قال لى : « إن ذلك المثبت فى الأرض(٥٩) ، الذى تُمعن فيه النظر ،
أشار على الفرّيسيين بضرورة تعذيب رجلٍ واحد فى سبيل الشعب .
١١٨ إنه ملقىً عارياً ، كما ترى ، فى عرض الطريق ، وينبغى أن يُحسّ
أوّلا كم يزن كل من يمرّ فوقه(٦٠) .
١٢١ وبهذه الطريقة نال حموه(٦١) التعذيب فى هذا الخندق ، والآخرون من
أعضاء المجمع الذى كان لليهود أصلَ النكبات(٦٢) » .
١٢٤ حينئذ رأيت ڤرجيليو يأخذه العجب ، من أجل ذلك الممدّد المصلوب ،
بهذا الوضْع المزرىّ فى المنفى الأبدىّ .
١٢٧ ثم وَجّهَ إلى الراهب هذه الكلمات : « لعله لا يسوؤك ، إذا كان
مباحاً لك أن تقول لنا ، أيوجد إلى اليمين ثغرةٌ ،
١٣٠ نستطيع كلانا عن طريقها أن نخرج من هنا(٦٣) ، دون أن نضطرّ
الملائكة السود(٦٤) إلى القدوم ، لإخراجنا من هذا العمق ؟ » .
١٣٣ حينئذ أجاب : « توجد أقرب مما تأمل ، صخرةٌ تخرج من الدائرة الكبرى(٦٥)
وتمتدّ فوق كلّ الأودية القاسية ،
١٣٦ غير أنها محطمةٌ فى هذا الخندق ولا تُغطيه وتستطيع أن تصعد فوق
الُحطام ، الذى ينحدر على الجانب ، ويعلو من القاع(٦٦) » .
١٣٩ وقف دليلى مُطأطئ الرأس برهةً ، ثم قال : « لقد قصّ علينا الأمرَ
باطلاً ، مَنْ يَطعن الآثمين بخطافه فى الجانب الآخر(٦٧) » .
١٤٢ قال الراهب(٦٨) : « كنتُ قد سمعتُ فى بولونيا مَنْ يقول إن للشيطان
رذائل كثيرةً ، وسمعت من بينها أنه كذوبٌ(٦٩) وأبو الأكاذيب » .
١٤٥ وعندئذ سار دليلى بخطىً فسيحة ، وقد بدت ملامحه مضطربة بالغضب
قليلاً(٧٠) ، فابتعدت عن المعذّبين بأثقالهم ،
١٤٨ وأنا أتابع مواطئ قدميه العزيزتين(٧١) .

حواشى الأنشودة الثالثة والعشرين

(١) هذه أنشودة المنافقين .

(٢) أى أنه كان قد أخذهما التفكير فيما مر بهما فى الأنشودة السابقة .

(٣) يعنى دون صحبة الشياطين .

(٤) كان دانتى يسير إلى الأمام قليلا .

(٥) تأخر ڤرجيليو قليلا لكى يحمى ظهر دانتى من الشياطين .

(٦) الرهبان المينوريين يعنى الفرنتشسكان ، وكان من عاداتهم أن يسيروا فى صف طويل عند انتقالهم من مكان لآخر .

(٧) كانت قصص إيزوپ (عاش فى القرن ٦ ق . م . Aesop) اليونانى مترجمة إلى اللاتينية فى العصور الوسطى ، وأضيفت إلى قصصه قصص أخرى محرفة ومنقولة عن قصصه الأصلية ، ومنها قصة الضفدع والفأر التى ظنها دانتى من القصص الصحيحة . وهى تتناول محاولة خداع الضفدع للفأر وسط النهر لإغراقه وتمكن الفأر من النجاة .

(٨) يقارن دانتى بين كالكابرينا وأليكينو وبين الضفدع والفأر وقد وقع الأولان فى القطران ووقع الأخيران فى الماء .

(٩) هذا تعبير عن تسلسل الأفكار بعضها من بعض .

(١٠) أى من قصة الفأر والضفدع .

(١١) أى أنه خشى أن يلحقه الخطر على يد الشياطين .

(١٢) هذه إشارة إلى ما نال الشياطين من خداع جامپولو ، وكان هذا بسبب رغبة الشاعرين فى التحدث إلى جامپولو .

(١٣) هذه صورة صادقة لشراسة الكلب .

(١٤) جعل الفزع دانتى يتصور الشياطين بشكلهم المرعب .

(١٥) أى قال ڤرجيليو .

(١٦) أى لو كان مرآة .

(١٧) يعنى أن ڤرجيليو أدرك كل ما يدور بخاطر دانتى .

(١٨) أى أن مصدر أفكارهما وشعورهما واحد ، ألا وهو الخطر المحتمل وقوعه من جانب الشياطين خلفهما .

(١٩) أى أن ما ساورهما معا سيحدد الخطة التى سيتبعها ڤرجيليو للنجاة من الخطر .

(٢٠) لم يكن ڤرجيليو واثقاً من درجة انحدار الشاطىء المؤدى إلى الوادى .

(٢١) يعنى أنه إذا أمكنهما الهبوط إلى الوادى التالى فسينجوان من الخطر .

(٢٢) هذه أبيات رائعة رسم دانتى فيها شعور الأم وقد استيقظت على صوت ضوضاء فرأت النيران مشتعلة ، فاحتضنت ابنها وولت به هاربة بعيداً عن الخطر ، ولم تكن تفكر فى شىء سوى

ولدها ولم تجد الوقت الكافى لكى تضع فوق جسدها أكثر من قميص شفاف ، وبذلك غلبت الأمومة عندها شعور الخجل عند الأنثى .

(٢٣) أى أن ڤرجيليو انحدر فوق الصخر .

(٢٤) يعنى الوادى أو الخندق السادس .

(٢٥) هكذا يرسم دانتى إحدى صور الأبوة الرحيمة .

(٢٦) كان له بمثابة الابن لا مجرد رفيق طريق .

(٢٧) أى صار الشياطين .

(٢٨) هكذا زال نهائياً خطر الشياطين على الشاعرين .

(٢٩) أى ارتدوا ثياباً ذات ألوان ، وهى رمز للنفاق ، وهؤلاء هم المنافقون . ومعظم المعذبين فى الجحيم عرايا ، حتى يبدوا على حقيقتهم ، والمنافقون من الاستثناءات القليلة .

(٣٠) أى لما حملوه من الرداء الثقيل .

(٣١) أى على طريقة رهبان البندكتان فى كلونى (Cluni) فى بورجونيا .

(٣٢) يناسب ظاهر هذه القلانس وباطنها طبيعة المنافقين .

(٣٣) يقال إن فردريك الثانى كان يعاقب من ارتكبوا الخيانة العظمى بأن يغطيهم بدروع من الرصاص الثقيل ثم يضعهم فى النار ، وهذا القول من انتحال أعدائه ، والمقصود أن قلانس هؤلاء المنافقين كانت عظيمة الثقل بحيث بدت قلانس فردريك (المزعومة) إلى جانبها كأنها مصنوعة من القش.

(٣٤) هكذا يبكى المنافقون لما ارتكبوه فى الدنيا من الآثام .

(٣٥) أى بما حملوه من الرصاص الثقيل .

وفى التراث الإسلامى بعض الشبه لهذه الصورة فى عقاب البخلاء أو من ارتكبوا خطايا الجسد :

القرآن : إبراهيم : ٤٩ .

الطبرى : كتاب جامع البيان (السابق الذكر) . ج : ١٢ ص : ١٦٧ — ١٦٨ .

(٣٦) كان سير الشاعرين البطىء أسرع من سير المنافقين ، ولذلك كان لهما فى كل خطوة رفقاء جدداً .

(٣٧) يشبه هذا ما سيأتى فى الفردوس : Par. XVII. 136-142.

(٣٨) كان سير الشاعرين يعتبر جرياً بالنسبة للمنافقين . والكلام هنا موجه للشاعرين .

(٣٩) أى ربما عرف منه بعض الأشخاص الذين يريد أن يراهم. والكلام هنا موجه لدانتى وحده .

(٤٠) يرسم دانتى ما يجول بالنفس من اللهفة والرغبة الأكيدة التى يحول دونها عوائق لا يمكن التغلب عليها .

(٤١) يعنى أن وصولهما استغرق وقتاً غير قليل .

(٤٢) نظرا بطرف عيونهما لأن القلنسوة كانت تغطى أبصارهما .

(٤٣) ومضى وقت آخر وهما لا يتكلمان للتعب الذى تولاهما بهذا المجهود .

(٤٤) حركة الحنجرة دليل على الكلام وعلى أن دانتى إنسان حى .

(٤٥) يستخدم دانتى لفظ (Collegio) بمعنى رفقة أو جماعة أو مجمع وسيفعل هذا مع جماعة السعداء فى المطهر : Purg. XXVI. 129.

(٤٦) يذكر الكتاب المقدس المنافقين البؤساء : Matt. VI. 16.

(٤٧) أى فلورنسا . يعبر دانتى بذلك عن شعور الرجل المنفى نحو بلاده العزيزة ، وإن لم يمنعه ذلك من أن يصب اللعنات على فلورنسا جزاء ما فعلت . هذان البيتان موضوعان فوق لوحة مرمرية على بيت دانتى التذكارى الذى أقامته بلدية فلورنسا فى موضع بيت الأسرة القديم .

(٤٨) أى أن دانتى لا يزال إنساناً حياً .

(٤٩) يعنى القلانس المصنوعة من الرصاص الثقيل .

(٥٠) أى أنهم يبكون من فرط ثقلها .

(٥١) أنشأ البابا أوربان الرابع نظام رهبان ماريا العذراء المجيدة فى بولونيا فى ١٢٦١ ، لنشر السلام فى المدن الإيطالية ولمساعدة الفقراء والضعفاء . وانتشر هذا النظام فى أنحاء إيطاليا ، ولكن سرعان ما تدهور وخرج الرهبان على قواعد الدين ، حتى لقبهم الناس بالرهبان المتمتعين السعداء (Frati Gaudenti) .

(٥٢) كاتالانو دى كاتالانى (Calalano dei Catalani) راهب من أسرة جلفية فى بولونيا شغل عدة وظائف فى مدن إيطاليا فى القرن ١٣ .

(٥٣) لوديرينجو دلى أندالو (Loderingo degli Andalo) راهب من أسرة جبلينية من بولونيا شغل وظائف عديدة فى مدن إيطاليا فى القرن ١٣ .

(٥٤) أضفت (نحن الاثنين) للإيضاح .

(٥٥) استدعت حكومة فلورنسا هذين الراهبين فى ١٢٦٦ بعد موقعة بنيفنتو ، لكى يشغلا معاً وظيفة العمدة ، وراعت فلورنسا فى هذا الاختيار أن الراهبين أجنبيين من بولونيا ، وأن أحدهما من أسرة جلفية والآخر من أسرة جبلينية ، وظنت أن هذا الاختيار سيؤدى إلى تحقيق العدالة .

(٥٦) أى أنهما لم يحققا العدالة ، وبتأثير البابا كلمنتو الرابع انحازا إلى جانب الجلف ، الذين انتهزوا الفرصة وقاموا بثورة على الجبلين وطردوهم من فلورنسا ، وفى تلك الأثناء أحرقت قصور آل أوبرتى الجبلين حول جاردينيو (Gardigno) حيث يقوم ميدان السنيوريا فى فلورنسا فى الوقت الحاضر .

(٥٧) أطلق ذلك المعذب تنهداته لأنه أحس بالخجل عند ما رآه دانتى على هذا النحو .

(٥٨) أى تنبه إلى أن دانتى قد دهش لوضع ذلك المعذب المصلوب على الأرض .

(٥٩) هو رئيس الكهنة قيافا (Caiphas) الذى نصح مجمع الكهنة الفريسيين المنافقين بالتضحية بالمسيح فى سبيل خلاص الشعب ، وجاء ذكر هذا فى الكتاب المقدس : Giov: XI: 47-53

(٦٠) عقاب قيافا المنافق أن يحس بثقل المعذبين الذين يسيرون فوقه وهو ملقى على الأرض وفى التراث الإسلامى بعض الشبه بهذه الصورة فى عقاب المتكبرين والذين تطاولوا على إخوتهم :
السمرقندى : قرة العيون (السابق الذكر) . ص : ٧٢ .
السيوطى : كتاب اللآلىء المصنوعة (السابق الذكر) . ج : ٢ : ص : ١٩٥ .

(٦١) حموه هو حنان (Annas) كما ورد فى الكتاب المقدس : Giov. XVIII. 13.

(٦٢) أى الذى جلب الويلات على اليهود لموقفهم من المسيح .

(٦٣) أى للوصول إلى الوادى السابع .

(٦٤) يعنى الشياطين .

(٦٥) يعنى من الجدار الخارجى لهذا الجزء من الجحيم : Inf. XVIII. 3.

(٦٦) أى أن حطام الصخور يتجمع فى القاع ويعلو ، وبذلك يمكن اعتلاءه للوصول إلى الوادى التالى .

(٦٧) يقصد مالاكودا الذى قال لڤرجيليو إنه هناك جسر آخر : Inf. XXI. 111.

(٦٨) أى كاتالانو .

(٦٩) ورد هذا المعنى فى الكتاب المقدس : Giov. VIII. 44.

(٧٠) غضب ڤرجيليو لخداع مالاكودا إياه .

(٧١) هكذا كان دانتى يحب أستاذه العزيز .

الأنشودة الرابعة والعشرون[1]

رسم دانتى بعض صور الريف الإيطالى ، ووصف الفلاح وقد استولى عليه اليأس عند نزول الصقيع فيعوزه العشب ، ثم يسترجع الأمل عند ما تظهر أشعة الشمس فيأخذ عصاه ويسوق القطعان لكى ترعى الكلأ . وازن دانتى بين حال الفلاح فى هذين الموقفين وحاله وڤرجيليو عندما أخذهما اليأس ، ثم تحوّل إلى الاطمئنان والرضى بزوال الخطر. وصل الشاعران إلى جسر محطّم ، فرفع ڤرجيليو دانتى وساعده على اعتلاء الصخور ، وجلس دانتى من الإعياء وهو لاهث الأنفاس . ولكن ڤرجيليو حمله على أن ينضوَ عن نفسه الإعياء ، وقال له إن المجد لا يُنال فوق الفراش ولا تحت الأغطية ، وإن قوة الروح تظفر فى كلّ معركة ، فنهض دانتى وقد استعاد قوته ، ومضى الشاعران فى سيرهما . سمع دانتى صوتاً ولكنه لم يفهم منه كلاماً ، ونظر ولكنه لم يتبين شيئاً لشدّة الظلام ، ولذلك طلب إلى ڤرجيليو أن يهبط إلى الخندق السابع حتى يرى ويسمع . ورأى دانتى حشداً من الزواحف الرهيبة التى لم يوجد مثيلٌ لها فى ليبيا ولا فى إثيوپيا ولا فى البلاد الواقعة على ساحل البحر الأحمر . وجرى بين الزواحف جماعة اللصوص وهم عراة ، وقد كانت أيديهم مربوطةً إلى الخلف بالزواحف . ورأى كيف تلدغ زاحفة أحد المعذبين ، وكيف يحترق ويتحوّل إلى رماد ، ثم يعود إلى شكله السابق ، وكان ذلك المعذب هو ڤانّى فوتشى ، أحد اللصوص فى پستويا فى عهد دانتى . تولى فوتشى الخجل للحال التى كان عليها ، ولم يشأ أن يترك دانتى يتمتع بالمشهد الذى رآه فتنبأ له بالأحداث التى ستقع بين السود والبيض ، وكيف يزول السود من پستويا ، وتجدد فلورنسا شعبها وقوانينها ، وتنشب معركة پيتشينو التى ينتصر فيها السود على البيض .

١ فى ذلك الجزء[٢] من العام الناشىء[٣] ، عندما تعتدل أشعة الشمس فى
بُرج الدلو[٤] ، وتكون الليالى قد ولّت عند منتصف اليوم[٥] ،

٤ وحينما يرسم الصقيع فوق الأرض صورة صِنوه الأبيض[٦] ، ولكن تبقى
قليلاً آثار ريشته[٧] —

٧ ينهض الفلاح الذى أعوزه العشب[٨] ، وينظر ، فيرى الحقولَ قد
ابيضّت كلها ، فيضرب فخذيه[٩] ؛

١٠ ويعود إلى البيت ، ويأسى جيئة وذهاباً ، كبائسٍ لا يدرى ما يفعل[١٠] ؛
ثم يعود إلى الخروج ويسترجع الأمل ،

١٣ عندما يرى أن قد تغيرّت فى برهةٍ معالمُ الأرض ، فيأخذ عصاه ،
ويسوق القطعان لترعى الكلأ[١١] .

١٦ هكذا جعلنى أستاذى أيأس ، حينما رأيتُ وجهه يضطرب على هذا النحو ،
وهكذا سرعان ما وصل للداء الدواء[١٢] ؛

١٩ لأننا حينما جئنا إلى الجسر المحطم ، اتجه إلىّ دليلى بذلك الوجه الرقيق ،
الذى رأيته من قبل عند سفح الجبل[١٣] .

٢٢ وفتح ذراعيه بعد أن اختار فى نفسه خطةً ، وقد فحص أوّلا الُحطام
بعنايةٍ ، ثم أمسك بى .

٢٥ وكذلك مَنْ يعمل ويُقدّر ، ويبدو دائماً أنه أوّلا يتدبر ، هكذا — بينما
كان يرفعنى إلى قمة صخرةٍ

٢٨ كبيرة — تطلّع إلى صخرة أخرى ، وهو يقول : « تعلّق الآن فوق تلك ،
ولكن جرّب أولا أتستطيع مثلها أن تحملك[١٤] » .

٣١ لم يكن طريقاً لمن يرتدى عباءة[١٥] ، لأننا بمشقة ، هو خفيفٌ وأنا
إلى أعلى مدفوع[١٦] ، استطعنا أن نصعد من صخرة إلى صخرة[١٧] ؛

٣٤ ولو لم يكن المرتقى فى هذا الشاطىء[١٨] ، أقصر منه فى الآخر[١٩] ، ولا أعلم
عنه شيئاً ، لكنتُ حتماً سأنهزم[٢٠] .

٣٧ ولكن لما كانت منطقة « الماليبولجى » تميل كلها نحو مدخل البئر الأسفل ، كان وَضْع كلّ واد بحيث

٤٠ يرتفع أحد شاطئيه ويهبط الآخر[٢١] : ومع ذلك فقد وصلنا فى النهاية فوق الحافة ، حيث تبرز منها آخر صخرة .

٤٣ كان نفسى فى الرئتين مجهداً ، حينما أصبحتُ فوقُ ، حتى لم أقو بعدُ على الصعود ، بل جلستُ عند أوّل وصولى[٢٢] .

٤٦ قال أستاذى : « الآن ينبغى أن تُحرّر نفسك من هذا الإعياء ، فلن يُنال المجد بالجلوس على الريش ولا تحت الأغطية[٢٣] ؛

٤٩ ومن يُنفق حياته دون مجد[٢٤] ، يترك من نفسه أثراً فى الأرض ، كدخانٍ فى الهواء ، أو زبد فى الماء[٢٥] .

٥٢ وإذاً فانهضْ ! واقهر الإعياء بالنفس ، التى تظفر فى كلّ معركةٍ ، إذا لم تَنُؤْ تحت جسدها الثقيل[٢٦] .

٥٥ علينا أن نصعد مُرتقىً أطول[٢٧] ؛ ولا يكفى أنك رحلت عن هؤلاء[٢٨] : إذا كنتَ تفهمنى ، فاعمل الآن بما يفيدك » .

٥٨ نهضتُ حينئذ ، وقد بدوت أكثر تزوّداً بالهواء ، مما لم أكن أشعر ، وقلت : « سرْ ، فإنى قوىٌّ جرىء[٢٩] » .

٦١ وأخذْنا فوق الجسر الطريقَ الذى كان وعراً ضيقاً صعبَ المسلك ، وأشدّ انحداراً من الطريق الأوّل .

٦٤ وبينما كنتُ أتكلم مضيتُ ، حتى لا أبدو مُتهالكاً ، وهنا خرج صوتٌ من الخندق الآخر ، غير صالحٍ لتكوين كلمات[٣٠] .

٦٧ لا أعلم ماذا قال ، مع أنى كنت بعدُ فوق ظهر الجسر ، الذى يعبر هنا[٣١] ، ولكن مَنْ تكلم بدا مُنفعلاً بالغضب[٣٢] .

٧٠ اتجهتُ إلى أسفل ، ولكن العينين القويتين[٣٣] لم تستطيعا من الظلام أن تبلغا العمقَ ، ولذلك قلت : « أستاذى ، اعمل على أن تصل

٧٣ إلى الشاطئ الآخر ، ولَنهبط عن هذا الحائط[٣٤] ؛ لأنى كما أسمع هنا ولا أفهم ، كذلك أنظر إلى أسفل ولا أتبين شيئاً[٣٥] » .

٧٦ قال : « لا أعطيك ردا غيره سوى الفعل ، لأن المطلب العادل ، ينبغى أن يتبعه العمل فى صمت(٣٦) » .

٧٩ نزلنا الجسر عند الرأس ، حيث يلتقى بالشاطئ الثامن ، وعندئذ انكشف لى الوادى(٣٧) ؛

٨٢ ورأيت هناك بداخله حشداً مخيفاً من الأفاعى العجيبة الأنواع ، حتى لا يزال يهرب دمى لذكراها .

٨٥ ألا لا تفخر ليبيا برمالها بعدُ(٣٨) : لأنها إذا كانت تُنتج دخّانات(٣٩) ، وقفّازات(٤٠) ، وحفّارات(٤١) ، ورقطاوات(٤٢) ، ومعها أفاعين(٤٣) ،

٨٨ فإن مثل هذه الطواعين(٤٤) العديدة القاتلة ، لم تظهر فيها أبداً ، ولا فى إثيوبيا كلها ، ولا فى البلاد التى تقع على البحر الأحمر(٤٥).

٩١ وبين هذا الحشد القاسى البئيس ، جرى قومٌ عراةٌ مَلكهم الرعب ، دون أملٍ فى مخرج أو طلسم(٤٦) .

٩٤ ربطتْ زواحفُ أيديهم إلى الوراء(٤٧) ، وثبّتتْ فوق أعجازهم الرأسَ والذنب ، وتجمّعت إلى الأمام فى عُقد .

٩٧ ها هو ذا واحدٌ كان قريباً إلى شاطئنا ، وقد هاجمته زاحفةٌ ولدغته ، حيث يرتبط الكتفان بالعنق(٤٨).

١٠٠ لم يُكتب أبداً حرف "ا" أو "و" بسرعة هكذا(٤٩) ، كما اشتعل هو واحترق(٥٠) ، وكان عليه أن يتحوّل كله إلى رماد وهو يسقط(٥١) ؛

١٠٣ وبعد انحلاله هكذا فوق الأرض ، تجمّع الرماد من تلقاء نفسه ، واسترجع توًّا شكله الأوّل(٥٢) :

١٠٦ وهكذا يُؤكّد كبار الحكماء(٥٣) ، أن العنقاء تموت ثم تولد من جديد ، عندما تقترب من تمام الخمسمائة عام(٥٤) ؛

١٠٩ ولا تتغذى فى حياتها بالعشب ولا الحبّ ، ولكن بقطرات البان(٥٥) والحُمامى(٥٦) وحدها ، والمرّ(٥٧) والناردين(٥٨) هما آخر لفائفها .

١١٢ وكمن يهوى ، ولا يعرف كيف هوى ، بقوّة شيطان يجذبه إلى الأرض ، أو بتقلّص آخر يُقيّد الإنسان ،

١١٥ وعندما ينهض ينظر فيما حوله بإمعان ، وقد زاغ بصره لفرط ما عاناه من ألم ، ويتنهد وهو يُبصر[٥٩] —

١١٨ هكذا كان ذلك المعذّب حينما نهض . أيتها القوّة الإلهية ! كمْ أنت قاسية ، إذْ تصبين انتقامك بمثل هذه الضربات[٦٠]!

١٢١ ثم سأله دليلي مَنْ كان ؛ فأجابه حينئذ: « لقد سقطتُ من تُسكانا منذ عهدٍ قريب ، إلى هذه الهوة القاسية .

١٢٤ ولما كانتْ لي صفات البغل ، فقد لذّتْ لي حياة البهائم لا البشر ، أنا المتوحش ڤانّي فوتشي[٦١] ، وكانت پستويا جحراً يناسبني » .

١٢٧ فقلتُ لدليلي : « قُلْ له ألا يهرب ؛ وسَله أية خطيئةٍ ألقتْ به هنا أسفل ؛ فقد رأيته رجلَ دماءٍ وغضب[٦٢]» .

١٣٠ لم يتظاهر ذلك الآثم بأنه لم يفهم ما سمعه ، ولكنه اتجه نحوى بوجهه وفكره ، وقد ارتسم عليه خجلٌ حزين ؛

١٣٣ ثم قال: « مفاجأتك لي في البؤس حيث تراني ، تُؤلمني أكثر مما لم أحسه ، حينما انتُزعتُ من الحياة الأخرى[٦٣].

١٣٦ ولا أستطيع أن أرفض ما تطلبه : لقد وُضعتُ طويلاً في أسفل ، إذْ كنتُ لصا في خزانة الكنيسة ذات الكنز الجميل[٦٤] ،

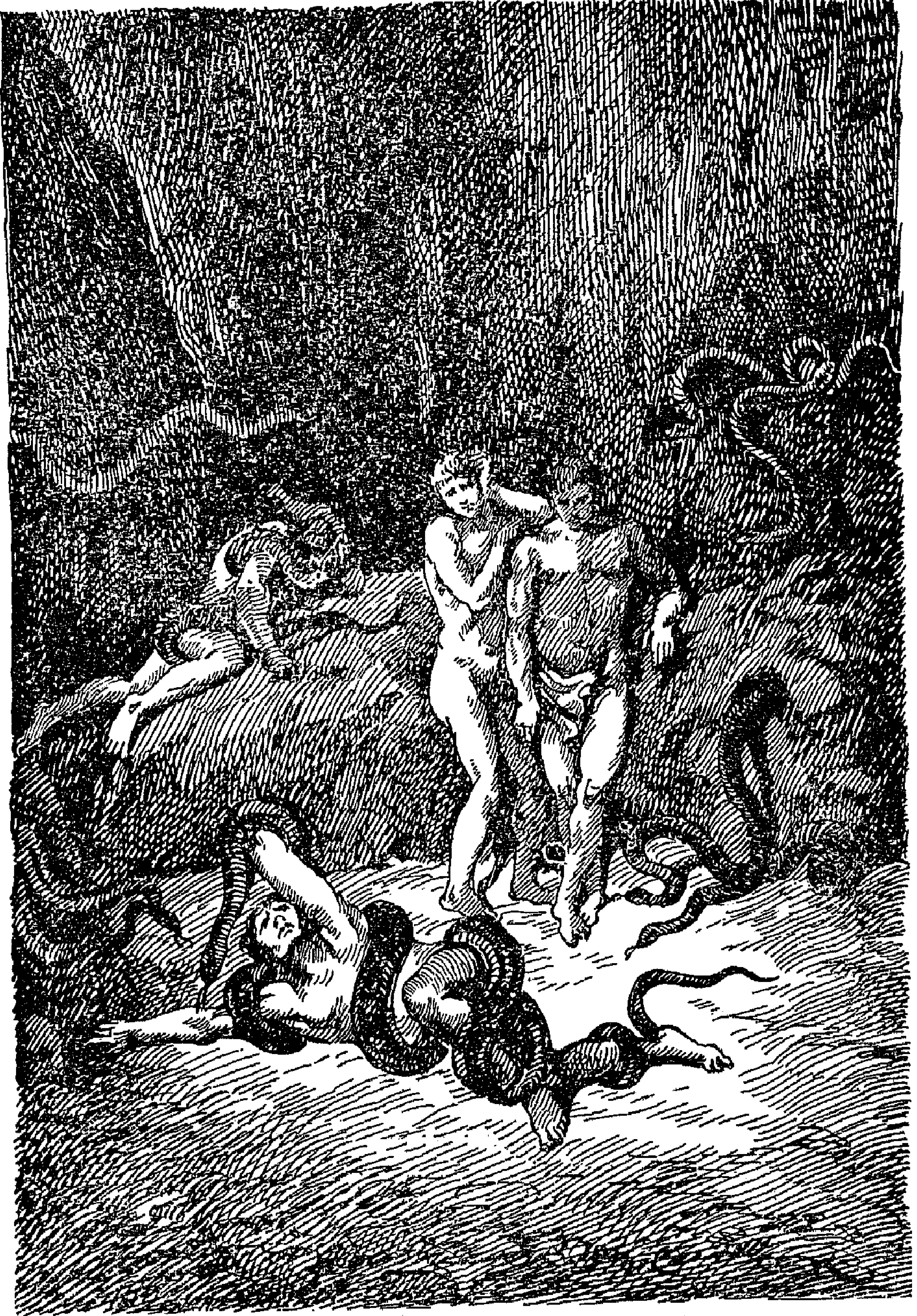
١٣٩ وكان غيري قد اتّهم باطلاً[٦٥]. ولكن لكيلا تتمتع بمثل هذا المشهد ، إذا كنت ستصبح أبداً خارج الأماكن المظلمة ،

١٤٢ فافتح أذنيك لنبوءتي واستمع : « ستخلو پستويا أوّلا من السود[٦٦] ؛ ثم تُجدد فيورنتزا[٦٧] شعبها والقوانين .

١٤٥ وسيأتي مارْس[٦٨] من وادي ماجْرا[٦٩] ، بصاعقةٍ مطوية في سحبٍ مضطربة ؛ وبعاصفةٍ هوجاء جامحة سيثير

١٤٨ معركةً في أرض پيتشينو[٧٠] ، وهنا سيشقّ الضبابَ فجأةً ، حتى سينال كلّ أبيض[٧١] منها جراحٌ .

١٥١ قلتُ لك هذا ليحقّ عليك الألم ! » .



٩ ــ اللصوص والأفاعى

أنشودة ٢٤ : ٨٥ . . .

حواشي الأنشودة الرابعة والعشرين

(١) هذه أنشودة اللصوص .

(٢) بعد خوف دانتي وغضب ڤرجيليو في الأنشودة السابقة يعود الجو الآن إلى الهدوء .

(٣) أي في الفترة من ٢١ يناير إلى ٢١ فبراير .

(٤) في هذه الفترة – عند ما تكون الشمس في برج الدلو – تبدأ أشعتها في الظهور بالنسبة لدانتي .

(٥) يعني عند ما يوشك أن يتساوى الليل بالنهار .

(٦) يقول إن الصقيع يرسم صورة أخيه الأبيض يعني الثلج . أي أن الحقول تبدو مغطاة بطبقة من الثلج .

(٧) يذوب الصقيع الهش بأسرع مما يذوب الثلج .

(٨) أي العشب الضروري للحيوان .

(٩) المقصود أن الفلاح يضرب فخذيه يأساً وقد ظن أن الثلج غمر الحقول .

(١٠) هذا لأنه يظن أنه لن يستطيع الزراعة أو الرعي .

(١١) يرسم دانتي بهذه الأبيات صورة رائعة لبعض مظاهر الحياة في الريف الإيطالي .

(١٢) يقارن دانتي بين تقلب الطبيعة وبين ما تولى ڤرجيليو من الغضب ثم الهدوء ، وبين ما أصابه هو من الرعب والفزع ثم الهدوء والطمأنينة .

(١٣) أي عندما ظهر له ڤرجيليو في أول الجحيم : Inf. I. 61-63.

(١٤) أي أنه كان على دانتي أن يختبر الصخرة بيده أولا ليرى هل هي ثابتة وهل تقوى على احتماله .

(١٥) أي لم يكن هذا طريقاً لمن يرتدى أردية من الرصاص الثقيل وهو يعرض بالمنافقين : Inf. XXIII.

(١٦) أضفت (إلى أعلى) للإيضاح .

(١٧) هكذا كان المرتقى صعباً .

(١٨) أي الشاطىء الذي يؤدي إلى الوادي أو الخندق السابع .

(١٩) أي الجانب المؤدي إلى الوادي السادس .

(٢٠) يعني أنه كان سيعجز حتما عن الصعود .

(٢١) يرجع هذا الانحدار العام إلى طبيعة الجحيم ذات الشكل المخروطي عند دانتي .

(٢٢) هكذا بلغ التعب من دانتي فجلس على الأرض حينما بلغ الصخرة .

(٢٣) يعني أن بلوغ المجد يقتضي الجد والعمل والاحتمال . وأورد هوارتيوس مثل هذا التعبير : Hor. Ars Poetica, 412...

(٢٤) أضفت لفظ (مجد) للإيضاح .

(٢٥) كان دانتي يتطلع دائماً لنيل المجد ، وهذا هو وقته .

(٢٦) هذا تعبير عن صدى ما فى نفس دانتى ، وقد كان يغلب بقوة الروح كل المصاعب والعقبات . وأى درس فى هذا للناس !

(٢٧) يشير ڤرجيليو إلى جبل المطهر ، وسيكرر الإشارة إلى مراحل صعوده فى مواضع كثيرة كما سيأتى فى المطهر : Purg. III. 46-51; XI. 40; XIII. 1· XVII. 65, 77; XXII. 183; XXV . 8; XXVII. 124.

(٢٨) أى لا يكفى أن يبتعد دانتى عن المعذبين بل يجب أن يتخلص من كل الخطايا حتى يصبح جديراً بالسعادة الأبدية .

(٢٩) هكذا استرجع دانتى قوة الروح والجسد معاً .

(٣٠) لعلها كانت الكلمات سباب ولعنات تشبه ما سيأتى بعد : Inf. XXV. 3.

(٣١) أى فوق هذا الخندق .

(٣٢) لا يحدد دانتى شخصية هذا الآثم .

(٣٣) الأعين الحية القوية .

(٣٤) يعنى الجسر .

(٣٥) نظراً لعمق الخندق وإظلامه لم يفهم دانتى من أعلى الجسر الصوت الذى سمعه ولم يميز ما بأسفل ، ولذلك طلب إلى ڤرجيليو الهبوط إلى الخندق حتى يصبح قادراً على الفهم والرؤية .

(٣٦) يعنى قد حان وقت العمل ولا يجوز أن يكون هناك كلام دون عمل .

(٣٧) هذا هو الوادى أو الخندق السابع حيث يعذب اللصوص .

(٣٨) اقتبس دانتى هذا من لوكانوس : Luc. Phars. IX. 705...

(٣٩) الدخانة (chelydrus) أفعى تعيش أغلب الوقت فى الماء وإذا سارت على الأرض أثارت التراب الذى يشبه الدخان فى تصاعده .

(٤٠) القفازة أو الطفارة (Jaculi) أفعى تقفز من الأشجار على فريستها .

(٤١) الحفارة (pareas) أفعى تحفر الأرض بذنبها .

(٤٢) الرقطاء أو النقطاء (cenchris) أفعى ذات جلد مرقش .

(٤٣) أفعوان (amphisbaena) أفعى تتحرك إلى الأمام وإلى الخلف . ويطلق هذا اللفظ على ذكر الأفعى عامة .

وأورد لوكانوس أسماء هذه الزواحف وصفاتها : Luc. Phars. IX. 711...

(٤٤) يقصد بالطواعين الزواحف .

(٤٥) يقصد الصحارى الواقعة على ساحل البحر الأحمر أو صحارى بلاد العرب ومصر .

(٤٦) الطلسم نبات أو حجر سحرى (elitropia) من خصائصه البرء من السموم وإخفاء من يحمله ، عند المشتغلين بالسحر .

(٤٧) هذا جزء من عقابهم لأنهم اعتادوا أن يسرقوا أموال الغير .

(٤٨) أى لدغته فى رقبته .

(٤٩) فى الأصل حرفا (o) و (j) والمقصود أن احتراق المعذب وتحويله إلى رماد حدث بسرعة متناهية .

(٥٠) أى ذلك المعذب .

(٥١) هو ڤانى فوتشى اللص .

(٥٢) هذا المزيد فى هذاب اللصوص الأبدى .

(٥٣) أى الشعراء والعلماء القدامى .

(٥٤) العنقاء (phoenix) طائر خرافى ، واقتبس دانتى هذه الصورة عن أوڤيديوس :
Ov. Met. XV. 393...

(٥٥) قطرات البان (lagrime d'incenso) بخور عطر الرائحة .

(٥٦) الحماى (amomo) نوع من البهار .

(٥٧) المر (mirra) خشب ذكى الرائحة .

(٥٨) الناردين (nardo) نبات يستخرج منه بلسم الجروح .

(٥٩) هذا وصف دقيق لبعض الحالات المرضية ، ربما وقعت لدانتى ذاته أو شهدها .

(٦٠) أى أن القوة الإلهية تنتقم لتحقيق العدالة .

(٦١) ڤانى فوتشى (Vanni Fucci) لص مشهور فى پستويا (Pistoia) وكان من الحلف السود ، ولم يتورع عن سرقة الكنائس ، وكان يسمى ڤانى فوتشى المتوحش .

(٦٢) يشير دانتى إلى اشتراك ڤانى فوتشى فى الصراع بين الحلف البيض والحلف السود فى أواخر القرن ١٣ .

(٦٣) أحس فوتشى بالخزى لأن دانتى لم يره مع من ارتكبوا العنف أو اتهموا بسرعة الغضب ولكن رآه مع هؤلاء اللصوص ، وفاق ألمه عندئذ ما أحسه عند موته .

(٦٤) المقصود بهذا كاتدرائية پستويا وكانت تحتوى على تحف ثمينة من الذهب والفضة .

(٦٥) اتهم بدلا منه زورا رامپينو دى رانوتشو فوريزى (Rampino di Ranuccio Foresi) وسجن ظلماً وعدواناً .

(٦٦) ساعد الفلورنسيون من الحلف البيض زملاءهم فى پستويا لطرد السود منها فى مايو ١٣٠١ ولكن وصل شارل دى ڤالوا بتحريض البابا بونيفاتشو الثامن فى نوفمبر ١٣٠١ وطرد البيض من فلورنسا وما حولها ووضع مكانهم السود .

(٦٧) فيورنتزا (Fiorenza) النطق القديم لفيرنتزه (Firenze) بالإيطالية الحديثة ، وفلورنسا فى النطق الحالى الشائع المأخوذ عن الفرنسية والإنجليزية (Florence) . وكرر دانتى تسميتها فيورنتزا :
Inf. X. 92; XVI. 75; XXVI. 1; XXXII. 120.
Purg. VI. 127; XX. 75.
Par. XV. 97; XVI. 84; 111, 146, 149; XVII. 48; XXIX. 103; XXXI. 39.
Canz. XI. 77; XVIII. 50.
Conv. I (III) 22; II (XIV.) 176.

ويكتبها كذلك بصور أخرى مثل :

فيرنتزه (Firenze) : Conv. IV (XX.) 39.

فيورنسا (Fiorensa) : V. El. I. (XIII.) 22.:

فلورنسيا (Florentia) : V. El. I. (VI.) 25; II. (VI.) 47; (XII.) 16.

Epis. I. tit; VII. 7; VIII. tit; IX. 2, 4.

ويشير إليها فى مواضع عديدة من مؤلفاته فيقول مثلا إنها المدينة المليئة بالحسد(Inf. VI. 49) والمدينةالمنقسمة (Inf. VI. 61.) والمدينة المنحرفة (Inf. XVI. 9.)ووكر الحقد (Inf. XV. 78.) وموطن ميلاده . (Inf. X. 26: XXIII. 94-96; Purg. XXIV. 79; Par. VI. 53; IX. 127) ويسميها المدينة العظيمة على ضفة الأرنو الجميل (Inf. XXIII. 95.) ويرجع اسمها إلى الرومان الذين أطلقوا عليها فلورنسا ثم أصبحت فيورنتزا . وفى الغالب اشتق الاسم من الزهرة (floreo, fiore) أى زهرة الزنبق رمز المدنية وتسمى مدينة الزهور .

وتقع فلورنسا فى قلب تسكانا على نهر الأرنو وتحيط بها التلال ، فى الشمال تلال فيزولى (Fiesole) وجبل موريلو (Morello) وفى الجنوب تلال سان مينياتو (San Miniato) وبلوزجواردو (Bellosguardo) ويقسمها الأرنو قسمين . ويقال إن الرومان أنشأوا فلورنسا بعد هدم فيزولى فى عهد يوليوس قيصر ، ثم هدمها توتيلا ملك القوط فى القرن ٦ ، ويقال إن شارلمان أعاد بناءها بعد ثلاثة قرون . وكانت فلورنسا فى العصور الوسطى مقسمة أربعة أحياء أو أبواب وسميت بأسماء بوابات سور المدينة ، فنى الشرق باب سان پانكراتزيو (Porta San Pancrazio) ، وفى الغرب باب سان پيترو (San Pietro) ، وفى الشمال باب الكاتدارئية (Il Duomo) ، وفى الجنوب باب سانتا ماريا (Santa Maria) ، وفى الوسط وجد السوق القديم (Mercato Vecchio) . وعند ما اتسعت المدينة وبنيت لها أسوار جديدة زادت أحياؤها ، وحل مكان حى سانتا ماريا حى سان پييرو سكيرادجو (Sesto San Piero Scheraggio) ، وحى البرجو (Il Borgo) ، وأضيف حى ألترأرنو (Oltrarno) . وفى الخمسين سنة السابقة على ميلاد دانتى (١٢٦٥) زادت مساحة فلورنسا وتكاثر سكانها وتضاعفت ثروتها وارتفع شأنها السياسى .

ومن المبانى والمنشآت التى شهدها دانتى أو شهد بداية إنشائها فى فلورنسا الجسر القديم (Ponte Vecchio) ويقال إنه يرجع إلى عهد الرومان ثم هدمه فيضان ١٣٣٣ وأعاد بناءه تاديو جادى فى ١٣٦٢ . وأنشىء جسر كارايا (Ponte alla Carraia) فى ١٢٢٠ لمنفعة ضاحية أنييسانتى (Ognissanti) التى اشتهرت بنسج الحرير والصوف ، وهدمه فيضان ١٣٣٣ ، وأعيد بناؤه فى وقت متأخر . وأنشىء جسر روباكونتى (Rubaconte) الذى يعرف الآن بجسر جراتزيى (Grazie) فى شرق الجسر القديم فى ١٢٣٧ . وأقيم جسر سانتا ترينيتا (Santa Trinita) بين الجسر القديم وجسر كارايا فى ١٢٥٢ . ومن هذه المبانى معمدان سان جوڤانى (San Giovanni) الذى بنى فى القرن السابع أو الثامن . وكنيسة سان مينياتو (San Miniato) التى كانت قائمة قبل عهد شارلمان وجدد بناؤها . والباديا (Badia) الدير القديم لرهبان البندكتان الذى أنشىء فى ٩٧٨ . وكنيسة سانتا أنونتزياتا (Santa Annunziata) التى أنشئت فى ١٢٦٢ . وكنيسة سانتا كروتشى (Santa Croce) التى أنشئت من ١٢٩٤ إلى ١٤٤٢ . وكنيسة سان لورنتزو (San Lorenzo) التى أنشئت فى ٣٩٠ واحترقت فى ١٤٢٣ وأعاد آل مديتشى بناءها فى القرن ١٥ . وكنيسة سانتا ماريا نوڤلا (Santa Maria Novella) التى أنشئت من ١٢٧٨ إلى ١٣٤٩ . وكنيسة سان مارتينو دى بونوميني (San Martino de Buonomini) التى أقيمت فى حوالى ١٠٠٠ . وكنيسة سانتا ترينيتا

(Santa Trinita) التى أنشئت فى ١٢٥٠ . وكنيسة سانتا ماريا دل فيورى (Santa Mari1 del Fiore) وهى الكاتدرائية وأنشئت فى مكان سانتا ريپاراتا (Santa Rpiarata) من ١٢٩٤ إلى ١٤٥٦ . وكنيسة الرحمة (Misericordia) وأنشئت فى ١٢٤٤. ومستشفى الأبرياء القطاء (Ospedale degli Innocenti) وأنشىء فى ١٢١٨ . ومستشفى سانتا ماريا نووفا (Santa Maria Nuova) بناه فولكوپورتينارى فى ١٢٨٧ . وقصر العمدة أو البرجلو (Palazzo del Podesta, Il Bargello) وأنشىء فى ١٢٥٠ . وقصر السنيوريا أو القصر القديم (Palazzo della Signoria, P. Vecchio) وأنشىء من ١٢٩٨ إلى ١٣١٤ .

وستصبح فلورنسا مركز حركة النهضة وستكون بمثابة أثينا العصر الحديث فى خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، وسيرعى آل مديتشى (I Medici) هذه الحركة العظيمة وسيظهر فى فلورنسا عباقرة يخرجون روائع الأدب والفن والعلم والسياسة مثل پترارکا وبوکاتشو وساڤونارولا وليوناردو داڤنتشى وميكلأنجلو وماكياڤلى . ولا تزال حتى الآن بثمراتها الخالدة مدرسة عالمية يحج إليها الدارسون من أنحاء الأرض .

(٦٨) مارس (Mars) إله الحرب عند الرومان وابن جوپيتر وأبو رومولوس مؤسس روما ، فى الميتولوجيا القديمة ، وكان حامى فلورنسا فى العهد الوثنى .

(٦٩) وادى ماجرا (Val di Magra) يقع فى طرف لونيجانا فى الشمال الغربى من تسكانا وكانت تابعة لآل مالاسپينا فى عهد دانتى .

(٧٠) پيتشينو (Ficeno) المنطقة الواقعة بين مونتكاتينى ووادى سيرا ، حيث وقعت المعركة بين البيض والسود فى ١٣٠٢ ، وانتصر السود بقيادة مورويلو مالاسپينا .

(٧١) أى كل رجل من حزب البيض .

الأنشودة الخامسة والعشرون[1]

اجترأ اللص ڤانى فوتشى على الله ، فهاجمته الزواحف والتفت حوله حتى إنه لم يستطع حراكاً ، وبذلك أصبحت الزواحف صديقة لدانتى لأنها صبت على اللص الجزاء الذى يستحق . وأعلن دانتى غضبه على پستويا لأنها أخرجت مثل هذا اللص المتغطرس . رأى دانتى كاكوس اللص المشهور فى الميتولوجيا اليونانية ، الذى سكن بعض الوقت فى جبل أڤنتيتو ، حيث قتله هرقل جزاء سرقة ثيرانه . والتف حول كاكوس أفاع تفوق ما وجد فى ماريمّا ، وكان فوق كتفيه تنين يحرق كل من يلاقيه . رأى دانتى نبلاء فلورنسيين اشتهروا بأعمال السلب والنهب والاعتداء على الناس ، وهم أنيلو برونلسكى وبووزو دلى أباتى وكاينڤا دوناتى وفرنتشسكو كاڤالكانتى وپوتشو تشانكاتو دى جاليجاى. وشهد كيف وثبت زاحفة على أنيلو وألتفت حوله كالتفاف اللبلاب ، وامتزجا معاً وتحولا إلى كائن مسيخ له وجه واحد واختفت فيه معالم الاثنين . ثم رأى زاحفة تهاجم بووزو دلى أباتى وتلدغه فى سرته . ووجد أن كلا منهما بدأ يتحول ، الزاحفة إلى إنسان ، والإنسان إلى زاحفة . وحدث هذا تدريجاً وعلى توافق بالنسبة لكل الأعضاء ، فتحول ذنب الزاحفة إلى قدمين ، وقدما اللص إلى ذنب زاحفة ، وتحول جلد الزاحفة إلى جلد إنسان ، على حين أصبح جلد اللص جلد زاحفة ، واندمجت القدمان الخلفيتان عند الزاحفة ، ونشأ للص قدما زاحفة ، ونبت الشعر على جانب ونزع من الآخر ، وتحول رأس الزاحفة إلى رأس إنسان وبالعكس ، وتقدمت الزاحفة الجديدة وهى تطلق صفيرها ، بينما أخذ الإنسان الجديد يبصق وهو يتكلم . تولى دانتى لذلك بعض الاضطراب والقنوط .

١ لما انتهى اللص من كلامه(٢) ، رفع كلتا يديه على هيئة التين(٣) ، صارخاً : « خذْ هما يا ربّ ، فإليك أوجههما(٤) ! » .

٤ ومنذ ذلك اليوم كانت الزواحف صديقةً لى(٥) ، لأن إحداها التفّتْ حينئذ حول عنقه ، وكأنها تقول : "لا أريد أن تقول مزيداً(٦)" ؛

٧ وأحاطتْ أخرى بالذراعين ، فضاعفت قيده ، وقد عقدت نفسها إلى الأمام (٧) ، حتى لم يستطع أن يتحرك بهما .

١٠ واهاً لك يا پستويا ! پستويا ، لمَ لا تُقرّرين أن تتحوّلى إلى رماد ، فلا يكون لك بقاءٌ بعدُ(٨) ، مادمتِ تسبقين نواتك فى ارتكاب الشر (٩) ؟

١٣ لمْ أرَ فى كلّ حلقات الجحيم المظلمة ، روحاً متعالية على الله هكذا ، ولا حتى مَنْ سقطتْ فى طيبة عن الأسوار(١٠) .

١٦ ولىّ هارباً دون أن ينبس بكلمة ؛ ورأيت قنطروساً(١١) مليئاً بالغضب ، يجئ صائحاً : « أين هو ، أين الوغد(١٢) ؟ » .

١٩ لا أعتقد أن ماريمّا(١٣) حازَتْ من الأفاعى ، بقدر ما كان منها فوق ظهره ، إلى حيث يبدأ وجهنا الآدمى(١٤) .

٢٢ وعلى الكتفين وخلف الرأس استلقى تنينٌ مفتوح الجناحين(١٥) ، يحرق كلّ من يلاقيه(١٦) .

٢٥ قال أستاذى : « هو ذا كاكوس(١٧) الذى صنع مرّاتٍ عديدةً بحيرة دمٍ(١٨) ، تحت صخرة جبل أڤنتينو(١٩) .

٢٨ إنه لا يسير مع رفاقه(٢٠) فى طريقٍ واحد ، لسرقةٍ ماكرة فعلها بالقطيع الكبير(٢١) الذى كان منه قريباً ؛

٣١ ولذلك كفّ عن أعماله الشريرة ، تحت هراوة هرقل ، الذى ربما ناوله منها مائة(٢٢) ، ولم يشعر بعشرة(٢٣) » .

٣٤ وبينما كان يتكلم هكذا ، ومضى القنطروس(٢٤) إلى الأمام ، جاء تحتنا ثلاثة أشباحٍ(٢٥) ، لم أنتبه إليهم أنا ولا دليلى ،

٣٧ إلا عندما صاحوا : « مَنْ أنتما ؟ » : وإذاً توقف حديثنا ، وأنصتنا بعدُ إليهم فحسبُ[٢٦].

٤٠ لم أعرفهم[٢٧]، ولكن حدث كما يحدث عادةً فى بعض الأحيان ، أن نطق واحدٌ باسم آخر ،

٤٣ وهو يقول : « أين وقف كاينفا[٢٨]؟ » . وحينئذ ، لكى يقف دليلى منتبهاً ، أقمتُ أصبعى بين الذقن والأنف[٢٩].

٤٦ وإذا كنتَ الآن، أيها القارئ، متأخراً عن تصديق ما سأقول ، فلن يكون عجيباً ، لأنى ، أنا الذى رأيته ، لا أكاد أجده مقبولاً .

٤٩ وبينما أبقيتُ أهدابى مرفوعةً إليهما[٣٠]، وثبتْ زاحفةٌ بستّ أقدام[٣١] أمام أحدهما[٣٢] ، وعقدتْ نفسها على كلّ جسمه .

٥٢ وأمسكتْ بطنه بقدميها الوُسطيين ، وبالأماميتين قبضتْ الذراعين ؛ ثم أنشبتْ أسنانها فى كلا الخدين ؛

٥٥ ومدّت الخلفيتين على الفخذين ، ووضعتْ الذنبَ بين كلا الاثنين ، ثم رفعته إلى الخلف على الكليتين .

٥٨ لم يتعانق لبلابٌ وشجرةٌ أبداً ، كما لفّ الوحش الرهيب أعضاءَه حول أعضاء الآخر[٣٣].

٦١ والتصقا بعدُ كما لو كانا من شمعٍ ساخن، وامتزج لوناهما ، فلم يبدُ هذا ولا ذاك على ما كان[٣٤] ،

٦٤ كما يمتدّ أمام النار لونٌ داكنٌ على الورق ، فلا يصير أسود بعدُ ، ويختفى اللون الأبيض .

٦٧ نظر الآخران إليه ، وصاح كل منهما : « أوّاه يا أنيلّو ، كيف تتبدل ! انظر ، إنك لم تعد بعدُ الواحد ولا الاثنين[٣٥]» .

٧٠ كان الرأسان قد أصبحا واحداً ، حينما بدا لنا وجهان امتزجا فى وجهٍ واحدٍ ، ضاعتْ فيه معالمُ الاثنين[٣٦].

٧٣ وتكوّن ذراعان من الأطراف الأربعة[٣٧] ؛ وتحوّل الفخذان والساقان والبطن والصدر إلى أعضاء لم يرها أحدٌ أبداً .

٧٦ اختفى فيهما كلّ شكلٍ سابق : وبدا الوحش المسيخ اثنين[٣٨]، ولم يعُدْ واحداً منهما[٣٩] ؛ وسار هكذا بخطوات بطيئة .

٧٩ وكالعظاية[٤٠]، تحت وطأة القيظ فى أيام بُرج الكلب[٤١] ، إذْ تنتقل من عوسجٍ لآخر ، فتبدو كومْض البرق إذا عبرت الطريق ،

٨٢ كذلك بدتْ زويحفة غاضبة[٤٢] ، وهى تتقدّم نحو بطنى الاثنين الآخرين[٤٣] وكانت سوداء داكنة كحبات الفلفل ؛

٨٥ وفى ذلك الموضع الذى نستمد منه الغذاء لأوّل مرّةٍ[٤٤] ، لدغتْ واحداً منهما[٤٥] ؛ ثم سقطت ممددةً أمامه إلى أسفل .

٨٨ نظر الملدوغ إليها ولم يقل شيئاً ؛ بل تثاءب ثابت القدمين ، كمن هاجمه النعاس أو الحمى[٤٦] .

٩١ نظر الزاحفةَ ونظرتْ إليه ، وأخرجا دخاناً كثيفاً ، واحدٌ من جرحه والأخرى من الفم ، والتقى الدخان بالدخان .

٩٤ ألا فليسكت الآن لوكانوس ، إذْ يتناول البائس سابيلّوس وناسيديوس[٤٧] وليحرص على أن يسمع ما يُروى الآن[٤٨] .

٩٧ وليسكت أوفيديوس عن كادْموس وأريتوزا[٤٩] ، لأنه إذا كان ، وهو يقرض الشعر ، يُحوّل هذا إلى أفعى وتلك إلى ينبوع ، فإنى لا أحسده[٥٠] ؛

١٠٠ فإنه لم يحوّل أبداً طبيعتين[٥١] وجهاً لوجه ، حتى كان كلا الشكلين مُستعدا لأن يُبادل الآخر مادته[٥٢] .

١٠٣ استجابا معاً لمثل هذه الصورة ، فشقّت الزاحفة ذنبها إلى شوكتين[٥٣] ، وضم الجريح قدميه معاً[٥٤] .

١٠٦ وتلاصق الساقان ومعهما الفخذان الواحد بالآخر ، حتى إنه فى لحظاتٍ قصار ، لم يترك الالتحام علامةً بادية .

١٠٩ والذنبُ المشقوق أخذ الشكلَ[٥٥] الذى فقده الآخر[٥٦] ، وأصبح جلدُها ليناً[٥٧] ، على حين جفّ الجلد هناك[٥٨] .

١١٢ رأيت الذراعين يدخلان عند الإبطين [٥٩] ؛ وقدما الوحش ، اللتان كانتا قصيرتين ، رأيتهما تستطيلان بقدر قصر الذراعين [٦٠] .

١١٥ ثم اندمجت القدمان الخلفيتان معاً ، وأصبحتا ذلك العضو الذى يُخفيه الرجل [٦١] ، وظهر للبائس من عضوه قدمان [٦٢] .

١١٨ وبينما كان الدخان يكسو كليهما بلونٍ جديد [٦٣] ، ويُنبت شعراً على جانبٍ ، وينزعه من الجانب الآخر ،

١٢١ نهض الواحد [٦٤] ، وسقط الآخر إلى أسفل [٦٥] ، ومع ذلك لم تتحوّل أبصارهما اللعينة ، التى بدّل كل منهما فمه أمامها [٦٦] .

١٢٤ وذلك الذى انتصب قائماً ، جذب فمه نحو صدغيه ، ومن المادة الكثيرة التى ذهبتْ هناك ، خرجت الأذنان من الخدين الأملسين [٦٧] .

١٢٧ وما لم يذهب إلى الخلف وبقى من هذه الزيادة ، جعل للوجه أنفاً ، وتضخمت الشفتان إلى الحجم المناسب .

١٣٠ وذاك مَنْ كان مستلقياً ، يدفع فمه إلى الأمام ، ويسحب الأذنين إلى الرأس ، كما يفعل القوقع بالقرنين .

١٣٣ واللسان الذى كان من قبل واحداً ومستعداً للكلام ، ينقسم اثنين [٦٨] ، وعند الآخر يُغلّق اللسان المشقوق [٦٩] ، ثم ينقطع الدخان [٧٠] .

١٣٦ والروح التى تحوّلت إلى وحش ، تهرب إلى الوادى وهى تُطلق صفيرها ، ويبصق الآخر من ورائه وهو يتكلم [٧١] .

١٣٩ ثم أدار له كتفيه الجديدتين [٧٢] ، وقال للآخر [٧٣] : « أريد أن يجرى بووزو زحفاً فى هذا الطريق ، كما فعلتُ أنا » .

١٤٢ هكذا رأيت أثقال [٧٤] الوادى السابع تتغير وتتبدّل ، ولتكن غرابة المشهد هنا عذراً لى ، إذا طاش القلم قليلاً [٧٥] .

١٤٥ ومع أن عينىّ قد أصابهما بعض الاضطراب ، وأصاب النفسَ القنوط ، لم يستطع هذان أن يهربا فى خفيةٍ مُحكمة ،

١٤٨ حتى تبينتُ جيداً بوتشو تشانكاتو ؛ ومن بين الرفاق الثلاثة الذين جاؤوا أولاً ، كان هو وحده الذى لم يتغير [٧٦] .

١٥١ وكان الآخر هو مَنْ تبكينه يا قلعة جافيلى [٧٧] .

حواشى الأنشودة الخامسة والعشرين

(١) هذه تكملة لأنشودة اللصوص السابقة .

(٢) أى ڤانى فوتشى السالف الذكر فى الأنشودة السابقة : Inf. XXIV.

(٣) أى وضع أصبع الإبهام بين السبابة والوسطى ، وكانت هذه حركة شائعة فى عهد دانتى تدل على الزراية والاحتقار . ورسم جوتو هذه الحركة فى كنيسة القديس فرنتشسكو فى أسيسى .

(٤) هكذا اجترأ ڤانى فوتشى على الله .

(٥) أصبحت الزواحف صديقة دانتى لأنها انتقمت لاجتراء فوتشى على الله .

(٦) أى أن الأفعى منعته عن الكلام .

(٧) يعنى أن الأفعى لفت رأسها على ذنبها بقوة وبذلك لم يستطع اللص حراكا .

(٨) يشبه لعن دانتى لپستويا (Pistoia) اللعنات التى صبها على فلورنسا وپيزا وجنوا : Inf. XXVI. 1-12; XXXIII. 79-90, 151-157.

(٩) تقول أسطورة قديمة إن قوات كاتالينا الرومانى هى التى أنشأت مدينة پستويا .

(١٠) يقصد كاپانيو السالف الذكر : Inf. XIV. 46...

(١١) لم يكن هذا قنطروسا فى الحقيقة ، ولكن دانتى نعته بهذا الإسم لأن ڤرجيليو سماه نصف إنسان كناية عن وحشيته ، والمقصود به كاكوس فى الميتولوجيا اليونانية : Virg. Æn. VIII. 194-267.

(١٢) أى ڤانى فوتشى .

(١٣) كانت ماريما (Maremma) منطقة حافلة بالغابات والزواحف فى تسكانا .

(١٤) يستخدم دانتى لفظ شفة للدلالة على الوجه كما يفعل فى مواضع أخرى : Inf. VIII. 7; Purg. XXIII. 47.

(١٥) التنين حيوان خرافى ضخم يجمع بين صفات الزاحفة والطير .

(١٦) يذكر ڤرجيليو فى الإنيادة التنين الذى تخرج النار من فمه فتحرق كل من يلاقيه : Virg. Æn· VIII. 251..., 304.

(١٧) كاكوس (Cacus) تنين ولص ومارد سرق ثيران جيريون التى جاء بها هرقل من أسپانيا ولكن هرقلا عرف مكانها وقتل كاكوس : Virg. Æn. VIII. 194...

(١٨) أى أنه سفك دماء كثيرين .

(١٩) أڤنتينو (Aventino) أحد التلال السبعة ، التى أقيمت عليها روما ، وكان مقراً لكاكوس المارد .

(٢٠) أى القطارس ، وسبق ذكرهم : Inf. XII. 55...

(٢١) يعنى ثيران جيريون .

(٢٢) اتبع دانتى رواية ڤرجيليو فى الإنيادة ، وإن خالفه فى طريقة القتل : Virg. Æn. VIII. 205...

(٢٣) وذلك لأنه مات بعد تسع ضربات .

(٢٤) وضعت لفظ (القنطروس) بدل الضمير لإيضاح المعنى .

(٢٥) أشباح أو نفوس أو أرواح .

(٢٦) أى سكت ڤرجيليو عن حديثه عن كاكوس ، والتفت الشاعران إلى هؤلاء المعذبين .

(٢٧) كان هؤلاء بعض النبلاء الفلورنسيين وهم أنيلو دى برونلسكى (Agnello dei Brunelleschi) وبووزو دلى أباتى (Buoso degli Abati) وپوتشو تشانكاتو دى جاليجاى (Puccio Ciancato dei Galigai) وقد قاموا بأعمال نهب وسرقة .

(٢٨) كاينفا دى دوناتى (Cainfa dei Donati) نبيل فلورنسى اشتهر بالنهب والسرقة وظهر هنا فى صورة زاحفة .

(٢٩) هكذا أشار دانتى بوضع أصبعه على فه ، حتى يسكت ڤرجيليو ، وينتبه كل الانتباه إلى هؤلاء المعذبين .

(٣٠) يعنى رفع عينيه إليهما .

(٣١) هذا هو كاينفا اللص الذى ظهر فى صورة زاحفة .

(٣٢) أى أمام أنيلو دى برونلسكى .

(٣٣) يقصد أنيلو دى برونلسكى .

(٣٤) امتزج الرجل بالزاحفة ، وفقد كل منهما شكله الأول .

(٣٥) أى أنك لست أنيلو ولا الزاحفة ولا هما معاً .

وفى التراث الإسلامى بعض الشبه بهذه الصورة فى نهش الأفاعى لأهل الزنا وشاربى الخمر والنساء اللاتى منعن أولادهن من الرضاع والكفار :

Cerulli, (op. cit.) pp. 1601-63.

السمرقندى : قرة العيون (السابق الذكر) . ص : ١٨ .

الهندى : كنز العمال (السابق الذكر) . ج : ٧ : ص : ٢٨٠ : رقم : ٣٠٨٧ و ٣٠٨٩

(٣٦) يشبه هذا ما أورده أوڤيديوس : Ov. Met. IV. 373.

(٣٧) أى أنه تكون من ذراعى الرجل ومن قدمى الزاحفة الأماميتين ذراعا الكائن العجيب الجديد .

(٣٨) أى جمع بين صفات الإنسان والزاحفة .

(٣٩) أى أنه لم يبد كائنا واضحاً محدد المعالم .

(٤٠) يستمد دانتى هذه الصورة من حركة العظاية ، ولا يكاد يفلت شيء من ملاحظته .

(٤١) أى وقت أن تشتد أشعة الشمس صيفاً عندما تكون فى برج الكلب الأكبر (canicola) ، بين ٢١ يوليو و ٢١ أغسطس من السنة . ويسمى هذا البرج كذلك بالشعرى اليمانية .

(٤٢) هذا هو فرنتشسكو دى كاڤالكانتى (Franceso dei Cavlacanti) وهو من نبلاء فلورنسا واشتهر بالنهب والسرقة .

(٤٣) أى بووزو دلى أباتى وپوتشو تشانكاتو دى جاليجاى .

(٤٤) يقصد سرة البطن التى يتناول منها الجنين غذاءه وهو فى بطن أمه .

(٤٥) أى لدغت الزاحفة بووزو دلى أباتى .

(٤٦) هذه دلائل على أنه سيفقد صورة الإنسان .

(٤٧) سابيلوس (Sabellus) وناسيديوس (Nasidius) جنديان فى جيش كاتون القائد الرومانى ، وفى أثناء سير قواته فى صحراء ليبيا لدغت أفعى الأول فتحول إلى حفنة من رماد ، ولدغت أفعى الثانى فتحول إلى كتلة لا يمكن تسميتها . وهذه صورة مستمدة من لوكانوس :

Luc. Phars. IX.761...

(٤٨) يعنى أن دانتى سيقص ما يفوق وصف لوكانوس .

(٤٩) كادموس (Cadmus) مؤسس طيبة ، وقد تحول إلى زاحفة وأريتوزا (Arethusa) إحدى تابعات الإلهة ديانا ، وقد تحولت إلى ينبوع لكى تتخلص من ملاحقة ألفيوس لها ، كما ذكر أوفيديوس : Ov. Met. IV, 563-604; V.492-671.

(٥٠) أى أن دانتى لا يحسد فن أوفيديوس .

(٥١) يعنى فى أشعار أوفيديوس .

(٥٢) يعنى يبادل الآخر خصائصه .

(٥٣) أى أن ذنب الزاحفة أخذ يتحول إلى شوكة ذات طرفين ، أى إلى قدمى إنسان .

(٥٤) أى أن المعذب قدمى بدأتا تتحولان إلى ذنب الزاحفة .

(٥٥) أى تحول ذنب الزاحفة إلى قدمى إنسان .

(٥٦) أى أنه فقد المعذب قدميه وظهر بدلهما ذنب زاحفة .

(٥٧) يعنى أن جلد الزاحفة أصبح لينا مثل جلد الإنسان .

(٥٨) أى أصبح جلد المعذب جافاً مثل جلد الزاحفة .

(٥٩) أى دخل ذراعا الإنسان تحت إبطيه عند ما كان يتحول إلى زاحفة .

(٦٠) أى أن ذلك حدث على توافق وتقابل .

(٦١) يقصد عضو التناسل عند الرجل .

(٦٢) تحول هنا عضو التناسل إلى قدمى زاحفة .

(٦٣) أى بينما كان الدخان يلون الرجل الجديد والزاحفة الجديدة باللون المناسب .

(٦٤) أى الزاحفة التى كادت تصبح الآن فى صورة إنسان .

(٦٥) يعنى الإنسان الذى أوشك أن يتحول إلى زاحفة .

(٦٦) هذه هى المرحلة الأخيرة فى هذا التحول التدريجى .

(٦٧) هكذا تشكل الوجه الآدمى . والخدان الأملسان يعنى أنهما كانا بغير أذنين .

(٦٨) أى أن لسان الإنسان تحول إلى لسان زاحفة .

(٦٩) يعنى تحول لسان الزاحفة إلى لسان إنسان .

(٧٠) فكرة دانتى فى هذا التحول هى أن اللص يشبه الزاحفة فى طبعه ، ولذلك جعل عذاب اللصوص على هذا النحو . وبهذا يمزج دانتى بين صفات الحيوان والإنسان .

(٧١) هذا يعنى أنه بعد أن تحول إلى إنسان لا يزال يحتفظ ببعض صفات الأفعى من حيث البصق فى أثناء الكلام .

(٧٢) هذا هو فرنتشسكو دى كاڤالكانتى الذى كان زاحفة ثم تحول إلى إنسان .

(٧٣) هذا هو پوتشو تشانكاتو دى جاليجاى .

(٧٤) يقصد اللصوص المعذبين .

(٧٥) يفسر بعض النقاد فعل (abbarrare) بمعنى يخطىء ، ويرى غيرهم أنه يعنى عمل الشيء بسرعة وبطريقة غير متقنة . وهنالك بعض التقارب بين التفسيرين .

(٧٦) هو پوتشو تشانكاتو دى جاليجاى .

(٧٧) جاڤيلى (Gaville) قلعة صغيرة كانت قائمة فى وادى الأرنو الأعلى حتى القرن ١٢ . والمقصود هنا بالآخر فرنتشسكو كاڤالكانتى الذى قتله أهل جاڤيلى . ولكن رجاله قاموا بالانتقام لذلك ، وكان انتقاماً قاسياً حتى بكى أهلها بمرارة لما أصابهم . ولم تبك جاڤيلى فى الحقيقة موت كاڤالكانتى ذاته ، ولكنها بكت لما أصابها بسبب قتله .

هكذا رسم دانتى بريشته البارعة كيف تموت نفس اللص وتتحول إلى زاحفة ، وظل دانتى صامتاً أمام هذا المشهد الرهيب . وأراد بهذا كله أن يعبر عن غضب الله وجبروته فى عقاب اللصوص الخونة الآثمين ، الذين أفزعوا الناس واعتدوا عليهم بالسلب والنهب إرضاء لنزواتهم الشريرة .

الأنشودة السادسة والعشرون (١)

وجه دانتي كلمات الغضب والسخرية إلى وطنه ، عندما أثارته رؤية بعض اللصوص من نبلاء فلورنسا ، وقال إن فلورنسا لن تصعد بهم سلم المجد ، وإنه لا بد من عقاب الآثمين . صعد دانتي فوق الصخور ، يعاونه ڤرجيليو ، للوصول إلى الوادى التالى . وصف دانتي بعض مظاهر الريف الإيطالى ، ووازن بين ذلك وما شهده من شعلات النار التي كانت تتسلل فى عنق الوادى الثامن ، وقد أخفت بداخلها واحداً من اللصوص . رأى دانتي شعلةً تسير ولها قرنان ، فاستفسر عنها ، فأجابه ڤرجيليو بأنها تضم أوليسيس وديوميد من أبطال الميتولوجيا اليونانية . وألحف دانتي فى الرجاء لكى ينتظر حتى تأتى تلك الشعلة ذات القرنين ، فقبل ڤرجيليو الرجاء وسأله أن يدع له الكلام . تحدث ڤرجيليو إلى الآثمين حديثاً رقيقاً . قال أوليسيس إن الروابط الأسرية لم تغلب شوقه إلى أن تزيد معرفته بالدنيا والبشر ، وإنه خرج مع جماعة صغيرة فى سفينة واحدة، ورأى جزر غربى البحر الأبيض المتوسط ، وشاطئ أوروبا حتى أسپانيا وشاطئ أفريقيا حتى مراكش ، ووصل إلى ما بعد أشبيلية وسپتة . وهناك حفز رفاقه لمتابعة الرحلة فى المحيط المجهول ، وقال لهم إنهم لم يُخلقوا لكى يعيشوا كالوحوش ولكن ليتبعوا الفضيلة والمعرفة . فساروا فى البحر متحفزين ، وجعلوا من مجاذيفهم أجنحة ، واجتازوا خطّ الاستواء . وبعد سير خمسة شهور رأوا جبلا شاهق الارتفاع ، فتولاهم الفرح ، ولكن سرعان ما انقلب إلى بكاء ، لأنه هبت ريح عاتية دارت بسفينتهم وأغرقتها فابتلعهم اليم .

١ انعمى يافيورنتزا[٢] ، مادمت عظيمةً هكذا ، تضربين أجنحتك فوق البحر والبرّ ، ويشيع اسمك فى الجحيم[٣]!

٤ رأيت خمسةً بين اللصوص من مواطنيك هؤلاء[٤] ، الذين يجيئنى منهم العار ، ولن تصعدى بهم إلى المجد العظيم[٥].

٧ ولكن إذا كان الإنسان يحلم بالصدق قُبيل الصباح[٦] ، فستشعرين فى وقتٍ قليل بما ترجوه لك پراتو[٧] ، ولا أذكر غيرها .

١٠ وإذا كان هذا قد وقع ، فلم يكن قبل الأوان : هكذا حدث ، ما دام ينبغى حقا أن يكون[٨]! إذْ ، سيزيد علىّ الثقل كلما تقدّمت بى السنون .

١٣ وهنا رحلنا ؛ وفوق الدرجات التى صنعتها أضراس الصخر ، لنهبط عليها أوّلا[٩] ، عاد دليلى إلى الصعود وجذبنى إلى أعلى .

١٦ وبينما نحن نتقدّم فى الطريق المنعزل ، بين الصخور المدبّبة وصخور الجسر ، لم تسرْ قدماى دون ارتكاز اليدين[١٠].

١٩ حينئذ تألمتُ ، وأنا أتألم الآن بعدُ ، عندما أوجه فكرى إلى ما رأيت ، وأشتدّ فى كبح نفسى بما ليس لى به عهد ،

٢٢ لكيلا تجرى دون نبراسٍ من فضيلة[١١] ؛ حتى إذا كان نجمٌ سعيدٌ أو ما هو أفضل[١٢] ، قد منحنى الخير فلن أحرم منه نفسى بنفسى[١٣].

٢٥ عند ما يستريح الفلاح فوق التل — فى الوقت الذى لا تُوارى وجهها كثيراً عنا[١٤] ، تلك التى تُضىء الدنيا[١٥] ،

٢٨ وحينما يتنحى الذبابُ للبعوض[١٦] — يرى الفلاح الحُباحب فى أسفل الوادى[١٧] ، هناك إذْ يمكن أن يَجمع الكرمَ ويحرث الأرض[١٨] —

٣١ بمثل هذه الشعلات الكثيرة أضاء الوادى الثامن كله ، كما تبينتُ سريعاً حينما كنتُ هناك حيث بدا لى القاع[١٩].

٣٤ وكذلك الذى انتقم له برجا الدبّين ، وقد رأى عربة إيليا عند الرحيل ، حينما ارتفعتْ الجياد منتصبةً إلى السماء[٢٠] ،

٣٧ ولم يستطع أن يُتابعها بعينيه هكذا ، حتّى لم ير سوى شعلة النار وحدها ، كسحابةٍ صغيرةٍ تصعد إلى أعلى ،

٤٠ هكذا تحرّكتْ كل منها فى عنق الوادى ، دون أن تكشف إحداها عن السرقة ، وتتسلل كلّ شعلة بآثم[21].

٤٣ وقفتُ فوق الجسر لكى أنظر أسفل[22]، ولو لم أكن قد أمسكتُ بصخرةٍ ، لهوَيتُ إلى أسفل دون أن أدفع[23].

٤٦ ودليلى الذى رآنى مأخوذاً هكذا ،قال لى: « إن الأرواح بداخل النيران، وقد التفّ كل منها بما يحرقها » .

٤٩ فأجبته : « أستاذى ، باستماعى إليك أزداد يقيناً ؛ ولكن الأمر كان قد وضح لى على هذا النحو ، وكنت أودّ أن أقول لك :

٥٢ «مَنْ ذا فى تلك النار التى تأتى منقسمةً هكذا فى أعلى[24]،وتبدو أنها تندلع من الحطب ، إذْ وُضع إتيوكليس مع أخيه[25] ؟ » .

٥٥ فأجابنى : « هناك يُعذّب فيها أوليسيس وديوميد[26]، وهكذا يذهبان معاً إلى العقاب ، كما أثارا معاً غضب الإله[27] ؛

٥٨ وهما فى باطن شعلتهما يُعولان لخدعة الحصان[28]، التى صنعتْ باباً ، خرجت منه بذرة الرومان النبيلة[29].

٦١ ويبكيان بداخلها على حيلةٍ ، لا تزال ديداميا وهى ميتةٌ ، تحزن بسببها من أخيل[30]، وينالان هناك العقاب من أجل پالاديوم[31]» .

٦٤ فقلتُ : « إذا استطاعا الكلام وسط هذه النيران[32]، فإنى أرجوك مُلحاً يا أستاذى ، وأرجو ثانيةً أن يعدل الرجاء ألفاً[33]،

٦٧ ألا تمنعنى من الانتظار ، حتى تأتى هنا الشعلة ذات القرنين : إنك ترى كيف أندفع إليها برغبةٍ جامحة ! » .

٧٠ قال لى : « إن ضراعتك جديرةٌ بالثناء الوافر ، ولذلك فإنى أقبلها[34] ؛ ولكن احرص على أن تمسك لسانك .

٧٣ دَعْ لى الكلام ، فإنى أدركتُ ما تريد[٣٥] ؛ وربما احتقرا حديثك
إذْ كانا من الإغريق[٣٦]» .

٧٦ وبعد أن جاءت الشعلة هنا ، حيث بدا الوقت والمكان ملائمين لدليلى ،
سمعته يتكلم بهذا الأسلوب :

٧٩ «أيها الاثنان فى بطن نارٍ واحدة ، إذا كنتُ أستحق منكما وقد كنتُ
حيًّا ، وإذا كنتُ أستحقُّ منكما كثيراً أو قليلاً[٣٧] ،

٨٢ حينما كتبتُ فى الدنيا أشعارى الرفيعة[٣٨] ، فلا تُبديا حراكاً ؛ ولكن
فليقلْ لى واحدٌ منكما ، أين ذهب ليموت حينما فقد نفسه[٣٩]» .

٨٥ بدأ يهتز القرنُ الأكبر[٤٠] فى الشعلة القديمة ، وهو يُدوِّى مثل تلك
التى تُرهقها الريح ؛

٨٨ وبينما هو يحرِّك طرفه من ناحيةٍ لأخرى ، كأنه اللسان الذى يتكلم[٤١] ،
أطلق صوته وقال[٤٢] : «حينما

٩١ رحلتُ عن تشيرتشى[٤٣] ، التى احتجزتنى أكثر من عامٍ هناك بقرب
جاييتا ، قبل أن يسميها كذلك إينياس[٤٤] —

٩٤ لم يكن شغفى بابنى[٤٥] ، ولا العطف على أبى الشيخ[٤٦] ، ولا الحب
الواجب الذى كان ينبغى أن يجعل پنيلوپ سعيدة[٤٧] —

٩٧ بمستطيع أن يغلب فى نفسى الحماسة التى كانت لدىَّ ، لكى أصبح
خبيراً بالدنيا ، وبمساوئ البشر وفضائلهم[٤٨] ؛

١٠٠ ولكنى وضعتُ نفسى على البحر[٤٩] العميق المفتوح[٥٠] ، فى سفينةٍ
واحدة ، مع تلك الجماعة القليلة التى لم تتخلَّ عنى .

١٠٣ رأيتُ هذا الشاطئ وذاك[٥١] ، حتى أسپانيا ، وحتى مرّاكش ، وجزيرة
السردينيين ، والجزر الأخرى[٥٢] التى يغسل ما حولها ذلك البحر .

١٠٦ كنتُ ورفاقى شيوخا بطاء[٥٣] ، حينما بلغنا ذلك الممرَّ الضيق[٥٤] ،
حيث اتخذ هرقل علامتيه[٥٥] ،

١٠٩ كى لا يسير الإنسان قُدماً : وتركتُ إلى اليمين أشبيلية[٥٦] ، وفى الجانب
الآخر كنتُ قد خلفتُ سپتة[٥٧] .

١١٢ قلتُ : "أيها الإخوان الذين وصلتم إلى الغرب[٥٨]، خلال مائة ألفٍ من المخاطر[٥٩]، إنكم لن تريدوا ، فى هذه اللحظة القصيرة

١١٥ من يقظة الحواسّ المتبقية لنا ، منعَ اختبارنا العالم الخالى من البشر[٦٠]، فيما وراء الشمس[٦١] .

١١٨ ارْعوْا أصلكم ؛ إنكم لم تُخلقوا لتعيشوا كالوحوش ، ولكن لتبتغوا الفضيلة والمعرفة[٦٢]".

١٢١ بهذا الحديث القصير ، جعلتُ رفاقى متحفزين للرحلة هكذا ، حتى كاد يتعذّر على أن أكبح جماحهم[٦٣] ؛

١٢٤ وحينما أدرنا مُؤخّر السفينة فى الصباح[٦٤]، جعلنا من المجاذيف أجنحةً فى هذا الطيران المجنون[٦٥] ، ونحن نسير إلى اليسار دواماً[٦٦].

١٢٧ كلّ النجوم فى القطب الآخر كان الليل قد رآها[٦٧]، وازداد نجمنا هبوطاً ، حتى لم يَعدْ يظهر فوق سطح البحر[٦٨].

١٣٠ أضاء النور خمس مرّاتٍ وأظلم مثلها[٦٩]، فى أسفل القمر ، منذ أن دخلنا الرحلة الصعبة[٧٠] ،

١٣٣ حينما لاح لنا جبلٌ داكنٌ على البعد ، وبدا لى شاهق الارتفاع ، إلى حدٍ لم أر له مثيلاً[٧١].

١٣٦ داخلَنا الفرحُ ، وسرعان ما انقلب إلى بكاءٍ[٧٢] ؛ إذْ هبتْ عاصفةٌ من الأرض الجديدة ، ضربت مُقدم السفينة ،

١٣٩ وجعلته يدور ثلاث مرّاتٍ مع المياه كلها : وفى الرابعة رفعتْ مؤخره إلى أعلى ، وهبطتْ بالمقدمة إلى أسفل ، كما راق للغير[٧٣] ،

١٤٢ حتى انسدّ البحر من فوقنا[٧٤]» .

حواشى الأنشودة السادسة والعشرين

(١) هذه أنشودة مشيرى السوء الذين لا يصدرون فى آرائهم عن الأمانة والصدق ، وتعرف بأنشودة أوليسيس .

(٢) أثار اللصوص من نبلاء فلورنسا فى القصيدة السابقة غضب دانتى وسخريته بفلورنسا فنطق بهذه الأبيات .

(٣) يذكر دانتى فلورنسا والفلورنسيين فى أغلب حلقات الجحيم .

(٤) لا يزال دانتى يندد بمواطنيه اللصوص ويسخر بهم .

(٥) هذه كلمات دانتى المنفى الذى عرف ويلات وطنه وآثامه .

(٦) اعتقد القدماء أن الحلم فى الفجر يعبر عن حقيقة على وشك الوقوع :
Ov. Her. XIX. 195...

(٧) پراتو (Prato) مدينة صغيرة قريبة من فلورنسا ، وكانت على علاقة طيبة بها . والمقصود بهذا فى الغالب الكردينال نيقولا دا پراتو (Niccolo da Prato) الذى أرسله البابا بندتو الحادى عشر فى ١٣٠٤ للتوفيق بين زعماء فلورنسا ، ولكنه لم يفلح ، فأصدر البابا قرار الحرمان ضد فلورنسا وأصابها بعض الكوارث التى عزيت إلى لعنة الكنيسة .

(٨) أى أن عقاب الآثمين أمر لا مناص منه .

(٩) كان الشاعران قد هبطا من قبل لرؤية ما فى الخندق السابع : Inf. XXIV. 73, 79.

(١٠) كان على دانتى أن يستعين بارتكاز اليدين على الصخور بسبب وعورة الطريق .

(١١) كان دانتى فى خندق مشيرى السوء . وكان قد جرب وظائف الدولة وعمل فى حياة المنفى أحياناً كسكرتير ومستشار لبعض الأمراء ، وعرف بذلك قيمة المشورة الصادقة والمشورة الخبيثة .

(١٢) المقصود الرحمة الإلهية .

(١٣) يعنى لن يقدم خادع الرأى حتى لا يحرم نفسه من الخير الإلهى .

(١٤) فى الأصل (التى تجعل وجهها أقل خفاء) والمعنى واحد . والمقصود أن وجه الشمس يستمر زمناً أطول .

(١٥) أى الشمس زمن الصيف حيث يطول النهار ويقصر الليل .

(١٦) أى عند حلول المساء فيظهر البعوض بدلا من الذباب .

(١٧) الحباحب أو القطارب حشرات مضيئة تظهر صيفاً .

(١٨) هذه صورة دقيقة من صور الفلاح فى حضن الطبيعة .

(١٩) أى عند ما وصل إلى الجسر الذى يعلو الخندق الثامن .

(٢٠) وردت أخبار إليا (Elijah) وصعوده إلى السماء وسط العاصفة فى الكتاب المقدس :
2 Re II. 11-12 ; 23-24.

(٢١) أى أن كل شعلة تسللت وهى تخفى لصا فى باطنها .

(٢٢) يعنى لكى ينظر إلى ما فى الخندق .

(٢٣) كان دانتى ينظر متطلعاً إلى ما فى الوادى ، ولو لم يمسك بصخرة بارزة لسقط .

(٢٤) كانت كل شعلة تسير كتلة واحدة إلا هذه ، فقد ظهر لها لسانان فى أعلى ، ولذلك كان دانتى متطلعاً لأن يعرف السبب .

(٢٥) إتيوكليس (Eteocles) وپولينسيس (Polynices) ابنا أوديب (Œdipus) ملك طيبة ، اللذان اقتتلا من أجل وراثة العرش ، وقتل كل منهما الآخر . ولما وضعت جثتاهما فى الحطب لإحراقهما انقسم اللهب قسمين كناية عن استمرار الكراهية بين الأخوين بعد الموت :
Stat. Theb. XII. 429...

(٢٦) أوليسيس (Ulysses, Ulixes) هو أوديسيوس (Odysseus) فى اليونانية ، وهو ابن لارتس ملك إيتاكا وخليفته ، وهو بطل أوديسية هوميروس . وديوميد (Diomede) هو ابن تيديوس وديفيلى ، وملك أرجوس وأحد أبطال حرب طروادة . اشترك أوليسيس وديوميد فى تلك الحرب وقاما بكثير من أعمال الخداع والعنف .

(٢٧) يعنى أنهما يذهبان الآن وهما ينالان معاً العقاب الإلهى ، كما وقفا قبل معاً فى وجه الغضب الإلهى .

(٢٨) أشار أوليسيس وديوميد بإخفاء الجنود داخل الحصان الخشبى ، وبهذه الخدعة أمكن فتح أسوار طروادة . ويذكر دانتى أوليسيس فى المطهر وفى الفردوس :
Virg. Æn. II. 13..., 162-170.
Hom. Od. IV. 271;VIII, 492; XI. 523.
Purg. XIX. 22; Par. XXVII. 82-83.

(٢٩) أى إينياس أبو الشعب الرومانى فى الميتولوجيا الرومانية . وسبق ذكره :
Inf. II. 32; IV. 122.

(٣٠) كان أوليسيس وديوميد السبب فى اشتراك أخيل فى حرب طروادة ، على الرغم من إخفاء أمه إياه ، إذ كانت تخشى موته فى تلك الحرب ، وقد ماتت زوجته ديداميا (Deidamia) حزناً عليه : Stat. Achilleid, I. 536...

(٣١) وكذلك كان أوليسيس وديوميد السبب فى سرقة تمثال پالاديوم (Palladium) الذى اعتقدت طروادة أن سلامتها مرتبطة به .

(٣٢) لا يريد دانتى أن يكلف هذين المعذبين فوق طاقتهما .

(٣٣) كان دانتى بهذا الرجاء شديد الرغبة فى التحدث إلى هذين الآثمين .

(٣٤) يعامل ڤرجيليو دانتى بالعطف ويستجيب لرغباته .

(٣٥) يشبه هذا ما سبق قوله : Inf. XXIII. 25...

(٣٦) أى لأنهما من أبطال الإغريق الذين عرفوا بالكبرياء .

(٣٧) يتكلم ڤرجيليو بكل كياسة إلى المعذبين فى باطن الشعلة .

(٣٨) أى الإنيادة .

(٣٩) أى يطلب إلى أوليسيس أن يروى مصيره بعد أن قام برحلته إلى المحيط كما تقول الميتولوجيا اليونانية .

(٤٠) أى لسان النار الأعلى وهذه إشارة إلى أوليسيس .

(٤١) يشبه دانتي اللهب بلسان الإنسان عندما يهتز ويتحرك عند الكلام .

وفى التراث الإسلامى بعض الشبه بهذه الصورة حيث يخرج يوم القيامة عنق من النار له عينان وأذنان ولسان :

الشعرانى : مختصر تذكرة القرطبى (السابق الذكر) . ص : ٧٢ و ٧٣ .

(٤٢) كان لابد للمعذب أن يطلق أو يقذف بالكلمات التى اعترضتها النيران حتى تصل إلى مسامع الشاعرين .

(٤٣) تشيرتشى (Circe) ساحرة آوت عندها أوليسيس عند عودته من طروادة :

Virg. Æn. VII. 1-4, 10.

Hom. Od. X. 210...

(٤٤) أطلق إينياس اسم مرضعته جاييتا (Gaeta) على هذه المدينة فى جنوب إيطاليا :

Virg. Æn. VII. 1-4.

(٤٥) تليماكوس (Telemachus) هو ابن أوليسيس .

(٤٦) لايريتس (Leartes) هو أبو أوليسيس .

(٤٧) پنيلوپ (Penelope) هى زوجة أوليسيس الوفية .

(٤٨) كانت رغبة أوليسيس فى معرفة العالم والبشر أقوى من كل الروابط والعقبات ، ونجد هنا روح دانتي وطبيعته .

(٤٩) أى البحر الأبيض المتوسط .

(٥٠) هو بحر عميق مفتوح بالمقارنة بالبحر الأيونى فى مياه اليونان .

(٥١) أى الشاطىء الأوروبى والشاطىء الأفريقى للبحر الأبيض المتوسط .

(٥٢) يعنى صقلية وكورسيكا وجزر البليار .

(٥٣) يعنى أنهم كانوا شيوخاً أعوزتهم سرعة الشباب .

(٥٤) أى بوغاز جبل طارق .

(٥٥) علامتا هرقل هما جبل كالپى (جبل طارق) فى الشاطىء الأوروبى وقمة بنى حسن فى الشاطىء الأفريقى ، وهما علامة على نهاية العالم المسكون فى هذه الناحية ، وتخيل القدماء أن الشمس تغرب على مقربة منهما .

(٥٦) أشبيلية (Sibilia) على ساحل أسپانيا .

(٥٧) سپته (Setta) على ساحل أفريقيا .

(٥٨) أى إلى آخر حدود العالم المعروف .

(٥٩) يخاطب أوليسيس رفاقه بصوت رقيق عطوف ، ويذكرهم بالمخاطر التى اجتازوها سويا التى تربط بينهم برباط الزمالة والأخوة .

(٦٠) اعتقد القدماء أن العالم بعد هذا الموضع خال من البشر ، وأنه بحر وشياطين ونار ووحوش ولكن منذ وقت دانتي بدأ التفكير فى احتمال وجود عالم جديد مسكون .

(٦١) يدعو أوليسيس رفاقه إلى متابعة السير فى المحيط لرؤية عالم جديد يقع وراء الحد الذى تغرب عنده الشمس ، كما اعتقد القدماء .

(٦٢) بهذا الكلام يحاول أوليسيس أن يستحث رفاقه ويدفعهم إلى متابعة السفر إلى العالم المجهول .

(٦٣) هكذا أفلحت كلمات أوليسيس فى شحذ همة رفاقه .

(٦٤) أى حينما أداروا مؤخر السفين نحو الشرق أى العالم القديم المعروف .

(٦٥) أى هذا السفر الشاق الصعب .

(٦٦) يعنى نحو الجنوب الغربى ، وهذا هو الاتجاه الذى سيتبعه كريستوفورو كولومبو الرحالة الجنوى فى خدمة أسپانيا فى النصف الثانى من القرن ١٥ عند ما يكشف العالم الجديد .

(٦٧) أى القطب الجنوبى .

(٦٨) أى أنهم عبروا خط الاستواء ورأوا النجوم فى نصف الكرة الجنوبى ، على حين اختفت نجوم نصف الكرة الشمالى .

(٦٩) يعنى وجه القمر الذى يطل على الأرض .

(٧٠) أى أنه انقضت خمسة شهور على بدء الرحلة .

(٧١) هذا هو جبل المطهر .

(٧٢) هذه مقابلة بين الفرح والحزن بسبب ظهور جبل المطهر ثم الموت السريع بسبب العاصفة الهوجاء . وصورة غرق سفينة أوليسيس مستمدة من ڤرجيليو : Virg. Æn. I. 114-117.

(٧٣) أى الله .

(٧٤) على الرغم من خطيئة أوليسيس الذى أبدى لرفاقه رأياً أدى بهم إلى الموت فإن دانتى قد خلق منه شخصية تمثل ناحية من شخصية دانتى ذاته . فهو بطل شجاع جرىء مقدام لا يعبأ بالمصاعب ولا تقف أمامه العقبات ولا تمنعه الروابط الأسرية من ركوب المخاطر . وهو يبعث فى رفاقه الشجاعة والجرأة ، ويخرج بهم إلى البحار المجهولة لكشف عن عالم جديد ، حتى ولو لقوا حتفهم فى سبيل ذلك . وهذا تمهيد وتوطئة لكشف الدنيا الجديدة . ونجد فى ذلك كله روح دانتى الجرىء الذى لا يخشى شيئاً .

الأنشودة السابعة والعشرون[1]

ابتعدت شعلة النار التى احتوت روح أوليسيس ، وظهرت شعلة أخرى خرج منها صوت غريب ، يشبه صوت پيريلّوس داخل الثور النحاسى فى الميتولوجيا اليونانية . وبعد قليل سمع دانتى صوتاً من شعلة النار يعبر عن رغبة صاحبه فى التحدث إلى من سمع كلامه اللمباردى . تساءل صاحب الصوت عن أحوال رومانيا ، وهل تعيش فى حرب أو سلام . دعا ڤرجيليو دانتى إلى إجابة ذلك المعذب ، فقال دانتى إن قلوب طغاة رومانيا لم تخل أبداً من الحرب ، ولو أنه لم يتركها فى قتال سافر . وقال له إن راڤنا تحت حكم آل پولنتا ، وفورلى تحت حكم آل أورديلافى ، والماالاتستيان ينهشان مونتانيا دى پارتشيتاتى ، وماجيناردو دا سوزينانا يحكم فاينتزا وإيمولا . لم يعرف ذلك المعذب أن دانتى إنسان حى ، ولذلك أعلن استعداده للإفصاح عن شخصه دون أن يخشى سوء الأحدوثة فى الدنيا . قال المعذب جويدو دا مونتفلترو إنه كان من رجال الحرب ثم أصبح من الرهبان الكرديليين ، ولكن القسيس الأعظم بونيفاتشو الثامن أعاده إلى سابق آثامه . كان جويدو يقوم بأعمال الثعالب واتخذ الحيل والخداع لبلوغ مآربه ، وأراد التوبة ، ولكن بونيفاتشو بحث عنه ودعاه كطبيب لكى يخلصه من حمى كبريائه . سأله الرأى فيما يفعل لكى يهدم قلعة پينستّرينو ومنحه الغفران مقدماً . فأشار عليه جويدو بأن يبذل الوعود العريضة مع الوفاء بالقليل منها . وهكذا لم تنفع جويدو التوبة لأنه لا يمكن الجمع بينها والرغبة فى الإثم . وهبط إلى مينوس الذى أرسله إلى هذا الموضع من الجحيم لكى يلقى جزاءه الحق ، ثم تحركت شعلة النار وهى تتألم وتتمايل وتهز قرنها المدبب . وسار ڤرجيليو ودانتى لبلوغ الخندق التاسع .

١ عندئذ كانت الشعلة منتصبة إلى أعلى وهادئة[٢] ، إذْ لم تتكلم مزيداً[٣] ،
وكانت قد ابتعدت عنا بالإذن من الشاعر الحبيب[٤] ،

٤ حينما جعلت أخرى ، وقد جاءت من ورائها[٥] ، عيوننا تتجه إلى طرفها ،
بالصوت المضطرب الذى خرج منها[٦] .

٧ وكالثور الصقلى[٧] ، الذى أرسل خواره أولاً ، فى عويل ذلك الذى
سوّاه بمبرده ، وكان ذلك من العدل[٨] ،

١٠ واستمر يخور بصوت المعذب[٩] ؛ ومع أنه كان ثوراً مصنوعاً من نحاسٍ ،
بدا وقد طعنه الألم[١٠] —

١٣ هكذا عندما لم تجد الكلمات الحزينة ، من البدء ، طريقاً فى النار
ولا مخرجاً ، تحولت إلى لغة النار[١١] —

١٦ ولكن بعد أن وجدت الكلمات طريقها إلى أعلى فى طرف الشعلة ، وهى
تسبب لها تلك الهزات ، التى تحدث للسان عند مرورها ،

١٩ سمعناها تقول[١٢] : « أنت يا من أوجه إليه صوتى ، وقد تكلم بلهجة
لمبارديا وهو يقول[١٣] : "والآن اذهب ، فلست أطلب منك مزيداً[١٤]" ،

٢٢ إنى وإن كنت ربما تأخرت قليلاً ، فلا يسوءك البقاء للتحدث معى :
وأنت ترى أنى غير مستاء وأنا أحترق[١٥] !

٢٥ إذا كنت قد هبطت الآن تواً ، إلى هذا العالم الأعمى[١٦] من تلك الأرض
اللاتينية العزيزة[١٧] ، التى حملت منها كل خطيئتى[١٨] ،

٢٨ فقل لى إذا كان أهل رومانيا[١٩] فى حربٍ أو سلام ، لأنى كنت من
الجبال الواقعة هناك ، بين أوربينو[٢٠] والقمة التى ينبع منها التيبر[٢١] » .

٣١ وكنت لا أزال منتبهاً إلى أسفل ومنحنياً ، عندما لمس دليلى عِطفى[٢٢] ،
وهو يقول : « تكلم أنت ، فهذا من اللاتين[٢٣] » .

٣٤ وأنا الذى كنت حاضر الجواب ، بدأت الكلام دون إبطاءٍ[٢٤] :
« أيتها النفس المختفية هناك أسفل[٢٥] ،

٣٧ وطنك رومانيا ، ليس الآن ولم يكن أبداً دون حربٍ فى قلوب طغاته ، بيد أنى لم أتركه الآن فى قتالٍ سافر (٢٦).

٤٠ وراڤنا قائمة كما كانت منذ سنوات كثيرة (٢٧) : ويجثم فوقها نسر پولنتا (٢٨) ، بحيث يغطى تشيرڤيا بجناحيه (٢٩) .

٤٣ والمدينة (٣٠) التى قاست قبلُ تجربةً طويلة (٣١) ، وجعلت من الفرنسيين أكداساً دامية ، تجد نفسها بعدُ تحت المخالب الخضراء (٣٢).

٤٦ ودِ رواسا ڤيرّوكيو : العجوز والشاب (٣٣) ، اللذان وضعا مونتانيا فى حالٍ سيئة (٣٤) ، هناك حيث اعتادا ، يجعلان من أسنانهما مثقباً (٣٥) .

٤٩ ويحكم مدينتى لامونى وسانتيرنو (٣٦) ، الشبل ذو العرين الأبيض (٣٧) ، الذى يغير حزبه من الصيف إلى الشتاء (٣٨) .

٥٢ وتلك المدينة التى يبلّل جانبها الساڤيو (٣٩) ، كما هى تقع بين السهل والجبل ، كذلك تعيش بين الطغيان والحرية (٤٠) .

٥٥ والآن أرجو أن تخبرنا من أنت (٤١) : ولا تكن أقسى مما كان عليه الغير (٤٢) ، وَليحفظ اسمك فى الأرض صداه (٤٣) » .

٥٨ وبعد أن زمجرت النار قليلاً على أسلوبها ، خفق طرفها المدبب من ناحيةٍ لأخرى ، ثم أرسلت هذه الأنفاس (٤٤) :

٦١ « لو أنى اعتقدت أن إجابتى كانت لشخصٍ سيعود أبداً إلى الدنيا (٤٥) ، لبقيت هذه الشعلة دون أن تحرك ساكناً ؛

٦٤ ولكن لما لم يكن قد رجع أبداً ، من هذا العمق إنسانٌ حىّ ، إذا صحّ ما أسمع ، فإنى أجيبك دون أن أخشى سوء السمعة (٤٦) .

٦٧ كنت من رجال الحرب ، ثم أصبحت راهباً كورديليا ، معتقداً أنى أكفّر عن خطيئتى وقد تمنطقت هكذا (٤٧) ؛ ومن المؤكد أن اعتقادى كان سيتحقق ،

٧٠ لولا القسيس الأعظم (٤٨) ، فَليصبه الشر ! فهو الذى أعادنى إلى آثامى الأولى ؛ وأرجو أن تسمع منى كيف ولماذا .

٧٣ بينما كنت صورةً من عظمٍ ولحم، كما منحتنى إياها أمى ، لم تكن أعمالى أعمال أسدٍ ، بل ثعلب (٤٩).

٧٦ كل الحيل والطرق الخفية عرفتُ ، وهكذا استخدمتُ فنونها ، حتى خرج صداها إلى أطراف الأرض (٥٠).

٧٩ وحينما رأيت أنى بلغت تلك الفترة من عمرى ، التى ينبغى على كل إنسان أن يخفض فيها أشرعته ويجمع حباله (٥١) ،

٨٢ وأن ما كان من قبل يسرنى أصبح حينئذ يحزننى ، جعلت نفسى راهباً وأنا نادمٌ معترفٌ بالإثم ، ويا بؤساً لى ! كان ينبغى أن ينفعنى هذا !

٨٠ إن أمير الفريسيين الجدد (٥٢) — وقد أعلن الحرب على مقربة من لاتيرانو (٥٣) لا على العرب ولا على اليهود (٥٤) ،

٨٨ لأن كل عدوٍّ له كان مسيحياً، ولم يذهب أحدهم لفتح عكا (٥٥) ، ولم يتجر فى بلاد السلطان (٥٦) —

٩١ لم يراع فى شخصه المركز الرفيع (٥٧) والنظم المقدسة ، ولا فى شخصى ذلك الحبل (٥٨) ، الذى اعتاد أن يجعل من تمنطقوا به أنحف جسماً (٥٩) .

٩٤ ولكن كما بحث قسطنطين عن سلفسترو (٦٠) فى داخل جبل سيراتى (٦١) ، ليشفيه من البرص ، كذلك دعانى هذا طبيباً ،

٩٧ لكى أشفيه من حمى كبريائه (٦٢) : وسألنى الرأى فلزمت الصمت ، لأن كلماته بدت لى سكرى .

١٠٠ ثم استأنف القول : "لا يأخذنّ قلبك الشك؛ إنى أخلّصك من الآن ، ولتعلّمنى ماذا أفعل لكى ألقى بپينسترينو إلى الأرض (٦٣)".

١٠٢ إنى مستطيع أن أفتح السماء وأغلقها ، ولذلك فالمفتاحان اللذان لم يكونا عزيزين لذى سلفى هما اثنان (٦٤) ؛

١٠٦ وحينئذ دفعتنى الكلمات الخطيرة ، إلى حيث بدا لى أن الصمت أسوأ (٦٥) ، فقلت : "أبتاه ، مادمت تطهرنى

١٠٩ من تلك الخطيئة، التى علىّ الآن أن أقع فيها ، فإن الوعد العريض مع الوفاء القليل ، سيجعلك مظفّراً فوق الكرسى الرفيع (٦٦) " .

١١٢ ثم جاءنى القديس فرنتشسكو عند موتى ؛ ولكن قال له أحد الشياطين السود(٦٧) : "لا تأخذه : ولا ترتكب معى خطأ(٦٨).

١١٥ إنه ينبغى أن يهبط إلى أسفل بين مساكينى(٦٩) ، لأنه بذل خادع الرأى ، ومنذ ذلك الوقت وأنا ممسكٌ به من شعره ؛

١١٨ لأنه لا يمكن غفران ذنوب من لا يندم ، ولا الجمع بين التوبة وإرادة الشر ، للتعارض الذى لا يبيح ذلك " ؛

١٢١ وابؤساً لى ! كيف تولانى الرعب ، حينما أمسك بى وهو يقول: "ربما لم تفكر أنى كنت من أهل المنطق (٧٠) ! " ؛

١٢٤ ثم حملنى إلى مينوس ، ولفّ هذا ذيله ثمانى مرات حول ظهره المتصلّب ؛ وبعد أن عضّه وهو فى شدة الغضب (٧١) ،

١٢٧ قال: "هذا من الآثمين فى النار السارقة(٧٢)" ؛ ولذلك فإنى مفقود حيث ترانى ؛ وفى هذا الرداء أتألم وأنا أسير (٧٣)» .

١٣٠ وحينما أنهى كلامه هكذا ، ارتحلت شعلة النار وهى تتألم ، وتمايل وتهزّ قرنها المدبّب (٧٤) .

١٣٣ مضينا إلى الأمام أنا ودليلى ، فوق الصخر إلى أعلى حتى الجسر الآخر ، الذى يغطّى خندقاً(٧٥) يؤدّى فيه الحساب ،

١٣٦ لأولئك الذين يزرعون الفتن فيحصدون الأوزار (٧٦) .

حواشى الأنشودة السابعة والعشرين

(١) هذه تكملة للأنشودة السابقة وتعرف بأنشودة جويدو دا مونتفلترو .

(٢) أى سكن لسان الشعلة عن الحركة .

(٣) أى امتنع أوليسيس عن الكلام .

(٤) هكذا ينعت دانتى ڤرجيليو بالشاعر الحلو أو الحبيب أو الرقيق .

(٥) احتوت هذه الشعلة على روح جويدو دا مونتفلترو .

(٦) يشبه صوت المعذب شهيق النار وزفيرها .

(٧) صنع پيريلوس (Perillus) لفالاريس (Phalaris) طاغية صقلية ثورا من النحاس لكى يحرق فيه أعداءه وهم أحياء ، بحيث يخرج صراخهم الرهيب من فم الثور كأنه خواره ، كما ورد فى الميتولوجيا القديمة .

(٨) كان من العدل أن يجرب فالاريس هذا التعذيب أولا فى صانع الثور النحاسى ! :
Ov. Tristia, III. 41...; Ars Am. I. 653-656.

(٩) كان المعذب فى باطن الثور يطلق صراخه .

(١٠) أى أن الثور النحاسى بدا كثور حقيقى لفظاعة الصراخ الذى خرج من باطنه .

(١١) أى أن الألفاظ التى لم تجد لها مخرجاً من النار تحولت إلى صوت النار ذاتها .

(١٢) هذا هو صوت جويدو دا مونتفلترو .

(١٣) عرف أن ڤرجيليو من لمبارديا عند ما سمع كلامه .

(١٤) أى عند ما أباح ڤرجيليو الانصراف لروح أوليسيس منذ قليل .

(١٥) هكذا حاول جويدو دا مونتفلترو أن يحمل دانتى على التحدث إليه .

(١٦) لم يتبين أن ڤرجيليو يصحبه إنسان حى .

(١٧) أى أرض إيطاليا .

(١٨) يعنى أن التوبة والغفران البابوى لم يخففا شيئاً من خطيئته .

(١٩) تقع رومانيا (Romagna) على حدود تسكانا وتطل على الأدرياتيك .

(٢٠) أوربينو (Urbino) مقر جويدو دا مونتفلترو ، وهى موطن رافايلو سانتزيو المصور العظيم .

(٢١) جبل كورنارو (Monte Cornaro) فى الأپنين هى القمة التى ينبع منها نهر التيبر .

(٢٢) سبق مثل هذا القول : Inf. XII. 67.

(٢٣) أى إيطالى . وسبق هذا التعبير : Inf. XXII. 65.

(٢٤) أثار حديث جويدو دا مونتفلترو ذكريات رومانيا فى نفس دانتى .

(٢٥) هذا هو جويدو دا مونتفلترو (١٢٢٣ — ١٢٩٨ . Guido da Montefeltro)

أحد زعماء الجبلين واتخذ مقره فى أوربينو ، وهزم الجلف فى أكثر من موقعة . ودافع عن فورلى ضد القوات الفرنسية التى أرسلها البابا مارتينو الرابع لحصارها . وفى النهاية حلت به الهزيمة فأعلن خضوعه للبابا ، ونفى إلى پيدمونت وأقام بعض الوقت فى پيزا وشهد مأساة الكونت أوجولينو ، وأصدرت الكنيسة ضده قرار الحرمان . ودخل أخيراً نظام رهبان الفرنتشسكان .

(٢٦) سادت فترة سلام فى رومانيا من ١٢٩٩ بتنازلها عن قلعة باتزانو لبولونيا وإن لم يقض هذا على عوامل الخلاف بين زعماء الجلف والجبلين فيها .

(٢٧) أصبحت راڤنا تحت حكم آل پولنتا (I Polenti) منذ ١٢٧٠ .

(٢٨) كان النسر علامة آل پولنتا .

(٢٩) تشيرڤيا (Cervia) قرية صغيرة جنوبى راڤنا على ساحل الأدرياتيك .

(٣٠) أى فورلى (Forlì) الواقعة جنوبى غرب راڤنا ، وقد هزم جويدو دا مونتفلترو القوات الفرنسية التى أرسلها البابا للاستيلاء عليها فى ١٢٨٢ .

(٣١) أى حصار القوات الفرنسية لها شهوراً طويلة .

(٣٢) كان الأسد الأخضر علامة آل أورديلافى (Gli Ordelaffi) الجبلين أصحاب فورلى .

(٣٣) الدرواس كلب الحراسة الضخم . وڤيروكيو (Verrucchio) هى قلعة آل مالاتستا . والمقصود بدرواس ڤيروكيو العجوز ودرواسها الصغير مالاتستا ومالاتستينو دى مالاتستا (Malatesta e Malatestino dei Malatesta) اللذان حكما حكم الطغيان فى ريمينى فى النصف الثانى من القرن ١٣ . ومالاتستينو هو أخو جانتشوتو وپاولو ، أولهما زوج فرنتشسكا والثانى عاشقها ، كما سبق : Inf. v. 72...

(٣٤) مونتانيا دى پارتشيتاتى (Montagna de' Parcitati) زعيم الجبلين فى ريمينى، وقد حبسه آل مالاتستا وقتلوه فى ١٢٩٥ .

(٣٥) يعنى أنهما نهشا لحم الناس بالأسنان .

(٣٦) أى مدينة فاينتزا (Faenza) الواقعة على مقربة من نهر لامونى (Lamone) ومدينة إيمولا (Imola) الواقعة على مقربة من نهر سانتيرنو (Santerno) .

(٣٧) أى ماجيناردو پاجانى دا سوزينانا (Maghinardo Pagani da Susinana) وكان رنكه على صورة أسد فى محيط من الفضة ، وحكم فاينتزا وإيمولا ، وكان من الجبلين ولكنه ساعد الجلف فى فلورنسا ، ومات فى مطلع القرن ١٤ .

(٣٨) أى أنه كان ينتقل من حزب الجبلين إلى حزب الجلف بسرعة وتبعاً للمصلحة .

(٣٩) أى مدينة تشيزينا (Cesena) الواقعة على نهر الساڤيو (Savio) فى شمال إيطاليا .

(٤٠) أى أنها كانت تتمتع بالحرية ولكن سيسيطر عليها مالاتستينو فى ١٣١٤ . وهكذا قدم دانتى عرضاً عاماً لمدن رومانيا وذكرياتها .

(٤١) يسأل دانتى جويدو دا مونتفلترو أن يعلن عن شخصه ويقص أخباره .

(٤٢) يرجو دانتى ألا يرفض جويدو الإجابة كما لم يرفض ڤرجيليو إجابته من قبل .

(٤٣) أى فلتبق سمعتك طيبة فى الدنيا أمام ما قد ينالها من سوء .

(٤٤) هكذا بدأ جويدو دا مونتفلترو الكلام .

(٤٥) لم يكن جويدو قد عرف بعد أن دانتى إنسان حى .

(٤٦) أى أنه مطمئن إلى أن أخباره لن تذهب إلى الدنيا .

(٤٧) هكذا يتحدث جويدو دا مونتفلترو عن نفسه ويعبر بكلمات قليلة عن مأساته .

(٤٨) أى البابا بونيفاتشو الثامن عدو دانتى اللدود ، وسبق ذكره :
Inf. XV. 112; XIX. 53.

(٤٩) أى بينما كان على قيد الحياة بجسمه الذى ولدته عليه أمه ، كانت له صفات الثعلب وأفعاله .

(٥٠) يعنى أنه عرف كل وسائل الخداع والغدر والخيانة حتى طبقت شهرته الآفاق .

(٥١) أى عند ما تقدم فى السن . ويشبه هذا قول دانتى فى « الوليمة » :
Conv. IV. (XXVIII.) 3-8.

(٥٢) أى البابا بونيفاتشو الثامن أمير الفريسيين المنافقين الجدد الذين شابهوا الفريسيين فى عهد المسيح ، وسبق ذكرهم : Inf XXIII. 116.

(٥٣) كان قصر لاتيرانو (Laterano) مقر البابوات فى روما فى عهد دانتى ، وكانت قصور آل كولونا (I Colonna) على مقربة منه . والمقصود أن البابا حارب آل كولونا وهزمهم .

(٥٤) كان المفروض أن يحارب البابا المسلمين واليهود لا المسيحيين . وتأثر دانتى فى هذا بالروح السائدة فى أوروبا فى عصر الحروب الصليبية . ونلاحظ فى الوقت نفسه أن محاربة البابا لأعدائه من المسيحيين فى الأرض الإيطالية ذاتها ، دون العناية بمحاربة المسلمين واليهود ، تعنى تغير العقلية الأوروبية . وكان من أوائل من بدأوا هذا الاتجاه الأمبراطور فردريك الثانى فى ١٢٢٩ ، كما أشرنا من قبل : Inf. X. 119.

(٥٥) يعنى أن البابا كان عدوا للمسيحيين المخلصين الذين لم يذهب أحدهم للاشتراك مع المسلمين فى فتح عكا آخر معقل الصليبيين فى الشرق فى ١٢٩١ . وفى عداء البابا لهؤلاء تهكم وسخرية من جانب دانتى .

(٥٦) ولم يتجر واحد ممن عاداهم البابا من المسيحيين مع المسلمين ولم يقدموا لهم الأخشاب أو الأسلحة التى تعمل على تقوية المسلمين فى البر والبحر ، كما فعل بعض التجار المسيحيين أو اليهود وعلى الأخص من البنادقة الذين خالفوا قرار البابا ضد التجارة فى هذه المواد مع المسلمين ، وكانوا جديرين وحدهم بعداء البابا . وكان الملك الأشرف خليل بن قلاوون سلطان دولة المماليك البحرية (١٢٩٠ — ١٢٩٣) هو الذى استولى على عكا . وسلاطين مصر الذين عاصروا دانتى بعد ذلك هم الملك الناصر محمد (١٢٩٣ — ١٢٩٤) والملك العادل كتبغا (١٢٩٤ — ١٢٩٦) والملك المنصور لاجين (١٢٩٦ — ١٢٩٩) والملك الناصر محمد (السالف الذكر ١٢٩٩ — ١٣٠٩) والملك المظفر ركن الدين بيبرس الثانى (١٣٠٩ — ١٣١٠) والملك الناصر محمد (السالف الذكر ١٣١٠ — ١٣٤١) .

(٥٧) أى مركز البابوية .

(٥٨) الحبل كناية عن ثوب رهبان الفرنتشسكان .

(٥٩) المقصود أن رهبان القديس فرنتشسكو كانوا يعيشون حياة الزهد والتقشف ، ولذلك نحفت أجسامهم .

(٦٠) هذه هى أسطورة قسطنطين و إبلاله من البرص على يد سلفسترو .

(٦١) جبل سيراتى (Monte Siratti) بالقرب من روما حيث كان يقيم البابا سلفسترو الأول (٣١٤ – ٣٣٥ . Silvestro I.) عند ما كان يتعقبه الأمبراطور قسطنطين ، وعمده وشفاه من البرص . وهنا نشأت أسطورة منحة قسطنطين وتنازله لسلفسترو عن روما والأمبراطورية الرومانية الغربية تعبيراً عن امتنانه وشكره ، وأثبت لورنتزو ڤالا فى النصف الثانى من القرن الخامس عشر بطلان وثيقة التنازل . ويعرف جبل سيراتى فى الوقت الحاضر بجبل سانت أوريستى .

(٦٢) أى رغبته فى إذلال أعدائه .

(٦٣) پنيسترينو (Penestrino) هى قلعة آل كولونا فى شرق روما ، وقد نافس آل كولونا البابا بونيفاتشو الثامن ، وحدث قتال بين الجانبين وانتصرت قوات بونيفاتشو فى ١٢٩٨ واستولت على هذه المدينة . وتسمى الآن پالسترينا (Palestrina) .

(٦٤) هذه إشارة إلى البابا تشليستينو الخامس (يوليو ١٢٩٤–ديسمبر ١٢٩٤ .Celestino V) سلف بونيفاتشو الثامن والذى تخلى له عن الكرسى البابوى بسهولة .

(٦٥) يعنى أن هذه الكلمات جعلته يفكر فى أن الصمت هنا أسوأ من الكلام .

(٦٦) هذه هى النصيحة الذهبية التى أدلى بها جويدو دا مونتفلترو إلى البابا بونيفاتشو لكى يضمن النصر على أعدائه . ويقال إن النصيحة العملية هى أن بونيفاتشو أمن آل كولونا فسلموا له ١٢٩٨ ، ثم نقض العهد وهدم قلعتهم ، وإن كان من غير المؤكد أن بونيفاتشو كان محتاجاً فعلا إلى مشورة جويدو دا مونتفلترو . وهكذا رسم دانتى البابا بونيفاتشو عدوه اللدود على هذه الصورة البشعة التى لا تناسب الرجل العادى ، فضلا عن رأس الكنيسة . وهذا هو انتقام دانتى من عدوه بطريقة أدبية ، وقد أكسبه ذلك خلود الذكر ولو على هذه الصورة الكريهة .

(٦٧) يمثل القديس فرنتشسكو الخير و يمثل الشياطين الشر . واعتقد أهل العصر أن فرنتشسكو والشياطين يأتون عند موت الإنسان ، وتذهب روحه إلى جانب الخير أو الشر حسب أعماله .

(٦٨) أى لا يرتكب فرنتشسكو خطأ مع الشيطان ويأخذ روحاً ليست من حقه .

(٦٩) مساكينى يعنى أتباعى .

(٧٠) هذا شيطان يتكلم عن المنطق ، ولاشك أن للشيطان منطقه !

(٧١) مينوس قاضى الجحيم السابق الذكر : Inf. V. 4-12.

(٧٢) النار السارقة تخفى اللصوص بداخلها وسبق مثل هذا التعبير . Inf. XXVI. 41.

(٧٣) أى النار .

(٧٤) هذا توافق بين ألم المعذبين وألم النار ذاتها . وهذا تعبير رائع عن العذاب والألم .

(٧٥) أى الخندق أو الوادى التاسع .

(٧٦) هكذا سينال هؤلاء جزاءهم المناسب .

الأنشودة الثامنة والعشرون[1]

يعلن دانتي عجزه عن وصف ما شهده من الدماء والجروح فى الوادى التاسع الرهيب ، الذى يفوق مظهره كل ما شهدته أرض أپوليا وضحايا حرب طروادة من الجرحى والقتلى . ورأى معذباً مقطوع الحنجرة والأنف وبأذن واحدة جزاء ما أثاره من الشقاق فى رومانيا ، وكان هو پيير دى مديتشينا ، الذى تنبأ لدانتي بما سيرتكبه مالاتستينو حاكم ريمينى من الغدر بخصومه ، وسيجعلهم يأتون للتفاوض معه ، ثم يغرقهم فى البحر ، بحيث لن يصبحوا أمام ريح فوكارا فى حاجة إلى ضراعة أو قسم . ورأى دانتي أيضاً كوريون مقطوع اللسان ، لأنه كان سبباً فى قيام الحرب الأهلية فى عهد قيصر . وشهد موسكا دى لا مبرتى مقطوع اليدين ، وكان سبباً فى انقسام فلورنسا إلى جلف وجبلين . وأخيراً رأى دانتي معذباً ، وقد حمل رأسه المقطوع فى يده كأنه مصباح يتدلى ، وكان هو برتران دى بورن شاعر التروبادور ، الذى أوقع بين هنرى الثانى ملك انجلترا وابنه الشاب .

١ من ذا يستطيع أبداً ولو بمنثور الكلام[٢] ، وكثرة تكرار القول ، أن يُشبع الحديث عن الدم والجروح التى رأيتها الآن[٣]؟

٤ حقاً إن كل لسانٍ سيناله الإخفاق ، لأن عقلنا وألفاظنا تعوزها الكفاية لإدراك هذا كله[٤].

٧ وإذا اجتمع بعدُ كل الناس ، الذين كانوا قد بكوا دماءهم ، فوق أرض أپوليا[٥] المشؤومة[٦] ،

١٠ بسبب الطرواديين[٧] والحرب الطويلة[٨] ، التى جعلت من خواتم الذهب ، غنائم عظيمة – كما يكتب ليڤيوس الذى لا يخطىء[٩] –

١٣ إذا اجتمعوا مع أولئك الذين أحسوا بآلام الطعنات ، وهم يقاومون روبرتو جويسكاردو[١٠] ، والآخرين الذين لا تزال عظامهم تجمع[١١] ،

١٦ فى أرض تشيپيرانو[١٢] ، حيث كان كل مواطنٍ من أپوليا كاذباً ، وهناك فى تاليا كوتزو[١٣] ، حيث انتصر دون سلاحٍ ألاردو العجوز[١٤] ؛

١٩ وإذا أظهر أحدهم عضوه الجريح ، وكشف آخر عضوه المقطوع – فلن يساوى هذا شيئاً إلى مظهر الوادى التاسع الرهيب[١٥].

٢٢ وآخر ، وكان مجروح الحلق ، مقطوع الأنف حتى أسفل الحاجبين ، ولم تكن له سوى أذن واحدة[١٦] ،

٢٥ وقف مع الآخرين ينظر إلىّ فى عجبٍ ، وفتح قبل غيره قصبة الهواء ، التى كان كل جزء فيها أحمر من الخارج[١٧] ،

٢٨ وقال : « أنت يا من لا تصمه خطيئة ، ومن رأيته فوقُ فى أرض اللاتين[١٨] ، إذا لم يخدعنى فرط التشابه ،

٣١ فلتذكر پيير دا مديتشينا[١٩] ، إذا كنت ستعود يوماً لرؤية الوادى الجميل[٢٠] ، الذى ينحدر من ڤيرتشيلّى إلى ماركابو[٢١] ،

٣٤ وعرِّف أفضل اثنين فى مدينة فانو[٢٢] : السيد جويدو[٢٣] وأنجوليلو كذلك[٢٤] ، بأنه إذا لم يكن تنبؤنا هنا باطلاً ،

٣٧ فسيُقذف بهما خارج سفينتهما ، وسيغرقان[٢٥] بالقرب من كاتوليكا[٢٦] ، بخيانة طاغيةٍ خبيث[٢٧].

٤٠ بين جزيرتي قبرص وميورقة ، لم يشهد نپتون أبداً جريمةً نكراء مثلها ، لا من القراصنة ولا من أهل أرجو[٢٨].

٤٣ وذلك الخائن ، الذى لا يرى سوى بعين واحدة[٢٩]، ويحكم المدينة[٣٠]، التى يودّ معذب معى هنا[٣١] أن لم يكن قد رآها أبداً ،

٤٦ سيجعلهم يأتون للتفاوض معه ، وسيعمل بعدُ[٣٢] على أن يكونوا أمام ريح فوكارا ، فى غير حاجةٍ إلى قَسَمٍ أو ضراعة[٣٣] » .

٤٩ فقلت له : « إذا أردت أن أحمل أنباءك إلى أعلى ، فأرنى وفسّر لى مَنْ ذاك صاحب النظرة المريرة[٣٤] » .

٥٢ عندئذٍ وضع يده على فك أحد رفاقه ، وفتح له فمه ، وهو يصيح : « إن هذا صامت لا يتكلم[٣٥].

٥٥ قضى هذا المنبوذ[٣٦] على شكوك قيصر ، وهو يؤكد أن من أعدّ العدة لا يناله من الانتظار دائماً سوى الخسران[٣٧] » .

٥٨ أواه ، كم بدا لى كوريون خائر النفس ، بلسانه المقطوع فى حلقه ، وقد كان فى قوله جريئاً هكذا[٣٨]!

٦١ وواحدٌ ، وكانت كلتا يديه مقطوعة ، بينما هو يرفع ساعديه فى الهواء المظلم ، حتى لوث الدم وجهه ،

٦٤ صاح : « ألا فلتذكر موسكا[٣٩] كذلكْ ، الذى قال وأسفاه "إن ما وقع قد وقع" ، وكان بذلك أصل الفساد لشعب تسكانا[٤٠] » .

٦٧ وأضفت إليه : « والموت لعشيرتك[٤١] » . ولذلك سار كإنسانٍ يائسٍ مجنونٍ ، وهو يجمع ألماً إلى ألم .

٧٠ ولكنى بقيت لكى أنظر إلى الجماعة[٤٢]، فرأيت مشهداً كان من شأنه أن يخيفنى ، عند مجرد ذكره ، ودون مزيدٍ من تجربة[٤٣]،

٧٣ لولا الضمير الذى يجعلنى مطمئناً ، ذلك الرفيق الطيب الذى يشد أزر الرّجل ، تحت درعٍ من إحساسه بالطهر[٤٤].

٧٦ رأيت حقاً ، ويبدو لى أنى لا أزال أرى ، جذعاً بغير رأسٍ ، يذهب كما ذهب الآخرون فى هذا القطيع البائس ،

٧٩ وأمسك الرأس المقطوع من الشعر ، وقد تعلق فى يده على صورة مصباح ، وذلك نظر إلينا وقال : « واهاً لى ! » .

٨٢ ومن نفسه جعل لنفسه مصباحاً[٤٥] ، وكانا اثنين فى واحدٍ ، وواحداً فى اثنين[٤٦]. وكيف يمكن هذا ، يعرف ذاك من يحكم هكذاً[٤٧] .

٨٥ وحينما أصبح عند أسفل الجسر ، رفع ذراعه عالياً بكل رأسه ، لكى يقرِّب إلينا كلماته ،

٨٨ التى كانت : «الآن انظر إلى العذاب الأليم ، يا مَن تسير لكى ترى الموتى وأنت تتنفس[٤٨] : انظر أهناك عذاب شديد كهذا !

٩١ ولكى تحمل الأنباء عنى ، اعرف أنى برتران دى بورن ، ذلك الذى بذل الآراء الشريرة للملك الشاب[٤٩].

٩٤ لقد جعلت الأب والابن يثور أحدهما على الآخر : ولم يفعل أخيتوفيل بأبشالوم وداود[٥٠] أكثر من هذا بتحريضه الخبيث .

٩٧ أما وقد فرّقتُ بين قومٍ متحدين هكذا ، فإنى وأسفاه أحمل مخّى المفصول عن أصله ، الذى هو فى هذا الجذع !

١٠٠ وهكذا يُلاحَظُ القِصاص فى شخصى[٥١] » .

حواشي الأنشودة الثامنة والعشرين

(١) هذه قصيدة من أثاروا الفتن الدينية والسياسية .

(٢) هذا لأن الكلام المنثور أسهل قولاً من الشعر .

(٣) هذا كناية عن هول ما رآه دانتي في الخندق التاسع من الحلقة الثامنة .

(٤) يعترف دانتي بعجزه عن القول . ويشبه هذا قول دانتي نفسه في « الوليمة » ، ويشبه قول ڤرجيليو في الإنيادة :
Conv. III. Canz. 14-18.
Virg Æn. VI. 625.

(٥) المقصود بأپوليا هنا كل المنطقة الجنوبية في إيطاليا ، كما قصد دانتي هذا في المطهر :
Purg. VII. 126.

(٦) أرض أپوليا المشؤومة لما حل بها من الويلات .

(٧) أريقت دماء كثيرة عند ما قدم الطرواديون لبسط سلطانهم على جنوب إيطاليا ٣٤٣ — ٢٩٠ ق . م :
Livius, Ab Urbe Condita Libri, X. 9...

(٨) أي حروب روما وقرطاجنة ٢٦٤ — ١٤٦ ق . م : Liv. (op. cit.) XXII. 26.

(٩) أي خواتم الذهب التي فقدها الرومان في حرب قرطاجنة كما يروي ليڤيوس (٦٧ ق . م — ١٧ م . Titus Livius) المؤرخ الروماني : Liv. (op. cit.) XXIII. 7, 12.

(١٠) أي الأعداء الذين واجههم روبرتو جويسكاردو (١٠٥٩ — ١٠٨٤ Roberto Guiscardo) دوق أپوليا وكالابريا ، سواء أكانوا من العرب في جنوب إيطاليا أم غيرهم .

(١١) يعني الإيطاليين والفرنسيين والألمان الذين قتلوا في حروب شارل دانجو عندما أغار على نابلي في ١٢٦٦ .

(١٢) تقع تشپيرانو (Ceperano) على الحدود بين أملاك البابا ونابلي . ولم تحدث هناك معركة ، ولكنها كانت بمثابة ممر يؤدي إلى نابلي ، حيث وقعت معركة بنڤينتو ، وبذلك لا توجد في الحقيقة عظام الموتى في تشپيرانو ذاتها .

(١٣) قلعة تاليا كوتزو (Tagliacozzo) في أبروتزي بجنوب إيطاليا .

(١٤) ألاردو دي ڤاليري (١٢٠٠ — ١٢٧٧ . Alardo de Valèry) كونستابل شامپانيا ، الذي صحب لويس التاسع ملك فرنسا في حملاته الصليبية وفي عودته من إحداها مر بإيطاليا وساعد شارل دانجو بالرأي والمشورة في الانتصار على كونراديدنو آخر أسرة سواببيا في تاليا كوتزو في ١٢٦٨ .

(١٥) يعني أن منظر الخندق أو الوادي التاسع كان أبشع من منظر هؤلاء القتلى والجرحى في الحروب الطويلة التي ذكرها دانتي منذ عهد الطرواديين حتى عصره .

(١٦) أثار هذا المعذب الشقاق بين أمراء رومانيا ولذلك قطع دانتي حلقه وأذنه وأنفه وسائل القدر عنده . ويشبه هذا قول ڤرجيليو : Ving. Æn. VI. 494...

(١٧) أي أن القصبة الهوائية قد تلوثت بالدم من الخارج .

(١٨) يعنى إيطاليا ، وسبق هذا التعبير : Inf. XXII. 65; XXVII. 27.

(١٩) پيترو دا مديتشينا دا بيانكوتشى(Pietro da Medicina da Biancucci) حكمت أسرته مدينة مديتشينا فى شرق بولونيا ،وأمر الأمبراطور فردريك الثانى بطرده مع أسرته من رومانيا فى ١٢٨٧ لما ارتكبه من الدسائس . ومع ذلك نقد عمل على إثارة الشقاق بين أمراء رومانيا وعلى الأخص بين آل مالاتستا وآل پلوبتا .

(٢٠) المقصود سهل لمبارديا ، وهذه كلمات تعبر عن الحنين إلى الوطن .

(٢١) تحدد ڤيرتشيلى (Vercelli) فى الغرب عند پيدمونت ، وتحدد قلعة ماركابو (Marcabo) بالقرب من مصبات اليو فى الشرق امتداد رومانيا .

(٢٢) فانو (Fano) مدينة على ساحل الأدرياتيك على مقربة من پيزارو .

(٢٣) جويدو دل كاسيرو (Guido del Cassero) نبيل من فانو .

(٢٤) أنجوليلو دا كالينيانو (Angioliello da Calignano) نبيل آخر من فانو .

(٢٥) طريقة الغرق هى أنهما وضعا مقيدين فى كيس بداخله حجر ضخم .

(٢٦) كاتوليكا (Cattolica) مدينة تقع على الأدرياتيك بين ريمينى وپيزارو .

(٢٧) أى مالاتستينو الذى دعا جويدو وأنجوليلو للتباحث فى كاتوليكا ولكنه غدر بهما وأغرقهما عند رأس فوكارا (Focara) الواقع بين فانو وكاتوليكا .

(٢٨) أى أن نپتون (Neptune) إله البحر فى الميتولوجيا الرومانية لم يشهد جريمة مماثلة فى البحر الأبيض المتوسط ارتكبها القراصنة أو أهل أرجو (Argo) أى الإغريق .

(٢٩) أى مالاتستينو دى مالاتستا (Malatestino dei Malatesta) ولد بعين واحدة وحكم ريمينى حكماً مستبداً من ١٣١٢ إلى ١٣١٧ .

(٣٠) أى ريمينى .

(٣١) هذه إشارة إلى الأبيات من ٤٩ إلى ٦٠ .

(٣٢) أى عند إبحارهم .

(٣٣) اشتهرت فوكارا بعواصفها الهوجاء . والمقصود أنهما سيغرقان هناك .

(٣٤) يطلب دانتى تفسير ما جاء فى البيتين ٤٤ — ٤٥ .

(٣٥) لا يتكلم لأنه كان مقطوع اللسان كما سيأتى بعد فى بيت ٥٩ .

(٣٦) هذا هو كوريون (Curion) الذى نصح يوليوس قيصر بأن يعبر نهر روبيكون (Rubicon) بالقرب من ريمينى ، الذى كان فى ٤٩ ق . م . الحد بين إيطاليا وغالة فى جنوب الألب ، وبهذا أعلن قيصر الحرب على الجمهورية . ومع أن هذه النصيحة سببت النصر إلا أنها كانت فى الوقت نفسه سبباً لإشعال الحرب الأهلية .

(٣٧) أورد لوكانوس هذا المعنى : Luc. Phars. I. 281.

(٣٨) أى عندما نصح يوليوس قيصر .

(٣٩) موسكا دى لامبرتى (Mosca dei Lamberti) من أبطال فلورنسا الذين كان دانتى يتطلع إلى لقائهم (Inf. VI. 80.) . حدث أن ساءت العلاقة بين أسرة أميدى وأسرة بوندلمونتى فى فلورنسا بسبب عدول أحد أفراد الأسرة الأخيرة عن الزواج بفتاة من الأسرة الأولى لأنه

أحب فتاة من أسرة دوناتى فى١٢١٥ ،وظهر التردد بشأن ما يتبع بين أفراد أسرة أميدى ،ولكن موسكا حسم هذا التردد بقوله أن ما وقع قد وقع ولا يمكن نقضه ، وأشار بقتل بوندلمونتى . ونفذ القتل أمام صخرة تمثال مارس فى فلورنسا ، وبذلك انقسمت فلورنسا إلى حزبى الجلف والجبلين .

وفى التراث الإسلامى بعض الشبه بعقاب موسكا هنا ، وذلك فى عقاب من يأكل مال الناس فيسير يوم القيامة وهو أجذم :

الهندى : كنز العمال (السابق الذكر) . ج : ٥ ص : ٣٢٧ : رقم ٥٧١٧ .

السمرقندى : قرة العيون (السابق الذكر) . ص : ٦٥ .

(٤٠) أى انقسام فلورنسا إلى الجلف والجبلين وما سببه ذلك من الويلات .

(٤١) أى أن سلالة موسكا نفيت نهائياً من فلورنسا مع سائر الجبلين فى ١٢٥٨ .

(٤٢) يعنى بقية مثيرى الفتن الدينية والسياسية .

(٤٣) أى أنه ليس فى حاجة إلى المزيد من رؤية هذا المعذب ، وهو مقطوع الرأس ويحمله فى يده كمصباح ينير له الطريق .

(٤٤) يشبه هذا قول أوفيديوس : Ov. Fasti, I. 485.

(٤٥) أضاء الرأس لنفسه الطريق فى الظلام والمعذب ممسك به بيديه . وفى التراث الإسلامى بعض الشبه بهذه الصورة فى عقاب القاتل الذى يحمل رأسه بيديه يوم القيامة :

الهندى : كنز العمال (السابق الذكر) : ج : ٧ ص : ٢٨٧ : رقم : ٣٢٠١ .

(٤٦) يعنى كان الرأس والجسم شيئاً واحداً .

(٤٧) أى الله .

(٤٨) يعنى أنه على قيد الحياة .

(٤٩) برتران دى بورن دى هوتفور (١١٤٠—١٢١٥ Bertran de Born de Hautefort) كان من شعراء التروبادور فى جنوب فرنسا وله شعر فى الحرب ، وكان من رهبان دالون بقرب هوتفور ، ويقال إنه أثار الشقاق بين هنرى الثانى ملك إنجلترا وابنه هنرى الشاب .

(٥٠) أخيتوفيل (Achitofel) شجع أبشالوم (Absalom) فى الثورة على أبيه داود (David) ملك إسرائيل ، ولكنه هزم وقتل كما جاء فى الكتاب المقدس :

2. Sam III. 3; XV-XVII.

(٥١) يعنى أنه ينال العقاب المناسب . ويشبه هذا المعنى ما ورد فى الكتاب المقدس :

Esod. XXI. 24; Matt. VII. 2.

ولقد حذفت من هذه الأنشودة أبياتاً وجدتها غير جديرة بالترجمة ، وردت عن النبى محمد عليه أفضل الصلاة والسلام . وقد أخطأ دانتى فى ذلك خطأ جسيما ، تأثر فيه بما كان سائداً فى عصره ، فى المؤلفات أو بين العامة ، عن الرسول العظيم ، بحيث لم يستطع أهل الغرب وقتئذ تقدير رسالة الإسلام الحقة وفهم حكمته الإلهية . على أن هذا لم يمنع أهل العصر — ومن بينهم دانتى — من تقدير الحضارة الإسلامية والتأثر بثمراتها ، التى كانت عنصراً فعالا فى خروج العالم الغربى من العصور الوسطى إلى عصر النهضة فالعصر الحديث .

. .

الأنشودة التاسعة والعشرون(١)

اغرورقت عينا دانتى بالدمع حزناً على الهالكين فى الأنشودة السابقة حتى آثر البقاء للبكاء عليهم ، وحاول ڤرجيليو أن يهدىء من روعه ويحمله على متابعة السير لطول الطريق ، وقد تأخر الوقت وعليه أن يرى أشياء أخرى كثيرة . ولكن دانتى يبرر بكاءه ورغبته فى التوقف بأنه شهد روحاً من دمه تبكى خطيئتها ، وكانت روح جيرى دل بلّو ، وهو من أقربائه الذين أثاروا الدسائس ، وأحس دانتى بالعطف عليه ، لأنه قتل دون أن ينتقم أحد لمقتله . وتقدم الشاعران ، فأصابت دانتى صرخات عجيبة كأنها سهام والأسى حديدها ، فغطى أذنيه بالكفين . وقال إن مرضى الصيف فى وادى كيانا وماريما وسردينيا لم يزد عذابهم عما شهده فى الوادى العاشر من الحلقة الثامنة . كان(٢) هؤلاء هم مزيفو المعادن بالكيمياء والسحر ، ورآهم دانتى فى أوضاع مختلفة ، فاستلقى هذا على بطنه وزحف بعضهم على أربعة ، وأصابهم الجرب والبرص والشلل ، جزاء ما ارتكبوا من غش وخداع . ورأى اثنين متساندين وهما يحكان بعنف قروحهما الأليمة . حادثهما ڤرجيليو وسأل أحدهما هل يوجد هنا واحد من اللاتين ، فاعترفا بأنهما منهم ، وقال ڤرجيليو إنه جاء لكى يقود إنساناً حيا من هاوية لأخرى لكى يظهره على الجحيم . فتولاهما وسائر المعذبين الدهشة والرهبة . وسألهما دانتى عن شخصيهما . كان أحدهما جريفولينو داريتزو ، وكان الآخر كاپوكيو(٣) دا سيينا وقد أحرقا لممارستهما أعمال السحر والكيمياء . انتهز دانتى هذه الفرصة(٤) فتكلم فى تهكم وسخرية عن شعب سيينا الذى اشتهر بالبذخ والزهو والخيلاء .

١ الحشد الكبير والجروح العجيبة ، بلّلت عينيّ هكذا ، حتى أصبحتا ، راغبتين فى البقاء لكى تبكيا[٢] ؛

٤ ولكن ڤرجيليو قال لى : « ما هذا الذى تنظر ؟ لماذا يبقى بصرك محملقاً هناك فى أسفل ، بين الأشباح البائسة الممزقة ؟

٧ إنك لم تفعل كذلك فى الأودية الأخرى[٣] : واعلم ، إذا فكّرت أن تحصيها ، أن الوادى يدور اثنين وعشرين ميلاً[٤] .

١٠ وها قد أصبح القمر تحت أقدامنا[٥] : وقليلٌ الآن ما مُنحناه من الوقت ، وعليك أن ترى أشياء أخرى لم ترها بعد[٦] » .

١٣ عندئذ أجبته : « إذا فهمت السبب الذى نظرت من أجله ، فربما كنت منحتنى من البقاء مزيداً[٧] » .

١٦ وبينما كان دليلى يسير ، ومضيت أنا من ورائه ، كنت أقدّم له الجواب ، وأضيف : « بداخل ذلك الكهف ،

١٩ الذى أنعمت الآن فيه النظر هكذا : أعتقد أن روحاً من دمى تبكى خطيئةً ، تكلفها كثيراً هناك أسفل[٨] » .

٢٢ حينئذٍ قال أستاذى : « لا تجهد فكرك من الآن بشأنه : وانتبه إلى شىء غيره ، وليظل هو باقياً هناك[٩] ؛

٢٥ فإنى قد رأيته عند أسفل الجسر الصغير ، وهو يشير إليك ويتهددك فى عنفٍ بأصبعه ، وسمعت من يسميه جيرى دل بِلّو[١٠] .

٢٨ وقد كنت وقتئذ مشغول الخاطر تماماً ، بمن حكم القلعة العالية[١١] ، حتى إنك لم تنظر هناك ، وهكذا ارتحل » :

٣١ فقلت : « يا دليلى ، إن موته القاسى ، الذى لم ينتقم له بعدُ أحدٌ ممن كان فى العار رفيقه ،

٣٤ جعله يشعر بالخزى[١٢] ؛ ولذلك ، ذهب دون أن يكلمنى ، كما أظن : وبهذا جعلنى أزداد عليه إشفاقاً[١٣] » :

٣٧ هكذا تحدثنا حتى أول موضعٍ ، يظهر فيه الوادى التالى إلى قاعه من الجسر إذا زاد فيه الضوء[١٤] .

٤٠ وحينما أصبحنا فوق آخر ديرٍ[١٥] فى « الماليبولجى » ، حتى أمكن أن يبدو لأنظارنا رجاله[١٦] ،

٤٣ رمتنى صرخاتٌ عجيبةٌ بسهامٍ كان الأسى حديدها ، وعندئذ غطيت الأذنين بالكفين[١٧] .

٤٦ وكالألم الذى يوجد إذا أمست الأمراض – فى مارستانات وادى كيانا[١٨] بين يوليو وسبتمبر ، وفى ماريما وساردينيا[١٩] –

٤٩ مجتمعةً كلها معاً فى خندقٍ واحد ، كان الأمر هنا كذلك ، وخرجت منه ريحٌ كريهةٌ ، كالتى اعتادت أن تنبعث من الأعضاء العفنة .

٥٢ ونزلنا فوق آخر شاطىء من الجسر الطويل[٢٠] ، إلى اليسار دواماً ، وحينئذ صار نظرى أشد قوة[٢١] ،

٥٥ صوب القاع أسفل ، حيث العدالة المنزهة ، يد السيد الأعلى ، تعاقب المزيفين الذين تسجلهم هنا[٢٢] .

٥٨ لا أعتقد أنه كان هناك بؤس أشد – حينما أرى فى إيجينا كل الشعب صريع المرض ، وقد امتلأ الهواء هكذا بالوخم[٢٣] ،

٦١ حتى سقط كل حيوان إلى صغار الدود ، وبعدُ ، كما يؤكد الشعراء[٢٤] ، بُعث الأقدمون إلى الحياة

٦٤ من بيض النمل[٢٥] – مما كان علىَّ[٢٦] أن أراه فى ذلك الوادى المظلم ، من أرواحٍ تتعذب فى أكوامٍ عجيبة .

٦٧ استلقى هذا فوق بطنه ، واستند ذاك بكتفيه إلى الآخر ، وزحف بعضٌ على أربعةٍ فى الطريق الرهيب[٢٧] .

٧٠ سرنا خطوةً خطوةً دون كلام ، ونحن ننظر ونصغى إلى المرضى[٢٨] ، الذين لم يقووا على رفع أجسادهم[٢٩] .

٧٣ ورأيت اثنين جالسين ، مستنداً أحدهما إلى الآخر[٣٠] ، كما يسند وعاء إلى وعاء للتسخين[٣١] ، وترقّش جسداهما بالقشور من الرأس إلى القدم .

٧٦ لم أر أبداً سرجاً يحمله فتى[١]، وسيده فى انتظاره ، ولا من يبقى يقظان وهو غير راغبٍ[٣٢] ،

٧٩ كما انهال كل منهما على نفسه بعضّ الأظافر ، لما تولاهما من حرقة الأكلان ، ولم يكن لهما من عونٍ سواه[٣٣] .

٨٢ هكذا أسقطت أظفارهما القشر ، كما تفعل السكين بزعانف الشلبة[٣٤] ، أو بأسماك أخرى لها زعانف أكبر .

٨٥ بدأ دليلى يخاطب أحدهما : « أنت يا مَنْ تنزع قشورك بالأصابع ، وتجعل منها كلبتين[٣٥] أحياناً ،

٨٨ قل لنا أيوجد لاتينى[٣٦] بين هؤلاء الذين هم هنا فى الداخل ، ألا فلتكفك الأظفار إلى الأبد فى هذا العمل[٣٧] ؟ » .

٩١ فأجاب أحدهما وهو يبكى : « إننا من اللاتين ، يا مَنْ ترانا نحن الاثنين مشوهين هنا هكذا ؛ ولكن مَنْ أنت يا مَنْ تستفسر عنا ؟ » .

٩٤ قال دليلى : « أنا واحد يهبط مع هذا الإنسان الحى ، من إفريزٍ إلى إفريزٍ ، وقصدى أن أظهره على الجحيم[٣٨] » .

٩٧ حينئذ انفصل المسند المزدوج ، واتجه كل منهما نحوى وهو خائف[٣٩] ، ومعهما آخرون ، سمعوه برجع الصدى .

١٠٠ واتجه إلىّ الأستاذ الطيب بكلّيته ، وهو يقول : « قل لهما ما تريد » ؛ فبدأت الكلام وفقاً لما رغب :

١٠٣ « ألا لاتزولنّ ذكرا كما فى العالم الأول[٤٠] من عقول البشر ، ولكن لكى تعيشا تحت شموسٍ كثيرة[٤١] ،

١٠٦ خبّرانى من أنتما ومن أى قومٍ : لاتدعا منظركما المشوّه وعذابكما الأليم ، يخيفكما[٤٢] ، فلا تفصحا لى عن شخصيكما » .

١٠٩ فأجاب أحدهما : « قد كنت من أريتزو ، ووضعني ألبرتو دا سينيا في النار[٤٣] ، ولكن ما متّ من أجله لا يأتي بي هنا[٤٤].

١١٢ وفي الحق أني قلت له مازحاً : "إني عارفٌ كيف أرفع نفسي في الهواء طائراً" ؛ وذاك الذي كان ذا فضولٍ وفهمٍ قليل ،

١١٥ أرادني أن أظهره على هذا الفن[٤٥] ؛ ولمجرد أني لم أصنع منه ديدالوساً[٤٦] ، جعل مَنْ كان له ابناً يحرقني بالنار.

١١٨ ولكن إلى آخر خندقٍ من العشرة ، ومن أجل الكيمياء[٤٧] ، التي مارستها في الدنيا ، قضى بإرسالي مينوس[٤٨] ، الذي ليس له أن يخطئ[٤٩] » .

١٢١ فقلت للشاعر : « هل وُجد أبداً قوم مزهوون هكذا كشعب سيينا[٥٠]؟ في الحق لم يبلغ الفرنسيون ذلك الشأو[٥١]! » .

١٢٤ حينئذ أجاب قولي الأبرص الآخر[٥٢] الذي سمعني : « فيما عدا ستريكا[٥٣] الذي عرف كيف يعتدل في النفقات[٥٤] ،

١٢٧ ونيقولا[٥٥] ، الذي كشف أولاً عادة القرنفل الباهظة الثمن[٥٦] ، في الحديقة[٥٧] حيث تتخذ جذورها مثل هذه الحبّات ؛

١٣٠ وفيما سوى الجماعة التي أضاع كاتشا دا شانو[٥٨] من أجلها الكرم والغابة الكبيرة ، وأظهر الأبالياتو[٥٩] ذكاءه[٦٠].

١٣٣ ولكن كي تعرف مَنْ الذي يسندك هكذا تجاه شعب سيينا ، أنعم فيّ النظر ، حتى يُحسن وجهي إجابتك :

١٣٦ وبهذا سترى أني شبح كابوكيو[٦١] ، الذي زيف المعادن بالكيمياء : وعليك أن تذكر ، إذا كنت أحسن النظر إليك[٦٢] ،

١٣٩ كيف كانت لي طبيعة القرد تماماً[٦٣] » .

حواشى الأنشودة التاسعة والعشرين

(١) أول هذه الأنشودة تكلة للسابقة ، ثم تسمى أنشودة المزيفين .

(٢) هكذا تأثر دانتى لعذاب مثيرى الفتن فى القصيدة السابقة وشاركهم فى بؤسهم وآثر البقاء لكى يبكى عليهم .

(٣) لم يقف دانتى أمام أى واد سابق فى هذه الحلقة حزيناً على هذا النحو . يصور دانتى مواقف العذاب والأسى ثم يحزن هو ويتألم .

(٤) يعنى أن الوادى طويل ويضم عدداً لا يحصى من الهالكين . وفى هذا نوع من الدعابة أبداها ڤرجيليو لدانتى .

(٥) أى أصبحت الساعة الواحدة بعد الظهر .

(٦) لما كان على الشاعرين أن يقطعا الحلقات التسع فى الجحيم فى يوم واحد ، لم يبق أمامهما سوى خمس ساعات لزيارة الوادى العاشر والأخير من الحلقة الثامنة ثم تبقى الحلقة التاسعة . وهكذا يحادث ڤرجيليو دانتى بعطف ورقة لكى يحمله على متابعة السير .

(٧) يحاول دانتى أن يبرر رغبته فى الوقوف أمام هذا الوادى .

(٨) أى أن أحد أقرباء دانتى كان يبكى هناك فى داخل أحد الكهوف . وفى كلماته شعور بالأسى على واحد من ذوى قرباه .

(٩) يحاول ڤرجيليو أن يخفف عن دانتى أثر الحزن والأسى ويعمل على أن يشغله بأمر آخر .

(١٠) جيرى دل بلو (Geri del Bello) هو ابن عم والد دانتى . ويقال إنه اشتهر بإثارة الدسائس بين أفراد أسرة ساكتى (Sacchetti) الفلورنسية ، مما أدى إلى أن قتله أحد أفرادها فى أواخر القرن ١٣ .

(١١) القلعة العالية هى هوتفور ، والمقصود برتران دى بورن السابق الذكر :
Inf. XXVIII. 134.

(١٢) كان الانتقام أمراً ضرورياً فى تسكانا . ويختلف النقاد فى حدوث الانتقام لمقتل جيرى دل بلو ، وإن كان لا يبعد أن الانتقام قد وقع بعد أن كتب دانتى هذه الأبيات ، كما يروى پيترو بن دانتى .

(١٣) كان دانتى يرى ضرورة الانتقام لمقتل جيرى مهما كانت جريمته ، وتأثر دانتى هنا بعصبية الدم ، وأحس بالعطف على الآثم .

(١٤) أى الوادى أو الخندق العاشر .

(١٥) استخدم دانتى هنا لفظ (chiostra) ويعنى الدير . والمقصود مكان مغلق أى هذا الوادى العاشر .

(١٦) استخدم دانتى هنا لفظ (conversi) ويعنى المعتزلين كالرهبان — وإن لم يكونوا من رجال الدين — الذين يعذبون فى هذا الخندق .

(١٧) كان صراخ المعذبين يؤلم دانتى مثل سنان السهام ، التى صنعت أطرافها وحديدها من الأسى ، فغطى أذنيه بكفيه ، حتى يقل سمعه وألمه .

(١٨) وجدت فى عهد دانتى مستشفيات فى منطقة أريتزو وكورتونا وكيوزى لمعالجة المرضى .

(١٩) وادى كيانا (Valdichiana) فى تسكانا بين مصبات نهر كيانا . وانتشرت الملاريا فى تسكانا وساردينيا فى عصر دانتى وظلت إلى عهد حديث .

(٢٠) هبط الشاعران ليصبحا أقدر على رؤية ما بداخل الخندق .

(٢١) هذا لأنه اقترب من المنظور .

(٢٢) يعنى المعذبين المسجلين فى هذا المكان .

(٢٣) تقول الميتولوجيا اليونانية إن الطاعون انتشر فى جزيرة إيجينا (Ægina) بقرب أثينا : Ov Met. VII. 523-627.

(٢٤) أى أوثيديوس : Ov. ibid.

(٢٥) بعث جوبيتر سكان إيجينا من النمل بعد هلاكهم ، كما ورد فى الميتولوجيا اليونانية .

(٢٦) ترجع المقارنة إلى ما سبق فى البيت ٥٨ .

(٢٧) هؤلاء أول طائفة من جماعة المزيفين الذين اشتغلوا بالكيمياء والسحر وزيفوا المعادن وقد أصابهم الجرب أو البرص أو الشلل ، وربما لأن الجرب والبرص يشبهان صورة المعادن التى أجرى عليها المزيفون تجاربهم ، ولأن الشلل يمنع حركة بعضهم عن العمل .

(٢٨) يقصد المعذبين .

(٢٩) أى لم يقو أحدهم على النهوض واقفاً ، وهذا هو بقية عذابهم .

(٣٠) أى عند وضع وعاء إلى وعاء قرب موقد لتجفيفهما .

(٣١) هما اثنان من الذين اشتغلوا بتزييف المعادن فى عصر دانتى ، وهما مصابان بالبرص فى هذا الوادى ، وسيأتى ذكرهما بعد قليل .

(٣٢) الفتى الذى يحمل السرج وسيده فى انتظاره أو الذى يفعل ذلك وقد غلبه النعاس يتحرك بسرعة لكى ينتهى مما عليه حتى يذهب وشأنه . هاتان صورتان دقيقتان مستمدتان من الحياة الواقعة .

(٣٣) هذه صورة دقيقة مستمدة من مرضى الجرب والبرص .

(٣٤) التشبيه مستمد من سمك الشلبة (scaglie) الذى له زعانف تستلزم مجهوداً لإزالتها .

(٣٥) أى يجعل من أصابعه كلبة لانتزاع القشور .

ويشبه هذا ما ورد فى التراث الإسلامى فى عقاب أهل النار بالجرب وحك الجلد حتى ظهور العظم :

السمرقندى : قرة العيون (السابق الذكر) . ص : ٧٥ .

الهندى . كنز العمال (السابق الذكر) . ج : ٧ ص : ٢٤٧ : رقم : ٢٨٢٦ .

(٣٦) أى إيطالى وسبق هذا التعبير : Inf XXII 65; XXVII 27

(٣٧) يدعو ڤرجيليو بدوام ما يريده هذا المعذب من استخدام أظفاره .

(٣٨) سبق مثل هذا التعبير : Inf XXVIII. 46-51.

(٣٩) أى أن الدهشة قد استولت على هذين المعذبين والآخرين عند السماع بقدوم إنسان حى لزيارة الجحيم ، فانفصلت أكتاف هذين المعذبين ونظرا إلى دانتى .

(٤٠) أى فى الدنيا .

(٤١) يعرض دانتى عليهما العمل على إبقاء ذكراهما فى الدنيا .

(٤٢) أى يسألهما بألا يجعلا منظرهما المشوه بسبب المرض يمنعهما عن الإفصاح عن شخصيهما .

(٤٣) كان جريفولينو داريتزو (Griffolino d'Arezzo) يعمل بالكيمياء والسحر ، وأخذ مالا من ألبرتو داسيينا (Abberto da Siena) لكى يعلمه الطيران. وعندما كشف ألبرتو خداعه أخبر أباه ، وكان أسقف سيينا ، فأحرق جريفولينو فى أواخر القرن ١٣ .

(٤٤) أى أنه جاء إلى الجحيم لخطايا أخرى ارتكبها . (٤٥) أى فن الطيران .

(٤٦) ديدالوس (Daedalus) ساحر فى الميتولوجيا اليونانية عاش فى كريت وكان يستطيع الطيران : Ov. Met. VIII. 188...

(٤٧) أى أنه قام بتزييف المعادن .

(٤٨) مينوس قاضى الجحيم وسبق ذكره : Inf. V. 4...

(٤٩) أى أنه كان يدعى أنه لم يخدع جريفولينو ولكنه كان يمازحه ، وجاء إلى الجحيم لخدع أخرى كيميائية .

(٥٠) كان أهل سيينا معروفين بحب المظاهر والثقة فى النفس والكبرياء .

(٥١) وهذا أيضاً هو حكم دانتى على الفرنسيين .

(٥٢) هو كاپوكيو دا سيينا .

(٥٣) يقال إنه ستريكا دى جوڤانى دى ساليمبينى (Stricca di Giovanni de' Salimbeni) وأصبح عمدة بولونيا ، واشتهر بالإسراف والبذخ فى النصف الثانى من القرن ١٣ .

(٥٤) هذه سخرية من جانب دانتى ، لأنه كان على عكس ذلك .

(٥٥) نيقولا دى ساليمبينى (Niccolo de' Salimbeni) أخو ستريكا السالف الذكر ، وكان من المعروفين بالإسراف والبذخ .

(٥٦) كان المترفون يستخدمون القرنفل فى طعامهم لكى يكسبه نكهة طيبة .

(٥٧) المقصود بالحديقة مدينة سيينا .

(٥٨) هوكاتشا داشانو (Caccia d'Asciano) الذى كان يمتلك كروماً وغابات بالقرب من سيينا ، وأنفق كل ما يملكه على رفاقه فى حياة الترف والبذخ .

(٥٩) هوبارتلوميو دى فولكاكيرى الملقب بالأبالياتو (Bartolomeo dei Folcacchieri detto l'Abbagliato) كان مستشاراً للكومون فى سيينا فى أواخر القرن ١٣ ،وشغل بعض الوظائف فى أنحاء تسكانا . وكان هؤلاء الأربعة أعضاء فى جماعة من الأثرياء فى سيينا وأنفقوا الأموال فى بذخ . ولم يضعهم دانتى هنا بل ذكرهم فقط لكى يتهكم على سيينا ويبين كبرياء أهلها وسفههم .

(٦٠) هكذا يتهكم دانتى على الأباليانو لأنه كان معروفاً بعكس ما وصفه به .

(٦١) كاپوكيو دا سيينا (Capocchio da Siena) يقال إنه كان صديقاً لدانتى وزميلا له فى الدراسة فى بولونيا ، وأحرق فى سيينا فى أواخر القرن ١٣ لممارسته أعمال الكيمياء والسحر .

(٦٢) أى إذا كنت أنت دانتى حقيقة .

(٦٣) كان لكاپوكيو بعض صفات القردة فى التقليد والمحاكاة ، وإذا أنعم دانتى فيه النظر فسيعرفه .

الأنشودة الثلاثون(١)

يذكر دانتى بعض مظاهر العنف فى الميتولوجيا اليونانية ، كما حدث من أتاماس لابنه ، وكما وقع لهيكوبا حينما رأت ابنتها وابنها صريعين ، ويقول إن هذا لا يدانى فى العنف والقسوة ما شهده فى هذا الوادى الرهيب . رأى دانتى شبحين عاريين ينهشان بعنف كل من حولهما مثل خنزير جائع انطلق من حظيرته . كان أحدهما شبح ميرا الفاجرة التى عشقت أباها متجاوزة فى ذلك كل شريعة ، وذهبت لكى تأثم معه بعد أن تنكرت فى صورة غيرها من النساء ، كما جاء فى الميتولوجيا اليونانية . وكان الآخر شبح جانى سكيكى المواطن الفلورنسى الذى تنكر فى صورة بووزو دوناتى وأملى وصية زائفة لمصلحة سيمون دوناتى ولمصلحته هو ، فكسب فرساً تسمى ملكة القطيع . ورأى دانتى معذباً مريضاً بالاستسقاء منتفخ البطن أحس بالعطش الشديد كالمصاب بالحمى ، وكان ذلك هو أدامو دا بريشا الذى زيف عملة فلورنسا الذهبية ، وقد تذكر تلال كازينتينو الخضراء بنهيراتها التى تنحدر إلى الأرنو ، فزاده ذلك عطشاً ، وكان يرجو أن يسير للبحث عمن حرضوه على تزييف العملة هنا ، ولكن مرضه يمنعه عن الحركة . شهد دانتى زوجة فوطيفار المصرى التى اتهمت يوسف باطلا بمحاولة اغتصابها عند ما لم يستجب لإغرائها . ورأى سينون إغريقى طروادة الكذوب ، صاحب خدعة الحصان الخشبى فى حرب طروادة . واستمع دانتى إلى عراك سينون وأدامو وتضاربهما وتعيير أحدهما الآخر بما ارتكبه من الإثم . وظل دانتى مصغياً إليهما بانتباه ، حتى أظهر له ڤرجيليو الغضب لطول توقفه ، فأحس بالخجل الشديد ؛ وأراد الاعتذار لأستاذه ، ولكنه عجز عن الكلام ، وكان صمته خير اعتذار ، فطمأنه ڤرجيليو وطيب خاطره .

١ فى الوقت الذى كانت فيه يونون[٢] ثائرةً على الدم الطيبى ، من أجل سيميلى[٣] ، كما هى أظهرت ذلك غير مرة[٤] ،

٤ جُنّ جنون أثاماس[٥] ، حتى إنه عند ما رأى زوجته تسير بطفلين ، وقد حملت واحداً فى كلٍّ من اليدين —

٧ صاح : « فلنحلّ الشباك ، لكى أمسك فى الطريق باللبؤة والشبلين » ؛ ثم مد مخلبيه القاسيين ،

١٠ وأخذ الطفل المسمى ليركوس[٦] وأداره ، وحطّمه على صخرةٍ ؛ فأغرقت هى نفسها بحملها الثانى[٧] .

١٣ وحينما هوى الحظ إلى الحضيض بكبرياء الطرواديين ، الذى اجترأ على كل شىء[٨] ، حتى هلك الملك مع المملكة[٩] ؛

١٦ وهيكوبا الحزينة البائسة الأسيرة[١٠] ، بعد أن رأت پوليكسين صريعةً[١١] ، وكشفت الوالهة جدث ابنها .

١٩ پوليدورس[١٢] على شاطىء البحر ، نبحت كالكلب ، وقد طار لبها ، حتى أفقدها الألم الصواب .

٢٢ ولكن لم تُر أبداً ربات الانتقام فى طيبة ولا فى طروادة ، بمثل هذه القسوة على أحدٍ ، لا عند نهش الوحوش أو حتى أعضاء البشر ،

٢٥ كما رأيت فى شبحين عاريين شاحبى اللون[١٣] ، جريا ينهشان ، كما يفعل الخنزير حينما ينطلق من الحظيرة[١٤] .

٢٨ جاء أحدهما إلى كاپوكيو ، وأنشب نابيه فى عقدة العنق ، حتى إنه وهو يجره ، جعل الأرض الصلدة تَسْحج بطنه .

٣١ والأريتزىّ[١٥] الذى ظل يرتجف ، قال لى : « ذلك المسعور هو جانى سكيكى[١٦] ، إنه يمضى غاضباً وهو ينهش الآخرين هكذا » .

٣٤ فقلت له : « أواه ، لعل الآخر لا ينشب أسنانه فيك ، ولعله لا يضيرك أن تخبرنا مَنْ هو ، قبل أن يبتعد من هنا » .

٣٧ قال لى : « تلك هى الروح القديمة لميرّا الفاجرة[١٧] ، التى أصبحت لأبيها عاشقةً متجاوزةً كل حب شرعى .

٤٠ إنها جاءت هكذا لكى تأثم معه ، وقد زيفت نفسها فى صورة غيرها ؛ كما حرص الآخر الذى يذهب هناك ،

٤٣ على أن يتنكر فى صورة بووزو دوناتى[١٨] ، وكتب وصيةً أعطاها مظهر الحق ، لكى يكسب ملكة القطيع[١٩] » .

٤٦ وبعد أن مضى الغاضبان ، اللذان كنت قد أنعمت فيهما النظر ، أدرت عينى لكى أرى سائر الملعونين[٢٠] .

٤٩ ورأيت واحداً كان يُبدى صورة الطنبور[٢١] لو كان حِقوه مفصولاً عما هو عند الإنسان مشقوق[٢٢] .

٥٢ الاستسقاء الثقيل — الذى يجعل الأعضاء غير متناسقة هكذا بسائلٍ لا يمتصه الجسم ، حتى يصبح الوجه غير متناسبٍ مع البطن[٢٣] —

٥٥ جعله يُبقى شفتيه مفتوحتين ، كما يفعل المحموم ، الذى يدير إحديهما إلى الذقن والأخرى إلى أعلى ، بفعل العطش[٢٤] .

٥٨ قال لنا : « أنتما يا مَنْ تبقيان بغير عذابٍ فى العالم الأغبر ، ولست أعرف السبب[٢٥] ، انظرا وتأملا

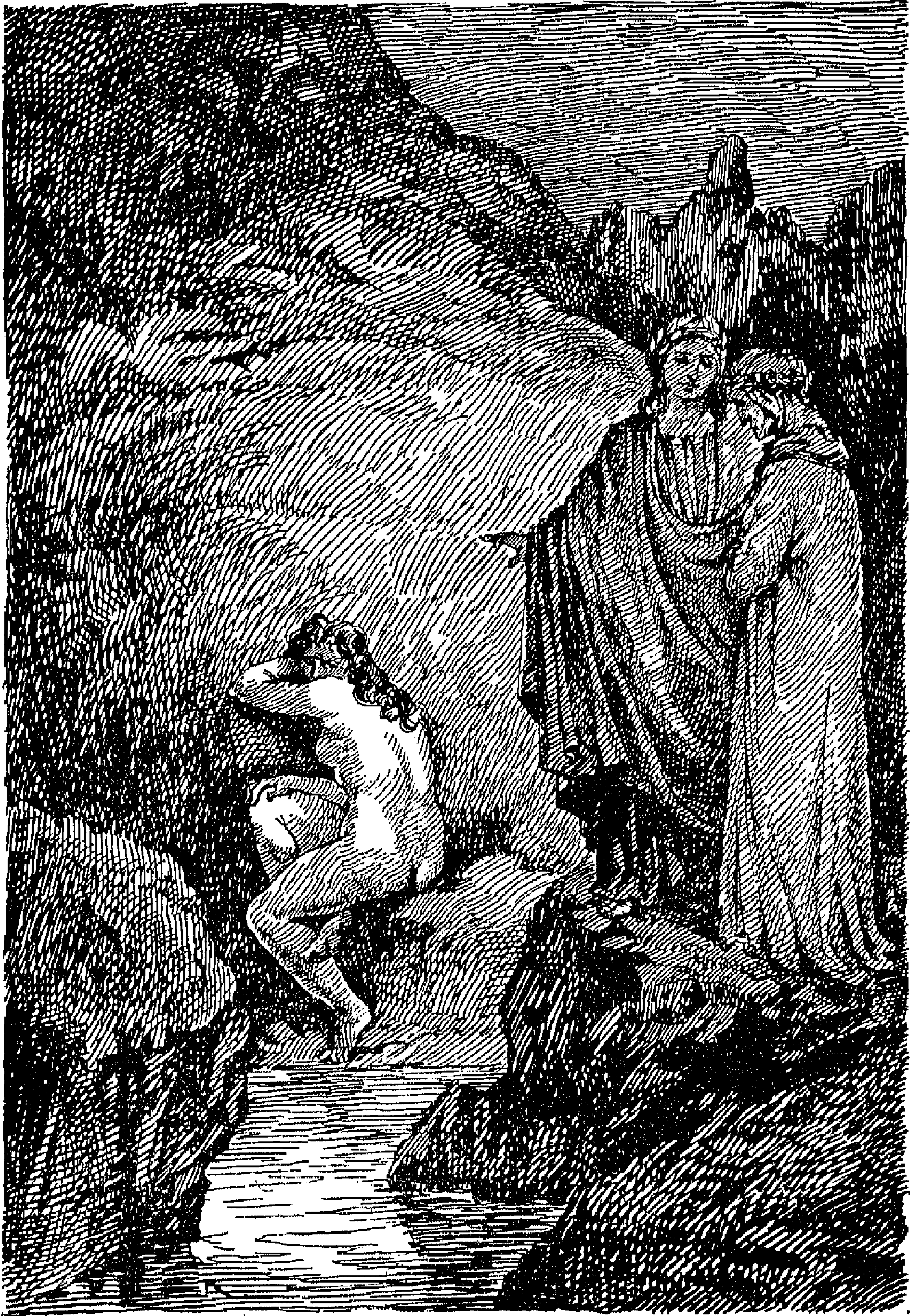
٦١ فى بؤس السيد أدامو[٢٦] : لقد نلت وأنا حىٌّ كثيراً مما رغبت ، والآن ، وأسفاه ، أشتهى قطرة ماء !

٦٤ النهيرات التى تهبط إلى الأرنو ، من تلال كازينتينو الخضراء ، جاعلةً قنواتها باردةً ندية[٢٧] ،

٦٧ تبدو أبداً أمامى ، وليس هذا بغير طائلٍ ، لأن صورة مجاريها تشعرُ بجفافٍ ، يفوق السقام الذى ينزع عن وجهى اللحم[٢٨] .

٧٠ والعدالة الصارمة التى تلاحقنى ، تتخذ من الموضع الذى ارتكبت فيه الخطيئة ، سبيلاً للمزيد فى إطلاك زفراتى .

٧٣ هناك رومينا[٢٩] ، حيث زيفتُ سبيكةً مختومةً بصورة المعمدان[٣٠] ؛ ومن أجلها تركت جسمى يحترق فى أعلى .



١٠ — ميرا

أنشودة ٣٠ : ٣٦ ...

٧٦ ولكنى لو رأيت هنا الروح البائسة ، لجويدو أو إسكندر أو أخيهما[٣١] ، لما وجهت النظر إلى نبع براندا[٣٢] .

٧٩ هناك واحدةٌ منها فى الداخل ، إذا صدقتْ الأشباح الغاضبة التى تدور من حولنا ؛ ولكن ما يفيدنى هذا ، وقد قُيدت أعضائى ؟

٨٢ ولو كنت حقا لا أزال خفيفاً ، فأقدر على التقدم فى مائة عامٍ بوصةً واحدةً ، لكنت قد وضعت نفسى فى الطريق[٣٣] ،

٨٥ باحثاً عنها بين هؤلاء القوم المشوّهين ، مع أنه يدور أحد عشر ميلاً ، ولا يقل عرضه عن نصف ميل[٣٤] .

٨٨ أصبحت بسببهم بين مثل هذه الأسرة[٣٥] : إنهم حملونى على أن أضرب الفلورينات[٣٦] التى تحوى ثلاثة قراريطٍ من زائف المعدن » .

٩١ فقلت له : « مَنْ الحسيسان اللذان يصعّدان دخاناً كيدين ابتلتا فى الشتاء[٣٧] وقد استلقيا متلاصقين إلى حدود يمينك[٣٨] ؟ » .

٩٤ أجابنى : « هنا وجدتهما ، حينما هبطت إلى هذه الهاوية[٣٩] ، ولم يتحركا بعد ، ولا أعتقد أنهما سيتحركان إلى الأبد .

٩٧ فواحدةٌ هى الزائفة التى اتهمت يوسف[٤٠] ؛ والآخر هو إغريقىٌ طروادة سينون الكذوب[٤١] : يطلقان بوطأة الحمى دخاناً كثيراً » .

١٠٠ وأحدهما[٤٢] ، الذى ربما أزعجه أن يُدعى بمثل هذا السوء ، ضرب بقبضة اليد بطنه المتيبِّس[٤٣] .

١٠٣ فدوّى هذا كأنه طبلة ؛ وضربه السيد أدامو على الوجه بذراعه التى لم تبد أقل صلابةً ،

١٠٦ وهو يقول له : « إنى وإن كنت مُنعت عن الحركة بالطرفين الثقيلين ، فلى ذراعٌ طليقةٌ لمثل هذه المهمة » .

١٠٩ عندئذٍ أجاب[٤٤] : « حينما كنت ذاهباً إلى النار ، لم تكن ذراعك بهذا التأهب : ولكنها كانت كذلك ، بل وأكثر ، عند ما قمت بالتزييف[٤٥] » .

١١٢ قال مريض الاستسقاء[٤٦] : « أنت فى هذا تنطق بالحق ؛ ولكنك لم تكن شاهد عدلٍ ، حينما سُئلت هناك فى طروادة عن الصدق » .

١١٥ قال سينون : « إذا كنتُ قد قلت زيفاً ، فإنك زيفت المال ، وأنا هنا لخطيئةٍ واحدةٍ ، وأنت لأكثر مما فعل كل شيطان ! » .

١١٨ أجاب ذلك الذى كان منتفخ البطن[٤٧] : « فلتذكر الجواد يا مَنْ حنثت بالقسم[٤٨] ، وليكن عذابك أن كل العالم يعرف ذلك » .

١٢١ قال الإغريقى[٤٩] : « وليكن عذابك فى عطشٍ يشقق لسانك ، وماءٍ كريهٍ ، يجعل بطنك هكذا حجاباً أمام عينيك[٥٠] ! » .

١٢٤ قال عندئذ مزيف النقد : « هكذا يُفغر فوك لقول السوء كالعادة ؛ لأنى إذا كنت عطشاً ويملأنى سائلٌ خبيثٌ ،

١٢٧ فأنت محمومٌ ويوجعك رأسك ، ولكىْ تلعق مرآة نارسيس[٥١] ، لست محتاجاً أن تدعى بكلماتٍ كثيرة » .

١٣٠ كنت منتبهاً تماماً للاستماع إليهما ، حينما قال لى أستاذى : « الآن امض فى النظر ! فلم يبق إلا قليلٌ حتى أشتبك معك[٥٢] » .

١٣٣ ولما سمعته يكلمنى فى غضبٍ ، اتجهت إليه وقد تولانى من الخجل ما لا يزال يدور فى خاطرى .

١٣٦ وكمن يحلم بخطرٍ يصيبه ، وفى حلمه يرجو أن يكون حالماً ، ويرغب أن يصبح ما هو واقعٌ كأنه لم يقع[٥٣] ،

١٣٩ هكذا أصبحت راغباً فى الاعتذار[٥٤] ، وأنا عاجزٌ عن الكلام ، ولكنى اعتذرت ، ولم أعتقد أنى فعلت كذلك[٥٥] .

١٤٢ قال أستاذى : « إن أقل من خجلك يمحو خطيئةً أكبر مما لم يكن مثلها ذنبك ، ولذلك أبعد عن نفسك كل أسف[٥٦] .

١٤٥ واذكر أنى سأكون دائماً إلى جانبك ، إذا حدث بعدُ أن ساقك القدر إلى موضعٍ ، به قومٌ فى عراكٍ مماثل :

١٤٨ فإن رغبتك أن تسمعه رغبةٌ وضيعة » .

حواشى الأنشودة الثلاثين

(١) هذه تكلة للسابقة وهى تحتوى على مزيفى أشخاصهم ومزيفى الكلام ومزيفى النقود .

(٢) يونون (Junone) ابنة ساتورن وريا وأخت جوپيتر وزوجته فى الميتولوجيا اليونانية .

(٢) ثار غضب يونون على شعب طيبة لأن زوجها جوپيتر أحب سيميلى (Semele) ابنة كادموس (Cadmus) ملك طيبة : Ov. Met. III 253-315

(٤) ثار غضب يونون على شعب طيبة أكثر من مرة ، فتسببت فى أن قتلت أجاڤى – أخت سيميلى – ابنها بنتيوس ، وجعلت أختها الأخرى إينو تنتحر .

(٥) أتاماس (Athamas) ملك أركومنوس فى جزيرة بوبتزيا الذى أثارته يونون على زوجته إينو ، فكان السبب فى موتها وولديه : Ov. Met. IV. 512-530.

(٦) قتل أتاماس ابنه ليركوس (Learchus) .

(٧) قذفت إينو (Ino) زوجة أتاماس بنفسها إلى البحر مع ابنها الثانى ميليتشرتيس (Melicertes) .

(٨) هذه إشارة إلى بطولة طروادة والطرواديين .

(٩) بسقوط طروادة زالت مملكة پريام : Virg. Æn. II. 506...

(١٠) هيكوبا (Hecuba) زوجة پريام ملك طروادة ، أحست بالحزن والبؤس لما حل بها من الويلات .

(١١) پولكسين (Polyxena) ابنة پريام وهيكوبا ، ورأتها أمها مقتولة بعد سقوط طروادة .

(١٢) پوليدورس (Polydorus) بن پريام وهيكوبا ، كشفت أمه جثته وفقدت صوابها : Ov. Met. XIII. 399...

(١٣) هما جانى سكيكى وميرا وسيأتيان بعد .

(١٤) هذه صورة مأخوذة من حياة الخنزير .

(١٥) هذا هو جريفولينو داريتزو الذى خشى أن يطبق عليه الشبح الآخر فارتعد من الخوف ، وسبقت الإشارة إليه : Inf. XXIX. 109.

(١٦) جانى سكيكى دى كاڤالكانتى (Gianni Schicchi dei Cavalcanti) مواطن فلورنسى لجأ إلى مشورته سيمون بن بووزو دوناتى عند ما شك فى أمر وصيته ، فأشار بعدم إعلان وفاة أبيه ، وتنكر سكيكى فى زى بووزو دوناتى وأملى وصية فى مصلحة سيمون ، وأضاف سكيكى بنودا لمصلحته هو ، ونال فرساً تسمى ملكة القطيع كما سيأتى بعد . ويلاحظ أن بووزو دوناتى المقصود هنا هو حفيد بووزو دوناتى قاطع الطريق السالف الذكر : Inf XXV. 140.

(١٧) ميرا (Myrrha) هى ابنة سنيراس ملك قبرص ، عشقت والدها واستعانت بمربيتها وتنكرت فى زى امرأة أخرى ، وارتكبت الإثم مع أبيها عند ما كانت أمها متغيبة . ولما كشف الأب الحقيقة أراد قتل ابنته ولكنها هربت إلى بلاد العرب ، وتحولت إلى شجرة خرج منها أدونيس ، كما

تقول الميتولوجيا القديمة : Ov. Met. X. 298-502.

(١٨) يضرب مثلا بجانى سكيكى الذى تنكر فى زى بووزو دوناتى كما سبق .

(١٩) أى لكى ينال فرساً كانت تسمى ملكة القطيع .

(٢٠) هؤلاء هم مزيفو النقود .

(٢١) هو أدامو دا بريشا وسيأتى بعد .

(٢٢) أى عند افقراج الفخذين .

(٢٣) يجعل مرض الاستسقاء بطن الإنسان كبير الحجم غير متناسب مع سائر الأجزاء .

(٢٤) يصف دانتى بعض مظاهر المحموم من حيث الشعور بالعطش .

ويشبه هذا ما ورد فى التراث الإسلامى من حيث شعور أهل النار بالجوع والعطش :

الشعرانى : مختصر تذكرة القرطبى (السالف الذكر) . ص : ٧٧ .

(٢٥) لم يسمع أدامو كلمات ڤرجيليو لجريفولينى ، ولذلك نطق هكذا : Inf. XXIX. 94.

(٢٦) أدامودا بريشا (Adamo da Brescia) استخدمه آل جويدى لتزييف الفلورن عملة فلورنسا وأحرق فى ١٢٨١ .

(٢٧) كازينتينو (Casentino) منطقة تلال خضراء فى حوض الأرنو الأعلى .

(٢٨) يذكر هذا المعذب بالعطش المياه العذبة فى منطقة كازينتينو التى مارس فيها تزييفه ، وبذلك يزيد شعوره بالعطش .

(٢٩) قلعة رومينا (Romena) فى كازينتينو وهى معقل آل جويدى .

(٣٠) أى الفلورن عملة فلورنسا الذهبية الذى كان شائع الاستعمال فى أوروپا لمركز فلورنسا الاقتصادى . وكان يحمل أحد وجهيه صورة يوحنا المعمدان حامى المدينة ويحمل الوجه الآخر صورة الزنبق شعار المدينة .

(٣١) جويدو الثانى (Guido II.) ابن جويدو الأول كونت رومينا وإسكندر (Alessandro) أخو جويدو الثانى وأجينولفو (Aghinolfo) أخوهما . وهؤلاء هم آل جويدى الذين حملوا أداموا دا بريشا على تزييف عملة فلورنسا .

(٣٢) يرى بعض الباحثين أن المقصود هو نبع براندا (Branda) فى سيينا ، ولكن يظهر أن الأغلب أن أدامو يشير إلى نبع آخر فى رومينا .

(٣٣) يعنى أنه لم يكن يستطيع الحركة على الإطلاق .

(٣٤) حاول بعض الباحثين تحديد مساحة جحيم دانتى بناء على هذا التقدير ، ولكن دون جدوى .

(٣٥) يعنى هذه الجماعة من المزيفين .

(٣٦) الفلورن الذى صنعه أدامو كان يحتوى على ٢١ قيراطاً من الذهب وعلى ٣ قراريط من النحاس بدلا من ٢٤ قيراطاً من الذهب لكى يكون كشفه صعباً .

(٣٧) عند ما تبتل يد الإنسان فى الشتاء القارس هناك يتصاعد منها البخار لأن الماء ترتفع درجة حرارته إلى درجة حرارة الجسم .

(٣٨) هذه جماعة مزيفى الكلام الكاذبين .

(٣٩) أى عند موته منذ حوالى ١٩ سنة فى ١٢٨١ .

(٤٠) هى زوجة فوطيفار المصرى (Putifarre) التى اتهمت يوسف الصديق باطلا بمحاولة اغتصابها فى عهد الهكسوس فى حوالى القرن ١٨ و ١٧ ق . م . : Gen. XXXIX. 6-23.

(٤١) سينون (Sinon) هو الذى جعل الطرواديين يأسرونه ثم خدعهم فأدخلوا حصاناً خشبياً داخل أسوارهم ، وكان مملوءاً بالجند المسلح ، الذين خرجوا فى منتصف الليل وكانوا سبباً فى سقوط طروادة ، وسبق الإشارة إلى هذه الخدعة : Inf. XXVI. 55.

Virg. Æn. II. 57-194.

Hom. Od. IV. 271; VIII. 492. XI. 523.

(٤٢) أى سينون .

(٤٣) يعنى أن سينون ضرب بطن أدامو لأنه ذكر اسمه وخطيئته .

(٤٤) أى أجاب سينون أدامو .

(٤٥) وهكذا رد سينون عنف أدامو بما يماثله .

(٤٦) أى أن أدامو أخذ يعير سينون بخطيئته فى طروادة .

(٤٧) أى الذى خدع أهل طروادة .

(٤٨) أى سينون .

(٤٩) هناك مثل تسكانى يقول إن مريض الاستسقاء والمرأة الحبلى يمنعهما البطن المنتفخ عن النظر .

(٥٠) مرآة نارسيس أى صفحة الماء . ونارسيس (Narcissus) شاب جميل فى الميتولوجيا القديمة وهو ابن نهر سيفيسوس فى بويتزيا والحورية ليريوبى ، وعشق نفسه بالنظر إلى صفحة الماء ، ومات وتحول إلى زهرة النرجس : Ov. Met. III. 407...

والمقصود أن هذا المعذب كان شديد العطش ، حتى لم يكن يلزم الإلحاح عليه لكى يلعق صفحة الماء .

(٥١) كاد ڤرجيليو أن يغضب على دانتى ، وهو بهذا يستحثه للمسير .

(٥٢) هكذا يعرض دانتى حالة النائم الذى يرى خطراً يوشك أن يصيبه فيرجو أن يكون ما رآه مجرد حلم .

(٥٣) أى الاعتذار إلى ڤرجيليو .

(٥٤) أحس دانتى بالخجل وأراد الاعتذار لڤرجيليو ولكنه عجز عن الكلام وكان صمته خير اعتذار . وهذا تصوير دقيق للموقف بين الشاعرين .

(٥٥) هكذا حاول ڤرجيليو أن يخفف عن دانتى ما تولاه من شعور بالخطأ والخجل .

(٥٦) يعمل ڤرجيليو على أن يجنب دانتى سماع مثل هذا السباب .

الأنشودة الحادية والثلاثون[1]

قارن دانتى بين ما لقيه من لسان ڤرجيليو من جرح ودواء وبين ما كان من رمح أخيل وأبيه من جرح وبلسم . وتقدم الشاعران قاصدين منطقة الحلقة التاسعة . كان الوقت بين الليل والنهار ، فلم تكن الرؤية واضحة ، وظن أنه رأى أبراجاً عالية ، ولكن ڤرجيليو أوضح له أن ما رآه ليس أبراجاً ولكن جماعة من المردة ، وقفوا حول شاطىء البئر . وتبين دانتى أجسامهم عند اقترابه منهم ، فزايله الخطأ ولكن زادت مخاوفه . رأى دانتى أحدهم وكان ذا حجم ضخم من الرأس إلى سرة البطن ، وقد أحسنت الطبيعة صنعاً عند ما وقفت عن خلق مثل هذه الكائنات . كان ذلك نمرود ملك بابل . الذى أخذ يصرخ بفمه المتوحش ويهذى بكلام غير مفهوم ، عند رؤية الشاعرين ، وعمل ڤرجيليو على إسكاته ، وأشار على دانتى بأن يدعه وشأنه لأنه لا جدوى فى التحدث إليه . ووصل الشاعران إلى إفيالتس المارد الذى ثار على جوپيتر ، وهو يعاقب هنا بتقييده بالأغلال . غضب إفيالتس عند ما سمع ڤرجيليو يقول إن برياروس أقسى المردة وأشدهم وحشية ، فاهتز كزلزال عنيف ، وخشى دانتى الموت كما لم يخشه أبداً . وصل الشاعران إلى المارد أنتيوس الذى لم يثر على الآلهة ، ولذلك فهو يتكلم بغير قيود . سأله ڤرجيليو أن يحملهما إلى الحلقة التاسعة ، لأن دانتى الذى ينتظر حياة طويلة سوف يكسبه الشهرة فى الأرض . حملهما المارد بيديه ، وقد أصبحا كأنهما حزمة واحدة ، وبدا المارد لدانتى وهو ينحنى كبرج كاريزيندا ، ووضعهما برفق فى حلقة يهوذا ، ثم ارتفع كسارية فى سفينة .

١ هذا اللسان نفسه جرحني من قبل ، حتى علت حمرة الخجل كلا الخدين ثم قدم لى الدواء[٢] :

٤ وهكذا سمعت أن رمح أخيل وأبيه اعتاد أن يكون مصدر الحزن أولاً ، وهبة طيبة بعد[٣] .

٧ أولينا ظهرينا للوادى البائس[٤] ، فوق الشاطىء الذى يحيط من حوله[٥] ، ونحن نعبره دون كلام .

١٠ كان الوقت هنا أقل من ليلٍ وأدنى من نهارٍ ، فامتد بصرى إلى الأمام قليلاً ؛ ولكنى سمعت بوقاً يدوى عالياً ،

١٣ حتى ليجعل كل رعدٍ خافت الصوت ، وقد وجه كلتا عينى إلى موضعٍ واحدٍ ، وهما تتبعان طريقه المقابل .

١٦ بعد الهزيمة الأليمة[٦] ، حينما فقد شارلمان جيشه المقدس[٧] ، لم ينفخ أورلاندو بهذا العنف[٨] .

١٩ وما إن اتجهت برأسى هناك قليلاً ، حتى بدا لى أنى أرى أبراجاً كثيرةً عالية[٩] ، فقلت : « أستاذى ، خبرنى ، أية مدينة هذه[١٠]؟ » .

٢٢ فأجابنى : « لأنك تنظر خلال الظلمات من بعدٍ شاسعٍ ، يحدث بعدُ أن تخطىء التصور[١١] .

٢٥ وسترى جلياً ، إذا وصلت هناك ، كيف تُخدع الحواس من بعيدٍ ، ولذلك فلتدفع نفسك إلى الأمام قليلاً[١٢] » .

٢٨ ثم أخذنى بيده بكل إعزاز ، وقال : «قبل أن نمضى فى سيرنا ، وحتى يبدو لك الأمر أقل غرابة[١٣] ،

٣١ اعلم أنها ليست أبراجاً ، ولكن مردة ، وهم جميعاً فى البئر حول الشاطىء ، من سرة البطن إلى أسفل » .

٣٤ وكما يحدث عند ما ينقشع الضباب ، فتتبين العين قليلاً قليلاً ، ما يخفيه البخار الذى يكثفه الهواء[١٤] ؛

٣٧ هكذا بينما كنا نخترق الهواء المظلم الكثيف ، ونحن نقترب رويداً رويداً من الشاطىء ، زايلني الخطأ وزاد عندي الخوف[١٥] ؛

٤٠ فإنه كما فوق الحلقة الدائرية ، تتوج مونتيريدجوني نفسها بالأبراج[١٦] ، كذلك على الشاطئ الذي يحيط بالبئر ،

٤٣ وقف ، كالأبراج بنصف أجسامهم ، المردة المرعبون الذين لا يزال جوپيتر يهدد بهم من السماء ، حينما يُرعد[١٧] .

٤٦ وكنت قد تبينت وجه أحدهم[١٨] ، والكتفين والصدر وجزءاً كبيراً من البطن ، وعلى الجانبين تدلت كلتا الذراعين[١٩] .

٤٩ وفي الحق أن الطبيعة حينما أقلعت عن فن يصنع مثل هذه الكائنات ، فعلت خيراً كثيراً ، كي تمنع عن مارس مقاتلين مثلهم[٢٠] .

٥٢ وهي إذا لم تكن على الفيلة والحيتان نادمة ، فإن من ينظر بإمعان ، يجدها في ذلك أعدل وأحكم[٢١] ؛

٥٥ لأنه إذا انضمت أداة الفكر إلى إرادة الشر والقوة الغاشمة ، فلن يقوى البشر على مواجهتها[٢٢] .

٥٨ بدا لي وجهه ضخماً طويلاً كصنوبر القديس بطرس في روما[٢٣] ، وتناسبت معه سائر عظامه[٢٤] ؛

٦١ حتى إن الشاطئ الذي كان له مئزراً ، من وسطه إلى أسفل ، أظهر جزءاً كبيراً من أعلاه ، بحيث يبطل إدعاء ثلاثة

٦٤ فريزيين أنهم يبلغون شعره[٢٥] ؛ لأني رأيت منه ثلاثين شبراً كبيراً[٢٦] ، من الموضع الذي يربط الإنسان عنده الثوب حتى أسفل[٢٨] .

٦٧ « رافيل ماي أميخ زابي ألمي[٢٨] » ، هكذا بدأ يصرخ الفم المتوحش ، الذي لم يكن يليق به كلمات أعذب .

٧٠ فقال له دليلي : « أيتها الروح الحمقاء ، الزمي بوقك ولتفرجي به عن نفسك ، عند ما ينالك الغضب أو انفعال غيره[٢٩] !

٧٣ تلمسّى رقبتك ، وستجدين الحبل الذى يقيدها ، أيتها النفس المضطربة ، وانظرى إلى ما يطوّق صدرك الضخم[٣٠]» .

٧٦ ثم قال لى : « إنه يتهم نفسه بنفسه ؛ هذا هو نمرود الذى كان فكره الخبيث سبباً فى ألا يتخذ العالم بعدُ لغةً واحدة[٣١] .

٧٩ فلندعه وشأنه ، ولنكفّ عن التحدث بغير طائلٍ ، لأن كل لغةٍ عنده كلغته عند غيره ، لا يفهمها أحد[٣٢]» .

٨٢ وعندئذٍ سرنا شوطاً أبعد ، متجهين صوب اليسار ، وعلى مرمى قوسٍ ، وجدنا الآخر أضخم كثيراً وأشد وحشية .

٨٥ مَنْ كان المعلم[٣٣] الذى قيده ، لا أستطيع قولاً ، ولكنه كان مقيداً — وذراعه اليمنى إلى الخلف والأخرى إلى الأمام —

٨٨ بسلسلةٍ ربطته من الرقبة إلى أسفل ، حتى التفّت حول جزئه المكشوف إلى خامس دورة[٣٤].

٩١ قال دليلى : «أراد هذا المتغطرس[٣٥] أن يختبر قواه مع جوبيتر العظيم[٣٦] ، وبذلك نال مثل هذا الجزاء .

٩٤ اسمه إفيالتس ، وقد قام بمحاولاتٍ جريئةٍ ، حينما أخاف المردةُ الآلهة : والذراعان اللتان حركهما وقتئذٍ ، لا يحركهما بعدُ أبداً » .

٩٧ فقلت له : « أرجو إن كان هذا أمراً مستطاعاً ، أن تنال عيناى خبرةً ببر ياروس الهائل[٣٧].

١٠٠ أجابنى عندئذ : « سترى قريباً من هنا أنتيوس[٣٨] ، الذى يتكلم وهو طليقٌ[٣٩] ، وسيحملنا إلى أصل كل خطيئة .

١٠٣ إن من ترغب رؤيته[٤٠] بعيدٌ كل البعد ، ومقيدٌ ، وفى صورة هذا المارد ، سوى أن وجهه يبدو أكثر وحشية » .

١٠٦ لم يحدث أبداً أن هزّ زلزالٌ شديد العنف برجاً بمثل هذه القوة ، كما كان إفيالتس سريعاً إلى هزّ نفسه[٤١].

١٠٩ خشيت الموت وقتئذٍ كما لم أخشه أبداً، ولم يكن يلزم له سوى الخوف[٤٢]، لولا أنى رأيت أغلاله.

١١٢ عندئذ تابعنا المسير إلى الأمام ، وبلغنا أنتيوس الذى ظهر منه خارج البئر ، فيما عدا الرأس ، خمس أذرعٍ كاملة[٤٣].

١١٥ « أنت يا مَنْ أخذت ألف سبعٍ غنيمة فى الوادى المحتوم[٤٤] ، ومَنْ أورث شيپيون المجد ، حينما ولّى

١١٨ هانيبال ظهره مع رجاله[٤٥] ، وإذا كنت اشتركت فى حرب إخوتك الكبرى ، فيبدو أنه لا يزال هناك من يعتقد

١٢١ أن أبناء الأرض كانوا سيظفرون[٤٦] ؛ ضعنا أسفل ، حيث يحبس الزمهرير مياه كوتشيتوس[٤٧] ، ولا يأخذك الخجل من ذلك .

١٢٤ ولا تجعلنا نذهب إلى تيتوس[٤٨] ولا تيفون[٤٩] : يستطيع هذا الرجل أن يعطى بعض ما يُتمنى هنا ؛ ولذلك أحن قامتك ، ولا تلوِ شفتيك[٥٠] .

١٢٧ إنه لا يزال قادراً أن يكسبك الشهرة فى الأرض : لأنه يعيش ، وينتظر بعدُ حياةً مديدة[٥١] ، إذا لم تستدعه رحمة الله إليها قبل الأوان[٥٢] » .

١٣٠ هكذا قال أستاذى ؛ فمدّ هذا بسرعةٍ يديه ، اللتين كان هرقل قد أحس بضغطهما الشديد ، وأخذ دليلى[٥٣] .

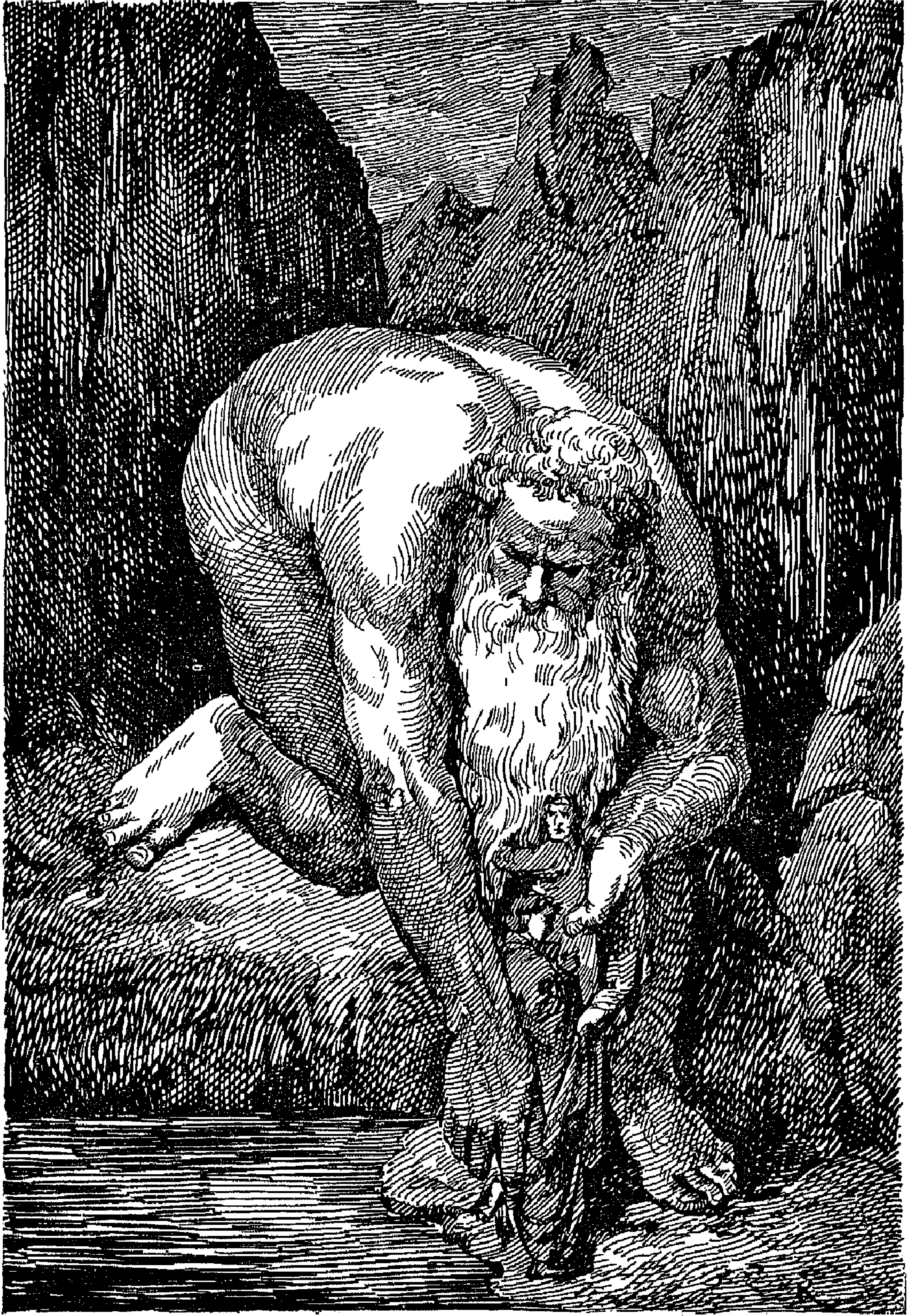
١٣٣ وحينما شعر ڤرجيليو أنه قد أُخذ ، قال لى : « اقترب هنا ، حتى يمكننى أن أحملك » ، ثم جعل من نفسه ومنى حزمةً واحدة[٥٤] .

١٣٦ وكما يبدو برج كاريزيندا[٥٥] عند النظر ، تحت الجانب المائل ، حينما تمر فوقه سحابةٌ هكذا ، فيميل فى الاتجاه المقابل[٥٦] ؛

١٣٩ هكذا بدا لى أنتيوس ، حينما وقفت أرقبه لأراه منحنياً ، وكانت تلك لحظة وددت فيها لو اتخذت طريقاً آخر[٥٧] .

١٤٢ ولكنه وضعنا برفقٍ فى الهاوية[٥٨] ، التى تلتهم لوتشيفيرو[٥٩] مع يهوذا[٦٠] ؛ ولم يبق هناك منحنياً هكذا ،

١٤٥ بل رفع نفسه كساريةٍ فى سفينة[٦١] .



١١ – المارد أنتيوس

أنشودة ٣١ : ١٣٠ . . .

حواشي الأنشودة الحادية والثلاثين

(١) هذه أنشودة المردة وهى مرحلة بين الحلقتين الثامنة والتاسعة .

(٢) هذه إشارة إلى ما سبق : Inf. XXX. 131-132; 142-148.

(٣) هذه إشارة إلى رمح پيليوس وابنه أخيل الذى كان يجرح ويشفى الجروح ، كما ورد فى الميتولوجيا اليونانية : Ov. Met. XIII. 171...; Tris. V. (II.) 15...

(٤) أى الوادى العاشر فى الحلقة الثامنة ، وربما كان المقصود الحلقة الثامنة كلها .

(٥) هذا هو الطريق بين الحلقتين الثامنة والتاسعة .

(٦) أى موقعة رونسڤال (Ronesvalles) فى جبال البرانس فى ٧٧٨ والتى قاتل فيها مؤخرة جيش شارلمان بقيادة أورلاندو قوة من العرب .

(٧) أى القوات المسيحية التى كانت تقاتل العرب .

(٨) عند ما وجد أورلاندو (Orlardo) أن العرب أوشكوا على هزيمته نفخ بعنف فى بوقه مستنجداً بشارلمان وكان على مسيرة ثمانية أميال من موضعه : Chanson de Roland : 1753...

(٩) ظن دانتى أنه ربما رأى أبراجاً ، ولكن ما رآه كان فى الحقيقة جماعة من المردة .

(١٠) سبق أن رأى دانتى أبراجاً عالية فسأل ڤرجيليز عنها فأفاده بشأنها : Inf. VIII. 67...

(١١) أى أن الظلام جعل دانتى يعتقد أن المردة أبراج عالية .

(١٢) سبق مثل هذا التعبير : Inf. XXIX. 4-12.

(١٣) هكذا يحاول ڤرجيليو أن يزيل دهشة دانتى ومخاوفه .

(١٤) هذه صورة دقيقة مستمدة من مشاهد الطبيعة وقت الضباب .

(١٥) وضحت لدانتى الحقيقة وزايله الخطأ ولكن منظر المردة بعث فيه الخوف .

(١٦) مونتّريدجونى (Montreggioni) قلعة فى وادى إلسا (Elsa) أقيمت فى ١٢١٣ للدفاع عن سينيا ، وكان يعلو أسوارها ١٤ برجاً .

(١٧) سبق الإشارة إلى هذا : Inf. XIV. 58.

(١٨) هو نمرود (Nimrod) ملك بابل الذى أراد أن يصعد إلى السماء فبنى برجاً عالياً ، وبلبل الله ألسنة الشعب .

(١٩) أى أنه وقف بغير عمل أو حركة .

(٢٠) يعنى أن الطبيعة حرمت مارس إله الحرب من هؤلاء المردة ، الذين لو وجدوا لكانوا أداة طيعة فى يده ولأحدثوا أضراراً بالغة بالبشر .

(٢١) هذا لأن الفيلة والحيتان مع ضخامة أجسامها تخلو من العقل ، وبذلك لا يمكنها أن تلحق ضرراً كبيرا بالناس .

(٢٢) أى لن يكون للبشر قوة على مواجهة عدوان المردة .

(٢٣) هى تمثال لنبات الصنوبر مصنوع من البرونز ، ويقال إنه كان فى الپانتيون فى روما

قديماً ، وكان فى عهد دانتى قائماً أمام كنيسة الڤاتيكان القديمة ، وهى الآن فى حديقة الڤاتيكان أمام سلم برامنت ، وطوله حوالى سبعة أقدام ونصف .

(٢٤) وعلى هذا يصبح طول المارد من ٥٠ إلى ٦٠ قدماً .

(٢٥) نسبة إلى فريزيا (Frise) منطقة فى هولندا اشتهر أهلها بطول القامة .

(٢٦) الشبر حوالى ٢٦ سم أى أن طول المارد من الرأس حتى السرة يبلغ حوالى ٧ أمتار .

(٢٧) أى من الرقبة إلى السرة .

(٢٨) (Rafel mai amech zabi almi) هذه ألفاظ لا يعرف معناها . ويرى بعض الباحثين أنها ألفاظ محرفة عن العبرية وأنها يمكن أن تعنى : من أنتما ، ابتعدا عما أنتما فيه ! وقصد دانتى أن يعطى مثلا عن لغة نمرود الذى تبلبل لسانه ولا يفهمه أحد . ويشبه هذا كلام پلوتوس الغامض : Inf. VII. 1...

(٢٩) يعنى أن كلماته غير مفهومة ، وأنه أولى به عند الغضب أن ينفخ فى بوقه لا أن ينطق بمثل هذه الألغاز .

(٣٠) أى أن نمرود من فرط اضطرابه لا يرى البوق المعلق فى رقبته .

(٣١) وردت أخبار نمرود فى الكتاب المقدس : Gen. X. 8, XI. 1-9.

(٣٢) أى لا سبيل إلى التفاهم مع نمرود ولا فائدة من التحدث إليه . وكأن كلمات ڤرجيليو السابقة إليه (٧٠ — ٧٥) كانت موجهة فى الحقيقة إلى دانتى .

(٣٣) فى الأصل الأستاذ أو المعلم والمقصود الله .

(٣٤) أى الجزء الظاهر من جسمه ، يعنى من الرقبة إلى السرة .

(٣٥) هو إفيالتس المارد (Ephialtes) وهو ابن نپتون إله الماء فى الميتولوجيا القديمة : Virg. Culex, 234.

(٣٦) ثار إفيالتس مع أخيه أوتس على الآلهة ولكن قتلهما أپولو .

(٣٧) برياروس (Briareus) أحد المردة الذين ثاروا على الآلهة : Virg. Æn. VI. 287 Luc. Phars. IV. 596.

(٣٨) أنتيوس (Antaeus) وهو ابن پوسيدون والأرض ، لم يثر على الآلهة وقتله هرقل ، ولذلك فهو يتكلم دون قيود وأغلال .

(٣٩) يعنى أنه يتكلم لغة غير مفهومه وهو غير مقيد بالسلاسل .

(٤٠) أى بریاروس .

(٤١) غضب إفيالتس واهتز بعنف عندما سمع من ڤرجيليو أن هناك من يفوقه فى القسوة والوحشية .

(٤٢) خاف دانتى حتى شعر أنه أوشك على الموت .

(٤٣) أى خرج منه خمسة أذرع وهذا دليل على حجمه الهائل ، وشاطىء البئر هو الحد الفاصل بين الحلقتين الثامنة والتاسعة .

(٤٤) هو وادى باجرادا (Bagrada) بقرب زاما فى شمال أفريقيا . والمقصود بالوادى المحتوم أنه وقعت به أحداث خطيرة . وكان هذا هو الوادى مقر أنتيوس . واستخدم دانتى هذا المعنى

فى موضع سابق : Inf. XXVIII. 8.

Luc. Phars. IV. 587...

(٤٥) انتصر شيپيونى (Scipione) القائد الرومانى على هانيبال (Hannibal) ملك قرطاجنة فى وادى باجرادا فى معركة زاما فى ٢٠٢ ق . م . وبذلك انتهت الحرب البونية الثانية .

وذكره دانتى على مواضع أخرى من الكوميديا :

Purg. XXIX. 115-116; Par. VI. 53; XXVII. 61-62.

(٤٦) أى لو أن أنتيوس انضم إلى إخوته فى الثورة على الآلهة لكان من المحتمل أن ينتصر المردة على حد قوله .

(٤٧) كوتشيتوس (Cocytus) هذا هو نهاية نهر الجحيم الذى يتجمد فى الحلقة التاسعة من الجحيم ، وهو مقتبس من ڤرجيليو ، وسبق الإشارة إليه : Inf. XIV. 119.

Virg. Æn. VI. 132, 297, 323.

(٤٨) تيتوس (Tityos) أحد المردة الذين أعلنوا الحرب على جوپيتر ولكن قتله أپولو :

Virg. Æn VI. 594..., Luc. Phars. IV. 595.

Hom. Od. II. 705-713.

(٤٩) تيفون (Typhon) وحش مارد له مائة رأس ثار على جوپيتر فقتله بصاعقة :

Luc. Phars. IV. 595-596.

Virg. Æn. IX. 715-716.

Hom. Ill. II. 783.

(٥٠) يعنى لا يجوز للمارد أن يستصغر شأن دانتى .

وفى التراث الإسلامى صور للمردة الذى يبلغ طول الواحد منهم ٧٠ ذراعاً :

أبو إسحق بن إبراهيم الثعلبى : كتاب قصص الأنبياء المسمى بالعرائس . القاهرة ، ١٣٤٥ هـ . ص : ٤١ و ٤٢ .

الهندى : كنز العمال (السابق الذكر) . ج : ٧ : ص : ٢١٢ : رقم : ٢٣٠١ . ص : ٢٢٧ : رقم : ٢٦٦٨ .

(٥١) هذا هو ما يمكن أن يفعله دانتى له ، وهو لا يزال على قيد الحياة . وسبق مثل هذا المعنى : Inf. VI. 89; XIII. 76; XV. 119: XVI. 82; XXVIII. 106.

(٥٢) يتدارك ڤرجيليو قوله الحياة المديدة ، وسبق أن حدد دانتى منتصف العمر :

Inf. I. 1.

Conv. IV. 23.

(٥٣) هذه صورة مأخوذة من لوكانوس : Luc. Phars. IV. 617.

(٥٤) أى احتضن ڤرجيليو دانتى .

(٥٥) برج كاريزيندا (Carisenda) . أنشأ برج كاريزيندا فيليپو وأودو دى جاريزيندى (Filippo & Oddo dei Garisendi) فى ١١١٠ . ويبلغ ارتفاعه الآن حوالى ٤٧ متراً ، ويميل

بمقدار مترين وكسور لانخفاض الأرض .

(٥٦) يوازن دانتى بين البرج والمارد .

(٥٧) تولى دانتى الرعب عند ما انحنى أنتيوس المارد الضخم لكى يحملهما .

(٥٨) حملهما المارد بيديه ووضعهما برفق فى الحلقة التاسعة .

(٥٩) لوتشيفيرو (Lucifero) ملك الجحيم .

(٦٠) يهوذا الإسخريوطى (Juidas) الذى خان المسيح . وسيأتى بعد :

Inf. XXXIV 55-63

(٦١) يوازن دانتى بين ارتفاع المارد وسارية السفنة .

الأنشودة الثانية والثلاثون(١)

عندما وصل دانتى إلى الحلقة التاسعة وجد أنه قد استعصت عليه القوافى لوصف هذه الهوّة البائسة ، واستنجد بربات الشعر لكى يساعدنه على القول . وكانت هذه منطقة دائرة قابيل حيث يعذّب خونة الأهل والأقارب . قال دانتى إنه أولى بالآثمين أن يكونوا نعاجاً أو ماعزاً . وجد دانتى نفسه وإلى جانبه ڤرجيليو على سطح بحيرة متجمدة ، لم يكن مثلها الدانوب أو الدون فى الشتاء . وبرز فوق الجليد رؤوس الخونة مثل الضفادع ، وبدا عليهم أمارات البؤس . رأى دانتى معذبين انهمر الدمع من عيونهما وتحوّل إلى ثلج فاستحال عليهما النظر ، وكانا هما إسكندر ونابليون ابنى ألبرتو دىمانونيا اللذين قتل أحدهما الآخر . ثم انتقل الشاعران إلى منطقة الأنتينورا حيث يعذّب خونة الوطن والمبدأ السياسى ، واصطدم دانتى برأس أحد المعذّبين الذى ظنه رسول مونتاپرتى آتياً للانتقام منه ، فتبادلا الكلام القاسى . وحاول دانتى أن يعرف شخص ذلك الآثم وجذبه من شعر رأسه ونزع بعضه ، ولكنه ظلّ يقاوم محاولة دانتى التعرّف عليه . وصاح معذب آخر ونادى ذلك الممتنع باسمه ، فعرف دانتى أنه بوكا دلى أباتى الذى خان قوات الحلف الفلورنسية فى معركة مونتاپرتى . قال دانتى إنه سيحمل عنه فى الدنيا أنباءً صحيحة تجلب عليه العار . فلم يعبأ بوكا بذلك وأشار إلى بووزو دا دوڤيرا الذى خان الجبلين فى لمبارديا ، كما أشار إلى تيزاورو دى بيكيريا الذى خان الحلف فى فلورنسا . وشهد دانتى عن بُعد رأسى آثمين يخرجان معاً من ثغرة واحدة وسط الجليد . وعندما اقترب دانتى منهما وجد أحدهماينهش مؤخر رأس الآخر . حاول دانتى أن يعرف حقيقة الأمر من صاحب الرأس الأعلى واعداً إياه بالتشهير بعدوّه فى الدنيا .

١ لو كانت لى قوافٍ لاذعةٌ خشنةٌ[٢] ، تناسب الهوة البائسة ، التى ارتكزتْ فوقها سائر الصخور ،

٤ لوفّيتُ التعبير عن عُصارة فكرى ؛ ولكن ما دمتُ لا أملكها ، فلن أحمل نفسى على القول دون رهبةٍ [٣] ؛

٧ لأنه ليس مقصداً يؤخذ مأخذ اللهو ، أن يوصف مركز العالم كله[٤] ، وليس هذا للسانٍ يدعو أباه وأمه[٥] ؛

١٠ ولكن فلتساعدْ شعرى أولئك الربات[٦] ، اللائى ساعدن أمفيون فى إغلاق طيبة[٧] ، حتى لا يختلف القولُ عن الواقع .

١٣ يا مَنْ تجاوزتم أسوأ حُثالةٍ خُلقتْ ، يا مَنْ هُمْ فى الموضع الذى يصعب الكلام عنه ، كان خيراً لكم أن تكونوا هنا نعاجاً أو معزاً[٨] .

١٦ حينما صرنا فى قاع البئر المظلم[٩] ، تحت قدمى المارد[١٠] ، بل أدنى منهما كثيراً ، وكنتُ أتطلع بعدُ إلى السور العالى[١١] ،

١٩ سمعتُ مَنْ يقول : « انظر كيف تسير ؛ واحرص ألا تطأ بقدميك رأسىْ الأخوين البائسين المعذَّبين[١٢] » .

٢٢ عندئذٍ استدرتُ ورأيتُ أمامى وتحت القدمين بحيرةً ، كان لها من التجمد صورةُ الزجاج لا الماء[١٣] .

٢٥ لم يصنع الدانوب فى النمسا وقت الشتاء لمجراه غطاءً بهذه الكثافة ، ولا الدون هناك تحت سماء الزمهرير ،

٢٨ كما كان هنا[١٤] ؛ فإنه لو سقط عليه جبل تمبرنك[١٥] أو پيترَاپيانا[١٦] ، لما أحدث حتى بحافته صريراً[١٧] .

٣١ وكما يقف الضفدع للنقيق بخيشومه خارج الماء ، حينما تحلم فتاة الريف كثيراً بالتقاط فضلات الحصاد[١٨] ،

٣٤ كان الشبحان المعذَّبان مُنغمسين فى الثلج إلى الجزء الذى يبدو عليه الخجل[١٩] ، وقد ازرقَّ لونهما ، وردَّدا بأسنانهما صفير اللقلق[٢٠] .

٣٧ كلاهما أبقى وجهه مصوباً إلى أسفل(٢١) : الزمهرير من الفم(٢٢)، وأسى القلب على العينين بدا واضحاً بينهما(٢٣) .

٤٠ وحينما أجلتُ بصرى حوالىّ قليلاً(٢٤)، نظرت إلى موطئ قدمىّ ، فرأيتُ اثنين متلاصقين هكذا ، حتى اختلط بينهما شعرُ الرأس .

٤٢ قلتُ : « خبرانى مَنْ أنتما يا مَنْ تضغطان صدريكما على هذا النحو » ، فمالا بالعنقين إلى الوراء ؛ ولما ارتفع وجهاهما نحوى ،

٤٦ تقطّر الدمعُ على الخدود من عيونهما ، التى لم يمسها البللُ من قبل إلا فى الداخل ، فجمّدَهُ الزمهرير بينها(٢٥)، وأعاد إغلاقها .

٤٩ لم يَقرنْ أبداً رباطٌ من حديدٍ قطعةَ خشبٍ بأخرى بمثل هذا العنف ؛ وهنا تناطحا معاً كعنزين ، وقد غلبتهما شدّةُ الغضب .

٥٢ وواحدٌ كان الزمهرير قد أفقده كلتا الأذنين ، قال لى وهو ما يزال مطأطئ الرأس(٢٦) : « لماذا تُطيل النظر إلينا ؟

٥٥ إذا أردتَ أن تعرف مَنْ هذان الاثنان ، فالوادى الذى تهبط منه مياه بيزنتزيو(٢٧)، كان لهما ولأبيهما ألبرتو(٢٨) .

٥٨ خرجا من صلبٍ واحدٍ ؛ ويمكنك أن تبحث فى دائرة قابيل كلها(٢٩)، فلن تجد شبحاً أجدر أن يستقرّ فى الجمد(٣٠) :

٦١ لا الذى حُطّم صدره وظلّه معه بضربةٍ من يد أرتو(٣١) ؛ ولا فوكاتشا(٣٢)، ولا هذا الذى يعترضنى

٦٤ برأسه هكذا ، حتى لم أعد أرى إلى الأمام مزيداً ، وكان يُدعى ساسول ماسكيرونى(٣٣) ؛ وإذا كنت تسكانياً ، فإنك تعرف الآن جيداً مَنْ كان .

٦٧ ولكى لا تحملنى أكثر على الكلام ، اعلم أنى كنت كاميتشون دى پاتزى(٣٤) ؛ وأنا أنتظر كارلينو ليُظهرَ عذرى(٣٥) .

٧٠ بعدئذٍ رأيت ألف وجهٍ جعلها البرد مثل الكلاب(٣٦) ؛ ومن ذلك يعرونى الرعبُ ، وسيعرونى دائماً من الغدران المتجمدة .

٧٣ وبينا كنا نسير نحو الوسط ، الذى يتجمّع عنده كل ثقلٍ [٣٧] ، كنتُ أرتعد فى الزمهرير الأبدىّ ،

٧٦ وهل كان ذلك برغبتى أم بتصريف القدر أم بالمصادفة ، لست أدرى ؛ ولكن عند مرورى بين الرؤوس ، اصطدمت قدمى عنيفاً بوجه أحدهم [٣٨] ،

٧٩ فصاح بى وهو يبكى [٣٩] : « لماذا تطؤنى ؟ إذا كنتَ لم تأت لتزيد فى الانتقام لمونتأپرتى [٤٠] ، فلِمَ تعذّبنى ؟ » .

٨٢ قلتُ : « أستاذى ، انتظرنى هنا الآن ، حتى أخلص من شكٍ فى أمره [٤١] ؛ ولتحملنى بعدئذٍ على الإسراع كما ترغب » .

٨٥ وقف دليلى ، وقلت للذى استمرّ بعنفٍ يلعن [٤٢] : « مَنْ أنت يا مَنْ تسبّ سواك هكذا ؟ » .

٨٨ أجابنى : « بل مَنْ أنت يا مَنْ تسير فى الأنتينورا [٤٣] ضارباً وجوه الآخرين ، ولو كنتَ حياً لكان هذا أمراً إداً » .

٩١ فكان ردّى : « إننى حىٌّ ، وإذا كنتَ تطلب الشهرة ، فقد يكون عزيزاً لديك ، أن أضع اسمك فى أبياتى الأخرى » .

٩٤ قال لى : « بى ظمأٌ إلى العكس [٤٤] ؛ فارحل عنى ولا تزد تعذيبى ؛ فأنت لا تحسن الإغراء فوق هذا الثلج » .

٩٧ عندئذ أمسكتُ به من مؤخر رأسه وقلتُ : « سيكون حتماً أن تُفصح عن اسمك ، أو لن تبقى لك شعرةٌ هنا أعلى [٤٥] » .

١٠٠ قال لى : « وإن نزعتَ شعرى كله ، فلن أخبرك من أنا ولن أدلّك ، ولو هويتَ على رأسى ألف مرّة [٤٦] » .

١٠٣ كان شعره فى يدى ملفوفاً ، وكنتُ قد نزعتُ منه أكثر من خصلةٍ ، على حين أطلق صرخاته وظلّ خفيض العينين ،

١٠٦ حينما صاح آخر [٤٧] : « ماذا بك يا بوكّا [٤٨] ؟ ألا يكفيك أن تعزف بالفكّين ، وهل ينبغى أن تنبح ؟ أىّ شيطانٍ ركبك ؟ » .

١٠٩ قلتُ : « لا أريدك الآن أن تتكلم أيها الخائن الخبيث ، إذْ سأحمل عنك أنباءً صحيحةً تجلب عليك العار » .

١١٢ أجاب : « اذهب عني وتحدَّث بما تريد ؛ ولكن إذا خرجتَ من هنا ، فلا تسكت عن ذلك الذى كان لسانه الآن مستعداً هكذا[٤٩].

١١٥ إنه يندب هنا فضّةً للفرنسيين[٥٠] ، ويمكنك القولُ إننى قد رأيت ذلك الدوڤيرىّ[٥١] ، حيث يبقى الآثمون فى جوٍّ رطيب[٥٢].

١١٨ وإذا سُئلتَ عمن كان هنا سواه[٥٣] ، فعندك قريباً منك ذلك البيكّيرىّ[٥٤] ، الذى ضربتْ فيورنتزا عنقه .

١٢١ وأعتقد أنّ جانىّ دى سولدا نييرى[٥٥] فى موضعٍ أبعد ومعه جانيلونى[٥٦] ، وتيبالديلو[٥٧] ، الذى فتح فاينتزا حينما كانت نائمة» .

١٢٤ وكنا قد ابتعدنا عنه[٥٨] ، عندما رأيت اثنين متجمّدين فى ثُغرةٍ واحدةٍ ، حتى كان رأس أحدهما[٥٩] قلنسوةً للآخر[٦٠].

١٢٧ وكما يُلتهمُ الخبزُ من الجوع ، هكذا أنشب الأعلى أسنانه فى الآخر ، حيث يلتقى الرأس بظهر العنق[٦١] :

١٣٠ لم ينهش تيديوس صدغىْ ميناليپوس[٦٢] وهو حنقٌ ، على غير ما فعل ذاك بالجمجمة وسائر الأجزاء[٦٣] .

١٣٣ قلتُ : « أنت يا مَنْ تُبدى بمثل هذا العمل الوحشىّ الكراهية لمن تلتهمه ، اذكر لى السبب ، على شرط

١٣٦ أنك إذا كنتَ تشكو منه بحقٍّ ، وعلمتُ مَنْ أنتما وعرفتُ خطيئته ، فسأعوّضك بعدُ فى العالم أعلى[٦٤] ،

١٣٩ إذا لم يجفّ هذا الذى أتكلم به[٦٥]» .

حواشي الأنشودة الثانية والثلاثين

(١) هذه أنشودة خونة الأهل والوطن .

(٢) بدا لدانتي وصف آخر الجحيم أمراً عسيراً .

(٣) هكذا اعترف دانتي بعجزه وعبر عن مخاوفه .

(٤) اعتبر دانتي الأرض مركز العالم طبقاً لنظرية بطليموس الجغرافي ، وورد هذا المعنى في «الوليمة» : Conv. III. (V.) 7.

(٥) أي لابد لهذا التعبير من لغة رجل محنك صقلته التجارب .

(٦) سبق أن استنجد دانتي بربات الشعر : Inf. II. 7.

(٧) أمفيون (Amphion) هو ابن زيوس وأنتيوبي ، وجذبت أنغامه الأحجار من جبل سيترون وركبت بعضها بعضاً حتى أقيمت أسوار طيبة ، كما ورد في الميتولوجيا اليونانية :

Hor. Ars Poet. 394-396.

(٨) كان هؤلاء عند دانتي من البشر بل إن السائمات قد تفضلهم لأنها لا تعرف الخيانة .

(٩) هذه هي دائرة قابيل (Caina) حيث يعذب خونة الأهل والأقارب . وسبق الإشارة إليها :

Inf V 107.

(١٠) أي أن أنتيوس كان قد وضعهما بعيداً عنه بقدر المستطاع .

(١١) تشبه هذه الصورة ما سبق : Inf. XII. 83-84.

(١٢) هما ابنا ألبرتو دي مانونيا كما سيأتي بعد .

(١٣) هذه مياه كوتشيتوس التي تجمدت بفعل الزمهرير .

(١٤) يفوق تجمد كوتشيتوس تجمد مياه الدانوب (Danube) في النمسا والدون (Don) في الروسيا في الزمهرير القاسي .

(١٥) تمبرنك (Tambernic) جبل لم يتمكن الباحثون من تحديد موضعه وربما كان في شرق سلاڤونيا .

(١٦) پيترا پيانا (Pietrapiana) قمة جبل يقع في شمالي غرب تسكانا .

(١٧) يحدث صرير إذا سقط جسم ثقيل فوق سطح الثلج ، ولكن لم يحدث هنا صرير لصلابة الثلج .

(١٨) أي في أوائل الصيف .

(١٩) أي الوجه .

(٢٠) اللقلق (cicogna) طائر كبير يوجد في أفريقيا وجنوب أوروبا . وذكره أوڤيديوس :

Ov. Met. VI. 97.

(٢١) حاول الآثمان إخفاء وجهيهما عن الشاعرين حتى لا يكشف أمرهما .

(٢٢) أي باصطكاك أسنانهما .

(٢٣) أى بالدموع . وهذا تعبير دقيق عن العذاب والأسى .

(٢٤) يعنى عند ما أخذ دانتى فكرة عامة عن الجليد الممتد أمامه .

(٢٥) تجمد الدمع عند ملامسة الهواء القارس .

(٢٦) أراد هذا المعذب أن يعرف دانتى بالمنطقة التى جاء إليها .

(٢٧) يمر نهر بيزنتزيو (Bisenzio) على مقربة من براتو ويصب فى الأرنو بقرب فلورنسا .

(٢٨) هما إسكندر (Alessandro) ونابليون (Napoleone) ابنا الكونت ألبرتو دى مانونيا (Alberto di Manonga) والكونتيسه جوالدرادا (Gualdrada) . وقتل إسكندر ونابليون أحدهما الآخر للخلاف على ممتلكات فى وادى نهر بيزنتزيو بعد ١٢٨٢ .

(٢٩) دائرة قابيل هى أول دائرة فى الحلقة التاسعة .

(٣٠) يستخدم دانتى لفظ (Gelatina) والمقصود الثلج والجمد .

(٣١) المقصود موردريد (Mordred) ابن الملك أرتو فى قصص المائدة المستديرة ، الذى أراد أن يغتصب العرش ، فقتله أرتو واخترق الرمح جسده ، وكان الجرح كبيراً مفتوحاً بحيث نفذت منه أشعة الشمس ، والمقصود أن الرمح اخترق الجسم ووصل إلى الظل وراءه :

Malory, The Death of King Arthur, XX-XXI.

(٣٢) فوكاتشا دى كانتشيليرى بيانكى دى پستويا (Focaccia dei Cancellieri Bianchi di Pistoia) أثار الشحناء بين أفراد أسرته وانقسموا بين حزبى البيض والسود وقتل منهم كثيرون .

(٣٣) ساسول ماسكيرونى (Sassol Macheroni) مواطن فلورنسى قتل ابن عم له لكى يرثه وشاع أمر هذه الجريمة فى تسكانا .

(٣٤) كاميتشون دى پاتزى (Camicion de' Pazzi) من وادى الأرنو قتل قريبه أوبرتينو لاختلاف المصلحة بينهما .

(٣٥) كان كاميتشون ينتظر كارلينو دى پاتزى (Carlino dei Pazzi) الذى سيرتكب جريمة شنيعة عند ما يسلم قلعة پيانتراڤينيى إلى حزب السود فى نظير رشوه فى ١٣٠٢ ، وقد أدى إلى قتل كثيرين من البيض ثم باع القلعة للبيض . والمقصود أن ذنب كاميتشون سيكون أخف بالمقارنة بما سيرتكبه كارلينو .

(٣٦) يعنى أن وجوه المعذبين قد ازرق لونها فى مثل لون أنوف الكلاب لشدة الزمهرير .

(٣٧) أى مركز الأرض .

(٣٨) لا يدرى دانتى كيف اصطدم وهو يسير برأس أحد المعذبين .

(٣٩) هذا هو شبح بوكا دلى أباتى .

(٤٠) معركة مونتاپرتى (Montaperti) انتصر فيها الجبلين على الجلف الفلورنسيين على مقربة من سيينا فى ١٢٦٠ . وقد سبق الإشارة إلى الدماء التى أريقت فيها : Inf. X. 85.

(٤١) أى تولاه الشك بشأن كلام بوكا دلى أباتى .

(٤٢) كان يصب اللعنات على دانتى لأنه صدم رأسه بقدمه .

(٤٣) الأنتينورا (Antenora) هى الدائرة الثانية فى الحلقة التاسعة . وتنسب إلى أنتينور

أمير طروادة وأخى الملك پريام والذى امتاز بالفصاحة والحكمة . ويقال إنه عرض تسليم هيلانة إلى الإغريق حقناً للدماء . ونشأت حوله قصة تقول إنه خان بلاده بتسليم پالاديوم إلى الأعداء . ويقال إنه انتقل إلى إيطاليا وأنشأ مدينة پادوا . ويعذب فى دائرة الأنتينورا خونة الوطن أو الحزب السياسى :
Virg. Æn. I. 242...

Hom. Ill. III. 148...

(٤٤) أى أنه كان يطلب النسيان ، وهذه هى رغبة الخونة الذين كانوا يخشون سوء السمعة فى الدنيا ، وإن وجدت استثناءات لهذه الرغبة .

(٤٥) هكذا عامل دانتى بوكا دلى أباتى بعنف وقسوة .

(٤٦) كان بوكا حريصاً إلى هذا الحد على عدم الإفصاح عن شخصه .

(٤٧) هو بووزو دا دوڤيرا (Buoso da Dovera) الذى سيطر زمناً طويلا مع أوبرتو پالاڤيتشينو على كريمونا (Cremona) ثم طرد منها فى ١٢٦٧ ولم يفلح فى العودة إليها . وهو موضوع هنا لأنه خان حزب الجبلين عند ما تلقى من مانفريد مالا لكى يعد جنودا فى لمبارديا لمواجهة جيش شارل دانجو ولكنه حفظ المال لنفسه ، ثم أخذ مالا من الفرنسيين وتركهم يمرون دون مقاومة .

(٤٨) بوكا دلى أباتى (Bocca degli Abati) مواطن فلورنسى من حزب الجلف خان حزبه وقطع يد حامل العلم الفلورنسى ، وكان ذلك من عوامل هزيمة فلورنسا الجلفية على يد الجبلين فى موقعة مونتاپرتى فى ١٢٦٠ .

(٤٩) أى بووزو دا دوڤيرا .

(٥٠) يعنى الرشوة التى أخذها من الفلورنسيين .

(٥١) هو بووزو دا دوڤيرا .

(٥٢) أى يلقون عذابهم فى الثلج . وهذه سخرية دانتى بهؤلاء المعذبين .

(٥٣) أى عن غيره من المعذبين .

(٥٤) تيزاورو دى بيكيريا (Tesauro de' Beccheria) مواطن من پاڤيا وأصبح مندوب البابا اسكندر الرابع فى فلورنسا ، واتهمه الجلف الفلورنسيون بالتآمر عليهم بعد طرد الجبلين من فلورنسا فى ١٢٥٨ فقطع رأسه .

(٥٥) جانى دى سولدانييرى (Gianni de' Soldanieri) فلورنسى جبلينى خان حزبه وأصبح من زعماء الجلف ونفى فى ١٢٥٨ .

(٥٦) جانيلونى (Ganellone) من شخصيات المائدة المستديرة ، وقد ساعد العرب خفية وحال بالخديعة دون إنقاذ مؤخرة جيش شارلمان بقيادة أورلاندو ، كما سبق : Inf. XXXI. 16.
Ch. de Roland, 3750-56.

(٥٧) تيبالدلو تزامبرازى (Tebaldello Zambrasi) مواطن من فاينتزا (Faenza) فتح أسوارها أمام قوات الجلف البولونية لكى ينتقم من الجبلين فى ١٢٨ .

(٥٨) يقصد بوكا دلى أباتى .

(٥٩) صاحب الرأس الأعلى هو الكونت أوجولينو دلا جيراردسكا .

(٦٠) أى الأسقف روجيرى دلى أوبالدينى .

(٦١) أى أن أوجولينو المتعطش للانتقام نهش بأسنانه الأسقف روجيرى فى مؤخر رأسه .

(٦٢) يروى ستاتزيوس أن ميناليپوس (Menalippus) الطيبى جرح فى الحرب ضد طيبة تيديوس (Tydeus) جرحاً مميتاً ، ومع ذلك فقد استطاع تيديوس أن يقتله وهو جريح ، وسأل أصحابه أن يحملوا إليه رأس ميناليپوس فنهشها وقد ساده الغضب والكراهية :

Stat. Theb. VIII. 140...

(٦٣) أى لحم الرأس والمخ . وهذا دليل على بشاعة ذلك العمل الوحشى .

(٦٤) أثار هذا العمل الوحشى دانتى فحاول أن يعرف سببه ، وقال إنه إذا وقف على حقيقة الأمر فسيوضحه فى الدنيا بإشاعة ذكر الجريمة فيها .

(٦٥) أى إذا لم يجف لسانه ، يعنى إذا لم يمت .

الأنشودة الثالثة والثلاثون[1]

رفع أوجولينو فمه عن رأس غريمه رودجيرى عندما أدرك أن دانتى سوف يُشهر بعدوّه فى الأرض ، وأخبره عن شخصيهما وشرح له الدافع إلى قيامه بهذا العمل الوحشى . قال إنه وقع أسيراً فى يد عدوّه بسبب الغدر ، وإنه وُضع وأولاده فى برج الجوع فى پيزا ، وعرف الوقت فيه بأشعة القمر ، وإنه نام فرأى حلماً بغيضاً بدا فيه رودجيرى قائداً لحملة صيد فوق جبل سان جوليانو . وقال إنه عندما استيقظ من نومه سمع أولاده يبكون فى نومهم ويطلبون الخبز ، وسمع صوت إغلاق باب البرج فى أسفل ، فنظر إلى أولاده دون كلام . وفى اليوم التالى تبين ما يعانيه أولاده ، فعضّ كلتا يديه فى حركة عصبية ، فظنوا أنه فعل ذلك بسبب الجوع ، فنهضوا وسألوه أن يأكل لحمهم ! وظل أوجولينو يكتم مشاعره فى صدره حتى لا يزيد فى بؤس أبنائه الأبرياء . وفى اليوم الرابع سأله جادّو العون ثم سقط ميتاً ، وتلاه بقية الأبناء . وبموتهم تحرّر أوجولينو من قيد الأبوة الرهيب ، وسقط فوق أبنائه وأخذ يتلمسهم وهو أعمى ، وظل يناديهم بأسمائهم يومين كاملين ، حتى فعل به الجوع ما لم يفعله الألم . رأى دانتى أوجولينو يعود إلى نهش رأس رودجيرى الخائن ، فأخذه الغضب ، وصبّ لعنته على پيزا وشعبها وتمنى هلاكه غرقاً فى نهر الأرنو . وسار الشاعران فوق الثلج فى منطقة بطليموس حيث يعذب خونة الأصدقاء والضيوف ، الذين استحال عليهم البكاء لتجمد دموعهم فى مآقيهم ، وتهبط هنا أرواح الخونة قبل موت أجسادهم فوق الأرض . رأى دانتى بين هؤلاء ألبريجو دى مانفريدى وبرانكا دوريا الجنوى . وكان دانتى قاسياً على ألبريجو حينما أخلف وعده ولم يُزل عن عينيه الثلج ، ثم صبّ لعناته على شعب جنوا .

١ رفع الفمَ(٢) عن الطعام الخبيث ذلك الآثم ، وهو يمسحه فى شعر الرأس الذى أفسد مؤخره نهشاً(٣) .

٤ ثم بدأ : « إنك تريد أن أجدّد الألم اليائس ، الذى يصهر قلبى مجرّد التفكير فيه قبل أن أتكلم عنه(٤) .

٧ ولكن إذا كانت كلماتى بذوراً تُثمر سوءَ السمعة للخائن الذى أنهشه ، فإنك سترى الكلامَ والبكاءَ معاً(٥) .

١٠ أنا لا أعرف مَنْ أنت ، ولا بأية طريقة أتيت هنا أسفل(٦) ، ولكنك تبدو لى فى الحقيقة فلورنسياً ، حينما أسمعك(٧) .

١٣ فلتعلم أنى كنتُ الكونت أوجولينو(٨) ، وهذا هو الأسقف رودجيرى(٩) : وسأخبرك الآن لم أنا له مثل هذا الجار(١٠) .

١٦ ليس ضرورياً أن أقول(١١) إنه بتأثير أفكاره الخبيثة ، إذْ وضعتُ ثقتى فيه(١٢) ، وقعتُ أسيراً وقتلتُ بعدُ .

١٩ ولكنك ستسمع ما لايمكن أن تكون قد سمعته(١٣) ، أعنى كيف كان موتى وحشياً ، وستعرف ما إذا كان قد عذّبنى(١٤) .

٢٢ فتحةٌ ضيقةٌ(١٥) فى القفص الذى يسمى من أجلى برج الجوع(١٦) ، وعلى آخرين أن يُحبسوا فيه بعدُ(١٧) —

٢٥ أظهرتْ لى من خلال منفذها أقماراً كثيرةً(١٨) ، حينما نمتُ النومَ البغيض(١٩) ، الذى هتك لى حجابَ المستقبل(٢٠) .

٢٨ وفى الحلم بدا لى هذا(٢١) رئيساً وقائداً ، فى صيد الذئب وجرائه(٢٢) فوق الجبل(٢٣) ، الذى لا يستطيع أهل پيزا أن يروْا لوكّا خلاله(٢٤) .

٣١ ومع كلابٍ ضامرةٍ متحفزةٍ مدربةٍ(٢٥) ، وضع أمامه فى المقدّمة آل جوالاندى وآل سسموندى وآل لانفرانكى(٢٦) .

٣٤ وبعد شوطٍ قصيرٍ بدا لى الأب والأبناء مُتعبين(٢٧) ، وظهر لى أنى رأيتُ الأنيابَ الحادّة قد مزّقت جوانبها(٢٨) .

٣٧ وحينما استيقظتُ قُبيل الفجر سمعتُ أولادى[٢٩]، الذين كانوا معى، يبكون فى نومهم ويطلبون الخبز[٣٠].

٤٠ إنك لشديد القسوة، إذا كنتَ لم تتألم بعدُ وأنت تفكر فيما وضَحَ لقلبى؛ وإذا كنتَ لا تبكى، ففيم اعتدتَ البكاء[٣١]؟

٤٣ وكانوا قد استيقظوا واقتربتْ الساعة التى اعتاد أن يقدَّم لنا فيها الطعام، وكان كل منا فى شك من رؤياه[٣٢]؛

٤٦ وسمعتُ إغلاقَ باب البرج الرهيب أسفل[٣٣]؛ وعندئذٍ نظرتُ إلى وجوه أبنائى دون أن أنطق بكلمة[٣٤].

٤٩ ولم أبك بل تحجرتُ هكذا فى باطنى[٣٥]؛ وبكوْا هم[٣٦]؛ وقال صغيرى أنسلموتشو[٣٧]: " أبتاه، إنك تنظر هكذا، ماذا بك[٣٨]؟ ".

٥٢ ولكنى لم أبك ولم أجبْ ذلك النهار كله ولا الليل التالى، حتى بزغتْ على الدنيا الشمس الجديدة[٣٩].

٥٥ وحينما تسلل شعاعٌ قليلٌ إلى السجن الأليم، وتبينتُ فى وجوهٍ أربعةٍ صورتى ذاتها[٤٠]،

٥٨ عضَضْتُ كلتا اليدين من الألم[٤١]؛ وفى ظنهم أنى فعلتُ ذلك رغبةً فى الطعام، نهضوا فجأة[٤٢]،

٦١ وقالوا: " أبتاه! سيخفّ ألمنا كثيراً إذا طعمتَ منا: أنتَ كسوتنا هذا اللحم البائس، فاخلعه عنا[٤٣]".

٦٤ عندئذ هدّأتُ نفسى كيلا أجعلهم أشدّ حزناً[٤٤]؛ وخرسنا جميعاً ذلك اليوم وما يليه[٤٥]؛ أوّاه أيتها الأرض الصلدة لمَ لَمْ تنشقى[٤٦]؟

٦٧ وحينما جئنا لليوم الرابع[٤٧]، رمى جادّو[٤٨] نفسه عند قدمىّ قائلاً: " أبتاه لِمَ لا تساعدنى[٤٩]؟ ".

٧٠ وهناك مات؛ وكما أنت ترانى[٥٠]، رأيتُ الثلاثة يسقطون واحداً واحداً[٥١]، بين اليوم الخامس والسادس؛ وحينئذٍ أخذتُ،

٧٣ وقد صرتُ أعمى [٥٢]، أزحف فوق كلّ واحدٍ منهم [٥٣]، وناديتهم مدّة يومين ، بعد أن أصبحوا موتى [٥٤]: ثم كان الجوع أقدر من الألم [٥٥]» .

٧٦ وحينما قال هذا ، وبعينين منحرفتين ، أمسك الجمجمة البائسة ثانياً بأسنانه ، التى كانت على العظم قويّةً ، كأسنان الكلب [٥٦].

٧٩ أوّاه منك يا پيزا ، يا وصمةً [٥٧] فى جبين شعب البلد الجميل [٥٨]، حيث تصدح اللغة الحلوة [٥٩]، ما دام جيرانك مُتباطئين فى عقابك [٦٠]،

٨٢ فلتتحرّك كاپرايا [٦١] وجورجونا [٦٢]، ولتصنعا سدّاً فى الأرنو عند المصب [٦٣] حتى يغرقَ فيك كلّ إنسانٍ حيّ [٦٤]!

٨٥ لأنه إذا اشتهر الكونت أوجولينو بأنه خدعك فى شأن القلاع [٦٥]، فما كان ينبغى أن تضعى أبناءه فى مثل هذا العذاب [٦٦].

٨٨ لقد جعلتهمْ حداثة السن أبرياء يا طيبة الجديدة [٦٧]: أوجوتشونى [٦٨] وبريجاتا [٦٩]، والاثنين الآخرين [٧٠] اللذين تذكرهما أنشودتى من قبل .

٩١ ومضينا إلى الأمام ، حيث أطبق الجليد على قومٍ غيرهم ، لم يتجهوا إلى أسفل ولكن انقلبوا كلهم [٧١].

٩٤ بكاؤهم نفسه لم يدَعْ للبكاء هناك سبيلاً ، والألم الذى يجد عائقاً فى عيونهم ، يرتدّ إلى الداخل ليزيدهم تعذيباً [٧٢].

٩٧ إذْ أن أولى دموعهم تصنع عُقدةً ، تملأ محجر العينين كله ، كقناعٍ من البلور تحت الحاجب .

١٠٠ ومع أن كلّ حسٍّ فى وجهى قد توقف بفعل الزمهرير ، كما يحدث من نبرة القدم ،

١٠٣ بدا لى أنى أشعر ببعض الريح : ولذا قلتُ : « أستاذى ، هذه ، مَنْ ذا يُحرّكها ؟ ألا يتلاشى كل بخارٍ هنا أسفل [٧٣]؟ » .

١٠٦ قال لى : « ستصبح سريعاً فى موضع تُعطيك فيه عينك جوابَ هذا ، حينما ترى المصدَر الذى يصبّ الريح [٧٤]» .

١٠٩ وصاح بنا واحدٌ من بؤساء القشرة الباردة : « أيهاتان النفسان الشديدتا القسوة ، حتى لقد أعطيتما آخر موضعٍ[٧٥] ،

١١٢ ارفعا عن وجهى النقُبَ الصلبة[٧٦] ، لكى أفرِّج قليلاً عن الألم الذى يملأ قلبى ، قبل أن يعود دمعى إلى التجمد[٧٧].

١١٥ قلتُ له : « إذا أردتَ أن أعاونك فخبرنى مَنْ أنت ، وإذا لم أخلصك فلأذهبْ إلى قاع الجليد[٧٨]» .

١١٨ أجاب عندئذ : « أنا الراهب ألبريجو[٧٩] ، أنا صاحب الفاكهة من الحديقة الخبيثة[٨٠] ، والذى آخذ هنا البلح بدل التين[٨١] » .

١٢١ قلتُ له : « أوّاه ! أأنت الآن ميتٌ هنا[٨٢]؟ » . قال لى : « كيف يبقى جسمى أعلى فوق الأرض ، ليس لى علم[٨٣].

١٢٤ ولمنطقة بطليموس مثل هذه الميزة[٨٤] ، فنى مراتٍ كثيرةٍ تهبط الروحُ هنا ، قبل أن يدفعها أتروپوس[٨٥].

١٢٧ ولكى تكون أكثر رغبةً فى أن تُزيل عن وجهى الدموع المتجمدة ، اعلم أن الروح حينما ترتكب الخديعة ،

١٣٠ كما فعلتُ أنا ، ينزع شيطانٌ منها الجسدَ ، ويتحكّم فيه بعدُ ، حتى ينقضى كل زمانه[٨٦].

١٣٣ وتهوى هى إلى مثل هذه الهاوية ، وربما لا يزال يبدو فى أعلى جسم الشبح الذى يتجمد من ورائى هنا .

١٣٦ ولا بدّ أن تعرفه إذا جئتَ الآن حسبُ إلى أسفل : إنه السيد برانكا دوريا[٨٧] ، وقد مضتْ سنواتٌ كثيرةٌ منذ أن حُبس هكذا » .

١٣٩ قلتُ له : « أعتقد أنك تخدعنى ؛ لأن برانكا دوريا لم يمت بعدُ[٨٨] ، وهو يأكل ويشرب وينام ويرتدى الثياب[٨٩] » .

١٤٢ قال : « هناك أعلى فى خندق ماليبرانكى[٩٠] ، حيث يغلى القطران الكثيف ، لم يكن ميكيل زانكى[٩١] قد وصل بعدُ ،

١٤٥ حينما ترك هذا الرجل بدلاً منه شيطاناً فى جسده وفى جسد أحد أقاربه ، الذى ارتكب وإياه الغدر(٩٢).

١٤٨ ولكن امدد يدك إلىّ هنا الآن وافتح عينىّ » . فلم أفتحهما له ؛ وكان من الكياسة أن أكون معه قاسياً(٩٣).

١٥١ آه لكمْ يا أهل جنوا ! أيها الرجال الغرباء عن كلّ فضيلةٍ ، والحافلون بكلّ رذيلةٍ ، لماذا لم تزولوا من الدنيا ؟

١٥٤ فإنى قد وجدتُ واحداً منكم(٩٤) مع أخبث روحٍ فى رومانيا(٩٥)، وهو لسوء فعله يغطس الآن بروحه فى كونشيتوس ،

١٥٧ ولا يزال يبدو فى أعلى حياً بجسمه(٩٦) .

حواشي الأنشودة الثالثة والثلاثين

(١) هذه أنشودة خونة الوطن والأصدقاء ، وتسمى أنشودة الكونت أوجولينو .

(٢) يبدأ النص الإيطالي بالفم المفترس وكان الفم أهم ما في الرأس عند دانتي .

(٣) يدل هذا على الدم الذي غطى فم صاحب الرأس الأعلى – أوجولينو – ولم يشأ دانتي أن يذكره الآن ، وترك للقارىء أن يتصور هذا المنظر الرهيب .

(٤) يعبر هذا القول عن الألم العنيف الذي يهصر القلب . ويشبه هذا قول ڤرجيليو :
Virg Æn II. 3.

(٥) ومع أن الكلام عن مأساته يزيده ألماً فإنه سيتكلم ويبكي في وقت واحد ، ما دام الكلام يثير سوء السمعة لعدوه . ويشبه هذا بكاء فرنتشسكا مع الكلام ، ومع الفارق بين الموقفين :
Inf. V. 126.

(٦) لا يعني أوجولينو أن يعرف شخص هذا الزائر المجهول ويكفيه أن يعرف أنه مواطن فلورنسي .

(٧) عرف أوجولينو أن دانتي مواطن فلورنسي من طريقة كلامه ، وكذلك عرف فاريناتا من قبل : Inf. X. 25.

(٨) الكونت أوجولينو دلا جيرار دسكا (Ugolino della Gherardesca) عاش في القرن ١٣ ، ويرجع إلى أسرة لمباردية نبيلة كانت لها السيطرة على بعض القلاع في سهل پيزا . وتزوج وأنجب عدة أولاد ، وآلت إليه بعض أملاك في سردينيا ، وتزوج أحد أبنائه حفيدة الأمبراطور فردريك الثاني وبذلك أصبح أوجولينو جداً . وكان أوجولينو من زعماء الجبلين وخاض معمعان السياسة وأصبح صاحب نفوذ كبير في پيزا ، ورأى من مصلحته أن يتحول إلى قضية الجلف ، وحاول أن ينقل پيزا من سياسة الجبلين إلى سياسة الجلف . وأدرك الجبلين هذه المحاولة وحدث فقال مسلح بين الجانبين ، وعاونت فلورنسا وغيرها من المدن الجلفية في تسكانا أوجولينو في قتاله ضد الجبلين ، وبذلك نجح في استرجاع سيطرته ومكانته ، وأصبح صاحب السلطة العليا في پيزا ، وقاد أسطولها ضد جنوا . ولكن پيزا هزمت في موقعة ميلوريا (Meloria) في ١٢٨٤ ، وأدت هذه الهزيمة إلى قيام التفاهم بين فلورنسا وجنوا ولوكا على حساب پيزا . وحاول أوجولينو أن ينقذ پيزا من الخطر الذي يهددها ، وعمل على تفريق أعدائه – وهم أعوانه منذ قليل – مع ترضيتهم في وقت واحد ، فسلمهم بعض القلاع وأظهر استعداده للتحول نهائياً إلى حزب الجلف ، وهكذا أبعد الخطر مؤقتاً عن پيزا ، وأقام فيها حكماً دكتاتورياً في ١٢٨٦ . ولكن الجبلين لم يسكتوا عن ذلك ، ونهضوا لاستعادة نفوذهم بقيادة الأسقف رودجيري دلي أوبالديني . ونجح الجبلين في تنحية أوجولينو عن سلطته في ١٢٨٨ ، وأسروه غدراً مع اثنين من أبنائه واثنين من حفدته – واعتبرهم دانتي جميعاً بمثابة أبنائه – وحبسوهم في پيزا حيث ماتوا جوعاً . ووضع دانتي أوجولينو في منطقة الخونة لأنه كان من زعماء الجبلين ومع ذلك فقد صادق الجلف وأبدى استعدادة لتحويل پيزا إلى جانبهم ، وقد عاونه الجلف فترة من الزمن ثم انقلبوا عليه .

وكانت المصلحة هى الدافع على هذا التذبذب السياسى .

(٩) الأسقف رودجيرى دلى أوبالدينى (Ruggieri degli Ubaldini) هو قريب الكردينال أوڤاتيانو دلى أوبالدينى (Inf. X. 120.) وعاش فى أثناء القرن ١٣ . دخل سلك الكهنوت وقضى شبابه فى بولونيا ، واستدعاه الجبلين لكى يشغل منصب أسقف راڤنا ، ولكن قامت منافسة بينه وبين مرشح الجلف وانتهى الأمر بإبعاد المرشحين المتنافسين معاً . وأصبح أسقف پيزا فى ١٢٧٨ وناصر قضية الجبلين ، وإن كان قد أظهر أنه صديق للجلف والجبلين على السواء . وقاد حركة الجبلين ضد أوجولينو وأصبح حاكم پيزا فترة قصيرة بعد سقوط أوجولينو . وقد أثار عداء الأسقف رودجيرى للجلف غضب البابا نيقولا الرابع عليه ، ولم ينقذه منه سوى موت البابا نفسه . ومات رودجيرى فى ڤيتربو فى ١٢٩٥ . وخيانة رودجيرى ضد دانتى هى اتفاقه مع زعماء الجبلين فى پيزا ضد الجلف ، وغدره بأوجولينو وحبسه وموته مع ابنيه وحفيديه .

(١٠) بعد أن عرف أوجولينو أن دانتى مواطن فلورنسى وبعد أن ذكر له أوجولينو اسمه واسم غريمه أبدى رغبته فى أن يخبره عن جلية الأمر وسبب ذلك الانتقام الوحشى . ولا يحمل لفظ الجار الذى نطق به أوجولينو معنى الصداقة والصفاء والسلام ولكنه يحمل معنى السخرية المريرة .

(١١) عرفت كل تسكانا بهذه المؤامرة ولذلك لا يخفى خبرها على دانتى الفلورنسى .

(١٢) عند ما انتصر الجبلين على الجلف وطردوهم من پيزا فى يونيو ١٢٨٨ كان رودجيرى وغيره من زعماء الجبلين قد طلبوا الاجتماع بأوجولينو للوصول معه إلى اتفاق ، فوثق بهم وذهب إليهم . وجرت المحادثات بين الجانبين فى صباح أول يوليو ، واتفق على أن تستمر بعد ظهر اليوم ذاته ، ولكن الجبلين نكثوا بالعهد وأسروا أوجولينو ومن معه .

(١٣) يعنى أنه هناك تفصيلات رهيبة لم يسجلها التاريخ ، وكان على دانتى أن يستوحى بفنه الصورة التى أفلتت من سجل التاريخ .

(١٤) عبر أوجولينو أولا بكلمات قلائل عن العذاب الذى لقيه فى السجن هو وأولاده .

(١٥) وقع أوجولينو فى الأسر مع ولديه جادو (Gaddo) وأوجوتشونى (Uguccione) ومع حفيديه نينو (Nino) الملقب باسم بريجاتا (Brigata) وأنسلموتشو (Anselmuccio) فى يوليو ١٢٨٨ ، وحبسوا أكثر من ٢٠ يوماً ثم نقلوا إلى برج جوالاندى فى پيزا وبقوا فيه حتى ماتوا جوعاً فى مايو ١٢٨٩ . وكانت هذه الفتحة الضيقة هى المنفذ الوحيد فى البرج المظلم .

(١٦) برج جوالاندى (Gualandi) فى پيزا سمى برج الجوع بعد موت أوجولينو وأولاده فيه جوعاً . واستخدم البرج كسجن حتى ١٣١٨ ، واستخدمته حكومة پيزا أحياناً كمكان لتفريخ النسور ، ثم أصبح برج الكومون . وأقيم فى مكانه قصر الساعة فى پيزا .

(١٧) أى أن أوجولينو كان يفكر فى غيره من الناس الذين سينالهم الغدر والخيانة فيحبسوا فى ذلك البرج .

(١٨) أى أنه رأى عدة دورات للقمر ، ويدل هذا على أنه قضى عدة شهور فى ذلك البرج .

(١٩) النوم البغيض الذى اكتنفه الغدر والسجن والعذاب والشك فى المستقبل والأمل فى الخلاص .

(٢٠) أى أنه رأى حلماً أوضح له المصير المحتوم .

(٢١) يقصد الأسقف رودجيرى .

(٢٢) يمثل الذئب وجراؤه أوجولينو وأولاده .

(٢٣) هو جبل سان جوليانو (San Giuliano) الذى يقع بين أملاك پيزا واوكا .

(٢٤) يحجب الجبل لوكا عن أعين أهل پيزا .

(٢٥) يقصد شعب پيزا الذى اشترك فى مهاجمة أوجولينو .

(٢٦) أسر جوالاندى(I Gualandi)وسسموندى(I Sismondi) ولانفرانكى(I Lanfranchi) هى أسر جبلينية فى پيزا حرضها رودجيرى على مهاجمة أوجولينو .

(٢٧) الذئب وجراؤه كناية عن أوجولينو وأولاده .

(٢٨) يعبر بهذا عما سيلحق أوجولينو وأولاده .

(٢٩) يقصد ولديه وحفيديه .

(٣٠) هكذا تعذب أوجولينو وهو يرقب أبناءه فى نومهم ويسمع تأوهاتهم .

(٣١) لم يلحظ أوجولينو تأثر دانتى بما سمعه فأخذ يؤنبه ويسخر به ، وإن كان ذلك لا يعنى أن دانتى لم يتأثر فعلا .

(٣٢) أى أن الأبناء قد رأوا حلماً مشابها لما رآه أوجولينو ، واستيقظوا جميعاً وقد تولاهم الشك والقلق والهواجس .

(٣٣) أمر الأسقف رودجيرى بإغلاق باب البرج وإلقاء مفاتيحه فى نهر الأرنو ، وكان معنى ذلك الموت للسجناء .

(٣٤) تفرس أوجولينو فى وجوه أبنائه وحاول أن يعرف الأثر الذى أحدثه فى نفوسهم سماع صوت الباب المغلق ، ولم ينطق بكلمة حتى لا يجعل أبناءه يحسون بالخطر .

(٣٥) حبس أوجولينو دمعه وتحول إلى حجر حتى لا يشعر الأبناء بالخطر المحدق .

(٣٦) أى أن الأولاد بكوا أما أوجولينو فلم يستطع حتى البكاء .

(٣٧) فى هذه الكلمات حنو الأب على أبنائه .

(٣٨) جزع الابن من هذه النظرة التى لم يفهمها وحاول أن يعرف سببها .

(٣٩) تألم أوجولينو ولكنه كتم ألمه ولم يتكلم حتى لا يزيد فى ألم أبنائه .

(٤٠) كان قد ظهر أثر السجن والجوع على الجميع ، وعندما لاح بصيص من نور رأى أوجولينو فى وجوه أبنائه من الشحوب والهزال والألم ما أصابه هو .

(٤١) عض أوجولينو يديه من فرط الألم ، وكانت تلك حركة عصبية صدرت عنه على الرغم منه .

(٤٢) نهض الأربعة جميعاً لأنهم ارتاعوا عند ما ظنوا أن أباهم يأكل يديه جوعاً .

(٤٣) عرض الأولاد على أبيهم أن يأكلهم لأن لحمهم منه . وهذا عرض الأطفال السذج الذين يريدون أن يضحوا بأنفسهم فى سبيل أبيهم .

(٤٤) أى وقف عن عض يديه بأسنانه حرصاً على شعور أبنائه .

(٤٥) عادوا جميعاً إلى الصمت مرة أخرى .

(٤٦) يشبه هذا قول ڤرجيليو : Virg. Æn. X. 673.

(٤٧) اليوم الرابع منذ إغلاق باب البرج .

(٤٨) جادو بن اوجولينو ، كان فى الحقيقة شاباً حصل على لقب كونت ، ولكن دانتى اعتبره والابن الآخر والحفيدين أطفالا لكى يصبح الموقف أكثر تأثيراً .

(٤٩) اعتقد الابن أن أباه يستطيع أن يساعده .

(٥٠) أى أن الأمر حقيقى كرؤية دانتى لأوجولينو

(٥١) الثلاثة الباقون هم أوجوتشونى وبريجاتا (نينو) وأنسلموتشو .

(٥٢) فقد أوجولينو بصره من الجوع والحزن .

(٥٣) أخذ أوجولينو يتلمس الأبناء وهو فى شدة الحزن والهلع . ويشبه هذا قول أوڤيديوس : Ov. Met. V. 274.

(٥٤) هذا تعبير عن منتهى الحزن والألم .

(٥٥) أى قتله الجوع ولم يقتله الألم ، ولعله كان يود أن يعيش على الألم لكى يذكر أبناءه دواماً .

(٥٦) عاد أوجولينو إلى عمله الانتقامى السابق .

(٥٧) لم يقاطع دانتى حديث أوجولينو ، وظل منصتاً إليه كل الإنصات ، وعندما انتهى أوجولينو من كلامه عبر عن شعوره بهذه اللعنات التى صبها على أهل پيزا ، وهو يعبر بذلك عن كراهية الرأى العام الفلورنسى لپيزا الجبلينية .

(٥٨) البلد الجميل يعنى إيطاليا .

(٥٩) أى اللغة التسكانية (الإيطالية) .

(٦٠) يقصد أهل فلورنسا ولوكا .

(٦١) جزيرة كاپرايا (Capraia) جنوبى غرب ليڤورنو وكانت تابعة لپيزا .

(٦٢) جزيرة جورجونا (Gorgona) شمالى غرب جزيرة إلبا وكانت تابعة لپيزا .

(٦٣) يخترق نهر الأرنو مدينة پيزا قبل مصبه بقليل ، فإذا ما سدت الجزيرتان مصب النهر طغت المياه وأغرقت كل سكان پيزا .

(٦٤) هذا هو الجزاء الذى يستحقه أهل پيزا عند دانتى من أجل الجريمة التى ارتكبها الجبليين .

(٦٥) كان أوجولينو قد سلم بعض القلاع — التى لا تعرف على وجه التحديد — إلى فلورنسا ولوكا عند اتحاد الحلف ضد پيزا ، وبذلك أنقذها من الخطر ولم يكن فى هذا خيانة لپيزا ، ولكن أعداء أوجولينو صوروا الأمر على ذلك النحو .

(٦٦) لم يكن هناك ما يدعو إلى موت الأبناء الأبرياء .

(٦٧) يشبه دانتى پيزا بطيبة (Thebes) عاصمة بويتزيا فى اليونان ، أسسها كادموس وهى موطن ميلاد باخوس ، كما تقول الأساطير ، وقتلت بعض أبنائها الأبرياء . وسبق الإشارة إليها : Inf. XIV. 69, XXV. 15; XXX. 22; XXXII. 11.

(٦٨) أوجوتشونى بن أوجولينو .

(٦٩) بريجاتا (نينو) حفيد أوجولينو وابن الكونت جلفو .

(٧٠) أى جادو بن أوجولينو وأنسلموتشو حفيده .

رسم دانتى فى شخصية أوجولينو دلا جيراردسكا العنف والقسوة والكراهية والانتقام الوحشى

جزاء ما لقيه من غدر وخيانة وعذاب وموت ، وصور فيه الصمت والسكون والصبر واليأس والصراخ والبكاء والنواح على الأبناء المعذبين الصرعى ، مع مشاعر الأبوة البارة الرحيمة التى تنفطر أسى وحزناً على مصير الأبناء الأبرياء . أخفى أوجولينو عذابه وكتم أنفاسه حتى لا يزيد فى عذاب أبنائه الذين كانوا يسقطون صرعى بين يديه . وعندما مات الأبناء تحلل أوجولينو من قيد الأبوة الرهيب ، وعبرت نفسه المعذبة عن آلامها الهائلة ، وكان ذلك تعبير نفس مصهورة فى حالة هذيان وأسى لا يوصف . ولم يكن ذلك التعبير صوتاً محدداً أو كلاماً واضحاً ولكنه كان صراخاً وعواء ونواحاً رهيباً مفجعاً . وفقد أوجولينو بصره من فرط الجوع والأسى ، وسقط فوق أبنائه وأخذ ينوح عليهم ويناديهم بأسمائهم العزيزة واحداً واحداً ، ثم سقط صريعاً وفعل به الجوع ما لم يفعله الألم . إن أوجولينو إنسان حى غاضب منتقم جبار ومع ذلك فهو أب بار عطوف . وروح المأساة عند أوجولينو هى روح المأساة فى حياة دانتى . وإننا نجد فى شخصية أوجولينو تلك النظرة الأخيرة لدانتى المنفى المشرد نحو وطنه وأعزائه . وهنا نجد ذلك المزيج من المشاعر الإنسانية التى قد لا تعبر عنها الكلمات: غضب الرجل الذى تعرض لأهواء السياسة ، وعذاب الأب الذى تفرقت أسرته ، والرغبة فى الانتقام لما لقيه على أيدى أعدائه . هكذا أفصح دانتى عن بعض خفايا النفس البشرية ، وخلق هذه الشخصية التى تدب الحياة فى أوصالها ، وتتجاذبها مشاعر إنسانية متفاوتة ، وتتنفس وتعبر بصدق وبساطة عما جاش بين جوانحها . وبذلك ضرب معولا فى تقاليد العصور الوسطى ووضع بعض أسس العصر الحديث .

(٧١) أى دخلا منطقة بطليموس حيث تغمر أجسام خونة الأصدقاء والضيوف فى الجليد وتظهر وجوههم مرتفعة إلى أعلى .

(٧٢) البكاء يمنعهم من الاستمرار فى البكاء لأن الدموع تتجمد فى عيونهم وبذلك حرموا نعمة البكاء والتنفيس عن آلامهم .

(٧٣) أى كيف يتحرك الهواء فى هذه المنطقة ما دامت لا تظهر الشمس وتنعدم الحرارة والأبخرة .

(٧٤) مصدر الريح هو لوتشيفيرو الذى يحرك أجنحته فيرسل الريح حيث دانتى وفرجيليو :
Inf. XXXIV. 48-52.

(٧٥) ظن هذا المعذب أن دانتى وفرجيليو معذبان يذهبان إلى منطقة يهوذا فى أسفل الجحيم .

(٧٦) أى الدموع المتجمدة .

(٧٧) يريد أن يفرج عن نفسه ولكن هيهات .

(٧٨) لن يذهب دانتى للبقاء فى أسفل الجحيم لأنه إنسان حى ، ولكنه ترك ذلك المعذب يعتقد هذا ، وفى ذلك سخرية وتهكم من جانب دانتى .

(٧٩) ألبريجو دى مانفريدى (Abberigo dei Manfredi) أحد زعماء الجلف فى فاينتزا فى النصف الثانى من القرن ١٣ . تظاهر أنه سيعقد الصلح مع بعض أقاربه ودعاهم إلى وليمة ، وعندما أوشك ضيوفه على نهاية الطعام هاجمهم رجاله وقتلوهم فى ١٢٨٥ ، وأصبح تعبير « فاكهة الأب ألبريجو » دليلا على الخيانة والغدر .

(٨٠) الحديقة الخبيثة يعنى الغدر والخيانة .

(٨١) يعنى أنه يعاقب هنا الآن على هذا النحو .

(٨٢) كان دانتى يعرف أن ألبريجو لم يكن قد مات بعد فى أبريل ١٣٠٠ تاريخ هذه الرحلة ومع هذا فقد أظهر دهشته لملاقاته هنا .

(٨٣) أراد أن يزيل شك دانتى بسرعة وهو لا يدرى شيئاً عن جسده فى الدنيا . ويأخذ دانتى هنا بعض المعتقدات الشائعة التى كانت تقول بأن الروح قد تفارق الجسد إلى الجحيم قبل موت الإنسان .

(٨٤) دائرة بطليموس (Ptolomea) هى المنطقة الثالثة فى هذه الحلقة . وفى الغالب اشتق اسمها من اسم بطليموس حاكم سهل جيريكو (Jericho) الذى دعا سمعان المكابى وأبناءه إلى وليمة ثم قتلهم فى ١٣٥ ق . م . وورد هذا فى الكتاب المقدس : Macc. 1, XVI. 11-17.

(٨٥) أتروپوس (Atropos) يعنى القدر الذى يفصل الروح عن الجسد كما ورد فى الميتولوجيا اليونانية .

(٨٦) أى أن الإنسان عند ما يرتكب الخيانة يفقد صفته الإنسانية ويتسلط عليه شيطان يقلب حياته رأساً على عقب .

(٨٧) برانكا دوريا (Branca D'Oria) مواطن جنوى جبلينى دعا حماه ميكيل زانكى إلى وليمة ثم قتله غدراً فى ١٢٩٠ .

(٨٨) عاش برانكا دوريا سنوات طويلة بعد ١٣٠٠ واشترك فى الحرب التى شنها ملك أراجون ضد پيزا فى ١٣٠٧ ونفى من سردينيا فى ١٣٢٥ .

(٨٩) يعبر دانتى بذلك عن الأعمال الجسدية التى كان يقوم بها برانكا دوريا وقد ماتت روحه وإن لم يمت جسده بعد .

(٩٠) أى حراس الوادى الخامس فى الحلقة الثامنة كما سبق :
Inf. XXI. 37; XXII-100; XXII. 23.

(٩١) ميكيل زانكى (Michel Zanke) هو حمو برانكا دوريا .

(٩٢) أى حل شيطان فى جسده وفى جسد قريبه .

(٩٣) هكذا أخلف دانتى وعده لهذا الآثم لأنه يستحق هذا بل أكثر منه .

(٩٤) أى برانكا دوريا .

(٩٥) أى ألبريجو دى مانفريدى .

(٩٦) يعنى فى الدنيا .

الأنشودة الرابعة والثلاثون(١)

رأى دانتى عن بُعد هيكلاً يشبه طاحونةً يحركها الريح وسط الضباب الكثيف ، وكانت هذه دائرة يهوذا حيث يعذّب الخائنون إلى من أحسنوا إليهم . اعتصم دانتى وراء دليله وقد اعتراه الخوف ، وشهد المعذّبين فى أوضاع مختلفة ، وظهروا كأنهم أعواد قش وضُعت فى زجاج شفاف . أشار ڤرجيليو إلى لوتشيفيرو — إبليس — وسأل دانتى أن يتذرّع برباطة الجأش . زاد خوف دانتى حتى لم يعد حيا ولا ميتا ، حينما رأى لوتشيفيرو بحجمه الهائل . وكان له ثلاثة وجوه ، الأمامى منها أحمر اللون والأيمن أبيض والأيسر أسود ، وكان له تحت كل وجه جناحان هائلان أضخم من أشرعة البحر ، وجمّد لوتشيفيرو بحركة أجنحته مياه كوتشيتوس وحوّلها إلى ثلج . ومضغ بأفواهه الثلاثة يهوذا وبروتس وكاسياس الذين ارتكبوا الخيانة . هبط ڤرجيليو فوق جسم لوتشيفيرو مستعيناً بشعره كأنها درجات السلم ، وتعلق دانتى بعنقه ، وخرج الشاعران من ثغرة فى صخرة . بدا لدانتى أن ڤرجيليو قد تحوّل من الهبوط إلى الصعود عندما رأى ساقى لوتشيفيرو قد اتجهتا إلى أعلى . تساءل دانتى أين ذهب الثلج ، وكيف انقلب لوتشيفيرو رأساً على عقب ، وكيف سارت الشمس من المساء إلى الصبح فى وقت قصير ، وفسر ڤرجيليو لدانتى ما غمض عليه ، وأوضح له أنهما اجتازا مركز الأرض وانتقلا من نصف الكرة الأعلى إلى نصفها الأدنى الذى تغطى بالماء عندما هبط لوتشيفيرو من السماء إلى الأرض ، وانتقل أغلب اليابس إلى النصف الأعلى ، وأصبح جزء منه جبل المطهر فى النصف الأدنى ، وصعد الشاعران فى كهف طويل ، وخرجا إلى الفضاء حيث شهدا النجوم تتألق فى كبد السماء .

١ قال أستاذى : « إنّ ألوية[٢] ملك الجحيم[٣] تتقدّم نحونا[٤] ، فانظر إلى الأمام إذا كنت تتبيّنه » .

٤ وكما إذا انتشر ضبابٌ كثيفٌ ، أو حينما يخيم الليل على نصف كرتنا[٥] ، فتبدو على البعد طاحونةٌ تُديرها الرياح ،

٧ بدا لى عندئذٍ أنى أرى مثل هذا البناء ؛ فاحتميتُ وراء دليلى خشية الريح ، إذْ لم يكن هناك معتصمٌ سواه ،

١٠ وكنتُ قد بلغتُ موضعاً ، يعترينى الخوف إذْ أصوغه شعراً ، حيث كانت مغطاة كل الأشباح[٦] ، وشفّتْ كقشٍّ فى زجاج [٧] .

١٣ بعضٌ استلقى[٨] ، وانتصب آخرون قياماً ، هذا على رأسه[٩] وذاك على عقبيه[١٠] ؛ ومال آخر بوجهه كالقوس نحو ساقيه[١١] .

١٦ ولما تقدمنا إلى الأمام كثيراً حتّى راق لأستاذى أن يرينى الكائن الذى كان يزينه الوجه الجميل[١٢] ،

١٩ تراجع من أمامى ، واستوقفنى قائلاً : « ها هوذا ديس[١٣] وانظر الموضع الذى يجب أن تتسلح فيه بقوّة البأس » .

٢٢ لا تسلنى أيها القارئ ، كيف أصبحتُ عندئذٍ خائر القوى مقروراً ؛ فلن أكتب ذلك ، لأن كلّ قولٍ سيكون عنه قاصراً[١٤] .

٢٥ لم أمتْ ولم أبق حياً ، وفكّر لنفسك الآن ، إذا كنت ذا حصاةٍ من الحجى ، كيف أصبحتُ محروماً من هذا وذاك[١٥] .

٢٨ لقد خرج بنصف صدره من الثلج أمبراطور العالم الأليم ، وإنى إلى طول ماردٍ لأقربُ

٣١ من المردة إلى حجم ذراعيه : فانظر الآن كمْ ينبغى أن يكون ذلك الكلّ الذى يناسب مثل هذه الأجزاء[١٦] !

٣٤ ولئن كان ذات يومٍ فائق الجمال كما هو قبيحٌ الآن ، ورفع عينيه على خالقه[١٧] ، فهو جديرٌ أن يصدُر عنه كلّ حُزن .

٣٧ آه ، كمْ بدا لى من عُجاب العجب ، حينما رأيتُ لرأسه ثلاثة وجوه[١٨]! كان أحمر اللون ذلك الأمامى منها[١٩] ؛

٤٠ والآخران كانا وجهين : اتصلا به على وسط كلتا الكتفين ، واتحدتْ جميعاً فى مكان اليافوخ .

٤٣ وبين البياض والصفرة بدا الأيمن[٢٠] ، وكان الأيسر حين تراه مثل أولئك الذين يأتون من هنالك ، حيث ينحدر النيل[٢١] .

٤٦ ومن تحت كل منهما خرج جناحان كبيران ، كما يُناسب مثل ذلك الطائر : ولم أر أشرعةَ بحرٍ مثلها أبداً .

٤٩ لم يكن لها ريشٌ ، بل كانت فى صورة جناحى الخفّاش ، وأخذ يحركها حتى خفقتْ عنه ثلاث رياحٍ[٢٢] :

٥٢ وبذا تجمّد سائر كوتشيتوس ؛ وبكى هو بستّ أعينٍ ، فتقاطر على أذقانه الثلاثة الدمعُ والرغوةُ الدامية .

٥٥ وفى كلّ فم مضغ أحد الآثمين بأسنانه ، على طريقة دواليب الكتان ، حتى جعل ثلاثةً منهم يتألمون هكذا .

٥٨ وللذى فى الأمام لم يكن العضّ شيئاً يُذكر إلى إنشاب المخالب ، إذْ بقيتْ فِقاره عاريةً كلها من الجلد أحياناً[٢٣] .

٦١ قال أستاذى : « تلك النفس التى تلقى هناك عالياً العذابَ الأكبر ، هو يهوذا الإسخريوطى[٢٤] ، الذى رأسه فى الداخل ويحمل ساقيه إلى الخارج[٢٥] ؛

٦٤ ومن الاثنين الآخرين اللذين رأساهما إلى أسفل ، بروتس هو ذاك الذى يتدلى من الوجه الأسود[٢٦] ؛ انظر كيف التوى ولا ينطق حرفاً ! — ؛

٦٧ والآخر هو كاسيوس[٢٧] ، الذى يبدو هكذا غليظ الأعضاء . ولكن الليل يعلو[٢٨] ؛ وعلينا الآن أن نرحل ، فقد رأينا كل شىء » .

٧٠ وكما طاب له احتضنتُ عنقه ؛ واختار هو المكان والزمان الملائم ؛ ولما امتدّت الأجنحة بعيداً ،



١٢ — لوتشيفيرو — إبليس — وعذاب الجليد

أنشودة ٣٤ : ٢٨ . . .

٧٣ علّق نفسه بالجوانب الشعراء : ثم من شعرةٍ لأخرى نزل إلى أسفل[٢٩]، بين الشعر الملبّد والقشر المتجمّد .

٧٦ ولما وصلنا إلى موضعٍ ينحنى فيه الفخذ عند ضِخَم الردف ، اتجه دليلى برأسه فى صعوبةٍ

٧٩ وجهدٍ ، حيث كانت هناك ساقاه وتشبث بالشعر كرجلٍ يذهب صُعداً[٣٠] حتى ظننت أننا نعود ثانيةً إلى الجحيم[٣١].

٨٢ قال أستاذى وهو يلهث كإنسانٍ متعبٍ : « تعلّق جيداً ، لأن علينا أن نرحل بمثل هذه الدرجات عن شرورٍ كثيرة[٣٢]» .

٨٥ ثم خرج من ثغرةٍ فى صخرةٍ ووضعنى على حافتها لكى أجلس ، وتقدّم بعدُ نحوى بخطى المتئد .

٨٨ رفعتُ عينى ، وظننتُ أنى أرى لوتشيفيرو كما كنتُ قد تركته ؛ ورأيته قد جعل ساقيه إلى أعلى ؛

٩١ وإذا كنتُ قد أصبحت عندئذ مُبلبل الخاطر[٣٣]، هكذا فليفكر الدهماء الذين لا يرونَ ، كيف كان ذلك الموضع الذى عبرته[٣٤].

٩٤ قال أستاذى : « قُمْ ، وانهض على قدميك : إن الطريقَ طويلٌ والسيرَ وعرٌ ، وقد توسطتْ الشمسُ دورة الصباح[٣٥]» .

٩٧ لم تكن ردهة قصرٍ هناك حيث كنا ، بل كهفٌ طبيعىٌ ، ذو أرضٍ وعرة يعوزه الضياء .

١٠٠ قلتُ حينما نهضتُ واقفاً : « قبل أن أنزع نفسى من الهاوية ، حدّثنى قليلاً أستاذى كى تخرجنى من الخطأ[٣٦] .

١٠٣ أين الثلج ؟ وكيف زُرِع هذا رأساً على عقبٍ هكذا ، وكيف سارتْ الشمس من المساء إلى الصباح ، فى مثل هذا الوقت القصير[٣٧]؟ » .

١٠٦ قال لى : « إنك ما زلتَ تتخيل أنك فى الجانب الآخر من المركز ، حيث تعلقتُ بشعر الدودة الخبيثة التى تخترق الدنيا[٣٨] .

١٠٩ لقد كنتَ فى ذلك الجانب ، طالما كنتُ أهبط ؛ وحينما استدرتُ[٣٩] ، عبرتُ الموضعَ الذى تنجذب إليه الأثقال من كلّ جانب[٤٠].

١١٢ وقد وصلتَ الآن تحت نصف الكرة ، المقابل للنصف الذى يغطى كتلة اليابس الكبرى [٤١] ، وقد قضى تحت قمته[٤٢] ،

١١٥ الرجل الذى ولد وعاش دون خطيئة[٤٣] ؛ إن قدميك فوق مساحةٍ صغيرةٍ [٤٤] تكوِّن الوجهَ المقابل لدائرة يهوذا[٤٥] .

١١٨ وهنا يُصبح النهار ، حينما يكون هناك مساء[٤٦] : وهذا الذى جعل لنا من شعره سُلماً ، لا يزال مُثبتاً كما كان من قبل[٤٧].

١٢١ لقد سقط على هذا الجانب من السماء إلى أسفل[٤٨] ، والأرض التى كانت ممتدةً هنا أولاً ، اتخذت خشيةً منه نقاباً من البحر[٤٩] ،

١٢٤ وجاءت إلى نصف كرتنا ؛ وربما لكى تهرب منه تركتْ هنا المكانَ الخالى ، الذى يبدو من هذا الجانب ويندفع إلى أعلى[٥٠].

١٢٧ هناك — أسفل — مكانٌ يبعد كثيراً عن بعل زَبوب[٥١] كامتداد قبره[٥٢] ، ولا يُعرف بالنظر ولكن بخرير

١٣٠ جدولٍ [٥٣] ، يهبط هنا خلال فتحة الصخرة التى نحتها بالجريان ، الذى ينعرج فيه وينحدر قليلاً .

١٣٣ دخلتُ ودليلى ذلك الطريق الخفىّ [٥٤] ، لكى نعود إلى عالم الضياء ؛ ودون أن نحفل بقسطٍ من راحةٍ

١٣٦ صعدنا إلى أعلى[٥٥] ، هو الأوّل وأنا الثانى ، حتى رأيت خلال ثغرةٍ مستديرةٍ ، الكائنات الجميلة التى تحملها السماء[٥٦] ؛

١٣٩ وهناك خرجنا لنستعيدَ رؤية النجوم[٥٧] .

حواشي الأنشودة الرابعة والثلاثين

(١) هذه أنشودة لوتشيفيرو .

(٢) يعنى أجنحة لوتشيفيرو .

(٣) ملك الجحيم يعنى لوتشيفيرو .

(٤) استعار دانتى هذا القول من نشيد الصليب لڤينانتزيو فورتوناتو أسقف پواتييه فى القرن ٦ .

(٥) يوازن دانتى بين الطاحونة التى تتحرك فى الضباب ولوتشيفيرو الذى بدا من بعيد .

(٦) وصل الشاعران إلى دائرة يهوذا جيث يعاقب الخائنون إلى من أحسنوا إليهم ، وتنسب إلى يهوذا الإسخريوطى الذى خان المسيح .

(٧) هم كالقش يعنى أنهم نفاية البشر ، ووضعوا فى زجاج يعنى أنهم كانوا داخل الثلج الشفاف فظهرت حقيقتهم .

وعذاب الخونة عند دانتى فى الجليد والزمهرير من الأنشودة ٣٢ إلى ٣٤ يشبه من بعض الوجوه ما جاء فى التراث الإسلامى :

ابن عربى : الفتوحات المكية (السابق الذكر) . ج ١ : ص : ٣٨٧ .

الشعرانى : مختصر تذكرة القرطبى (السابق الذكر) . ص : ٦٩ .

(٨) هؤلاء هم الذين خانوا من أحسنوا إليهم وكانوا مساوين لهم .

(٩) هؤلاء هم الذين خانوا من أحسنوا إليهم وكانوا أعلى منهم قدرا .

(١٠) هؤلاء هم الذين خانوا من أحسنوا إليهم وكانوا فى مركز أقل .

(١١) هؤلاء هم الذين خانوا من كانوا أعلى وأدنى منهم قدرا .

(١٢) أى أنه كان أجمل الملائكة .

(١٣) هذا هو ديس (Dis) أو لوتشيفيرو (Lucifero) أو الشيطان . وكان رأس الملائكة الذين ثاروا على الله فسقط من السماء إلى الجحيم مركز الأرض عند دانتى، وأصبح ملك الجحيم ومصدر الشرور . وأخذ دانتى ديس عن ڤرجيليو ، وسبق الإشارة إليه :

Inf VIII. 68; XI. 65; XII. 39.

Virg. Æn VI. 127, 269, 397; VII. 568; XII 199...

(١٤) هكذا ساد دانتى الرعب حتى عجز عن الكلام .

(١٥) أى أنه لم يصبح حيا ولا ميتاً .

(١٦) حاول بعض الناقدين تحديد جحيم لوتشيفيرو وجعل بعضهم طول ذراعه ٤١٠ متراً وطوله كله ١٢٣٠ متراً .

(١٧) هذه إشارة إلى ثورة لوتشيفيرو على الله .

لوتشيفيرو يعنى حامل الضوء أو المضىء ويقابل فى الإسلام إبليس . ولكن هناك خلاف بين كل منهما . لوتشفيرو فى المسيحية ثار على الله لأنه شعر بالغيرة من قدرة الإله وقام ليناهضه وحاول إغراء الله ذاته . أما إبليس فى الإسلام فقد خرج على الله لأنه أحس بالغيرة نحو آدم فلم يطع الله : فى السجود له . ولذلك أبقيت لفظ لوتشيفيرو كما هو .

وفى التراث الإسلامى بعض الشبه بعذاب لوتشيفيرو فى الجليد والزمهرير بالنسبة لعذاب إبليس :
Cerulli, (op. cit.) pp. 166-167.

ابن عربى : الفتوحات المكية (السابق الذكر) . ج : ١ : ص : ٣٩١ .

(١٨) يرى بعض النقاد أن المقصود بوجوه الشيطان الثلاثة مقابلة الأقانيم الثلاثة عند المسيحيين .

(١٩) الوجه الأول ذو اللون الأحمر رمز الكراهية .

(٢٠) الوجه الأيمن ذو اللون بين الأبيض والأصفر رمز للعجز .

(٢١) الوجه الأيسر الداكن اللون كالأحباش – حيث ينبع نهر النيل – رمز للجهالة عند دانتى .

(٢٢) هكذا تلقى دانتى بعينيه الجواب عن سؤال كان قد وجهه إلى ڤرجيليو من قبل :
Inf. XXXIII. 103-108.

(٢٣) أى أن هذا المذنب يهوذا لقى عذاباً مزدوجاً .

(٢٤) يهوذا الإسخريوطى (Guida Iscariota) أحد الرسل الإثنى عشر وقد خان المسيح فى نظير المال : Matt. XXVI. 14-16; Mar. XIV. 10-11, Luca, XXII. 3-6.

رسم ليوناردو دا ڤنتشى صورة يهوذا فى « العشاء الأخير » فى كنيسة الرحمة فى ميلانو . ووضع ليوناردو يهوذا بين سائر القديسين الذين تبدو عليهم علائم الدهشة والاستنكار والأسى والأسف والحزن ، وتبدو على وجه المسيح علائم الأسى والنبل والصفح والغفران . وتظهر على يهوذا علائم الغدر والحقد والغضب . تجهم وجه يهوذا واتجه إلى الوراء وانفرجت يده اليسرى فوق المائدة ، واتكأ عليها بمرفقه الأيمن ، وقلب بذراعه ملاحة صغيرة ، وقد ساعدت هذه الحركة العصبية على الإفصاح عما ساوره من المشاعر الآثيمة .

(٢٥) يشبه وضع يهوذا حالة السمانيين من قبل : Inf. XIX. 22...

(٢٦) جونيوس بروتس (٨٥ – ٤٢ ق . م . Junius Brutus) الذى انضم فى الحرب الأهلية إلى پومپى ضد يوليوس قيصر فى ٤٩ ق . م . ولكن قيصراً عفا عنه بعد موقعة فارساليا فى ٤٨ ق . م . وعينه فى بعض الوظائف . ومع ذلك فقد انضم إلى المتآمرين على قيصر لإقامة الجمهورية الرومانية . وقتل قيصر فى ٤٤ ق . م . ولكن أوكتاڤيوس هزم قوات بروتس وكاسياس معاً فى معركة فيليپى فى ٤٢ ق . م . وانتحر بروتس عقب الهزيمة .

(٢٧) كايس كاسيوس (Caius Cassius) انضم فى الحرب الأهلية إلى پومپى وهرب بعد موقعة فارساليا إلى الدردنيل ، وعفا عنه قيصر وعينه فى بعض الوظائف ، ولكنه سرعان ما اشترك فى التآمر على قيصر . وهزم فى موقعة فيليپى فانتحر .

(٢٨) أى أن الرحلة خلال حلقات الجحيم التسعة استغرقت ٢٤ ساعة من مساء الجمعة

٨ أبريل ١٣٠٠ إلى مساء السبت ٩ أبريل .

(٢٩) كان الشعر بمثابة سلم من الحبال .

(٣٠) بدأ ڤرجيليو فى الصعود عند بلوغه مركز الأرض عند سرة بطن الشيطان .

(٣١) اختلط الأمر على دانتى فلم يعرف أكان صاعداً أم هابطاً .

(٣٢) أى أن التخلص من عالم الآثام والخطايا لم يكن أمراً سهلا .

(٣٣) أى بسبب وضع لوتشيفيرو الذى بدا لدانتى مقلوباً .

(٣٤) يعنى أن دانتى لا يعبأ بمن يصدر أحكامه دون معرفة .

(٣٥) يعنى لفظ (terza) الجزء الأول من الأقسام الأربعة التى ينقسم إليها النهار ، ابتداء من شروق الشمس فى السادسة صباحاً فى هذه المنطقة وقتئذ ، ومنتصف الدورة الأولى يعنى أن الساعة أصبحت حوالى السابعة والنصف صباحاً .

(٣٦) يطلب دانتى إلى ڤرجيليو أن يوضح ما غمض عليه .

(٣٧) ألقى دانتى بهذه الأسئلة الثلاثة طالباً الإيضاح والتفسير .

(٣٨) أى أن لوتشيفيرو انقسم امتداده بين جزئى الأرض .

(٣٩) يعنى حينما أخذ ڤرجيليو يصعد .

(٤٠) أى عند ما عبر مركز الأرض ومركز الجاذبية .

(٤١) كانت فكرة الناس عن الأرض فى العصور الوسطى هى أنها منقسمة قسمين ، نصف يابس يقابله نصف ماء .

(٤٢) أى بيت المقدس .

(٤٣) أى المسيح الذى عاش وصلب ومات — عند المسيحيين — دون خطيئة .

(٤٤) هذه منطقة صغيرة تقابل دائرة يهوذا أصغر دوائر الحلقة التاسعة ، لأنها تقع فى نهاية المخروط الذى يكون الجحيم .

(٤٥) أى أن الثلج فى الوجه المقابل لمكان وقوف دانتى الحالى ، وهذه هى الإجابة عن سؤال دانتى الأول .

(٤٦) وهذه هى الإجابة عن سؤال دانتى الثانى .

(٤٧) أى أن لوتشيفيرو لم يغير وضعه الذى كان عليه منذ هبوطه من السماء ، وهذه هى الإجابة عن سؤال دانتى الثالث .

ورسم ميكلأنجلو صورة لوتشيفيرو فى صورة الحكم الأخير بقبة سستو بالڤاتيكان وقد بدا بوجه مسيخ أغبر وفم واسع وأسنان كبيرة وعينين تشعان الحقد والغضب والكراهية .

(٤٨) يتفق هذا مع ما ورد فى الكتاب المقدس :

Isaia, XIV. 12, 15; Luca, X. 18; Apoc. XII. 9, ...

(٤٩) هذا هو اعتقاد أهل العصور الوسطى .

(٥٠) هذا هو جبل المطهر كما تصوره دانتى .

(٥١) بعل زبوب أو بعلزبول (Belzebut) اسم من أسماء الشياطين . وذكره الكتاب المقدس على أنه رئيس الشياطين :

Matt. XII. 24; Luca, XI. 15.

(٥٢) أى أنه هناك كهف طويل بمثابة قبر للشيطان لوتشيفيرو .

(٥٣) هذا هو نهر ليتى (Lethe) فى المطهر : Purg. XXVIII. 130...

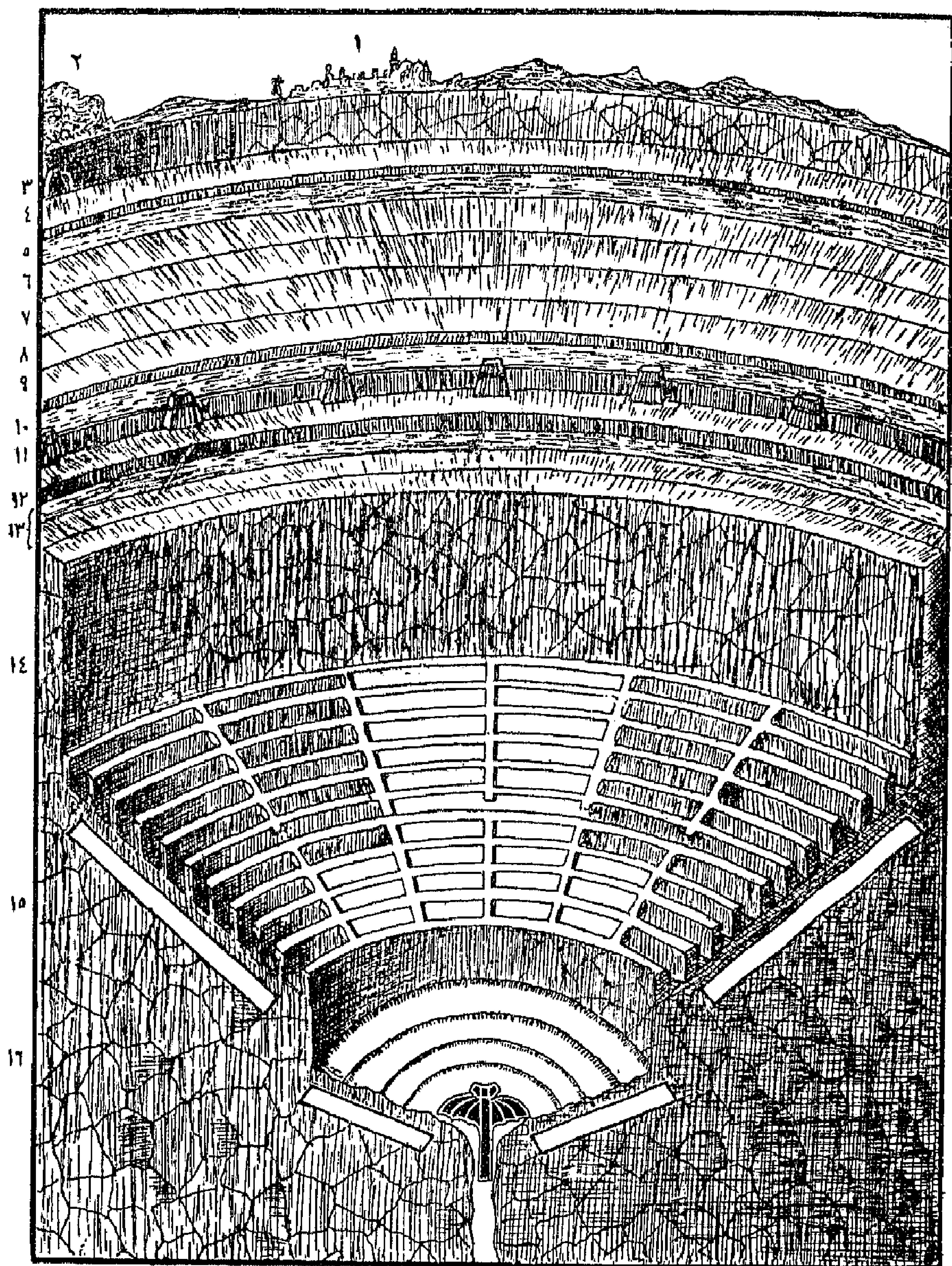
(٥٤) هذا هو الطريق الذى حفرته مياه نهر ليتى .

(٥٥) لم يحفل الشاعران بالراحة لأنهما كانا حريصين على الخروج إلى عالم النور والضياء .

(٥٦) الكائنات أو الأشياء الجميلة هى النجوم . وسبق هذا التعبير : Inf. I. 40.

(٥٧) ختم دانتى الجحيم والمطهر والفردوس بلفظ النجوم وهى رمز الأمل والخروج من الأسى والبؤس إلى السعادة الأبدية .

وفى قبة ستروتزى بكنيسة سانتا ماريا نوفلا فى فلورنسا صورة ربما تكون من رسم أندريا أوركانيا أو أخيه ناردو دى تشونى (حوالى ١٣٥٧) ، صورة تصور « جحيم » دانتى ، وتبدأ بالغابة المظلمة ، ثم مدخل الجحيم ، فالحلقات التسعة ، ويظهر بها واحدة بعد أخرى العذاب الملائم لكل طائفة من الآثمين ، كما رسمه دانتى ، وتنتهى بلوتشيفير و وسط الثلج والجمد .



١٣ — قطاع فى الجحيم

شرح قطاع الجحيم

١ – أورشليم

٢ – الغابة المظلمة — أنشودة ١ ، ٢

٣ – باب الجحيم — » ٣

٤ – مقدمة الجحيم : من لم يفعلوا الخير ولا الشر — » ٣

٥ – نهر أكيرونتى

٦ – الحلقة الأولى : اللمبو : غير المؤمنين بالمسيحية والأطفال الذين لم يعمدوا — » ٤

٧ – الحلقة الثانية : أصحاب شهوة الجسد — » ٥

٨ – الحلقة الثالثة : الشرهون — » ٦

٩ – الحلقة الرابعة : البخلاء والمسرفون — » ٧

١٠ – الحلقة الخامسة : نهر استيكس : الغاضبون والكسالى — » ٧ ، ٨

١١ – الحلقة السادسة : مدينة ديس : الهراطقة — » ٩ ، ١٠ ، ١١

١٢ – حائط

١٣ – الحلقة السابعة : مرتكبو العنف :

ا) نهر فليجيتونتى (نهر الدماء) : القتلة وقطاع الطرق — » ١٢

ب) المنتحرون والمبددون — » ١٣

ج) المتكبرون على الله والملوطون والمرابون — » ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧

١٤ – الشاطىء الوعر المنحدر

١٥ – الحلقة الثامنة : الخادعون :

الوادى أو الخندق الأول : من أغروا النساء — » ١٨

الخندق الثانى : الزناة — » ١٨

الخندق الثالث : المرتشون — » ١٩

الخندق الرابع : المنجمون — » ٢٠

الخندق الخامس : مثيرو الخصام — » ٢١ ، ٢٢

الخندق السادس : المنافقون — » ٢٣

الخندق السابع : اللصوص — » ٢٤ ، ٢٥

الخندق الثامن : مشيرو السوء — » ٢٦ ، ٢٧

الخندق التاسع	: مروجو الفتن	أنشودة ٢٧، ٢٨
الخندق العاشر	: المزيفون	« ٢٩، ٣٠
	العبور بين الحلقة ٨ والحلقة ٩	« ٣١

١٦ – الحلقة التاسعة : بئر المردة ومياه كوتشيتوس المتجمدة :

الخونة :

الدائرة الأولى	: دائرة قابيل : خونة الأقارب	أنشودة ٣٢
الدائرة الثانية	: دائرة الأنتينورا : خونة الوطن	« ٣٢، ٣٣
الدائرة الثالثة	: دائرة بطليموس : خونة الأصدقاء	« ٣٣
الدائرة الرابعة	: دائرة يهوذا : خونة من أحسنوا إليهم لوتشيفيرو – إبليس – فى أسفل الرسم ويليه الممر الذى يؤدى إلى جبل المطهر بعد عبور مركز الارض عند دانتى .	« ٣٤

موجز مضمون الأناشيد

مع بيان أرقام الأبيات

الأنشودة الأولى

مقدمة الكوميديا

يفيق دانتى فيجد نفسه ضالا فى غابة موحشة رمز الدنيا والخطيئة .	١ ...
يرى جبلا تعلوه أشعة الشمس رمز الأمل .	١٣ ...
يهدأ خوفه قليلا .	٢٠ ...
صورة الخائف الذى ينجو من خطر البحر وهو لاهث الأنفاس وينظر إلى اليم الرهيب .	٢٢ ـ ٢٤
تظهر فهدة متحفزة رقطاء اللون .	٣١ ...
يبعث الصباح فى دانتى الرجاء والأمل .	٣٧ ـ ٤٣
خرج لدانتى أسد جائع غاضب .	٤٦ ـ ٤٨
بدت له ذئبة ضامرة مليئة بالشهوات .	٤٩ ـ ٥٣
دانتى يفقد الأمل فى بلوغ الجبل ويبكى بقلبه ويحزن .	٥٤ ـ ٥٧
دانتى يرجع القهقرى .	٥٨ ...
ظهر له شبح أبحّ الصوت فاستنجد به .	٦٢ ...
يخبره الشبح عن موطنه ومولده وحياته .	٦٧ ...
يبتهج دانتى عند ما يتبين شخصية ڤرجيليو ويشيد بعلمه وفضله .	٧٩ ...
يشير ڤرجيليو باتباع طريق آخر لبلوغ السعادة .	٩٢ ...
يشير ڤرجيليو إلى السلوقى الذى سيجهز على الوحش وينقذ إيطاليا المهيضة .	١٠١ ...
إشارة إلى كميلا وأوريالوس وتورنوس ونيزوس الذين ماتوا فى سبيل إيطاليا .	١٠٧ ـ ١٠٨

الأنشودة الثانية

مقدمة الجحيم

الأنشودة الثالثة

مدخل الجحيم أو أنشودة كارونتى

الأنشودة الرابعة

أنشودة الذين ماتوا دون تعميد أو أنشودة اللمبو

الأنشودة الخامسة

أنشودة من ارتكبوا خطايا الجسد أو أنشودة فرنتشسكا

الأنشودة السادسة

أنشودة النهمين أو أنشودة تشاكو

أفاق دانتى من غشيته فوجد عذاباً جديداً ومعذبين جدداً . ١ — ٦

الحلقة الثالثة حلقة المطر والبرد والثلج . ٧ — ١٢

تشيربيروس حارس هذه الحلقة يعوى بأفواهه الثلاثة فوق المعذّبين . ١٣ — ١٨

يسلخهم الوحش ويمزقهم فيتدرعون بجنب عن جنب . ١٧ — ٢١

يفغر تشيربيروس أفواهه ولكن ڤرجيليو يسد حلوقه بالتراب . ٢٢ — ٢٧

صورة كلب جائع يلتهم الطعام . ٢٨ ...

ينهض شبح تشاكو ليحادث دانتى . ٣٧ ...

لم يتعرف دانتى عليه . ٤٣ ...

يقول إنه مواطن له وإن مدينته (فلورنسا) مليئة بالحسد . ٤٩ ...

يحزن دانتى من أجله ويبكى . ٥٨ — ٥٩

يستفسر دانتى عن مصائر فلورنسا وشعبها . ٦٠ — ٦٣

يروى تشاكو طرفاً من تاريخ فلورنسا ويتنبأ بسفك الدماء وسقوط البيض وارتفاع شأن السود . ٦٤ ...

العادلون قلائل ولا يسمع لهم والغطرسة والحسد والجشع أصابوا فلورنسا بالويلات . ٧٣ — ٧٥

استفسر دانتى عن بعض أبطال فلورنسا وطلب أن يعمل على رؤيتهم : فاريناتا ، تيجيابو ، روستيكوتشى . . ٧٩ — ٨٤

أجابه تشاكو بأنهم هبطوا إلى القاع . ٨٥ ...

ويطلب إلى دانتى أن يحمل ذكراه إلى الأحياء . ٨٨ ...

يسأل دانتى ڤرجيليو هل يزيد فى يوم القيامة إحساس المعذّبين بالألم عندما يقتربون من الكمال .	١٠٣ ...
يحيله ڤرجيليو إلى أرسطو .	١٠٦ ...
الوصول إلى پلوتوس .	١١٥

الأنشودة السابعة

أنشودة البخلاء والمبذرين وسريعى الغضب والكسالى

صرخ پلوتوس حارس الحلقة الرابعة بصوته الأجش .	١ ...
يزيل ڤرجيليو مخاوف دانتى .	٤ ...
يُسكت ڤرجيليو الوحش پلوتوس .	٧ ...
سقط الوحش كما تسقط الأشرعة بقوة الريح .	١٣ — ١٥
هبط الشاعران إلى الحلقة الرابعة .	١٦ ...
صورة الموج الصاخب عند كاريّدى .	٢٢ ...
البخلاء والمبذّرون يدفعون أثقالا من الصخر بقوة صدورهم .	٢٥ ...
يلتقى المعذّبون ويتقارعون ثم يفترقون على الدوام .	٢٨ ...
يستديرون ويعودون إلى اللقاء التالى .	٣٤ ...
يستفسر دانتى عن هؤلاء وعن حليقى الرأس على اليسار .	٣٧ ...
قال ڤرجيليو إنهم جميعاً قد انحرفت عقولهم وحليقو الرأس كانوا قساوسة وبابوات وكرادلة .	٤٠ ...
لا يستطيع دانتى التعرف عليهم .	٤٩ ...
فقدوا الدنيا لأنهم أنفقوا المال دون تقدير .	٥٨ ...
لا يستطيع ذهب الدنيا أن يريح نفساً واحدة من العناء الذى بذلته فى سبيله .	٦٤ — ٦٦

يسأل دانتى كيف يملك الحظ خيرات الأرض بين براثنه . ٦٧ — ٦٩

يندّد ڤرجيليو بالجهل الذى يشين البشر ويقول إن الحظ خاضع لله الذى يوزّع متاع الدنيا ويغيره من قوم إلى قوم ومن أسرة لأخرى . ٧٠ ...

ولا يقدر أحد على مناهضة الحظ . ٨٥ ...

الوصول إلى نهر استيكس . ١٠٠ ...

سريعو الغضب يتضاربون بالأيدى والصدور والأقدام وقد غمرهم طين مستنقع استيكس . ١٠٩ ...

الكسالى تحت سطح الماء تتحشرج الكلمات فى حناجرهم . ١١٨ — ١٢٦

وصل الشاعران إلى أسفل برج . ١٣٠

الأنشودة الثامنة

أنشودة الغاضبين والخاملين أو أنشودة فيليبو أرجنّى

رأى دانتى شعلتين من نار فى أعلى البرج ولمح إشارات من بعيد . ١ ...

يستفسر دانتى عن ذلك من ڤرجيليو بحر كل علم . ٧ ...

صورة سهم يقذف وصورة قارب ينطلق فوق الماء بسرعة فائقة . ١٣ ...

فليجياس حارس الحلقة الخامسة يأتى نحو الشاعرين بهذه السرعة ويصيح بهما . ١٦ ...

ڤرجيليو يسكته ويحمل دانتى إلى القارب . ١٩ ...

يظهر فيليبو أرجنّى الفلورنسى عدو دانتى . ٣١ ...

حاول أرجنّى أن يقلب القارب ولكن ڤرجيليو دفعه إلى الوراء . ٤٠ — ٤٢

ڤرجيليو يقبل دانتى ويبارك من حملته جنيناً . ٤٣ — ٤٥

كان أرجنّى متغطرساً فى الدنيا وكم من الناس يحسبون أنفسهم

فيها ملوكاً عظاماً وسوف يغمرون هنا كالخنازير فى الوحل . ٤٦ ...

هاجم سائر المعذّبين أرجنتى ورضى دانتى بذلك وشكر الله . ٥٨ ...

قال ڤرجيليو إنهما يقتربان من مدينة ديس . ٦٧ ...

تبدو حمراء بفعل النيران . ٧٠ ...

أكثر من ألف شيطان فوق أسوار ديس يصيحون لمرأى الشاعرين . ٨٢ ...

يطلب الشياطين قدوم ڤرجيليو بمفرده للتفاهم معه . ٨٨ ...

دانتى يتولاه الخوف لأن ڤرجيليو سيتركه وحيداً ويطلب العودة من حيث أتيا . ٩٤ ...

ڤرجيليو يهدئ من روعه ويطلب إليه أن يسرّى عن روحه الواهنة ويغذّيها بالأمل الطيب . ١٠٣ ...

يذهب الأب الحبيب ويتركه وحيداً يساوره الشك والقلق . ١٠٩ — ١١١

دخل الشياطين مدينة ديس وأغلقوا أسوارها . ١١٢ ...

تظهر على ڤرجيليو علائم فقدان الثقة ولكنه يهدئ من روع دانتى ويطمئنه . ١١٨ ...

وسوف يأتى من ستفتح له أبواب مدينة ديس . ١٣٠ ...

الأنشودة التاسعة

أنشودة رسول السماء

أخفى ڤرجيليو لونه الشاحب عند ما رأى علائم الخوف على وجه دانتى . . ١ ...

صورة من يحرص على السمع عند ما تتعذّر الرؤية بسبب الظلام والضباب . ٤ — ٦

يعاود ڤرجيليو الشك . ٧ ...

الأنشودة العاشرة

أنشودة الهراطقة أو أنشودة فاريناتا دلى أوبرتى

يسير الشاعران بين سور مدينة ديس وقبور المعذّبين .	١	٠٠٠
يطلب دانتى معرفة مَنْ بداخل القبور .	٤	٠٠٠
قبور أبيقور وأتباعه .	١٠	٠٠٠
يعبر ڤرجيليو عن إدراكه لما يدور بخلد دانتى .	١٦ — ١٨	
يريد دانتى أن يكون مقتصداً فى كلامه .	١٩ — ٢٢	
فاريناتا يخاطب دانتى وقد عرف من كلامه أنه مواطن فلورنسى .	٢٢	٠٠٠
يشعر دانتى بالخوف .	٢٩ — ٣٠	
فاريناتا منتصب القامة وسيراه دانتى كله من الوسط إلى الرأس .	٣١ — ٣٦	
ڤرجيليو يدفع دانتى إلى أسفل القبر ويطلب إليه أن تكون كلماته موزونة .	٣٧ — ٣٩	
ينظر فاريناتا إلى دانتى بازدراء ويسأله عن أصله .	٤٠ — ٤٢	
غضب فاريناتا عند ما عرف أن دانتى من الأعداء .	٤٣	٠٠٠
يقابل دانتى عنف فاريناتا بالمثل .	٤٩	٠٠٠
يخرج كاڤالكانتى من القبر إلى جانب فاريناتا باحثاً عن ابنه جويدو .	٥٢	٠٠٠
لم يجده فبكى بكاء الأب الذى افتقد ابنه .	٥٨ — ٦٠	
ظن كاڤالكانتى أن ابنه قد مات ولما تباطأ دانتى فى الرد هبط داخل القبر ولم يعد للظهور أبداً .	٦٧	٠٠٠
ظل فاريناتا واقفاً كالتمثال غير آبه بما حوله .	٧٣	٠٠٠
يعود فاريناتا إلى الكلام ويتنبأ لدانتى بما سيناله وحزبه من		

الويلات	٧٦ ...
القتال والدماء أحفظت قلوب الجلف على الجبلين .	٨٥ ...
قال فاريناتا إنه لم يكن وحده فى قتال فلورنسا ولكنه دافع وحده عنها عند ما أراد الجبلين هدمها .	٨٨ ...
يدعو دانتى لفاريناتا بالسلام لوطنيته .	٩٤ ...
يفسر فاريناتا لدانتى أن أرواح الموتى ترى الماضى والمستقبل وليس الحاضر .	١٠٠ – ١٠٨
يشعر دانتى بالندم لأنه أساء دون قصد إلى كاڤالكانتى .	١٠٩ ...
حاول ڤرجيليو أن يزيل عن دانتى ما ساوره من خوف .	١٢١ ...
وقال إن من ترى عينها الجميلة كل شىء (بياتريتشى) سوف تنبؤه عن رحلة حياته .	١٣٠ ...

الأنشودة الحادية عشرة

أنشودة التقسيم الخلقى للجحيم

شاطئ صخرى مرتفع فى صورة دائرة .	١ ...
قبر البابا أناستاسيوس .	٧ ...
أشار ڤرجيليو بالتأخر قليلا حتى يعتاد إحساسهما كريه الروائح .	١٠ ...
ڤرجيليو يشرح أقسام الجحيم .	١٦ ...
كل شر يثير الكراهية فى السماء .	٢٢ ...
يختص الإنسان بالغدر .	٢٥ – ٢٧
خطيئة العنف فى الحلقة الأولى من الحلقات الثلاث الصغيرة أى الحلقة السابعة .	٢٨ ...
ثلاث صور للعنف : مع الله ، مع النفس ، مع الأقربين .	٣١ ...

الأنشودة الثانية عشرة

أنشودة من ارتكبوا العنف ضد الناس أو أنشودة القناطس

ڤرجيليو يبعده بكلماته ١٦

أصبح الوحش فى صورة الثور الذى يحطم قيده عند إصابته بطعنة قاتلة ٢٢

تحرك الصخور تحت قدمى دانتى لثقله ٢٨

يذكر ڤرجيليو هبوط المسيح إلى اللمبو لإنقاذ بعض الشخصيات واهتزاز الوادى كأن العالم قد أصابته ومضة الحب ٣٧

اقتراب نهر الدم : فليجيتونتى ٤٦

الجشع والغضب يثيران الإنسان فى الحياة الدنيا ويؤديان به إلى العذاب الأبدى . ٤٩ — ٥١

رأى دانتى سيلا من القناطس تسلحت بالسهام كأنها خارجة إلى الصيد ٥٥

القناطس كيرون ونيسوس وفولوس ٦٧

ألوف من القناطس حول بحيرة الدماء ٧٣

يحاول كيرون أن يضرب دانتى بسهمه ٧٧

شرح ڤرجيليو أمر دانتى وطلب قنطروسا كدليل ٨٥

يسير الشاعران على ضفة نهر الدماء مع دليلهما نيسوس ١٠٠

مريقو الدماء والناهبون غطسوا فى الدم حتى عيونهم ١٠٣

ومنهم إسكندر وديونيسيوس ١٠٦

أتزولينو دا رومانو وأوبيتزو دا إستى ١٠٩

جويدو دى مونتفورتى الذى قتل هنرى بن ريتشارد ملك إنجلترا ويقال إن قلب المقتول لا يزال محفوظاً فوق نهر التاميز . ١١٨ — ١٢٠

ينخفض الدم فى النهر تبعاً للخطايا ١٢١

عذاب أتيلا وپيروس وسكستوس وپومپيوس . ١٣٣ — ١٣٥

وعذاب رينير دا كورنيتو ورينير پاتزو قاطعا الطرق فى إيطاليا . ١٣٦ ...

الأنشودة الثالثة عشرة

أنشودة المنتحرين أو أنشودة پيير و دلافينيا

غابة المنتحرين المليئة بالأشواك .	١	...
مقارنتها بغابة تشيتشينا وكورنيتو فى تسكانا .	٧	...
أعشاش الهرپوسات القبيحة : وجوه نساء وأجسام طيور .	١٠	...
يسمع دانتى نواحاً بين جذوع الأشجار .	٢٢	...
يقطع دانتى غصناً فيصرخ الجذع وقد سالت منه الدماء .	٣١	...
يثير الجذع الرحمة فى قلب دانتى .	٣٤	...
صورة غصن أخضر يحترق، يتكلم الغصن ويقطر منه الدم فى وقت واحد .	٤٠	...
يسقط الغصن من يد دانتى وقد تولاه الخوف .	٤٥	
يطلب ڤرجيليو إلى الجذع الكلام حتى يجدّد دانتى ذكراه فى الأرض .	٤٦	...
يتكلم الجذع : هذه هى روح پيير و دلا ڤينيا .	٥٥	...
قال إنه حفظ أسرار الأمبراطور فردريك ونال ثقته .	٥٨	...
الحسد — الذى يشبه المرأة الداعرة — أثار عليه النفوس .	٦٤	...
انتحر پيير و دلا ڤينيا لكى يخلص من الهوان .	٧٠	...
ويطلب إرضاء ذكراه فى الدنيا .	٧٦	...
ڤرجيليو يسأل كيف تتحد نفس المنتحر بهذه الجذوع ذات العقد .	٨٥	...
يتكلم پيير و عن هبوط نفس المنتحر إلى الجحيم ونبتها ونموها إلى شجرة جافة تتغذى عليها الهرپوسات .	٩١	...
ولن ترجع نفس المنتحر إلى جسدها ثانية إذ ليس عدلا أن		

الأنشودة الرابعة عشرة

أنشودة من لعنوا الله أو أنشودة كابانيو

يقول له ڤرجيليو إنه ما من عقاب له سوى غضبه ذاته . ٦١ ...

ويقول إن إزدراءه الله حلية تزين صدره بما يناسبه . ٧٠ ...

يطلب إلى دانتى أن يسير وراءه ويحذره من الرمل الملتهب . ٧٣ ...

الوصول إلى جدول أحمر وهو استمرار لنهر فليجيتونتى . ٧٦ ...

مقارنته بنبع بوليكامى قرب ڤيتربو . ٧٩ ...

ينوّه ڤرجيليو بهذا الجدول . ٨٥ ...

يتكلم ڤرجيليو عن جزيرة كريت. ٩٤ ...

هناك أخفت ريا ابنها جوپيتر فى جبل إيدا . ١٠٠ ...

تمثال ضخم فى الجبل مصنوع من الذهب والفضة والنحاس
والحديد والفخار وأدار كتفيه لدمياط ونظر إلى روما كأنها مرآته . ١٠٣ ...

يذكر كيف تتكون أنهار الجحيم : أكيرونتى ، واستيكس ،
وفليجيتونتى ، وكوتشيتوس ، ومصدرها دموع المعذّبين . ١١٥ ـــ ١٢٠

يستفسر دانتى عن ظهور الجدول فى هذا الجانب وحده . ١٢١ ...

يسأل دانتى عن نهر ليتى نهر النسيان . ١٣٠ ...

وڤرجيليو يشرح . ١٣٣ ...

ينصحه ڤرجيليو بأن يسير من ورائه حتى لا تحرقه النيران . ١٣٩ ...

الأنشودة الخامسة عشرة

أنشودة الملوطين أو أنشودة برونيتو لاتينى

مقارنة بين ضفة فليجيتونتى والسدّ فى بلاد الفلمنك . ١ ...

وبحاجز نهر برينتا . ٧ ...

يسخر دانتى بعمل الإنسان عند ما يقول إن ضفتا فليجيتونتى
لم يكونا فى ضخامة سد الفلمنك وحاجز برينتا . ١٠ ـــ ١٢

دانتى يلاقى حشداً من النفوس فينظرون إلى الشاعرين كما يفعل الناس على ضوء القمر الوليد أو كما يحدق حائك عجوز فى سمِّ الخياط . ١٦ ...

دانتى يتعرف على برونيتو لاتينى على الرغم من وجهه المحترق . ٢٢ ...

يرغب برونيتو فى السير مع دانتى قليلا والذى يرحب بذلك . ٣١ ...

يسير دانتى فوق الحاجز المرتفع وينحنى لكى يحادث برونيتو . ٣٧ ...

يسأل برونيتو دانتى كيف جاء هنا . ٤٦ ...

قال برونيتو إنه إذا اتبع نجمه فلن يفوته بلوغ المرفأ المجيد . ٥٥ ...

ويقول إن شعب فلورنسا الخبيث سيصبح عدواً له لما قام به من طيب الأعمال . ٦١ ...

وهو شعب أعمى بخيل متغطرس حسود . ٦٧ — ٦٨

ويقول برونيتو إن الحظ يحفظ لدانتى رفيع الشرف وسيتلهف عليه هذا الحزب وذاك ولكن العشب لن يكون فى متناول العنز . ٧٠ ...

وينوه بأصله الرومانى . ٧٣ ...

يعتز دانتى بصورة برونيتو الأبوية ويعترف بفضله . ٧٩ ...

يقول دانتى إنه مستعد لأن يحتمل كل ما يريده به الحظ . ٩١ ...

يطرى ڤرجيليو دانتى ويقول له إن من يحسن الإنصات يحسن الفهم . ٩٧ ...

يذكر برونيتو أن رفاقه فى الخطيئة كانوا قساوسة وأدباء عظاماً وأصحاب شهرة . ١٠٦ ...

بريشان دا تشيزاريا ، وفرنتشسكو داكورسو ، وأندريا دى موتزى . ١٠٩ ...

كان برونيتو يود البقاء أكثر ولكنه لا يستطيع ويوصى دانتى بكتابه « الكنز » . ١١٥ ...

يرجع برونيتو وهو يعدو بأقصى سرعة وكأنه أحد المتسابقين فى سباق بقرب ڤيرونا . ١٢١ ...

الأنشودة السادسة عشرة

تكملة للسابقة وتسمى أنشودة الفلورنسيين الثلاثة

يسمع دانتى هدير المياه الساقطة مثل دوىّ النحل . ١ ...

رأى ثلاثة أشباح تنفصل عن بعضها . ٤ ...

وشاهد على أجسامهم الندوب والجراح من أثر النار . ١٠ ...

ڤرجيليو يسأل دانتى أن يكون رفيقاً بهؤلاء . ١٣ ...

استأنف الثلاثة البكاء وجعلوا من أنفسهم حلقة واحدة . ١٩ ...

وكانوا على صورة أبطال الرياضة وهم يتحينون أوجه الظفر . ٢٢ ...

يسألون دانتى من هو الذى يحرك قدميه دبيب الحياة خلال الجحيم . ٢٨ ...

أحد الثلاثة هو جويدو جويرّا المواطن الفلورنسى ٣٤ ...

والثانى تيجيابو ألدوبراندى الفارس الفلورنسى . ٤٠ ...

والثالث جاكوپو روستيكوتشى الفارس الفلورنسى . ٤٣ — ٤٥

كان دانتى يتمنى أن يلقى بنفسه بينهم فى النيران لكى يعانقهم . ٤٦ ...

حزن دانتى من أجلهم . ٥٢ ...

يقول دانتى لهم إنه من مدينتهم و ،ه أصغى بإعزاز إلى أعمالهم . ٥٨ ...

سأله جويدو ألا تزال فلورنسا موطناً للشجاعة والكياسة . ٦٤ ...

قال إن محدثى النعمة قد أوجدوا فى فلورنسا الغطرسة والإفراط . ٧٣ ...

سأل الثلاثة دانتي أن يحمل ذكراهم إلى الدنيا . ٨٢ ٠٠٠

وانطلقوا بأقصى سرعة . ٨٦ ٠٠٠

يسمع دانتي دوي نهر أكوا كويتا الذى ينبع من جبل ڤيزو ويمر بفورلى وسان بندتو . ٩١ ٠٠٠

يفك دانتي حبلا من حول وسطه ويعطيه لڤرجيليو . ١٠٦ ٠٠٠

ألقى ڤرجيليو بالحبل إلى أسفل عند طرف الحافة . ١١٢ ٠٠٠

توقع دانتي أن يستجيب شيء غير مألوف لهذه الإشارة . ١١٥ ٠٠٠

ينبغي أن يكون الإنسان حذراً أمام من ينفذون إلى الأفكار بذكائهم . ١١٨ ٠٠٠

يجب على الإنسان أن يلزم الصمت أمام الصدق الذى له مظهر الكذب . ١٢٤ ٠٠٠

يقسم دانتي بأبيات الكوميديا التي يرجو لها المجد أنه رأى كائناً عجيباً يأتى إلى أعلى . ١٣٠ ٠٠٠

ويشبه فى حركته الملاح الذى يصعد إلى سطح الماء . ١٣٣ ٠٠٠

الأنشودة السابعة عشرة

أنشودة من ارتكبوا العنف ضد الفن وتسمى أنشودة المرابين أو أنشودة جيريونى .

ظهر جيريونى الوحش الذى له وجه إنسان وجسم زاحفة رمز الخيانة . ١ ٠٠٠

كان له مخلبان يكسوهما الشعر وتزركش الظهر والصدر والجانبان بالعقد مثل أقمشة الترك والتتر . ١٣ ٠٠٠

وقف على الشاطئ كما تقف صغار السفن . ١٩ ٠٠٠

الأنشودة الثامنة عشرة

أنشودة من أغووا النساء

فى الجحيم مكان يدعى « ماليبولجى » أى أودية الشرّ والعذاب . ١ ...

هى عشرة أودية أو خنادق تشغل الحلقة الثامنة . ٧ ...

وهى فى صورة الخنادق التى كانت تحيط بالقلاع فى عهد دانتى . ١٠ ...

وخرجت أحجار عبرت الأودية وكانت بمثابة جسور فوقها حتى بلغت البئر فى الحلقة التاسعة . ١٤ ...

رأى دانتى أسىً جديداً وعذاباً غير مألوف . ٢٢ ...

كان الآثمون عرايا فى قاع الخندق الأول . ٢٥ ...

ازدحامهم كازدحام الجماهير فى عام اليوبيل فى روما . ٢٨ ...

الشياطين يلهبون ظهور الآثمين بالسياط . ٢٤ ...

ڤينيديكو كاتشانيميكو البولونى يحاول إخفاء وجهه ولكن دانتى يعرفه . ٤٠ ...

أغرى أخته جيزولا بيلا بإرضاء شهوة مركيز فرّارا . ٥٢ ...

ورأى دانتى بولونيين كثيرين فى هذا الخندق . ٥٨ ...

الشيطان يلسع ڤينيديكو. ٦٤ ...

يصعد الشاعران فوق جسر صخرى . ٧٠ ...

طلب ڤرجيليو إلى دانتى أن ينظر إلى وجوه بعض المعذّبين . ٧٣ ...

رأى دانتى جاسون التسالى الذى حرم الكولكيين من كبش الذهب . ٨٢ ...

وأغوى هيپسپيل وهجرها حبلى وحيدة . ٩١ ...

وصل الشاعران إلى جسر جديد وسمعا نواحاً وبكاء وضربات أكف فى الخندق الثانى. ١٠٠ ...

الأنشودة التاسعة عشرة

أنشودة السمعانية

أنزل ڤرجيليو دانتى عن جنبه عند ما بلغا فجوة كان يعذّب فيها البابا نيقولا الثالث . ٤٣ ...

يطلب دانتى إلى هذا المعذّب أن يتكلم . ٤٦ ...

ظن نيقولا الثالث أن من يحادثه هو بونيفاتشو الثامن . ٥٢ ...

أوضح له دانتى حقيقة الأمر . ٦١ ...

يروى نيقولا لدانتى قصته بصوت باكٍ وهو يتنهد . ٦٤ ...

قال إنه حرص على تقدم أسرته واختزن المال فى الدنيا . ٧٠ ...

وقال إن بونيفاتشو الثامن سوف يأتى إلى هذا المكان . ٧٦ ...

وسوف يأتى كلمنتو الخامس . ٨٢ ...

قال دانتى إن السيد الإله لم يطلب مالا من القديس بطرس بل سأله أن يتبعه . ٩١ ...

يحمل دانتى على البابوات . ٩٧ ...

ويقول إنهم اتخذوا من الذهب والفضة إلهاً . ١١٢ ...

يندّد دانتى بمنحة قسطنطين للبابا سيلڤيسترو . ١١٥ ...

رضى ڤرجيليو بكلمات دانتى القاسية وابتسم . ١٢١ ...

حمل ڤرجيليو دانتى وصعد به راجعاً فى طريق صعب على سير المعز . ١٢٤ ...

الأنشودة العشرون

أنشودة العرافين والمنجمين

رأى دانتى عذاباً جديداً كان عليه أن يصوغه شعراً . ١ ...

رأى فى الخندق أو الوادى الرابع قوماً يسيرون بخطى بطيئة ويبكون فى صمت . ٧ ...

شهد معذّبين التوت رؤوسهم إلى الخلف. ١٠ ...

الأنشودة الحادية والعشرون

أنشودة المرتشين

وقف الشياطين عند حدّهم .	٨٥ ...
ڤرجيليو يدعو دانتي إليه .	٨٨ ...
تدافع الشياطين إلى الأمام في صورة المشاة الذين خرجوا من قلعة كاپرونا بعد التعاهد .	٩١ ...
كان دانتي لا يزال خائفاً فالتصق بڤرجيليو .	٩٧ ...
قال الشيطان مالاكودا إن الجسر السادس محطم .	١٠٦ ...
وأرسل بعد أتباعه لمرافقة الشاعرين .	١١٥ ...
يعبر دانتي عن مخاوفه ويفضل السير بمفرده مع ڤرجليو .	١٢٧ ...
ڤرجيليو يهدّئ من روع دانتي .	١٣٣ ...
السير إلى الأمام وقد جعل الشيطان بارباريتشا من عجزه بوقا .	١٣٦ ...

الأنشودة الثانية والعشرون

تابعة لأنشودة المرتشين السابقة

صورة الفرسان في المعركة وفي الاستعراض .	١ ...
إشارة إلى اعتداء فرسان فلورنسا على أملاك أريتزو .	٤ ...
يقول دانتي إن ذلك دون ما رآه من سير الشياطين بإشارة من بوق بارباريتشا الغريب .	١٠ ...
ولكن الإنسان يصحب في الكنيسة القدّيسين وفي الحانة ذوي النهم .	١٣ — ١٤
صورة الدرافيل التي تنبه السفن إلى خطر العاصفة .	١٩ — ٢١
هكذا برز الآثمون من القطران .	٢٢ ...
صورة الضفادع عند حافة المستنقع .	٢٥ ...
كذلك وقف الآثمون عند حافة القطران .	٢٨ ...

الأنشودة الثالثة والعشرون

أنشودة المنافقين

سار الشاعران الواحد بعد الآخر كرهبان الفرنتشسكان . ١ ...

إشارة إلى بعض قصص إيزوب . ٤ ...

يتضاعف خوف دانتي . ١٠ ...

فكر دانتي فيما نال الشياطين من السخرية واعتقد أنهم سيأتون في صورة الكلب عند ما ينهش الأرنب البريّ . ١٣ ...

انتصب شعر دانتي من الخوف . ١٩ ...

يقول ڤرجيليو إن أفكارهما واحدة ويطمئنه . ٢٥ ...

ڤرجيليو يأخذ دانتي بين ذراعيه كأم تحمل ابنها من خطر النيران وتجري به وهي شبه عارية . ٣٧ ...

يهبط ڤرجيليو بدانتي كما تجري مياه تدير عجلة طاحون . ٤٣ ...

كان ڤرجيليو يحمل دانتي فوق صدره كأنه ابنه . ٤٩ ...

ابتعاد خطر الشياطين لأنه لا يمكنهم عبور منطقتهم . ٥٢ ...

يرتدي المنافقون في الخندق السادس ثياباً ملونة وقلانس من الرصاص الثقيل ويبكون ويسيرون في بطء شديد . ٥٨ ...

كان للشاعرين صحبة جديدة من المنافقين في كل خطوة . ٧٠ ...

منافقان يحاولان اللحاق بدانتي . ٧٦ ...

دانتي يبدو لهما إنساناً حياً من حركة حنجرته . ٨٨ ...

يسألاه عن شخصه كتسكانيّ . ٩١ ...

قال دانتي إنه ولد ونشأ على ضفة الأرنو الجميل في المدينة العظيمة (فلورنسا) . ٩٤ — ٩٦

الأنشودة الرابعة والعشرون

أنشودة اللصوص

الأنشودة الخامسة والعشرون

تكملة لأنشودة اللصوص السابقة

اجترأ اللص ڤانى فوتشى على الله بأن أتى بحركة تدل على الزراية. ١ ...

أصبحت الزواحف صديقة لدانتى لأنها التفت حول الآثم وقيدته . ٤ ...

يحمل دانتى على پستويا . ١٠ ...

رأى دانتى كاكوس اللص المارد فى الميتولوجيا اليونانية . ١٦ ...

الأفاعى فوق ظهره وتنين رهيب على كتفيه . ١٩ ...

سفك كاكوس الدماء وقتله هرقل . ٢٥ ...

اقتربت ثلاثة أشباح من الشاعرين . ٣٤ ...

يضع دانتى أصبعه بين الذقن والأنف لكى يحمل ڤرجيليو على الانتباه إلى هؤلاء الثلاثة وهم من نبلاء فلورنسا . ٤٣ ...

رأى دانتى مشهداً عجباً . ٤٦ ...

كاينفا دى دوناتى النبيل الفلورنسى اللص فى صورة زاحفة وثبت لمهاجمة أنيلودى برونلسكى النبيل الفلورنسى اللص . ٤٩ ...

التفافهما وامتزاجهما وتعانقهما كما لم يتعانق لبلاب وشجرة أبدا . ٥٢ ...

لم يبد اللص ولا الزاحفة على ما كانا عليه . ٦١ ...

صورة الورق وهو يحترق بالتدريج فيتغير لونه . ٦٤ ...

بدا الاثنان معا وحشاً مسيخاً . ٧٠ ...

فرنتشسكو دى كاڤالكانتى الفلورنسى فى صورة زاحفة يهاجم بووزو دلى أباتى وكان فى هجومه كعظاية تنتقل من عوسج لآخر زمن الصيف . ٧٩ ...

الأنشودة السادسة والعشرون

أنشودة مثيرى السوء أو أنشودة أوليسيس

الأنشودة السابعة والعشرون

تكملة للسابقة وتسمى أنشودة جويدو دا مونتفلترو

ابتعدت شعلة أوليسيس بالإذن من الشاعر الحبيب . ١ ...

اقتربت شعلة أخرى خرج منها صوت يشبه خوار الثور الصقلى
المصنوع من النحاس وفى باطنه صانعه پيريلوس . ٤ ...

يهتز طرف الشعلة كما يهتز اللسان عند الكلام . ١٦ ...

جويدو دا مونتفلترو بداخل الشعلة يوجه الكلام إلى ڤرجيليو
وقد سمع كلامه اللمباردى ، ويسأله البقاء قليلا . ١٩ ...

ويسأله عن أحوال رومانيا أهى فى حرب أم سلام . ٢٥ ...

يطلب ڤرجيليو إلى دانتى أن يتكلم هو . ٣١ ...

تكلم دانتى فقال إن قلوب الطغاة فى رومانيا لا تخلو من الحرب
ولكنها ليست الآن فى قتال سافر . ٣٤ ...

وقال إن راڤنا تحت حكم آل مالاتستا وكذلك تشيرڤيا . ٤٠ ...

وتحكم المخالب الخضراء (آل أورديلافى) مدينة فورلى . ٤٣ ...

وقال إن آل مالاتستا قد ألحقوا الأذى بمونتانيا پارتشيتاتى وإن
ماجيناردو پاجانى دا سوزينا يحكم (فاينتزا) على نهر
لامونى (وإيمولا) على نهر سانتيرنو ، وهو يغير حزبه
من الصيف إلى الشتاء . ٤٩ ...

وقال إن تشيزينا على نهر الساڤيو وقعت تحت طغيان مالاتستينو. ٥٢ ...

أخذ جويدو دا مونتفلترو يتكلم وهو يعتقد أن دانتى لن يعود
إلى الأرض . ٥٨ ...

قال إنه كان من رجال الحرب ثم أصبح راهباً وظن أنه كفر
عن خطاياه . ٦٧ ...

الأنشودة الثامنة والعشرون

أنشودة مثيرى الفتن الدينية والسياسية

ووصف طريقة خداعهما عند رأس فوكارا . ٤٣ ...

كوريون مقطوع اللسان ، وكان من أسباب إشعال الحرب الأهلية فى روما . ٥٢ ...

موسكا دى لامبرتى البطل الفلورنسى مقطوع اليدين ، وكان سبباً فى انقسام فلورنسا إلى الحلف والجبلين . ٦١ ...

رأى دانتى مشهداً كان من شأنه أن يخيفه لولا الضمير الذى يجعل الإنسان مطمئناً ويشدّ من عزمه تحت درع من الإحساس بالطهر . ٧٠ ...

شهد دانتى برتران دى بورن شاعر التروبادور يسير وهو يحمل رأسه بيده ويجعل من نفسه لنفسه مصباحاً . ٧٦ ...

قال إنه أثار الأب والابن أحدهما على الآخر (هنرى الثانى ملك إنجلترا وابنه هنرى) . ٩١ ...

ولذلك فهو ينال القصاص . ١٠٠ ...

الأنشودة التاسعة والعشرون

تكملة للسابقة وتسمى أنشودة المزيفين

تأثر دانتى لعذاب الآثمين وبكى ورغب فى البقاء للمزيد من البكاء . ١ ...

ڤرجيليو يستحثه للمسير لأن الوادى طويل . ٤ ...

ويقول إن الوقت قصير . ١٠ ...

يسير الشاعران ويقول دانتى إنه لو عرف السبب فربما كان يمنحه من البقاء مزيداً . ١٣ ...

قال دانتى إن بداخل الكهف أحد أقربائه . ١٦ ...

قال ڤرجيليو إنه يعرف أن هناك جيرو دل بلو الذى أثار الدسائس فى فلورنسا . ٢٢ ...

قال دانتى إنه قتل ولم ينتقم له أحد . ٣١ ...

الأنشودة الثلاثون

تكملة للسابقة وتحوى مزيفى الأشخاص والكلام والنقود

الأنشودة الحادية والثلاثون

أنشودة المردة

يذكر دانتى كيف أخجله لسان ڤرجيليو ثم أزال خجله . ١ ...

يشبه هذا برمح أخيل وأبيه الذى كان يجرح ويشفى الجروح . ٤ ...

سار الشاعران بين الحلقتين الثامنة والتاسعة . ٧ ...

كان الوقت بين الليل والنهار وسمع دانتى بوقاً يدوى ويجعل الرعد خافت الصوت بالنسبة إليه . ١٠ ...

لم ينفخ أورلاندو فى حرب العرب بمثل هذا العنف . ١٦ ...

ظن دانتى أنه رأى أبراجاً عالية . ١٩ ...

قال له ڤرجيليو إن الحواس تنخدع بسبب الظلام وبعد المسافة وأخذ يده بإعزاز وأخبره أنه رأى مردة وليس أبراجاً. ٢٢ ...

صورة الضباب وانقشاعه والقدرة على الإبصار . ٣٤ ...

كان المردة على صورة أبراج قلعة مونتريدجونى . ٤٠ ...

رأى دانتى المارد نمرود . ٤٦ ...

أحسنت الطبيعة صنعاً عندما وقفت عن خلق المردة . ٤٩ ...

إشارة إلى أهل فريزيا فى هولندا الطوال الأجسام . ٦٣ ...

يصرخ نمرود بصوت غير مفهوم . ٦٧ ...

يسكته ڤرجيليو . ٧٠ ...

وقال لدانتى بأن يدعه وشأنه لأنه لا سبيل إلى التفاهم معه . ٧٦ ...

رأى دانتى إفيالتس المارد مقيداً بالأغلال جزاء ثورته على جوپيتر . ٨٢ ...

أبدى دانتى رغبته فى رؤية المارد برياروس . ٩٧ ٠٠٠

قال ڤرجيليو إنهما سيريان المارد أنتيوس وإن برياروس بعيد ويبدو وجهه أكثر وحشية . ١٠٠ ٠٠٠

غضب إفيالتس عند ما سمع أن برياروس يفوقه وحشية واهتز كزلزال عنيف فخشى دانتى أن يموت . ١٠٦ ٠٠٠

خاطب ڤرجيليو أنتيوس وأشار إلى انتصار شيپيون على هانيبال ١١٥ ٠٠٠

طلب إليه ڤرجيليو أن يحملهما إلى كوتشيتوس وقال له إن دانتى يستطيع أن يكسبه الشهرة فى الأرض . ١٢٢ ٠٠٠

أخذهما أنتيوس بيديه . ١٣٠ ٠٠٠

انحنى المارد فى صورة برج كاريزيندا وهو يضعهما برفق فى الحلقة التالية . ١٣٦ ٠٠٠

ثم رفع نفسه كسارية فى سفينة . ١٤٥

الأنشودة الثانية والثلاثون

أنشودة خونة الأهل والوطن والحرب السياسى

تمنى دانتى أن تكون له القوافى اللاذعة بما يناسب الهوة البائسة . ١ ٠٠٠

استنجد دانتى بربات الشعر . ١٠ ٠٠٠

قال دانتى إنه أولى بالآثمين أن يكونوا نعاجاً أو معزاً . ١٣ — ١٥

وصل الشاعران إلى دائرة قابيل أولى الدوائر فى الحلقة التاسعة حيث يعذّب قتلة الأقارب . ١٦ ٠٠٠

معذّبان يحذّران دانتى ألا يطأهما بقدميه . ١٩ ٠٠٠

وجد دانتى نفسه فوق بحيرة من الجليد أقسى من الدانوب والدون فى الزمهرير القاسى . ٢٢ ٠٠٠

الأنشودة الثالثة والثلاثون

أنشودة خونة الوطن والأصدقاء وتسمى أنشودة أوجولينو

استيقظ الأبناء وسمع أوجولينو صوت إغلاق البرج فلزم الصمت ولم يبك بل تحجر فى باطنه ٤٣

استفسر أنسلموتشو عما به فلم يجب أوجولينو ٥٠

تبين أوجولينو وجوه أبنائه فعضّ يديه فى حركة عصبية ٥٥

ظن الأبناء أنه فعل ذلك بسبب الجوع فسألوه أن يأكل من لحمهم ٥٩

كتم أوجولينو مشاعره حتى لا يجعلهم أشد حزناً . ٦٤ — ٦٦

سأل جادّو أوجولينو المعونة وسقط ميتاً ومات الباقون ٦٧

فقد أوجولينو بصره وزحف فوق أبنائه وأخذ يناديهم بأسمائهم ثم فعل به الجوع ما لم يفعله الألم ٧٢

عاد أوجولينو إلى نهش رأس رودجيرى فى صورة كلب ينهش قطعة عظم ٧٦

لعن دانتى پيزا وتمنى أن يسد مصب الأرنو حتى يغرق كل أهلها ٧٩

وصل الشاعران إلى منطقة بطليموس حيث يعذّب خونة الأصدقاء والضيوف ، وكانت دموعهم تتجمد فى عيونهم فيمتنع عليهم البكاء . ٩١ — ٩٩

شعر دانتى ببعض الريح فسأل عن مصدره ١٠٠

سأل ألبريجو دى مانفريدى زعيم الحلف فى فاينتزا دانتى أن يزيل عن عينيه الثلج المتجمد ١٠٩

طلب دانتى أن يفصح عن شخصه ووعده بإزالة الثلج ١١٢

أفصح عن شخصه وقال إن روح الخونة تهبط إلى دائرة بطليموس قبل موت الجسد ١١٨

رأى دانتى برانكا دوريا الجنوى ١٣٧

لم يزل دانتى الثلج عن عينى ألبريجو وكان من الكياسة أن يكون قاسياً معه ١٤٨

لعن دانتى شعب جنوا . ١٥١ — ١٥٧

الأنشودة الرابعة والثلاثون

أنشودة لوتشيفيرو (إبليس)

قال ڤرجيليو إن ألوية ملك الجحيم تتقدم نحوهما . ١ ...
رأى دانتى ما يشبه طاحونة وسط الضباب الكثيف . ٤ ...
احتمى دانتى وراء دليله خشية الريح . ٧ ...
اعترى دانتى الخوف عند ما رأى المعذّبين فى الثلج فى أوضاع مختلفة . ١٠ ...
سأله ڤرجيليو أن يتسلح بقوة البأس أمام ديس . ١٩ ...
أصبح دانتى خائر القوى ولم يمت ولم يبق حياً . ٢٢ ...
لوتشيفيرو هائل الحجم وظهر من الثلج بنصف صدره . ٢٨ ...
كان فى يوم مضى فائق الجمال وأصبح الآن قبيح المنظر . ٣٤ ...
عجب دانتى عند ما رأى له ثلاثة وجوه . ٣٧ ...
كان الأمامى أحمر اللون . ٣٩ ...
وكان الأيمن بين البياض والصفرة والأيسر فى لون من يأتون حيث ينبع نهر النيل . ٤٣ ...
وكان له أجنحة فاقت فى الحجم أشرعة البحر . ٤٦ ...
تجمدت مياه كوتشيتوس بتحريك أجنحته . ٤٩ ...
وبكى بستّ أعين . ٥٣ ...
مضغ بأسنانه ثلاثة آثمين على طريقة دواليب الكتان . ٥٥ ...
مضغ يهوذا ، ٦١ ...
وبروتس ، ٦٥ ...
وكاسيوس . ٦٧ ...

احتضن دانتى عنق ڤرجيليو الذى هبط من شعرة لأخرى على جسم لوتشيفيرو ٧٠

وعند بلوغ الفخذ بدا لدانتى أنهما يصعدان ٧٦

سأل ڤرجيليو دانتى أن يتعلق به جيداً ثم خرجا من ثغرة فى صخرة ٨٢

أصبح دانتى مبلبل الخاطر ٩١

دعا ڤرجيليو دانتى إلى النهوض لأن الطريق طويل والسير وعر. ... ٩٤

أخذ دانتى يستفسر عن اختفاء الثلج ووَضْع لوتشيفيرو المقلوب وعن ظهور الشمس ١٠٠

أوضح له ڤرجيليو أنهما عبرا مركز الأرض وانتقلا إلى نصف الكرة الجنوبى ١٠٦

وقال ڤرجيليو إنه هنا يصبح النهار حينما يكون هناك مساء وإن لوتشيفيرو لا يزال على وضعه الأول ١١٨

وقال إن لوتشيفيرو سقط من السماء إلى أسفل وانقسمت الكرة الأرضية قسمين نصف يابس ونصف ماء ١٢١

وأشار إلى نهر ليتى فى المطهر ١٢٧

تابع الشاعران المسير وصعد ڤرجيليو ثم دانتى وخرجا من ثغرة مستديرة لكى يستعيدا رؤية النجوم . ١٣٣ — ١٣٩

المكتبة

أولاً : مؤلفات دانتى أليجييرى :

ا — فى نصوصها :

Dante Alighieri : La Divina Commedia :

— contributions to the textual criticism of the Divine Comedy, by E. Moore. Cambridge, 1888.

— nuovamente riveduta nel testo dal Dr. E. Moore. Oxford, 1900.

— col commento di P. Fraticelli. Firenze, 1902.

— nel testo critico della Società Dantesca Italiana, esposta e commentata da E. Mestica. Firenze, 1921.

— nella Figurazione Artistica e nel Secolare Commento, a cura di G. Biagi. Torino, 1924.

— col commento di G. A. Scartazzini rifatto da G. Vandelli. Milano, 1949.

— testo critico a cura di M. Casella. Bologna, 1949.

— commentata da V. Rossi. Città di Castello, 1923.

— ,, ,, I. Del Lungo. Firenze, 1928.

— ,, ,, L. Pietrobono. Torino, 1932.

— commentata da A. Momigliano. Firenze, 1950.

— con note e riassunti di L. Medici. Bergamo ?

— con il commento di T. Casini rinnovata e accresciuta per cura di M. Barbi. Firenze, 1932.

— Le Opere di Dante Alighieri, a cura di E. Moore, nuovamente rivedute nel testo da P. Toynbee. Oxford, 1924:

I. Poesie :

La Divina Commedia : Inferno, Purgatorio, Paradiso.
Le Rime.
Eclogae.

II. Prose :

La Vita Nuova.
Il Convivio.
Monarchia.
De Vulgari Eloquentia.

Epistolae.
Quaestio De Aqua et Terra.
— Opere Minori. Firenze, 1935.

ب — بعض ترجمات إنجليزية (وأمريكية) للكوميديا والملكية :

— The Divine Comedy, trans. by H.F. Cary. Florence ?
— ,, ,, ,, by H.W.Longfellow.Boston, 1867-1871.
— ,, ,, ,, by J. B. Fletcher, with Botticelli Sketches. New York, 1931.
— The Divine Comedy, trans. by M. Anderson. U. S. A. ?
— ,, ,, ,, by J. Carlyle, Ph. Wicksteed and Th. Okey. U. S. A., 1944.
— The Divine Comedy, trans. by L.G. White. New York, 1948.
— ,, ,, ,, by J.D. Sinclair. London, 1948.
— The Comedy of Dante Alighieri, Cantica I. Hell. trans. by. D.L. Sayers. Edinburgh, 1949.
— The Divine Comedy, trans. by L. Binyon. New York, 1950.
— La Divina Commedia with an English trans. by H. M. Ayres. New York, 1949-1953.
— The Inferno, trans. by J. Ciardi. New Brunswick, 1954.
— Monarchy, trans. by D. Nicholl. London, 1954.

حـ — بعض ترجمات فرنسية :

— La Divine Comédie, trad. par P.A. Fiorentino. Paris, 1892.
— ,, ,, ,, par A. Pératé. Paris, 1921.
— ,, ,, ,, par A. De Montor. Paris, 1925.
— ,, ,, ,, par H. Longnon. Paris, 1938.
— ,, ,, ,, par A. Brizeux. Paris, 1943.
— ,, ,, ,, par A. Masseron. Paris, 1947-1950.

د — ترجمتان عربيتان :

— الرحلة الدانتية فى الممالك الإلهية : الجحيم — المطهر — النعيم . ترجمة عبود أبى راشد . طرابلس الغرب ، ١٩٣٠ — ١٩٣٣ .
— جحيم دانتى : ترجمة أمين أبى شعر . القدس ، ١٩٣٨ .

ثانياً : مراجع فى تاريخ الأدب الإيطالى :

De Sanctis,F. : Storia della Letteratura Italiana,vol.I. Milano, 1934.
Hauvette, H. : Histoire de la Littérature Italienne. Paris, 1932.
Momigliano, A. : Storia della Letteratura Italiana. Milano, 1954.
Papini, G. : Storia della Letteratura Italiana, vol. I. Milano, 1935.
Rossi, V. : Storia della Letteratura Italiana, vol. I. Milano, 1935.
Wilkins, E.H. :A History of Italian Literature. Cambridge, U.S.A.,1954.

ثالثاً : مراجع عن دانتى ومؤلفاته :

Apollonio, M.: Dante, Storia della Commedia, 2 voll. Milano, 1951.
Armstrong, E.: Italian Studies. London, 1934.
Barbi, M.: Life of Dante. Eng. trans. by P. G. Ruggiers. California, 1954.
Batard, Y.: Dante, Minerve et Apollon, les Images de la Divine Comédie. Paris, 1952.
Bignami, E.: La Divina Commedia, schemi, riassunti, analisi dei singoli canti. Milano, 1948.
Bonaventura, A.: Dante e la Musica. Livorno, 1904.
Bradford, M.W.: Dante, the Man and the Poet. Cambridge, 1924.
Carducci, G.: Dante. Bologna, 1944.
Chaytor, H.J.: The Trobadours of Dante. Oxford, 1902.
Chiari, A.: Letture Dantesche. Firenze, 1939.
Cipolla, C.: Studi Danteschi. Verona, 1921.
Comité Français Catholique, Sixième Centenaire de la Mort de Dante Alighieri (1321-1921). Paris, 1921-1922.
Croce, B.: La Poesia di Dante. Firenze, 1921.
Dante Alighieri (1321-1921), Omaggio dell'Olanda. L'Aia, 1921.
Dante, Essays in Commemoration. London, 1921.
De Lafontaine, H.C.: Dante and War. London, 1915.
D'Entrèves, A.P.: Dante as a Political Thinker. Oxford, 1952.
De Sanctis, F.: Saggi Critici. Milano, 1921.
D'Ovidio, F.: Nuovi Studi Danteschi. Napoli, 1932.
Fanciulli, G.: Dante. Milano, 1930.
Gardner, E.G.: Dante. London, 1923.
Gauthiez, P.: Dante le Chrétien. Paris, 1933.
Gillet, L.: Dante. Rio de Janeiro, 1941.
Gilson, E.: Dante et la Philosophie. Paris, 1939.

Goss, E.: Saggi Letterari. Genova, 1939.
Gustarelli, A.: Il Poema Sacro, riassunti e schemi per lo studio della D.C. Milano, 1934.
Hauvette, H.: Dante. Paris, 1912.
Lectura Dantis. Firenze, 1912...
Leigh, G.: New Light on the Youth of Dante. London ?
Lewis, C.S.: The Allegory of Love. London, 1953.
Maturin, M.P.: The Mind and Art of Dante. London, 1921.
Merejkowsky, D.: Dante, trad.dal russo di R.Kufferle.Bologna, 1938.
Mestica, E.: La Psicologia nella Divina Commedia. Firenze, 1893.
Misciattelli, P.: Pagine Dantesche. Siena, 1920.
Moore, E.: Studies in Dante. II., III., IV. series.Oxford, 1899-1917.
Nardi, B.: Dante e la Cultura Medievale. Bari, 1942.
Oliphant, M.: The Makers of Florence. London, 1883.
Orr, M.A.: Dante and the Medieval Astronomers. London, 1913.
Ozanam, A.F.: Dante e la Filosofia Cattolica, versione italiana (dal francese) con note di P. Molinelli. Milano, 1841.
Palhories, F.: Dante et la Divine Comédie. Paris, 1936.
Papini, G.: Dante Vivo. Firenze, 1943.
Papini, G.: Il Diavolo. Firenze, 1954.
Pascoli, G.: Scritti Danteschi. Milano, 1952.
Passerini, G.L.: La Vita di Dante. Firenze, 1929.
Renaudet, A.: Dante Humaniste. Paris, 1952.
Renucci, P.: Dante Disciple et Juge du Monde. Gréco-Latin. Paris, 1954.
Sayers, D.L.: Introductory Notes on Dante. London, 1954.
Scotti, T.G.: Dante. Milano, 1947.
Scrocca, A.: Saggi Danteschi. Napoli, 1908.
Secentenario della Morte di Dante. Roma, 1921.
Singleton, Ch. S.: Studies in Dante I. Commedia : Elements of Structure. Cambridge, U.S.A., 1954.
Symonds, J.A.: Renaissance in Italy, vol. IV. p.I. London, 1937.
Toynbee, P.: Dante Alighieri, trad. dall'inglese da G. Balsamo-Crivelli. Torino, 1908.
Toynbee, P.: Dante Studies and Researches. London, 1902.
Tozer, H.E.: An English Commentary on Dante's Divina Commedia. Oxford, 1901.
Whitfield, J.H.: Dante and Virgil. Oxford, 1949.
Wicksteed, Ph H.: Dante and Aquinas. London, 1913.
Wilkins, E.H.: Dante, Poet and Apostle. Chicago, 1921.

Zingarelli, N. : La Vita, I Tempi e Le Opere di Dante, 2 voll. Milano, 1948.

فوزى ، طه : دانتى أليجييرى . القاهرة ، ١٩٣٠.

رابعاً : مراجع عن التراث القديم :

ا — مؤلفون قدماء :

Aristotle : Physics, Eng. trans. by Ph. Wicksteed and F.M. Cornford (L.C.L.) London, 1929.

Aristotle : Nicomachean Ethcis, Eng. trans. by H. Rackham. (L.C.L.) London, 1934.

Boethius : Consolatione Philasophiae, Eng. trans. by H.E. Stewart and E.K. Rand. (L.C.L.) London, 1953.

Cicero : De Officiis, Eng. trans. by W.Miller (L.C·L.)London, 1921.

Homer : Illiad, Eng. trans by W.D. Smith and W. Miller. (L.C.L.) New York, 1945.

Homer : Odyssey, Eng. trans. by A.T. Murray(L.C.L.)London, 1946.

Horace : Satires, Epistles, Ars Poetica, Eng. trans. by H.R. Fairclough. (L.C.L.) L nd:n, 1926.

Lucan : Pharsalia, Eng. trans. by J.D. Duff (L.C.L.) London, 1928.

Ovid : Heroides and Amores, Eng. trans. by G. Showerman (L.C.L.) London, 1921.

Ovid : Metamorphoses, Eng. trans. by F.J. Miller (L.C.L.) Lodon, 1399.

Ovid : The Art of Love and Other Poems, Eng. trans. by J.H. Mozley. (L.C L.) London, 1939.

Statius : Thebaides, Eng. trans. by J.H. Mozley (L.C.L.) London, 1928.

Virgil : Eclogues, Georgics, Aeneid, Eng. trans. by H.R. Fairclough (L.C.L.) London, 1942.

ب — مراجـع :

Bibbia, La Sacra. Cambridge, 1947.

Bulfinch, Th.: Mythology. New York ?

Durant, W.: Our Oriental Heritage New York, 1954.

Durant, W.: The Life of Greece. New York, 1939.

Durant, W.: Ceasar and Chirst. New York, 1944.

Hamilton, E.: Mythology. New York, 1953.
Harvey, P.: The Oxford Classical Companion to Classical Literature. Oxford, 1953.
Legacy of Greece. Oxford, 1951.
Legacy of Rome. Oxford, 1951.
الكتاب المقدس . طبعة جمعية الكتاب المقدس . القاهرة ، ١٩٥٥ .
الكتاب المقدس . طبعة المطبعة الكاثوليكية . بيروت ، ١٩٥١ .

خامساً : مراجع عن تراث العصور الوسطى :

Bréhier, E.: La Philosophie au Moyen Age. Paris, 1949.
Caggese, R.: Duecento - Trecento. Torino, 1939.
Durant, W.: The Age of Faith. New York, 1950.
Ghebart, E.: Mystics and Heretics in Italy, trans. from French by E.M. Hulme. London, 1922.
Gilson, E.: La Philosophie au Moyen-Age. Paris, 1952.
Gorce, M.M.: L'Essor de la Pensée au Moyen-Age, Albert le Grand et Thomas d'Aquin. Paris, 1932
Haskins, Ch. H.: The Renaissance of the Twelfth Century. Oxford, 1927.
Legacy of the Middle Ages. Oxford, 1951.
Legacy of Israel. Oxford, 1953.
Malory, Th.: The Tale of the Death of King Arthur, ed. by E. Vinaver. Oxford, 1955.
Regis, A.C.: The Basic Writings of Saint Thomas Aquinas, 2 vols. New York, 1945.
Seligman, K.: The History of Magic. New York ,1948.
Villari, P.: I Primi Due Secoli della Storia di Firenze. Firenze, 1885.
كرم، يوسف: تاريخ الفلسفة الأوربية فى العصر الوسيط . القاهرة، ١٩٤٦.

سادساً : مراجع عن تراث الإسلام :

Affifi, A.E.: The Mystical Philosophy of Muhyid-Din-Ibnul Arabi. Cambridge, 1939.
Asin, M.P.: Islam and the Divine Comedy, Eng. trans. of the abridged Spanish copy by H. Sunderland. London, 1926.
Blachère, R.: Introduction au Coran. Paris, 1947.

Cerulli, E.: Il "Libro della Scala" e la Questione delle Fonti Arabo-Spagnole della Divina Commedia. Roma, 1949.

ألف ليلة وليلة . طبع القاهرة .

پالنثيا ، آنخل جونثالث: تاريخ الفكر الأندلسى . ترجمة وإضافات وتعليقات بقلم حسين مؤنس . القاهرة، ١٩٥٥ .

الثعلبي ، أبو إسحق محمد بن إبراهيم : كتاب قصص الأنبياء المسمى بالعرائس . القاهرة ، ١٣٤٥ هـ .

الخازن ، علاء الدين على البغدادى المعروف ب : تفسير القرآن الجليل المسمى لباب التأويل فى معانى التنزيل . القاهرة ، ١٣١٢ هـ .

السمرقندى ، ابن الليث : قرة العيون ومفرج القلب المحزون . (مطبوع على حاشية مختصر تذكرة القرطبي) القاهرة ، ١٣٠٨ هـ .

الشعرانى ، عبد الوهاب : مختصر تذكرة القرطبي . القاهرة ، ١٣٠٨ هـ .

الطبرى ، أبو جعفر محمد بن جرير : كتاب جامع البيان فى تفسير القرآن . القاهرة ، ١٣٢٣ هـ .

ابن عربي ، محيي الدين : الفتوحات المكية . القاهرة ، ١٢٩٣ هـ .

ابن عربي ، محيي الدين : كتاب ذخائر الأعلاق شرح ترجمان الأشواق . بيروت ، ١٣١٢ هـ .

الغزالى ، أبو حامد محمد : كتاب إحياء علوم الدين . القاهرة ، ١٣٥٢ هـ .

فوزى ، حسين : حديث السندباد القديم . القاهرة ، ١٩٤٣ .

القرآن الكريم . القاهرة ، ١٣١٥ هـ .

لوبون ، جوستاف : حضارة العرب . ترجمه عن الفرنسية عادل زعيتر . القاهرة ، ١٩٤٨ .

مرتضى ، محمد الحسينى الشهير ب : كتاب إتحاف السادة المتقين بشرح أسرار إحياء علوم الدين . القاهرة ، ١٣١١ هـ .

المعرى ، أبو العلاء : رسالة الغفران . شرح كامل كيلانى . القاهرة ، ١٩٣٠ .

المعرى ، أبو العلاء : رسالة الغفران . تحقيق وشرح عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) . القاهرة ، ١٩٥٠ .

المعرى ، أبو العلاء : الغفران . تحقيق ودرس عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) . القاهرة ، ١٩٥٤ .

الهندى ، علاء الدين بن حسام الدين : كتاب كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال . حيدر آباد ، ١٣١٢ هـ .

ابن الوردى ، سراج الدين عمر : جريدة العجائب وفريدة الغرائب . القاهرة ، ١٣١٦ هـ .

سابعاً : مراجع عن الناحية الفنية :

ا — التصوير والنحت :

Dante Alighieri : La Divina Commedia, nell'Arte del Cinquecento. Milano, 1908.

Dante Alighieri : The Vision of Hell, Eng. trans. by H.F. Cary, with illustrations of G. Doré. London ?

Dante Alighieri : La Divina Commedia, nuovamente illustrata da artisti italiani, a cura di V. Alinari e G. Vandelli. Firenze, 1922.

Fattorusso, G.: Wonders of Italy. Florence, 1930.

Golscheider, L.: The Paintings of Michelangelo. London, 1948.

Golscheider, L : The Sculptures of Michelangelo. London, 1948.

Golscheider, L.: Leonardo Da Vinci. London, 1943.

Golscheider, L.: Rodin. London, 1949.

Mottini, G.E.: Storia dell'Arte Italiana. Milano, 1934.

Roe, A.S.: Blake's Illustrations to the Divine Comedy. Princeton, 1953.

Venturi, A.: Luca Signorelli interprete di Dante. Firenze, 1923.

ب — كتب فى الموسيقى :

Ewen, D.: Music for the Millions. New York, 1950.

Hill, R.: The Symphony. London, 1951.

Hill, R.: The Concerto. London, 1952.

Kobbé, G.: Complete Opera Book, ed. and rev. by the Earl of Harewood. London, 1954.

Lang, P.H.: Music in Western Civilization. New York, 1941.
Scholes, P.A.: The Oxford Companion to Music. Oxford, 1950.
West, S.E. and Taylor, S.D.: The Record Guide. London, 1951.
فوزى ، حسين : الموسيقى السيمفونية . القاهرة ، ١٩٥١ .

حـ — ألحان موسيقية :

Gluck, Ch. W. Von.: Orpheus and Eurydice. (Opera, 1672) Decca.
Liszt, F.: Dante Sonata. (1849) Columbia.
Liszt, F.: Symphony to Dante's Divine Comedy. (1856) Brunswick.
Purcell, H.: Aeneas and Dido. (Opera, 1679 ?) Decca.
Rachmaninof, S. : Francesca Da Rimini. (Opera, 1906) columbia.
Rossini, G.: Semiramide. (Opera, 1823) Columbia.
Tschaikowsky, P.I.: Francesca Da Rimini. (Fantasia, 1878) Decca.
Wagner, R.: Tristan und Isolde. (Opera, 1865) His Master's Voice.
Zandonai, R.: Francesca Da Rimini. (Opera, 1914) Columbia.

ثامناً : قواميس وفهارس :

Cary, M. and Others: The Oxford Classical Dictinaory. Oxford, 1951.
Concordanza D ntesca. Firenze, 1919.
Gustarelli, A.: Dizionario Dantesco. Milano, 1946.
Lori, F. : Indice Alfabetico dei versi della Divina Commedia. Firenze, 1904.
Scartazzini, G.A.: Encyclopedia D-ntesca, 2 voll. Milano, 1896-1899.
Toynbee, P. Dante Dictionary. Oxford, 1898.
هاو وهرر : معجم الأعلام فى الأساطير الكلاسيكية ، ترجمة أمين سلامة . القاهرة ، ١٩٥٥ .

تاسعاً : الدوريات :

Annual Reports of the Dante Society. Cambridge, U.S.A., 1882 ...
Bullettino della Società Dantesca Italiana, nuova serie : M. Barbi - G. Parodi. Firenze, 1894-1921.
Etudes Italiennes : H. Hauvette. Paris, 1919-1935.
Il Giornale Dantesco : L. Pietrobono. Firenze, 1921...
Italica. Chicago, 1924...
Studi Danteschi : M. Barbi - M. Casella. Firenze, 1920...

مجلة الرسالة .القاهرة ، ١٩٣٤ و ١٩٣٦ .
مجلة رسالة الإسلام . القاهرة ، أكتوبر ١٩٥٤ .
مجلة الكاتب المصرى . القاهرة ، أبريل ١٩٤٨ ..
مجلة كتابى . القاهرة ، ١٩٥٣ .
مجلة كلية الآداب بجامعة (القاهرة) . القاهرة ، مايو وديسمبر ١٩٤٩ ، وديسمبر ١٩٥٠ .
مجلة المجمع العلمى العربى . دمشق ، ١٩٢٧ — ١٩٢٨ .

عاشراً : دوائر المعارف :

Encyclopaedia Britannica. London, 1953.
Encyclopedia Italiana. Roma, 1929-1939.
Encyclopaedia of Keligion and Ethics. Edinburgh, 1925-1926.

حادى عشر : كتب المراجع :

Cosmo, U.: Guida a Dante. Torino, 1947.
Eng. trans. by D. Moore: A Handbook to Dante Studies. Oxford, 1950.
Evola, N.D.: Bibliografia Dantesca (1920-1930). Firenze, 1932.
Koch, Th. W.: Catalogue of the Dante collection presented by W. Fiske to Cornell University, 2 vols. New York, 1988-1900.
Additions by M. Fowler (1898-1920)New York, 1921.
La Piana, A. : Dante's American Pilgrimage, (1800-1944). New Haven, 1948.
Passerini, G.L. e Mazzi, C.: Un Decennio di Bibliografia Dantesca, (1891-1900). Milano, 1905.
Toynbee, P.: Britain's Tribute to Dante in Literature and Art. London, 1921.

فهرست الصور

صفحة

فهرست المحتويات

تم طبع هذا الكتاب على مطابع
دار المعارف بمصر سنة ١٩٥٩

L IVI C E I

I

T L I

"florentini nacione sed non moribus"

CANTICA I.

INFERNO

TRADUZIONE IN PROSA ARABA

DI

HASSAN OSMAN

DAR AL MAAREF

CAIRO, 1959

مجموعة نفائس العالم

الكوميديا الإلهية

١ - الجحيم

« الجحيم » أحد أجزاء « الكوميديا الإلهية » للشاعر الإيطالى العظيم دانتى أليجييرى ، صوّر فيه الشباب الحرّ الطليق الثائر والفطرة الإنسانية وهى عالم الخطيئة والعذاب والمأساة . وحاول إصلاح المجتمع الإنسانى بالعمل على تغيير روح الإنسان عن طريق العلم والمعرفة والفن . وقد صوّر أيضاً عيوب البشر ، وقصد أن يدركوا بشاعتها حتى يثوبوا عنها .

ويحتوى الكتاب على مقدمة تاريخية أدبية مطولة ، يليها متن الترجمة مصحوبة بالشروح والحواشى القيمة التى لا تسلس قيادها إلا لمثل الدكتور المترجم الذى توفر على دراسة أدب دانتى سنوات طويلة فغاص فيه إلى

دار المعارف للطباعة والنشر